

طلوع سعد السعود

في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا

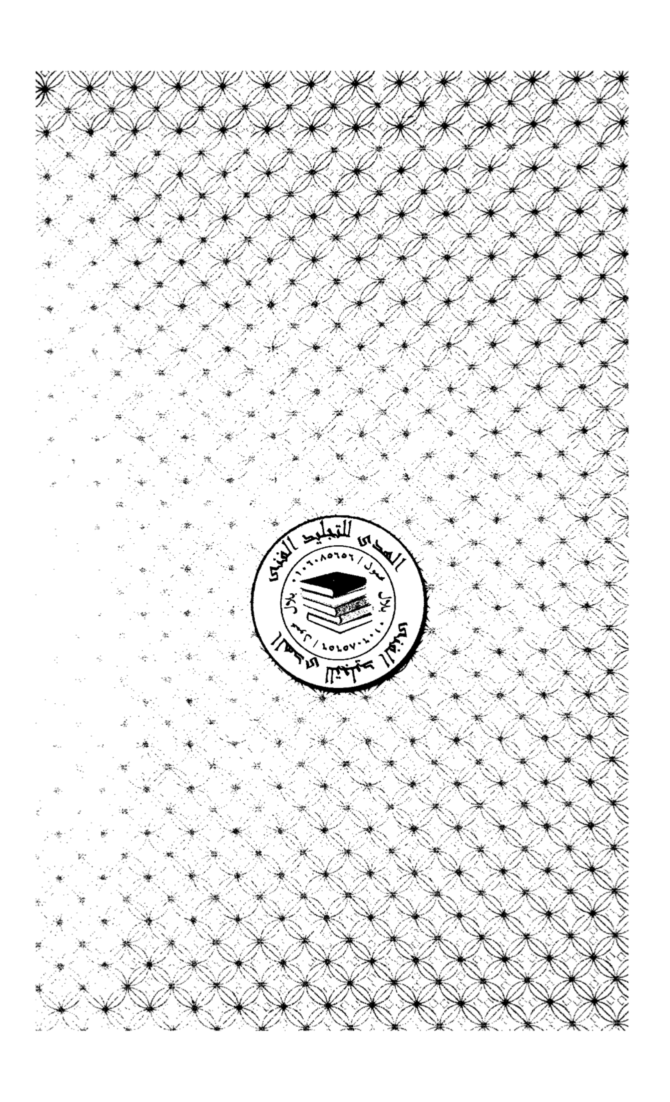
إلى أواخر القرن التاسع عشر

للآغا بن عوده المزاري

تحقيق ودراسة
الدكتور يحيى بوعزيز

الجزء الأول

دار البصائر


الهدى للتجليد الفنى

طلوع سعد السعود

في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا

إلى أواخر القرن التاسع عشر

للآغا ابن عوده المزاري

تحقيق ودراسة
الدكتور يحيى بوعزيز



دار البصائر





رقم الإيداع القانوني : 2423/2006

ردمك : (I.S.B.N)
9961 -9580 -4 -7

دار البصائر

للنشر والتوزيع

50 شارع طرابلس - حسين داي - الجزائر

الهاتف : 773625 21 00213 الفاكس : 773627 21 00213

البريد الإلكتروني : Darelbassair@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

إن كتاب «طلوع سعد السعود» الذى نقدمه اليوم للقراء -عبارة عن موسوعة كبيرة تاريخية، وثقافية وجغرافية، واجتماعية، لعدد من بلدان العالم القديم على مستوى قاراته الأربعة: إفريقيا، وأوربا، وآسيا، وأوقيانيا، فقد توسع مؤلفه الآغا إسماعيل بن عودة المزارى فى التأريخ لمدينة وهران، والجزائر، والغرب الوهرانى، وإسبانيا، وفرنسا، والأتراك العثمانيين، من غابر العصور إلى عهده عام 1890م. فأرخ لسير أجيال من العلماء، والأولياء، والأمراء، والسلاطين والملوك، والخلفاء. وأسهب فى الحديث عن النظام الإدارى للأتراك فى بلادهم، وفى الجزائر، وبلدان المغرب، وعن قبائل المخزن فى الغرب الوهرانى، مع تتبع أصولها، وفروعها، وأدوارها السياسية والعسكرية خلال عهد الأتراك، وقبلهم، وبعدهم إلى عهده هو، وسلك طريق وأسلوب ابن خلدون فى وضع شجرات الأنساب لها، كما أسهب فى التأريخ لأجناس أوربا، وسكان إسبانيا، وفرنسا، وأقاليم الأرض الجغرافية، والجزر، والأودية، والأنهار، والخلجان، والمدن، والموانئ، وفى التأريخ لملوك إسبانيا الكاثوليكية الحديثة، وملوك فرنسا من غابر الأزمان إلى نهاية القرن التاسع عشر، وتوسع فى الحديث عن أصل جنس الأتراك فى آسيا، ونزوحهم إلى آسيا الصغرى وتكوينهم لدولتهم، واستعرض ملوكهم وسلاطينهم جميعًا إلى عهده أواخر القرن 19م، كما توسع فى التأريخ لبايليك الغرب الوهرانى، وباياته، وصراعهم ضد الوجود الإسبانى فى وهران والمرسى الكبير، واستعرض الحكام الأتراك فى الجزائر، وتفرغ بعد ذلك لاستعراض مقاومة الأمير عبد القادر بتوسع، وقدم لنا قراءة جديدة لها سوف تسمح بإعادة النظر فى فهم وتفسير الكثير من أحداثها خاصة مواقف قبائل المخزن من الأمير عبد القادر، ومواقفه هو منها، وأوجز فى التأريخ للأندلس الإسلامية، وأورد قوائم للخلفاء الأمويين فى الشرق، والأندلس، والخلفاء الفاطميين، وسلاطين المرابطين، والموحدين، والزيانيين، والمرينيين، والسعديين، فى الجزائر، والمغرب الأقصى، وتتبع غارات الإسبان والفرنسيين على الجزائر وتونس فى العصر الحديث، وتحدث عن الحروب الصليبية خلال حديثه عن ملوك فرنسا.

وخلال كل هذا تحدَّث المؤلف على قضايا كثيرة تاريخية، وفكرية وأدبية، وثقافية، واعتمد على مصادر كثيرة نثرية، وشعرية، مخطوطة، ومطبوعة، مما أضفى على المخطوط القيمة العلمية المطلوبة، وهذا بغض النظر على أسلوب السجع المملّ الذى اتبعه، وركاكة اللغة فى بعض الأحيان، وإخراج هذا المخطوط إلى حيز الساحة الثقافية بعد مضى قرن كامل على تأليفه -يدخل فى إطار إحياء التراث الفكرى بمفهومه الواسع للبلدان المغاربية أساسًا، والإسلامية بصفة عامة، وهذا ما تقوم به مؤسسة: دار الغرب الإسلامى بقيادة رئيسها الفاضل السيد الحبيب اللمسى، الحريص على أن يكون المثل والنموذج لعملية الإحياء هذه ، التى بدأها منذ عدة سنوات، وأخرج إلى الساحة الثقافية تراثًا حضاريًا هامًّا ومتنوعًا: فى العلوم، والآداب، والتاريخ، والسير، واللغة، والدين، وغيرها، وزود المكتبات العربية والعالمية بنصيب وافر من أمهات الكتب، ونفائس المخطوطات، وقدَّم للأجيال الصاعدة جهود الأجداد الضخم الذى شاركوا به فى خدمة العلم، والفكر، والثقافة العربية الإسلامية، والإنسانية العالمية.

وما إقدام هذه الدار، ورئيسها الفاضل على طبع هذا المخطوط، ونشره إلا دليل آخر على مدى الجهد الذى يبذله فى هذا الميدان، هذا وقد أدخلنا تحويرًا جزئيًّا على اسم المخطوط فى ظهر الغلاف الخارجى فقط؛ ليكون أكثر دلالة على محتواه، وهو «طلوع سعد السعود، أو تاريخ وهران، والجزائر، وإسبانيا، وفرنسا، من غابر الأزمان إلى نهاية القرن 19م».

فإلى الأخ الفاضل السيد الحبيب اللمسى، وإلى داره العامرة: دار الغرب الإسلامى، نقدم كل التحية، والشكر، والتقدير، والسلام. والله الموفق.

د. يحيى بوعزيز
(جامعة وهران) وهران- حى جمال
الجمعة 25 رمضان 1410هـ
20 أبريل 1990م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتوضيح

إن مخطوط طلوع سعد السعود فى تاريخ وهران ومخزنها الأسود، الذى نقدمه اليوم للقراء قد استنفد منا عملًا شاقًا وطويلًا، بسبب كبر حجمه، وتعقد إجراءات الحصول على إذن لتصويره والوقت الطويل الذى استغرق فى نقله باليد، وضربه على الآلة الكاتبة، ومراجعته، والتعليق عليه.

فقد استغرق الحصول على إذن لتصويره من طرف وزارة الثقافة والسياحة، أكثر من ستة شهور، وكان السبب فى ذلك المسئول عن متحف زبانا بوهران الذى تلكأ وراوغ فى تنفيذ أمر الوزارة لأمور لا نعلمها، سامحه الله.

واستغرق نسخه باليد قرابة عام كامل؛ بسبب ضخامة حجمه، وصعوبة ضربه على الآلة الكاتبة مباشرة، وبذل الأخ الطالب صديقى سليمان القنادسى جهودًا مشكورة فى نسخه، وتحمل ذلك وتطوع رغم انشغاله بمتابعة دروسه؛ لتحضير شهادة الليسانس فى التاريخ، ولولا جهوده هذه لتأخر إعداد المخطوط للطبع سنوات أخرى أو تعذر إطلاقًا.

وتطلبت قراءته وتصحيحه، والتعليق عليه، وتبويبه أوقاتًا طويلة، واستغرق ضربه على الآلة الراقنة قرابة عام كامل كذلك مع إعادة قراءته وتصحيحه وترتيبه، وفهرسته، كل ذلك وسط الأشغال والاهتمامات اليومية التربوية وغيرها، وهنا لا بد من التنبيه على عدة أمور:

أولًا: توجد بالمخطوط أخطاء كثيرة جدًا. ولا تخلو منها أية صفحة فى اللغة وقواعد اللغة والرسم، والإنشاء، والصياغة، فاكتفينا بالإشارة والتنبيه على البعض منها وتركنا الباقى على حالها؛ لأن الإشارة إليها كلها سيؤدى إلى تضخيم حجم المخطوط، ثم إنها لا تؤدى إلى عدم فهم المعلومات والحوادث.

ثانيًا: إن التعليقات والهوامش التى وضعناها للمقاصد الثلاثة الأولى -أثبتت أن المواصلة على ذلك النهج سيؤدى إلى مضاعفة حجم المخطوط مرة أو أكثر، ولذلك خففنا منها كثيرًا فى المقصدين الباقيين والطويلين: الرابع، والخامس. واكتفينا فقط بالضرورى منها.

ثالثًا: أورد المؤلف قوائم كثيرة وطويلة لأسماء الأعلام الأجنبية الرومانية، واليونانية، والإسبانية، والفرنسية، وغيرها، فكتب البعض صحيحًا، وحرَّف أخرى، ولذلك حاولنا نحن تصحيح بعضها بكتابتها بالحروف اللاتينية أمامها أو فى الهامش، وتركنا الباقى إلى حين التعرف عليها.

رابعًا: ليس للمخطوط عناوين ولذلك وضعنا نحن له عناوين فرعية مستقلة؛ ليسهل التعرف على موضوعاته، والعودة إليها بدون مشقة وصعوبة، ووضعنا أرقام الصفحات بين قوسين داخل النص.

خامسًا: نظرًا لطول المخطوط وكبر حجمه، فقد قسمناه إلى جزأين: الجزء الأول: يشمل المقاصد الثلاثة الأولى، والقسم الأكبر من المقصد الرابع، وينتهى عند نهاية الدولة الثامنة أو دولة الأتراك العثمانيين عام 1830م، ويحوى 317 صفحة من المخطوط.

الجزء الثانى: يشمل القسم الأخير من المقصد الرابع، والمقصد الخامس والأخير ويحتل باقى صفحات المخطوط إلى صفحة 582.

سادسًا: بذلنا جهودًا مكثفة للحصول على سيرة المؤلف الآغا بن عودة المزارى. فلم نوفق، فقد راجعنا مجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لمدينة وهران، ورجعنا إلى ما كتبه مارسيل بودان عن المخطوط، ولم نحصل على شىء، وزرنا أفراد عائلة المزارى فى سبدو، ومغنية، واستجوبناهم فلم يفيدونا بشىء ويجهلون أصلًا هذا الرجل.

وسألنا المسنين فى مدينة وهران، الذين لهم صلة بالعائلات المخزنية فلم يفيدونا بشىء.

وقد سجل المؤلف حياته وسيرته فى مخطوطه، خلال تأريخه لرجال المخزن، بعد أن سجل سيرة والده الحاج محمد المزارى، وعمه مصطفى بن إسماعيل، فى المقصد الخامس والأخير من مقاصد الكتاب من صفحة 538 إلى صفحة 545. ولكن هذه الصفحات بترت من المخطوط ويبدو أن ذلك تم عن عمد، وقصد؛ ولذلك بقيت بحياة الرجل ثغرة، ولم نجد حاليًا ما يملؤها؛ فأرجأنا ذلك إلى حين العثور على معلومات جديدة عنه، أو العثور على الصفحات المبتورة من

المخطوط. وقد قال فى صفحة 546 التى بقيت لم تبتر: «ولى فى هذا الوقت ولدان بلامين أكبرهما إسماعيل، والآخر الحسين».

والشيء المعروف عنه حاليًا هو أنه ابن الحاج محمد المزارى الذى هو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل، وكلاهما تولى وظيفة للأمير عبد القادر، ثم للفرنسيين بعد أن انضما إليهم فى حدود عام 1835م، ومن بعدهما تولى المؤلف ابن عودة المزارى وظيفة الآغا للفرنسيين، ولكن لا ندرى متى تولى هذه الوظيفة، ومتى ولد، ومتى توفى كذلك، والمؤكد هو أنه توفى بعد عام 1897م. وقد يكون عاش إلى مطلع القرن الحالى ولا ندرى أيضًا أين توفى، وأين دفن، ولعلنا نكتشف فى يوم ما الأجوبة على هذه الأسئلة والتساؤلات فنضمها للطبعة التالية إن شاء الله تعالى.

سابعًا: وضعنا للمخطوط فهارس للأعلام، والقبائل، والجماعات، والأماكن الجغرافية، وأسماء الكتب، كل جزء بفهارسه الخاصة.

ثامنًا: أضفنا إلى المخطوط فى الأخير قائمة المراجع ذات الصلة بالموضوع، ومنها المراجع التى اعتمد عليها المؤلف وأشار إليها داخل النص.

تاسعًا: إذا كان لا بد من شكر أحد فهو الناسخ للمخطوط الأخ الطالب والأستاذ صديقى سليمان، والمسئولون عن مديرية التراث بوزارة الثقافة وعلى رأسهم الأخ عبد الله بالسريانى، ثم الأخ الضابط الصديق إيمخلاف رئيس القطاع العسكرى بولاية النعامة والأخ قاسمى الهاشمى بالإذاعة الجهوية بوهران اللذان ساعدانى فى ضرب المخطوط على الآلة الراقنة، فإليهم وإلى غيرهم شكرى وتقديرى.

عاشرًا: وقد زودنا هذه الدراسة فى الأخير بقوائم لأسماء أباطرة الرومان والبيزنطيين، وملوك فرنسا، وإسبانيا، وحكام وهران الأوائل، والسلاطين العثمانيين، وحكام الجزائر فى العهد العثمانى، وبثلاث خرائط لوهران؛ والمنطقة الوهرانية التى شهدت أحداث الإسبان، والمرسى الكبير.

حادى عشر: لقد أدخلنا تحويرًا جزئيًا على عنوان المخطوط الأصلى ليكون أكثر دلالة على محتواه، وذلك على ظهر الغلاف الخارجى فقط، وأصبح هكذا: «طلوع سعد السعود أو تاريخ

وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا». (من غابر العصور إلى نهاية القرن 219). أما فى الداخل فقد أبقينا على العنوان الأصلى؛ للأمانة التاريخية.

وأرجو أن يجد الطلاب والباحثون، والأساتذة فى المعاهد والجامعات، ضالتهم فى هذا المخطوط الذى لا شك أنه سيزودهم بمعلومات واسعة، عن تاريخ وهران، والغرب الوهرانى والجزائر، وإسبانيا وفرنسا، وعبر التاريخ خاصة خلال عهد الأتراك العثمانيين وعهد الاحتلال الفرنسى إلى عام 1890م. والله الموفق.

د. يحيى بو عزيز

وهران- حى الصديقية

الخميس 29 شعبان 1409هـ

6أبريل 1989م

المخطوطات

اللهم صل على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم وسلم تسليما
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يقول العبد الضعيف الراجي عفو ربه
وغفران مساويه أبو اسماعيل
ابن عودة المزاري بن الحاج محمد المزاري
البحثاوي آمنه الله بمنه وكرمه ولطفه
آمين آمين آمين آمين

الحمد لله الذي فضل العلماء على الجهلاء وفضل العلم على
الجهل وجعلهم أمناء على خليقته يقومون بكل شيء يهتم به كل
العباد والمتعبدين وجعل بالعلم تعرف العبادات والشرع وسائر
ما يكون به التكليف وتعرف به الملل وكذا الملوك والأمم
وسائر الدول والأنساب وما قل منها وجل لا سيما علم
التاريخ الذي تعقل به أخبار القرون والعصور قبلها وما مضى منها
أو حل أو هو آت فيتبع المشتغل بمعرفته الفضل بين حياته وبين
بينهما والصلاة والسلام التامان على سيدنا ومولانا
محمد أشرف المخلوقات ومنبع الكون وخاتم الأنبياء والمرسلين
وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأمته والتابعين ومن تبعهم
بإحسان

الصفحة الأولى من مخطوط: طلوع سعد السعود

[illegible]

بالعمران الذي [illegible] ينبغي فيه المعقول من الغلط والتشعب من

التقليد والشائع من الأول، وبعد فلما

كثرت كتب التاريخ واجتمعت عندي منه رقائع جليلة

تاقت نفسي إلى جمع تأليف جليل في أخبار وهران ومن بها

العلماء والذين بهم فاقت ما عداها من العلم وجمعهم أهل الخصائل

الجميلة، فجمعته بحمد الله تعالى في كتاب جليل [illegible] ورتبته

بإذن الله تعالى على خمسة مقاصد، المقصد الأول فيمن بناها وهران

وأي وقت بنيت فيه ووضعها بالتعريف، المقصد الثاني فيمن

[illegible] سبب الاستيطان والتعمير [illegible]

[illegible] المقصد الثالث [illegible]

[illegible] المقصد الرابع [illegible]

[illegible] إلى هذا الزمان [illegible]

[illegible] المقصد الخامس

[illegible]

[illegible] وسميته طلوع سعد السعود في أخبار

وهران [illegible]

[illegible] المقصد الأول فيمن

بناها وهران وأي وقت بنيت فيه ووضعها

الصفحة الثانية من مخطوط: طلوع سعد السعود

تمهيد
في التعريف بمخطوط
طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود
للآغا بن عودة المزاري

مؤلف هذا المخطوط هو أبو إسماعيل بن عودة بن الحاج محمد المزارى البحثاوى، كما جاء فى مطلع الصفحة الأولى منه التى تحمل رقم 2. ويعرف عن الناس فى الناحية الغربية بالآغا المزارى. وكان أبوه الحاج محمد المزارى، وعم أبيه مصطفى بن إسماعيل -قد توليا منصب: وظيفة «الآغا» عند الأمير عبد القادر أولًا، ثم عند الفرنسيين بعد أن انضما إليهم فى حدود ديسمبر 1835م الموافق لأواخر شعبان 1251هـ. كما جاء فى صفحات 431-434 من المخطوط نفسه.

ويقع هذا المخطوط فى مجلد كبير يحتوى على 582 صفحة من مقاس 19فى 25، وتتراوح أسطرها بين 18 و30 سطرًا، وكتب بخط مغربى واضح، وسهل القراءة على طريقة المصحف الكريم المغربى، بحيث تنقط الفاء من أسفل والقاف من أعلى بنقطة واحدة.

ليس للمخطوط عنوان على ظهره بالصفحة الأولى، ولكن ذكر داخل الصفحة الثالثة وفى آخرها. وقد بدئ بالصفحة الثانية، بينما أبقيت الصحفة الأولى بيضاء، ولا توجد به صفحة رقم 505، وذلك لخطأ فى الترقيم فقط، إذ انتقل المؤلف من رقم 504 إلى رقم 506، مباشرة. ولكن المخطوط تنقصه ثمانى صفحات من رقم 538 إلى رقم 545، إذ اقتلعت منه أربع أوراق، وذلك فى المقصد الأخير ومن سوء الصدف أن الصفحات الناقصة هى التى تتصل بحياة المؤلف نفسه، وموقفه من الأمير والمقاومة الوطنية. ويبدو لنا أن هذه الصفحات انتزعت عن قصد ولغرض معين كذلك، وكل صفحة من صفحات المخطوط يبدؤها المؤلف بالعبارة التالية:

«اللهم صل على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم». وذلك على يمين صفحة اليمين، ويسار صفحة اليسار.

ويوجد هذا المخطوط فى مكتبة متحف زبانا بمدينة وهران تحت رقم 466، وجلد بغلاف من الورق المقوى ذى اللون البنى المائل إلى الخضورة، وكتب على ظهر حاشيته القاعدية الجلدية

الحمراء بالحروف اللاتينية، المزارى، تاريخ وهران. وليس له نظير على ما نعرف، بحيث تتفرد به مكتبة هذا المتحف دون غيرها[1].

ويضم هذا المجلد بين دفتيه ثلاثين كراسًا، كل منها يتألف من عشر أوراق ما عدا:

كراس رقم 26 الذى يحتوى على 12 ورقة من صفحة، 480 إلى 504.

وكراس رقم 27 الذى يحتوى على 12 ورقة كذلك من صفحة 506 إلى 529.

وكراس رقم 28 الذى يحتوى فقط على 8 ورقات من صفحة 530 إلى 553، وهو الكراس الذى تنقص به الصفحات التى تخص حياة المؤلف وبعض أفراد أسرته.

وكراس رقم 30 الأخير الذى يحتوى فقط على 5 ورقات من 574 إلى 582.

* * *

(1) توجد لدى الاستاذ محمد بن عبد الكريم نسخة مصورة من النسخة الأصلية الموجودة بهذا المتحف. وهى مبتورة كذلك على ما ذكره لى الشيخ عبد الرحمن الجيلالى الذى اعتمد عليها. وقد راسلته فلم يجبنى أصلًا، رغم إلحاح الدكتور سعد الله عليه فى ذلك.

أقسام المخطوط وتاريخه

ويتألف هذا المخطوط من خمسة أقسام يحمل كل منها اسم المقصد:

-المقصد الأول: فيمن بنى وهران، وفيمن أمر ببنائها وأى تاريخ بنيت فيه، وبه 8 صفحات من 4 إلى 11.

- المقصد الثانى: فى ذكر بعض أوليائها والتعريف بهم، وبه 20 صفحة من 11 إلى 30.

- المقصد الثالث: فى ذكر بعض علمائها والتعريف بهم، وبه 9 صفحات من 30 إلى 38.

- المقصد الرابع: فى ذكر الدول التى حكمتها وهى تسعة وبه 486 صفحة من 38 إلى 523.

- المقصد الخامس: فى ذكر مخزنها وهو عين المراد، وبه 59 صفحة من 523 إلى 582. وتنقص به ثمانى صفحات من 538 إلى545.

وليس لهذا المخطوط تاريخ محدد لتأليفه، ولكنه ألف فى نهاية عقد الثمانينيات ومطلع التسعينيات من القرن التاسع عشر، وذلك استنادًا إلى كلام المؤلف نفسه فيما أورده فى صفحتى 520 و521 حول تواريخ حكام الجزائر ووهران. فقد قال عن الحاكم العام تيرمان بأنه «تولى يوم 16 نوفمبر 1881م وما يزال عليها حتى الآن سنة 1890م». وقال عن سعدية كارنو الذى يحكم وهران بأنه «تولى سنة التسليم (وهى 1888) وهذا الرايس هو الموجود الآن فى عام التسعين والثمانمائة والألف الموافق للعام الثامن والثلاثمائة والألف».

واستنادًا كذلك إلى التقريظ الذى وضعه للمخطوط فى صفحته الأخيرة السيد عبد العالى شبكه وأثبت فى نهايته التاريخين 1897م و1314هـ وأذن له فى طبعه.

وإلى التقريظ الذى وضعه له كذلك بعد التقريظ الأول السيد عبد الرحمن بن سليمان المصرى المالكى، ولكنه لم يضع له تاريخًا على أى حال.

ليس للمخطوط عناوين مستقلة ما عدا فى المقاصد الثلاثة الأولى وجزء من المقصد الرابع صفحة 57 فإن له عناوين على هوامش الصفحات توضع دائمًا تحت كلمة: قف، غير أن المؤلف يبرز عناوينه داخل الصفحات بكتابتها بالخط الغليظ، ويستعمل المداد الأحمر فى كتابة الكلمات

الأولى أو الحروف الأولى للكلمات في بداية الجمل والفقرات التي من المفروض أن تكون في بداية السطر؛ لأنه لا يتوقف إطلاقًا قبل تمام السطر ليبدأ في الآخر، كما هو متعارف حاليًا، غير أنه يستعمل النقط الغليظة للفصل بين الجمل والفقرات حتى ولو مع عدم تمام المعنى، يستعمل المداد الأحمر كذلك لوضع سطور تحت الكلمات، والحروف، وكل عناوين الكتاب من وضعنا نحن.

ويختلف عدد أسطر الصفحات، وشكل الخط حسب الكيفية التالية:

- فالصفحات الأولى لغاية صفحة 120 تقريبًا عدد أسطرها بين 18 و19 وخطها واسع.

- الصفحات من 120 إلى 298 عدد أسطرها بين 19 و20. وخطها مضغوط نوعًا ما.

-والصفحات الباقية من 299 إلى نهاية المخطوط عدد أسطرها بين 24 و30 وكتابتها مضغوطة جدًا ودقيقة.

أغلب الصفحات استعمل فيها المؤلف المداد الأحمر، والباقي لم يستعمل فيها، وهناك بعض الأوراق يقطعها، ويستبدلها بغيرها ويلصقها إلصاقًا. وهذا واضح في عدة مواطن من المخطوط. وبما أن المخطوط يتألف من 30 كراسًا؛ فإن المؤلف رقمها كلها في بدايتها على اليسار بالتتابع من 1 إلى 30، وذلك بوضع الرقم فوق حرف الكاف هكذا: كـ2. ويعني كراس2.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن كل عناوين الكتاب من وضعنا نحن ولم نحاول أن نشير لكل أخطاء الكتاب اللغوية، والرسم؛ لأنها كثيرة جدًا، وتتطلب الإشارة إليها زيادة لا أقل من ربع حجم الكتاب، كذلك تجنبنا التعقيب والتداخل كثيرًا في المعلومات؛ لأن ذلك يتطلب زيادة حجم الكتاب للنصف على الأقل.

وقد كانت تجربة التعليقات في المقاصد: الأول، والثاني، والثالث، خير دليل على هذا. إذ زادت على حجم كل مقصد على حدة.

محتويات المقاصد الخمسة

- المقصد الأول: يقع فى عشر صفحات، وموضوعه فيمن بنى وهران وأى وقت بنيت، ومن أمر ببنائها، ومن أشرف على ذلك، وفى وصف الرحالة والمؤرخين لها. وقد ذكر المزارى أنها بنيت فى القرن الثالث الهجرى، ولكن هناك خلاف فى السنة. فالحافظ أبو راس له روايتان:

الأولى: فى كتابه، «عجائب الأسفار»، مفادها أن مغراوة هى التى بنتها بأمر من الخليفة الأموى بالأندلس عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، والذى أشرف على بنائها هو خرز بن حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب بن مغراو الزناتى المغراوى، وهذا يعنى أنها بنيت فى وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمن بن الحكم تولى الخلافة عام 206 هـ وتوفى فى ربيع الآخر عام 288 هـ كما فى «المختصر» لأبى الفداء.

الثانية: فى كتابيه: «عجائب الأخبار»، و«الخبر المعرب»، وتفيد أن الذى بناها هو خرز بن حفص حقيقة، ولكن الذى أمر ببنائها هو الخليفة الأموى بالأندلس أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وذلك إما سنة 290 أو 291 أو 292. وقد رجح الزيانى الذى نقل عليه التاريخ الثالث والأخير لأن هذا الخليفة تولى الخلافة عام 275 وتوفى عام 300 هـ كما فى مختصر أبى الفداء. وقد بناها قبل وفاته بعشر سنوات كما فى «دليل الحيران».

أما عبد الرحمن الجامعى فقد ذكر فى شرحه على الحلفاوية أنها بنيت من طرف مغراوة وفى أيام أمرائها، ولكنه لم يحدد السنة وتجنب ذلك حتى لا يقع فى حرج أو خطأ. بينما أكد كل من محمد بن يوسف القيروانى، وأبى عبيد الله البكرى، وابن خلكان، والرشاطى، والصفدى، كل فى تاريخه بأن الذين بنوها هم: محمد بن أبى عون، ومحمد بن عبدوس، ومحمد بن عبدون، وجماعة من البحارة الأندلسيين الذين كانوا ينتجعون مرسى وهران مع نفزة وبنى مسقن وهم بنو مسرغين من أزديجة وكانوا أصحاب القرشى، وهو الخليفة الأموى بالأندلس، وذلك عام 290هـ.

وقد استعرض أوصاف الرحالة والمؤرخين لها كالزيانى، وابن خلكان، وأبى راس المعسكرى، كل لك نقلًا حرفيًّا عن «دليل الحيران» لشيخه محمد بن يوسف الزيانى فى ست صفحات كاملة.

– المقصد الثانى: فى ذكر بعض أوليائها بحسب الاستطاعة والتعرض بالذكر لمن هو منهم شريف، وقد اعتمد فيه على «دليل الحيران» حرفيًّا ومما قاله بالحرف الواحد: اعلم أيدنى الله وإياك بأنواره ونفعنى وإياك بأسراره أن أولياءها عددهم كثير، وحصرهم عسير ولكنى أذكر منهم المشاهير كما ذكرهم شيخنا الزيانى فى الفصل الثالث من «دليل الحيران وأنيس السهران».

وقد استعرض المؤلف فى هذا المقصد سير ومناقب، وحياة عدد من أولياء وهران عددهم حوالى 53 وليًّا صالحًا، وتوسع فى ترجمة البعض مثل الشيخ محمد بن عمر الهوارى، الذى خصه بثمانى صفحات وتلميذه إبراهيم التازى الذى خصه بأربع صفحات ونصف الصفحة. أما الباقى فقد اختصر تراجمهم فى ما بين نصف الصفحة، وثلثها وربعها وسطر، ونصف السطر، بل إن عددًا كبيرًا منهم أوردهم بأسمائهم فقط، وذلك لقلة المعلومات عنهم لديه على ما يبدو.

ومن ضمن من ترجم لهم إلى جانب من ذكر: سيدى هيدور، ودادة أيوب، ومحمد بن يبقى، وسيدى غانم، وعبد الله بن خطاب، وأحمد بن أبى جمعة الوهرانى، وبلخير الجماعى، وسيدى الغريب، وسيدى البشير بن يحيى، وبدر الدين، وسيدى السنوسى، والخروطى، ومحمد بن يعزى، وسيدى قادة بالمختار، وعبد الله رحو التيجينى، وفرقان الفليتى، وسيدى أحمد الفيلالى الضرير. كل ذلك فى 20 صفحة من المخطوط.

– **المقصد الثالث**: فى ذكر بعض علمائها من حيث بنيت للآن. اعتمد فيه كذلك على «دليل الحيران» للزيانى، وقال: اعلم أيدنى الله وإياك بنوره، ونفعنى وإياك بسره، ووقانا من ضرورة أن علماءها عددهم كثير وحصرهم شديد عسير، ولكنى أذكر منهم إن شاء الله تعالى المشاهير كما ذكرهم شيخنا الحافظ المحقق سيدى ومولاى، وسمط محياى العالم الربانى الشريف الحسن أبو عبد الله محمد بن يوسف الزيانى فى الفصل الثالث من كتابه «دليل الحيران».

وقد ترجم لحوالى 63 عالمًا، توسع فى البعض منهم واختصر فى الباقى كما فعل فى مقصد الأولياء. وكرر فى هذا المقصد ذكر عدد من أولياء وهران عدهم من العلماء كذلك، وهم: الشيخ الهوارى، وإبراهيم التازى وسيدى يحيى البوعنانى، وسيدى محمد بن يبقى، وسيدى غانم، وأحمد ابن أبى جمعة المغراوى.

ومن العلماء الذين ترجم لهم كذلك: أبو إسحاق إبراهيم الوهرانى وأبو تميم الواعظ، وأبو زيد عبد الرحمن مقلاش، وأبو عبد الله محمد بن أبى جمعة الوهرانى المغراوى، والكاتب المستغانمى محمد بن حسن، والسيد أحمد بن الخوجة، ومصطفى بن عبد الله الدحاوى، والشيخ الطاهر بن الشيخ المشرفى، ومحمد بن عبد الله سقاط المشرفى، والحاج عبد القادر بن مصطفى المشرفى، والخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الذى كان كاتبًا لدى الباى الباهى حسن آخر بايات وهران. كل ذلك فى تسع صفحات.

-**المقصد الرابع**: وهو أطول مقاصد الكتاب يحتل خمسة أسداس المخطوط تقريبًا. ويشغل 486 صفحة كاملة. وقد تحدث فيه المزارى على الدول التى حكمت وهران والمغربين الأوسط والأقصى على سبيل الترتيب من يوم بنيت إلى زمن المؤلف وعددها تسعة كما فى دليل الحيران دائمًا، وهى:

1-دولة الأمويين بالأندلس القائمين بأمور زنانة وعمالهم مغراوة وأولهم خزر، وذلك فى 4 صفحات من 38 إلى 41.

2-والعبيديون وهم الشيعة فى 15 صفحة من 41 إلى 56.

3-والمرابطون وهم الملثمون فى 12 صفحة من 57 إلى 68.

4-والموحدون فى 23 صفحة من 68 إلى 91.

5-والزيانيون وهم بنو عبد الواد فى 13 صفحة من 91 إلى 104.

6-والمرينيون بنو أحمامة ثم الزيانيون فى 33 صفحة من 104 إلى 137.

7-والإسبانيون فى 39 صفحة من 137 إلى 176.

8-والأتراك وهم الترك فى 141 صفحة من 176 إلى 317.

9-والفرنسيين فى 208 صفحة من 317 إلى 523.

وقد أكثر المؤلف فى هذا المقصد من الاستطرادات التى أخرجته تمامًا عن موضوعه الأصلى، وأغرقت تاريخ وهران فى محيط تاريخ العالم كله تقريبًا وخاصة بلدان المغرب، والأندلس، وفرنسا، والبلاد العثمانية بالمشرق، وسنحاول أن نقدم فيما يلى موجزات ومختصرات، لما توسع فيه من تاريخ هذه الدول أو العهود التسعة، للتعريف بمحتوياتها، والتنبيه إلى ما هو مهم منها:

أولًا: الدولة الأولى بنو أمية وعمالهم مغراوة وأولهم خزر بن حفص الذى اختطها وبناها فى القرن الهجرى الثالث، وكان جده الأعلى وزمار بن صقلاب بن مغراو، قد أسلم على أيدى عبدالله بن سعد بن أبى سرح، فأرسله ضمن وفد إلى المدينة لمقابلة الخليفة الثالث لرسول الله، سيدنا عثمان بن عفان، فجدد إسلامه على يديه كذلك، ومن ثَمَّ بقيت مغراوة موالية لبنى أمية، مثلما فعلت صنهاجة عندما بقيت موالية للعلويين العبيديين بإفريقية.

وقد أورد المؤلف تفاصيل عدة عن أحداث وهران وولاتها المغراويين بعد خزر مثل ابنه محمد، والخير بن محمد، وتحدث عن إحراقها عام 297هـ وتجديدها فى العام الموالى وعن حروب محمد بن خزر مع أزديجة وعجيسة، وصلات ابنه الخير بالمروانيين بالأندلس خاصة عبد الرحمن الناصر، واتساع ملكه على معظم المغربين الأوسط والأقصى إلى السوس الأدنى، والصحراء، وحروبه مع الشيعة، وغزوه لبسكرة والزاب والمسيلة وتدويخه للمغرب الأوسط تدويخًا كاملًا إلى أن حصل خلاف له مع أبيه، شديد، فأرسل الخليفة الناصر من الأندلس قاضى قرطبة الفقيه منذر بن سعيد الولهاصى البلوطى ليصلح بينهما، ويبقى الأمر هكذا حتى سيطر الشيعة العبيديون على وهران. وقد استغرق ذلك أربع صفحات نقلها من «دليل الحيران».

ثانيًا: دولة الشيعة الرافضة، والعبيديون، والعلويون، والفاطميون، وقد شرح فيها أسباب تسميتهم بهذه الأسماء والألقاب وسيطرتهم على وهران، وانتقال الحكم فيها إلى بنى يفرن، وقيام يعلى بن محمد اليفرينى ببناء مدينة إيفكان عام 338هـ فى ضواحى بنى راشد بسفح جبل أوسلاس، ونقله سكان وهران إليها بعد أن خربها، ونقل مقر حكمه إليها كذلك، ثم شرح بعد ذلك كيف مال محمد بن خزر المغراوى إلى الشيعة، والتحق بالمعز لدين الله الفاطمى فى القيروان،

وعاد مع جيش جوهر الصقلي إلى تيهرت وتم قتل اليفريني غدرًا، وخرب جوهر مدينة إيفكان وعاد محمد بن الخير إلى حكم وهران، فبث فيها وفي غيرها الدعوة الشيعية الفاطمية العبيدية، وقد استعرض أحداث الخزريين في هذا العهد الثاني وأشار إلى بناء مدينة وجدة عام 384 هـ من طرف زيري بن عطية، وإلى فساد العلاقة بين زيري بن عطية، والمنصور بن أبي عامر بالأندلس، وختم هذا العهد وهذه الدولة بذكر أسماء حكام وهران خلال العهدين: المغراوي الخزري، والشيعي الفاطمي، وذكر أنهم ستة عشر حاكمًا: عشرة مغراويون، واثنان من أزديجة وعجيسة، وواحد شيعي، وواحد يفريني، واثنان صنهاجيان. وأورد كذلك أسماء ملوك الأمويين المروانيين بالأندلس، وعددهم ستة عشر ملكًا وأسماء ملوك وخلفاء بني أمية بالمشرق وعددهم أربعة عشر، وأسماء ملوك الشيعة العبيديين، وعددهم أربعة عشر ملكًا، وملوك الأدراسة بالمغرب الأقصى وعدهم ثلاثة عشر. وملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط وعددهم واحد وعشرون: أربعة بتلمسان، وأربعة برشقون وثلاثة بجراوة، وثلاثة بتاهرت، وسبعة بتنس. وقد استغرق الحديث عن هذه الدولة 15 صفحة من المخطوط.

ثالثًا: دولة المرابطين الملثمين، ابتداء من يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش، وقد استعرض فيها أحداث هذه الدولة في المغربين الأقصى، والأوسط، والفتوحات والتوسعات التي قامت بها، وبناء مدينة مراكش، وأحداث وهران ومشاكلها خلال ذلك، وذكر أن ملوك صنهاجة الملثمين، الذين يبلغ عددهم اثنين وأربعين أميرًا ينتمون إلى ثلاثة فرق هي:

1 -البولكانية: نسبة إلى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاي، وعددهم خمسة وعشرون ملكًا: عشرة بإفريقية (تونس)، وعشرة ببجاية وواحد بالمغرب الأوسط، وأربعة بالأندلس.

2 -المرابطون الملثمون اللمتونيون: وعددهم اثنا عشر.

3 -الغانية: أو بنو غانية أولاد المرأة التي يقال لها: غانية وهي بنت عم يوسف بن تاشفين. وعدد ملوكهم خمسة ما بين بجاية وتونس.

وقد استغرق الحديث على هذا العهد 12 صفحة من المخطوط.

رابعًا: دولة الموحدين، وقد تحدث فيها عن سبب تسميتهم بالموحدين وعن المهدى بن تومرت داعية هذه الدولة، ونسبه، ودعوته، وعن عبد المؤمن ونسبه، وأصله، وسيرته، وأوليات حياته، وبداية حكمه، وفتوحاته، وقيامه بمسح جغرافى لبلدان المغرب من برقة إلى واد نون بالسوس الأقصى، بالفراسخ، والأميال، طولًا وعرضًا، مع إسقاط الثلث بعد ذلك الذى يشغل الأودية، والجبال، والغابات، والشعاب، والسباخ، والطرقات، والخرابات، وذلك من أجل تحديد الخراج بها. وتحدث عن قيام عبد المؤمن ببناء مدينة البطحاء بأرض هوارة، ومدينة الفتح بجبل الفتح فى الأندلس التى نقل إليها عددًا من سكان الحشم بإفريقية للاستقرار بها.

وبعد ذلك استعرض تاريخ خلفائه من بعده، وأحداثهم وحروبهم أحيانًا بإيجاز وأحيانًا بالتفصيل، وختم ذلك بإيراد إحصاء لعدد ملوك وأمراء هذه الدولة الموحدية وعددهم 47 ملكًا: منهم 14 بالمغرب الأقصى، و29 بإفريقية (تونس)، و3 ببجاية، وواحدة بالمهدية وطرابلس، وحدد الأقاليم والأوطان التى وصل إليها حكمهم، وخضعت لهم، واستغرق ذلك 23 صفحة من المخطوط.

خامسًا: الدولة الخامسة وهم الزيانيون وبنو زيان، والعبدلواديون، وبنو عبد الواد، وقد تحدث فيها عن سبب تسميتهم بذلك، وأصلهم ونسبهم، وكيفية وصولهم إلى الحكم ابتداء من جابر بن يوسف بن ياغمراسن واستقلالهم بتلمسان والمغرب الأوسط، واستعرض أحداث أمراء هذه الدولة وتاريخ وهران وأحداثها خلالها، وأورد بعض الصراعات والحروب التى كانت تحصل بين بنى زيان بنى وبنى مرين حول السلطة والنفوذ على كل أقاليم المغرب العربى، وتدخل بنى حفص فى الصراع كذلك، وما أنجز عن ذلك من التقلبات السياسية والتمردات، والانقلابات. وقد استغرق ذلك 13 صفحة من المخطوط.

سادسًا: دولة المرينيين ويقال لهم: بنو أحمامة، وقد تحدث عن تسميتهم، ونسبهم، ومواطنهم بالزاب، وفيقيق، وتافيلالت وملوية، وعن كيفية وصولهم إلى الحكم، وأول ملكهم بالمغرب الأقصى عبد الحق، ومن جاء بعده من الأمراء والملوك، هذا وراءالآخر، مع اختصار أحداثهم إلى عهد أبى الحسن المرينى، وابنه أبى عنان، وما حصل بينهما من الأحداث والمشاكل.

وخلال هذا شرح أحداث وهران وتعاقب الحكم فيها بين بنى زيان وبنى مرين حوالى خمس مرات مثلما حصل لتلمسان وباقى المغرب الأوسط، نظرًا لحدة الخلافات والصراعات بين الفريقين، وقد استغرق ذلك 33 صفحة من المخطوط.

سابعًا: «الدولة السابعة وهم الإسبانيون، ويقال لهم: السبنيول سموا بذلك نسبة لمدينة إسبانيا بقطع الهمزة المكسورة وسكون السين المهملة، وفتح الباء الموحدة من أسفل بعدها ألف ساكن، ثم نون موحدة من أعلى مكسورة ثم ياء مثناة من تحت بعدها ألف مقصورة».

وقد تحدث فيها عن عاصمة إسبانيا ماتريج (مجريط)، وموقعها، وموقع إسبانيا ومساحتها، والدول والملوك الذين تعاقبوا عليها، وسكانها، وعددهم وأصولهم، وأقسام إسبانيا السياسية الثلاثة عشرة، الثمانية الساحلية والخمسة الداخلية، وأشهر مدنها وجبالها، وأنهارها، وأنهار العالم كلها، وجباله، وموقع إسبانيا فى أوربا، وباقى القارات الخمس، وسكانها ودول العالم جميعها فى القارات الخمس. وقد توسع فى الحديث عن أصل السكان الإسبان إلى أن وصل إلى عهد فيرديننذ، وإزابلا، الكاثولكيين فى القرن 15م. واستعرض بعد ذلك أحداث الغزو الإسبانى لوهران والمرسى الكبير، وضواحيهما وأحوازهما بكثير من التفصيل وشرح سعى الإسبان لتركيز وجودهم بهما، وفرض سيطرتهم على المناطق المجاورة ومقاومة السكان لهم، وتحدث عن سكان هبرة، وأصلهم وفروعهم، واستعرض الغزوات الإسبانية، وتوسعاتهم خارج وهران على طول سواحل الجزائر، وتونس، وطرابلس، وتتبع تاريخ ملوك الإسبان أمثال فيرديننذ الأول، وفيليب الأول والثانى، والثالث وكارلوس الأول، والثانى، والثالث، والرابع، واستطرد للحديث عنن قدوم الأتراك إلى مدينة الجزائر ابتداء من خير الدين وعروج وسعيهم لتحرير وهران ابتدء من حسن بن خير الدين إلى الباى شعبان الزناقى، واغتنم فرصة حديثه عن محاولة السلطان العلوى إسماعيل تحرير وهران، فأورد أسماء ملوك بنى وطاس بفاس، وملوك العلويين، وأشار إلى التحصينات الإسبانية بوهران، واستغرق ذلك 39 صفحة من المخطوط.

ثامنًا: «دولة الأتراك وهى الدولة الثامنة التى حكمت وهران وقد تحدث عن أصل الأتراك، ومنبتهم، وبلادهم فى أقصى المعمورة وما وراء النهر إلى الصين، والسد الذى بناه ذو

القرنين، وعن انتشارهم فى الأرض، وإسلامهم، وجدهم الأول عثمان، ونسبه، إلى آدم عليه السلام، وأخذ بعد ذلك يستعرض تاريخ ملوك وسلاطين العثمانيين إلى عهد السلطان عبد الحميد الثانى الذى كان يحكم فى عهده أواخر القرن 19م ثم تطرق للحديث عن وصول الأتراك إلى الجزائر، وأسباب ذلك وتاريخه، واستعرض حكامهم وأمراءهم بها، مع أحداثهم ابتداء من عروج وخير الدين إلى الداى حسين باشا آخرهم بالجزائر.

وتوقف عند أحداث استعادة الإسبان لوهران عام 1732 بعد أن حررها بوشلاغم قبل ذلك عام 1708 لمدة ربع قرن، وأرخ للأحداث التى تلت ذلك، والغزوات الإسبانية المتكررة على الجزائر خلال عهد الداى محمد عثمان باشا فى أعوام 1775 و1783، و1784م. أثناء حكم الملك الإسبانى كارلوس الثالث، وعاد بعد ذلك للحديث عن فتح وهران، وتحريرها التحرير الثانى والنهائى على أيدى البطل الشجاع الباى محمد بن عثمان الكبير، وحشدٍ من طلبة العلم، والفقهاء والعلماء، وحفاظ القرآن الكريم، وأورد حكايات وتفاصيل كثيرة حول الموضوع. ثم استطرد للحديث والتاريخ عن باقى ملوك إسبانيا قبل أن يعود للتأريخ عن نظام الحكم التركى بالجزائر الإدارى والعسكرى وأجهزة الحكم، وأقسام البايليكات، والألقاب، والرتب، والتخصصات، وتحدث عن عواصم بايليك الغرب: مازونة مع باياتها، وتلمسان مع باياتها، ثم قلعة بنى راشد ومعسكر، ووهران ومستغانم أخيرًا، وشرح أجهزة حكم البايات، وتنظيماتهم الإدراية والسياسية والعسكرية، والاقتصادية، واختصاصات الموظفين، ورتبهم، ونظام الدنوش.

وبعد كل هذا شرع فى الحديث والتأريخ بالتفصيل لبايات بايليك الغرب ابتداء من حسن بن خير الدين إلى مصطفى بوشلاغم المسراتى وأبنائه، والباى محمد بن عثمان الكبير وأبنه عثمان إلى أن وصل إلى الباهى حسن آخر بايات وهران وبايليك الغرب وقد خصص حيزًا كبيرًا للحديث عن البايات المسراتية، وأعمالهم ومنشآتهم العمرانية فى معسكر، ومستغانم، ووهران، وقلعة سيدى راشد، كما خصص حيزًا كبيرًا للحديث عن ثورة درقاوة، والتيجانى ضد بايات بايليك الغرب، وما حصل خلالها من الأحداث والتطورات، والحروب، والقلاقل

والاضطرابات وتحدث عن قبائل المخزن الخمسة ببايليك الغرب وهى: الدوائر، والزمالة، والغرابة، والبرجية، والمكاحلية، ولم ينس أن يتحدث عن مقتل الرئيس حميدو خلال مواجهته للمراكب الأمريكية فى البحر، وعن الصلح الذى تم على أثر ذلك بين الجزائر وأمريكا، وغارات الإنكليز على الجزائر، إلى أن وصل إلى حملة الاحتلال الفرنسى على الجزائر عام 1830م، وقد استغرق ذلك 141 صفحة من المخطوط. وقد استقى كل معلوماته ونقلها عن «دليل الحيران».

تاسعًا: «ثم ملك وهران الدولة التاسعة وهى الفرنسيس ويقال لهم: أيضًا الفرنج، فتسميتهم بالفرنج قديمة التأسيس ثم سمتهم العامة بعدها بالفرنسيس نسبة إلى بلدة أفرانسا بقطع الهمزة، وهى قاعدتهم القديمة، وملك دارهم القويمة، وتقرأ بالجيم بدل السين أيضًا لا حرجًا كما قال ابن خلدون».

وقد تحدث عن نسب الفرنسيين، ومملكتهم، وموقعها، وحدودها وعاصمتهم، وموقع فرنسا من أوربا، وسكانها، ونسلهم، وديانتهم، وعددهم ومساحة فرنسا، وأشهر مدنها، وموانيها، وخلجانها، وجبالها، وأوديتها وجزرها، وبواغيزها، والشعوب، والدول، التى توالت عليها من الإغريق إلى اللاتين، والفرنجة، والغاليين، وشرع بعد ذلك فى الحديث والتأريخ لملوك فرنسا ابتداء من فرامون الذى تولى سنة عشرين من القرن الخامس الميلادى إلى نابليون الثالث، وعددهم ثلاثة وسبعون ملكًا فاستعرض أحداثهم أحيانًا باختصار وأحيانًا بتوسع، سواء فى فرنسا أو خارجها، وذلك زيادة على رؤساء الجمهوريات الذين جاءوا بعدهم وقد قسمهم إلى أربع طبقات:

1-الميروفينجيون، وعدد ملوكهم 22.

2-الكارلوفينجيون وعدد ملوكهم 13.

3-الكبيسيان وينقسمون إلى ستة فروع:

أ-الكابى وعددهم 14.

ب-روميارد وفالوا وعددهم 7.

ج-دورليان وعددهم واحد.

د-سيفوائد ديفيلوا وعددهم 5.

هـ-بوربون، وعددهم 5.

و-أورليان وعددهم 2.

4-النابوليونيون وعددهم 3.

وقد عدَّد المؤلف سُلاطين فرنسا كما قلت واحدًا وراء الآخر من فرامون أوائل القرن الخامس الميلادى إلى شارل العاشر الذى تم فى عهده احتلال الجزائر، ولويس فيليب بعده الذى تمت فى عهده مقاومة الأمير عبد القادر التى دامت سبعة عشر عامًا كاملة، ومن الأحداث التى تناولتها: الحروب الصليبية، ودور الأمراء الفرنسيين فيها، وغزو لويس التاسع لمصر، وقصة أسره فى المنصورة، وغزوه لتونس، وموته بها، وقد استغرق ذلك 124 صفحة من المخطوط.

ثم تفرغ للحديث بالتفصيل كشاهد عيان عن أحداث مقاومة الأمير عبد القادر، وجهاده وأحداثه وحروبه الواسعة، والمكثفة، واستطرد للحديث عن أعمال أبيه الحاج محمد المزارى ودوره مع الأمير عبد القادر أولًا ثم مع الفرنسيين ثانيًا مثل أبيه، واستعرض قصة تخليهما عن الأمير والتحاقهما بالجيش الفرنسى، وتعرض للحديث بالتفصيل كذلك عن كيفية احتلال فرنسا لوهران، والتفاف زعماء المخزن حول الشيخ محيى الدين الغريسى الراشدى، واتصالهم بسلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام، وعرضهم عليه أن يبايعوه سلطانًا على المغرب الأوسط كذلك مقابل إمداده لهم بالدعم المادى للمقاومة، وقبوله لذلك وإرساله ابن أخيه على إلى تلمسان، ثم تراجعه، وقيامهم بالإلحاح على محيى الدين لمبايعة ابنه عبد القادر أميرًا للجهاد والمقاومة، ومما قاله عن هذه المبايعة بالغمز واللمز: «وكان أول من مد يده فبايعه من هؤلاء: السادة السيد الأعرج بن محمد بن فريحة من أولاد سيدى محمد بن يحيى... ولما عقدوا له البيعة... قال بعض علماء وأولياء الله بغريس: سبحان الله هذه البيعة لا يستقيم لصاحبها حال، ولا يهنأ له قرار ومنال، ولا شفقه له ورحمة فى الأعيان وغيرهم من النساء والرجال وإنما هو سفاك للدماء ، وليس من السادات الرحماء لكون أول من بايعه اسمه الأعرج، والمحل المبايع فيه اسمه الدردارة، فلا ريب أن أيامه وأحكامه وأحواله عرجاء ولا تستقيم وإنما تبقى مدردارة، وهلا كان

اسم ومحل غير هذين من الأسماء التى يكون بها التعاون ولا تدل على الريب والبين، قلت: وكأنه أخذ فى فراسته من قضية المبايعة للإمام سيدنا على بن أبى طالب... لأن أول من بايعه سيدنا طلحة بن عبد الله أحد العشرة... وكانت يده قد شلت فى قضية أُحد فيها اشتهر فقال حبيب بن ذؤيب... إنا لله وإنا إليه راجعون، وأول من بدأ بالمبايعة يد شلاء لا يتم هذه الأمر. ولما سمع الأمير الراشدى المقاتلة (كذا) أسرَّها فى نفسه وأضمر الفتك بمن سيظفر به من علماء وأولياء غريس، فكان بعد ذلك بينه وبينهم من العداوة الواضحة التغريس» (ص 402).

وبعد هذا استطرد المؤلف للحديث عن المخزن، وأحداث الدواير والزمالة واستسلامهم للفرنسيين وإمضائهم معهم معاهدة من 12 بندًا لتنظيم العلاقة بينهم. وقد تحدث بتوسع عن مقاومة الأمير عبد القادر ومعاركه كما قلنا، وذكر أحداث أسرى سيدى إبراهيم، وعين تيموشنت وبلعباس وتلمسان، ومعارك المقطع والهبرة، وآرزيو، ومستغانم ووهران، ومسرقين وموقف سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام منه، ومحاربته له، ومقبل بلأحمر، وبعثه البوحميدى إلى فاس، وأسره وقتله بالسم، وشرح بالتفصيل كذلك بعض خلفيات استسلام الأمير عبد القادر ومما قاله فى هذا الصدد: «ولما رأى الأمير قلة جيشه صعد ليلًا لبنى يزناسن، ومن الغد أخذ عياله وصار بمن معه فى التردد هل يرجعون لناحية الدولة أو يذهبون على وجدة لناحية توات. وقد سدت عليه الدولة طرق المجاز وهو لا علم له بذلك، ثم أسرع السير بقصد أن يأخذ أسفل الجبل ويصعد على وجدة ويذهب لصحراء المغرب إلى أن يصل إلى توات، ويستريح من جميع المهالك، فبينما هو سائر إذا به وجد نفسه قد دخل بعسة الدولة وكان فى تلك العسة رجلان أحدهما يقال له: محمد بن خوجة الزمالى والآخر يقال له: أحمد بن حطاب الدايرى، وهما من أهل السياسة فى الفعلة والقولة، فاجتمعا به وعرفاه بأنفسهما وقالا له أيها الأمير أين تريد الذهاب؛ فأخبرهما بالواقع، فقالا له: نحن لا طاقة لنا على إهلاكك ولا تسريحك للجواز بغير ارتياب ، ولكن الرأى عندنا الذى ندلك عليه هو أن تسلم نفسك للدولة وتكتب لهم بأنك رجعت لهم برضاك ونحن نضمن لك إن شاء الله تعالى أن لا يقع لك شيء وتريح نفسك من هذا التعب ونحن من تلامذتك فقد رأينا لأن لك مصلحة وتصير من أهل الراحة لا

من أهل الوصب. فقال، فوافقها على ذلك وكتب لها كتابًا للجنرال لمنسير لامورسيير يطلب فيه من الدولة الأمن والأمان، فأخذ محمد بن خوجة الزمالى تلك الرسالة وذهب مسرعًا لولد الرأى، وأبى هراوة (لامورسيير) (ص 508).

وقد ترجم المؤلف للأمير بعد استسلامه وتتبع مراحل حياته باختصار فى فرنسا، ودمشق الشام إلى أن توفى عام 1883م، وأشاد به وبخصاله، وأعماله، وبعد ذلك ترجم لحياة نابوليون الثالث، الحاكم الثالث والسبعون. من ملوك فرنسا، وأشار إلى أحداث ثورة أولاد سيدى الشيخ باختصار، وإلى زيارة نابوليون الثالث للجزائر عام 1860 وعام 1865، وأورد خطابه الذى ألقاه على السكان الجزائريين.

وختم هذا المقصد الرابع، وهذه الدولة التاسعة، باستعراض أسماء الحكام الفرنسيين الذين حكموا الجزائر إلى عهده وعددهم 27 حاكمًا، آخرهم ترمان الذى كان ما يزال يحكم تلك السنة عام 1890 وأسماء الضباط الذين حكموا وهران وعمالتها وعددهم 14 حاكمًا لغاية عام 1890 كذلك.

وذكر أن مساحة عمالة وهران 11.572.972 هكتارًا، منها:

-2.979.972هـ تخضع للحكم المدنى.

-8.572.800هـ تخضع للحكم العسكرى.

وأن فرنسيى الجزائر ينقسمون إلى ثلاثة طوائف:

1-الخاصة: وهم العسكريون ويتوزعون على سبعة أصناف أو طبقات:

الكبلار: والمرسلوجى: والفسيان: (Lofficier). والقبطان: (Le capitaine) والكامندات (Le commandant) والكلونيـل: (Le colonel). والجنـرال (Le general).[1]

---

(1) الكلمة الأولى والثانية بم نفهم معناهما والباقى وضعنا أمام كل واحدة نصها الفرنسى الأصلى وترجماتها الحرفية: الضابط، والقائد، والمقدم، والعقيد، واللواء.

2-العامة: وهم المدنيون، وعبر عنهم بطبقة العمومى، ويتوزعون إلى أربع طبقات:

المير: (Le mair). والأدمنيستراتور: (L' adminstrateur).

والسوبريفى: (Le sous- perefet). والبريفى: (Le prefet).

3-الشرعى: وعددهم أربعة:

الجوج: (Le juge). ووكيل الدولة: (Procureur Detat).

والبريزيدان: (Le President). والبّروكيرو جينيرال: (Procureur General)[1].

وقد استغرق هذا العهد التاسع أو هذه الدولة التاسعة 208 صفحة من المخطوط، وهو ما يمثل ثلثى المخطوط كله: ويبدو أنه أراد أن يتقرب من السلطات الفرنسية بتوسعه فى عهدهم وفترتهم وتاريخ بلادهم فرنسا، فأقحم نفسه فى موضوع ليس من تخصصه، ولا شك أن أحدًا من المتخصصين هو الذى زوده بالمعلومات التى صاغها فى مخطوطه بأسلوبه هو، أو أسلوب من كتب المخطوط كله.

-المقصد الخامس: فى ذكر مخزنها وهو عين المراد، واستغرق 60 صفحة من المخطوط رغم أنه عين المراد كما ذكر المؤلف نفسه. وقد استعرض فيه المؤلف فرق المخزن والعائلات المخزنية بكثير من التفصيل وأورد شجرات النسب لها ولفروعها، وفرقها فى الغرب الوهرانى، وذلك منذ عهد الأتراك حتى عهده هو أواخر القرن 19. وقد تتبع أصول هذه العائلات منذ القدم بالجزيرة العربية، وخلال هجرة عرب بنى هلال إلى هذه البلاد المغربية، ووضح ذات الأصل العربى من غيره، وتتبع تاريخ زعمائها من العهد التركى إلى عهده هو، وتأثر بابن خلدون فى وضع شجرات نسب فرق وقبائل المخزن.

وقد عرَّف المزارى المخزن بقوله: «إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت، وحيثما وجدت وتملكت وباتت، والنسبة إليه مخزنى، ومخازنى، مفرد المخازنية فى تحقيق المبانى وسمى

---

(1) الكلمات الفرنسية من وضعنا ومعناها على التوالى: شيخ البلدية، والمحافظ، وناثب الوالى، والوالى، والقاضى، ووكيل الدولة، والرئيس، ووكيل الدولة العام.

بذلك لأنه يخزن بصدره ما يوله إلى وقت الظفر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه وبه يلزمه، وقد يطلق المخزن مجازًا على دار الحاكم نفسها فى المستبن ومنه قولهم: إنى ذاهب إلى دار المخزن».

ثم ذكر أن مخزن وهران على قسمين وهما: المخزن الشرقى والمخزن الغربى، فالشرقى هو نجع المكاحلية، وأولاد سيدى عربى، وصبيح، وأولاد العباس، وغيرهم من أهل النواحى الشرقية من واد مينا إلى واد الشلف.

والغربى هو نجع الدواير، والزمالة، والغرابة، والبرجية، لا غير. فالدواير والبرجية إخوة يتناوبون الخدمة بينهما ويتداولونها وأصل الرياسة فى الدواير للبحايثية، وخلال عهد الأتراك صارت تدور بين ثلاث فرق ومجموعات هى: البجايثية، والكراطة، والبناعدية. وصارت فى عهد إيالة الدولة (الفرنسيس) للدوايرية ذات المحايثية. وهى نوبة بين هذه الفرق الأربعة بالترتيب، ولو أن البحايثية هى أكثر الفرق التى تتولى رياسة المخزن.

وأصل الرياسة فى البرجية نوبة بين فريقين فى إيالة الترك وهما: النقايبية والبلاغة والزيانيون، وفى عهد الأمير (عبد القادر) انتقلت لغيرهما، ثم عادت لهما فى عهد الفرنسيس مدة قبل أن تتمخض للنقايبية.

وينتمى البجايثية إلى أولاد المسعود من سويد، وينحدرون من رب بنى هلال: المحال، أو المطارف، على خلاف فى ذلك بين المؤرخين. وكان جدهم المسعود صاحب الرياسة على سويد خلال عهد بنى مرين وبنى زيان، وتوارث أبناؤه الرياسة أبًا عن جد خاصة فى عهد الأتراك العثمانيين.

وينقسم البحثاويون أولاد البشير البحثاوى إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولى: أولاد إسماعيل البحثاوى، وعددهم سبعة إخوة هم: قدور الكبير، وعثمان، وقدور الصغير، ومصطفى، وعدة، ومحمد، والحاج بلحضرى. وقدور الكبير هو والد الحاج محمد المزارى والد المؤلف بن عودة المزارى.

الطبقة الثانية: أولا عدة بلبشير، وعددهم ستة إخوة ذكورهم: على ومنصور، وقدور، وأعمر، والحاج محمد، والبرادعى الكبير.

الطبقة الثالثة: أولاد يوسف بلبشير، الذى تولى قيادة الدواير على عهد الأتراك، وخلف ولدين هما: عدة، وعلى.

الطبقة الرابعة: أولاد الموفق بلبشير البحثاوى.

أما الكراطة: فهم أولاد الشريف الكرطى، واسمه عبد الله بن عبد الرزاق التلاوى الكرطى من شرفاء الراشدية بمدينة بمدينة الكرط إحدى مدن غريس الغربى.

أما البناعدية: فنسبة إلى جدهم بن عدة بن خدة المنحدر من ذرية الشيخ السنوسى. وأصلهم من أجواد واد الحمام، من أجواد الحشم.

وأما الدوايدية: فأصلهم من هبرة، وكان أبوهم داود وكيلًا على آغا عثمان بن إسماعيل البحثاوى بهبرة، ومنهم الكولونيل بن داود.

وأما البرجية: فإن الرياسة فيهم انحصرت فى النقايبية، والبلاغة.

فالنقايبية: ينحدر جدهم من قبيلة خلافة، وهم أبناء عم الأمير عبد القادر يجتمعون معه فى الجد أحمد بن عبد القادر الشهير بابن خدة، وسموا بالنقايبية نسبة إلى محمد بن أبى نقاب.

والبلاغة: نسبة إلى جدهم أعمر البلغى الزيانى.

وفيما يخص الزمالة والغرابة: فهم فريق صغير، وإخوة متناصرون. وقد اختصت الزمالة بتولية مناصب: الآغا، والقايد، على القسمة، والعرش.

وانحصرت الرياسة فى ثمانية أعراش منها وهى:

1-**المخاليف:** نسبة إلى جدهم مخلوف، وأصلهم من بنى زروال.

2-**القدادرة:** نسبة إلى جدهم قدور بن على بن الحبوشى، وهم إخوه للعلايمية.

3-**القرايدية:** ويقال لهم المعايزية، نسبة إلى جدهم قرادة أو إلى أحمد أبى معزة بن الحبوشى والد قرادة، وهم إخوة للقدادرة والعلايمية.

4-**الوراردة:** نسبة إلى جدهم وارد الذى ينحدرون منه.

6-**المخاترة:** ويقال لهم الزبيرية، نسبة لجدهم القريب المختار، ولجدهم البعيد الزبير، ويقال لهم أيضًا أولاد يحيى بالزبير.

6-**الونازرة**: نسبة إلى جدهم ونزار الذى جاء على ما قيل من الساقية الحمراء.

7-**اليساسفة**: نسبة إلى جدهم يوسف.

8-**الشوايلية**: نسبة إلى جدهم أو جدتهم شايلة، وهم من الحشم بغريس.

وأما الغرابة: فإنهم عرش ملتقط كالزمالة والدواير. ويطلق لفظ العبيد على الدوار، وقد انقسم عرش الغرابة إلى عرشين: غربى، وشرقى، وانحصرت الرياسة فى عرش الغرابة فى ثمانية فروع وهى:

1-**الوراردة**: نسبة لجدهم موسى بن وارد.

2-**العلايمية**: نسبة لجدهم أبى علام بلحبوش، من منطقة تافيلالت.

3-**الخدايمية**: نسبة إلى جدهم أبى خادم.

4-**الوناونية**: نسبة لجدهم ونان بن العبد من أهل غريس.

5-**السهايلية**: نسبة لجدهم سهلية (أو محمد بن شاعة).

6-**المحاميد**: نسبة لجدهم محمود بالحشم الشراقة، وأصلهم من حميان.

7-**الرفافسة**: نسبة لجدهم الرفاس من أولاد عوف.

8-**العوايلية**: ويقال لهم: أولاد بن عوالى نسبة لجدهم بن عوالى، أو جدتهم عوالى، وهم من جبال عمور بشمال الصحراء.

بعض الملاحظات حول محتوى المخطوط

ذلك هو ملخص شكل ومحتوى مخطوط: طلوع سعد السعود فى أخبار وهران ومخزنها الأسود، لمؤلفه الآغا بن عودة المزارى، ومن خلاله نخرج بالملاحظات والنتائج التالية:

أولًا: ليس هناك توازن بين مقاصده الخمسة التى هى أقسام له. فالأربعة المقاصد من ضمن الخمسة لا تحتل سوى سدس المخطوط، وبالضبط سبع وتسعون صفحة، بينما المقصد الباقى يحتل خمسة أسداسه، وبالتفصيل: المقصد الأول: يحتل ثمانى صفحات، والثانى عشرين، والثالث تسعًا، والرابع أربعمائة وست وثمانين صفحة (486) والخامس تسعًا وخمسين.

ومرد ذلك يعود إلى أن المؤلف اتبع وسلك أسلوب وطريقة الأقدمين فى التأليف، فحاول أن يتحدث عن كل شىء، وأكثَر من الحشو والاستطرادات بشكل كبير وواسع، وأخرجه عن الموضوع الذى حدده لنفسه، وجعله يتيه فى موضوعات بعيدة عن موضوعه، خاصة فى المقصد الرابع الذى يمتد عبر فترة زمنية طويلة على مدى ثلاثة عشر قرنًا والذى جعله يترك تاريخ وهران جانبًا، ويؤرخ لمعظم الدول الإسلامية بالمغرب والأندلس والبلاد العثمانية بالمشرق، ولبلادى فرنسا وإسبانيا.

ثانيًا: ليست كل المعلومات التى جاء بها المؤلف فى المخطوط صحيحة، خاصة عندما يؤرخ لبلدان أوربية كفرنسا، وإسبانيا، وبلدان شرقية كالدولة العثمانية، أو عندما يتحدث عن المعلومات الجغرافية للقارات وبعض البلدان الأوربية، فرغم سعة المعلومات التى سردها فى مخطوطه الضخم الذى يقع فى 582 صفحة، إلا أنه اعتمد على السرد، والنقول الكثيرة من مصادر متعددة ومتنوعة نثرية، وشعرية، لكل ما هب ودب، ونادرًا ما يدلى برأيه أو يعارض رأى غيره.

ثالثًا: لغة المخطوط سهلة، وبسيطة، ولكنها كثيرة الأخطاء والأغلاط اللغوية، وفى قواعد النحو، والصرف، والرسم ، والبلاغة، ويطغى عليها السجع الممل غير البلاغى، وغير السليم من الأخطاء فى اللغة والقواعد، والذى لا يهدف إلا إلى الملائمة فقط بين خواتم الجمل والفقرات، والكلمات، ولو على حساب قواعد اللغة، والرسم والبلاغة. وقد استعمل هذا السجع حتى فى اسمه فى صدر الصفحة الأولى من المخطوط حيث قال: «يقول العبد الضعيف الراجى عفو ربه وغفران سائر المساوى، أبو إسماعيل بن عودة السارى بن الحاج محمد المزارى البحثاوى، آمنه الله بمنه وكرمه، ولطفه، آمين، آمين، آمين، آمين». وأشرنا إلى بعضها فقط بكلمة: كذا بين قوسين. وأهملنا الباقى لكثرته.

رابعًا: اعتمد المؤلف على مصادر عديدة تفوق الخمسين، نثرية تاريخية، وشعرية أدبية، بعضها عامة، وأغلبها متخصصة، ولكنه لا يشير إلى الصفحات، أو الفصول، أو الأبواب ما عدا

فى كتاب «دليل الحيران». وأكثر نقوله من كتب أبى رأس المعسكرى، ومن كتاب دليل الحيران لشيخه محمد بن يوسف الزيانى.

واعتماده على هذه المصادر تم على ستة أشكال وطرق:

-**الطريقة الأولى**: يذكر فيها اسم المؤلف واسم كتابه بالكامل مثل:

عبد الرحمن بن خلدون فى كتاب العبر.

يحيى بن خلدون فى بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد.

ابن رشيق فى ميزان العقل.

البكرى فى المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب.

ابن أبى زرع فى روض القرطاس.

لسان الدين بن الخطيب فى رقم الحلل.

ابن أبى دينار فى المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس.

التنسى فى نظم الدر العقيان فى شرف بنى زيان.

أبو الفوز السويدى فى سبائك الذهب.

أبو محمد صالح فى الأنيس المطرب بروض القرطاس.

ابن هشام فى التيجان.

اليفرينى فى نزهة الحادى.

ابن خلكان فى وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

محمد بن يوسف الزيانى فى دليل الحيران وأنيس السهران وفى أخبار مدينة وهران.

أبو إسحاق الشاطبى فى الجمان.

القسطلانى على شرح البخارى.

ابن بطوطة فى تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

أحمد بن عبد الرحمن البوشيخى الشقرانى فى القول الأوسط فى بعض من حل بالمغرب الأوسط.

أبوراس المعسكرى:

أ- عجائب الأسفار.

ب- عجائب الأخبار.

ج- الخبر المعرب.

د- الشماريخ.

هـ- الحلل السندسية أو نفيسة الجمان.

و- روضة السلوان.

- **الطريقة الثانية**: يذكر فيها اسم الكتاب فقط دون الإشارة إلى مؤلفه مثل: صحيح الحكاية المؤذنة للنصارى بالنكاية.

در الأعيان فى أخبار مدينة وهران.

بهجة الناظرين وآية المستدلين.

أنيس الغريب والمسافر.

المجسيطى.

-**الطريقة الثالثة**: يذكر فيها اسم المؤلف مضاف إلى تاريخه هكذا:

الغازى بن قيس فى تاريخه.

اليافعى فى تاريخه.

أبو فارس فى أرجوزته.

عبد الرزاق بن أحمادوش الجزائرى فى تاريخه.

ابن سعيد المغربى فى تاريخه.

أبو الفداء الحموى فى مختصره.

عبد الرحمن الجامعى فى رجز الحلفاوية.

-**الطريقة الرابعة**: يذكر فيها الكتاب مسبوقًا بكلمة صاحب هكذا:

صحاب إثمد الأبصار.

صاحب القرطاس.

صاحب الجغرافية.

صاحب الخميس.

صاحب الخريدة.

الطريقة الخامسة: يذكر فيها اسم المؤلف فقط مثل:

الرشاطى- الصفدى- القلصادى- ابن رزقون- ابن مطروح- ابن نحيل- الشيخ المشرفى- الشبراملسى.

-**وهناك طريقة سادسة**: لا يذكر فيها اسم المؤلف ولا كتابه وإنما يقول: قال بعضهم، أو قال بعض مؤرخى النصارى. وهذا كله فى القسم الأول من المخطوط لغاية صفحة 176 تقريبًا. أما بعد ذلك ولغاية نهاية التأليف فإنه أهمل كل هذه الطرق والأشكال وأصبح يستعمل فقط الكلمات التالية: قيل، يقال، قال، يحكى، أما عندما يستشهد بالأشعار فإنه يذكر أصحابها دائمًا.

خامسًا: ومع كل هذا فإن المخطوط يكتسى أهمية كبيرة من كذا وجه:

أ-فى المخطوط تراجم وقوائم لعدد كبير من الشخصيات العلمية والدينية الصوفية، اشتهرت بهم وهران سواء ممن أنجبتهم، أو عاشوا وتوطنوا بها، حتى أصبحوا من أهلها، من القرن الثالث الهجرى إلى زمن المؤلف فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، ومطلع القرن الرابع عشر الهجرى، وجمع هذا الحشد من تراجم العلماء والأولياء فى مخطوط واحد قلما توجد فى غيره ما عدا فى دليل الحيران، وذلك طبعًا بالنسبة لوهران، وليس لغيرها، ولو أن كل المعلومات نقلها عن شيخه الزيانى فى دليل الحيران كما اعترف هو بذلك.

ب-وفى المخطوط تفاصيل واسعة ومهمة عن مقاومة الأمير عبد القادر من أولها إلى نهايتها، أوردها المؤلف كشاهد عيان لها تدخل فى إطار المذكرات والتقاييد الشخصية له، وهذا التفاصيل تتيح لنا قراءة جديدة لجهاد الأمير، ومواقفه السياسية، ومعاركه العسكرية وسلوكه مع رفاقه، ومواقف رجال المخزن منه، ومنهم: المزارى نفسه وأبوه الحاج محمد المزارى، وعمه مصطفى بن إسماعيل، والدواير، والزمالة، والحشم، والعلماء، والتجار، واليهود. ومواقف

الفرنسيين منه ومن العائلات المخزنية والقاعدة الشعبية. إن هذا القسم سيقدم أشياء جديدة للمكتبة التاريخية الجزائرية الحديثة، ويعطى تفاصيل جديدة، وتقييمًا جديدًا للمكتبة وجهاد الأمير عبد القادر. وهذا مما يعطى الأهمية لهذا المخطوط، مع الملاحظة أنه ليس من اللازم أن تكون كل المعلومات التى يقدمها لنا المزارى صحيحه خاصة وأنه فى النهاية أصبح خصمًا للأمير، وصديقًا للفرنسيين إن لم يكن عميلًا لهم.

ج- يكتسى المقصد الخامس والأخير أهمية خاصة لأنه أرخ فيه لفرق وقبائل المخزن بالناحية الغربية من عهد الأتراك إلى زمانه وأورد تفاصيل واسعة عن أنسابها، وأصولها، ووظائفها، وسلطاتها، ونفوذها، وأدوارها سواء مع الأتراك، أو مع الأمير عبد القادر، أو مع فرنسا، وقد تأثر فيه بأسلوب ابن خلدون فى وضع شجرات الأنساب.

إن هذا المقصد بأحداثه وتفاصيله الواسعة -يمثل درة المخطوط ويسمح بالقيام بدراسات واستنتاجات هامة للحياة الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والعسكرية، ويكشف فى الوقت نفسه على مدى سعة اطلاع المؤلف، وحسن استيعابه للأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية لهذه البلاد، خاصة بايليك الغرب الوهرانى منه، هذا كله إن صح أن المخطوط من تأليفه هو.

د-كذلك يكتسى المخطوط أهمية خاصة بالنسبة للقسم الذى أرخ فيه لبايليك الغرب وباياته منذ أن ظهر البايليك فى مطلع القرن السادس عشر إلى سقوطه عام 1831م، وللأحداث التى تخللت ذلك مثل دور رجال وقبائل المخزن، وسياسة البايات، وثورة درقاوة، وثورة التيجانى، وأجهزة البايليك، وتنظيماته الإدارية، والاقتصادية ومواقف السكان من الحكام.

وفوق هذا كله يعتبر هذا المخطوط موسوعة بحاله لأحداث كثيرة ومتنوعة: تاريخية، وجغرافية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية وعسكرية، ليس فقط بالنسبة لوهران والجزائر، وإنما لكل بلدان المغرب، والأندلس، والمشرق العربى الإسلامى، وأوربا، وإفريقية وآسيا، وأمريكا، والجزر الأوقيانية. وهذا بقطع النظر عن صحة المعلومات وجدتها، فهذا موضوع آخر

متروك للباحثين والمحققين. ومرتبط كذلك بشخصيةالمؤلف نفسه ومستوى ثقافته، والفترة الزمنية التى أنجزه فيها. كل هذه الأمور والجوانب تتدخل فى ذلك.

هـ-فى المخطوط مجموعة كبيرة من القطع والقصائد الشعرية الطويلة والقصيرة، الفصيحة والملحونة. تتخلله من أوله إلى آخره. أقصرها بيتان، وأطولها 118 بيتًا. ويوردها المؤلف للاستشهاد على حادث من الأحداث، أو تدعيم رأى أو توضيح مقولة، أو طبعًا نقلاً من غيره خاصة «دليل الحيران». وكتب أبى راس.

هل مخطوط طلوع سعد السعود من تأليف المزاري؟

هذا سؤال كبير، وتساؤل كان مطروحًا منذ مطلع القرن الحالى ولربما كان مطروحًا فى حياة بن عودة المزارى نفسه أواخر القرن التاسع عشر. وهناك خلفيات ، وحيثيات كثيرة فرضت إطلاق هذا السؤال، وذلك التساؤل، يمكن بعد التعرف عليها واستعراضها، التوصل إلى جواب قد يكون صحيحًا مائة فى المائة.

وسنوجز هذه الخلفيات والحيثيات فى محورين اثنين:

المحور الأول: يتمثل فى الإشعاعات التى نقلها لنا مارسيل بودان عام 1924، ولخصها فى الأمور التالية:

أولًا: شاع فى أوساط المتعلمين الأهالى بمدينة وهران بأن كتاب طلوع سعد السعود فى الحقيقة، والواقع هو عمل سى محمد بن يوسف الزيانى الذى أرغم على التنازل عنه مقابل «وظيفة قاضى» لأسباب خارجة هنا عن الموضوع، واستقبل من طرف عائلة المزارى، وخدم الأخير كمعلم له.

ثانيًا: ومن رأى هؤلاء المتعلمين أن ابن عودة المزارى، رجل السف والبارود (أى الحرب)، وليس رجل القلم والسجادة، ولا يقدر بواسطة الدروس التى تلقاها عن شيخه محمد بن يوسف الزيانى، أن يؤلف كتابًا تاريخيًا، وليس بإمكانه ذلك.

ثالثًا: إن مخطوط طلوع سعد السعود، مقتبس، ومنقول غالبًا من مخطوط عن تاريخ وهران بعنوان: دليل الحيران وأنيس السهران فى أخبار مدينة وهران.

وهذا المخطوط مؤلفه معروف بالتحديد وهو محمد بن يوسف الزيانى ولكنه لم يكن قد رؤى إطلاقًا. وافتراض البعض أن سى محمد بن يوسف الزيانى أعطى اسمًا جديدًا لمؤلَّفه التاريخى، وذلك مما منح الحق للمزارى، وسمح له أن يقول بأنه هو المؤلف لمخطوط: طلوع سعد السعود.

ومما ذكره مارسيل بودان فى تقييمه لمخطوط سعد السعود قوله: «مهما يكن مؤلف طلوع سعد السعود، فمما لا شك فيه أنه تابع لعائلة آغوية من الدواير، أو كان يعيش فى وسطها لأنه استطاع أن يقدم لنا فيه معلومات مهمة حول أحداث تخص حكومة الداى حسين، ثم إن طلوع سعد السعود يقدم معلومات مفصلة جديدة غير معروفة، أو يكمل، أو يصحح، معلومات كانت معروفة من قبل».

«وعلى العكس فى بعض الأحيان يسكت إطلاقًا عن بعض الأحداث مثل قيام الباى حسن بقتل صهره الخاص مصطفى تشورمى: (**Tcheurmi**) وأحيانًا يشرح بكيفية سيئة سكوته عن حدث كان بإمكانه أن يوضحه ويعدله، حتى فى بلاد الإسلام، حيث حوادث عائلته حصلت بكيفية متواترة».

«وطريقة المؤلف فى التأليف واضحة، وسريعة السرد، عن طريق السجع. يتوسع أحيانًا، ويفصل أحيانًا، ويستعمل أحيانًا ألفاظًا وجملًا لا معنى لها إطلاقًا سوى كونها تتلاءم مع السجع»[1].

المحور الثانى: يتمثل فى المقارنة بين كتاب: دليل الحيران للزيانى، وطلوع سعد السعود للمزارى فيما يخص: المخطط، والعناوين والأقسام، والترتيب، والمحتوى. وهذه المقارنة هى التى ستكشف لنا الحقيقة، وأكاد أجزم أنها ستقدم لنا الجواب الصحيح.

---

(1) MARCEL BODIN: La BRÉVE Chronique du bey hassan EXTRAITE et TRADUITE de. la Tal'AT-OS- SA'D- IS-SO'OUD.de MAZARI.societé de géographie et d'archéologie d'Oran. T.XLIV. 1924. P. 23-25.

المقارنة بين دليل الحيران وطلوع سعد السعود

فيما يلي هذه المقارنة مع العلم بأن كتاب دليل الحيران الذى اعتمدناه فى هذه المقارنة، هى النسخة التى حققها ونشرها الشيخ المهدى البوعبدللى البطيوى، وليس المخطوط نفسه. وهى نسخة مبتورة فى الوسط، وفى الأخير، ولكنها مع ذلك صالحة للمقارنة كما سنرى:

-قسَّم محمد بن يوسف الزيانى كتابه «دليل الحيران» وأنيس السهران فى أخبار مدينة وهران إلى أربعة فصول:

الأول: فى التعريف بوهران.

الثانى: فى ذكر من اختطها وأى وقت ولماذا سميت بوهران.

الثالث: فى ذكر بعض علمائها وأوليائها ومن جلب لها الماء إلى أن صارت مورد ظمآن.

الرابع: فى ذكر من ملكها من حين اختطت إلى هذا الزمان.

-وقسم بن عودة المزارى كتابه: طلوع سعد السعود فى أخبار وهران ومخزنها الأسود إلى خمسة مقاصد:

الأول: فيمن بنى وهران وأى وقت بنيت فيه ووصفها بالتعريف.

الثانى: فى ذكر بعض أوليائها بحسب الاستطاعة والتعرض بالذكر إلى من هو منهم شريف.

الثالث: فى ذكر بعض علمائها من حيث بنيت إلى الآن.

الرابع: فى ذكر دولها على سبيل الترتيب من حيث بنيت إلى هذا الزمان، وما أذكر من غيرهم فلذلك رغبة لإتمام الفائدة.

الخامس: فى ذكر مخزنها وهو عين المراد والتعرض إلى سيرته الجميلة التى لا يكون فيها الانتقاد.

ويتضح من هذا التقسيم أن المزارى قلد شيخه الزيانى فى عناويه ونقلها عنه حرفيًّا وخالفه فقط فى إطلاقه على الفصل اسم المقصد، ثم إن المزارى أدمج الفصلين: الأول والثانى من دليل الحيران فى مقصد واحد بكتابه، وعكسهما فقدم الثانى وأخر الأول. وأهمل الفقرة التى خصها الزيانى لاستعراض الأقوال السبعة التى تخص تسمية المدينة بوهران.

وعلى العكس من ذلك قام المزارى بتقسيم الفصل الثالث من دليل الحيران إلى مقصدين اثنين فى كتابه: واحد تحدث فيه عن أولياء وهران، والآخر عن علمائها. ونقل ذلك حرفيًا عن الزيانى، وأهمل التفاصيل التى أوردها الزيانى عن ركن الدين بن مجرز وهرانى.

أما الفصل الرابع: فقد اتبع فيه المزارى نفس التقسيم الذى وضعه الزيانى فى دليل الحيران، ونقله عنه حرفيًا. وقد قال الزيانى: «اعلم أن الذين ملكوا وهران من حين اختطت إلى هذا الزمن تسع دول وأما الأدارسة، والسليمانيون فلم أذكرهم لأنهم لم يملكوا وهران».

ثم أخذ الزيانى يستعرض الدول التسعة على الشكل التالى:

الدولة الأولى: مغراوة عمال الأمويين أمراء الأندلس والكلام عليهم فى خمسة مواضيع:

الأول: فى التعريف بهم وذكر نسبهم.

الثانى: فى بطونهم.

الثالث: فى ذكر علمائهم وأوليائهم.

الرابع: فى ذكر سبب إسلامهم وصيرورتهم موالى لبنى أمية.

الخامس: فى ذكر من ملك منهم وهران.

وقد نقل المزارى نفس عنوان الزيانى، وأغفل الموضوعات الأربعة الأولى ونقل حرفيًا الموضوع الخامس بحذافيره.

الدولة الثانية: العبيديون، وهم الشيعة ويقال لهم: الرافضة والكلام عليهم فى خمسة مواضيع:

الأول: فى ذكر أنسابهم.

الثانى: فى ذكر أصحاب الإمام المعدين للمهدى منهم.

الثالث: فى سبب تسميتهم بالشيعة.

الرابع: فى سبب مصير المُلك إليهم.

الخامس: فى ذكر ملوكهم ومن ملك منهم وهران.

وقد اختصر المزارى الموضوعات الأربعة الأولى فى نصف صفحة، ونقل الموضوع الخامس بحذافيره مع بعض التصرفات الطفيفة، تحت نفس العنوان من الزيانى.

الدولة الثالثة: المرابطون، ويقال لهم: لمتونة والملثمون وصنهاجة. والكلام عليهم فى خمسة مواضيع:

الأول: فى نسبهم.

الثانى: فى وقت مسيرتهم للمغرب.

الثالث: فى ذكر قبائلهم وبطونهم.

الرابع: فى ذكر علمائهم.

الخامس: فى ذكر فرقهم، ومن ملك منهم وهران.

وقد نقل المزارى نفس العنوان، واختصر الموضوعات الأربعة الأولى فى نصف صفحة، ونقل الخامس على ما يبدو بحذافيره أو على الأقل ما بقى منه؛ لأن نسخة «دليل الحيران» مبتورة هنا ابتداء من قوله: الفرقة الثانية من صنهاجة لمتونة وهم الملثمون. كما ضاع منها موضوع: الدولة السادسة فى أولها وهم بنو مرين. فإما أن يكون المزارى قد انتزع هذه الأقسام من دليل الحيران وأدخلها وأدمجها بعينها فى كتابه، وإما أن يكون قد نقلها من نسخة أخرى كاملة.

وقد اختصر المزارى موضوع تسمية المرابطين وأصل موطنهم وبلادهم فى أربع صفحات، وتوسع فى الحديث عن ملوكهم وأمرائهم على عادته وبنفس الأسلوب وختم حديثه عنهم باستعراض الفرق الثلاثة التى انحدروا منها.

الدولة السابعة: الإسبانيون نسبة لإسبانيا، والكلام عليهم فى ستة مواضيع:

الأول: فى ذكر نسبهم.

الثانى: فى بيان أرض الإسبانيين وحدودها.

الثالث: فى بيان مساحتها، وعدد سكانها الآن، وأقسام ولاياتها، وأشهر مدنها، وجبالها، وأوديتها.

الرابع: فى بيان محلها من أوربا.

الخامس: فى بيان من ملك تلك العدوة سابقًا.

وقد نقل المزارى هذه الموضوعات نقلًا يكاد يكون حرفيًا بنفس الترتيب مع إهمال ذلك التقسيم.

الدولة الثامنة: الترك ويقال لهم: الأتراك والكلام عليهم فى ستة مواضيع:

الأول: فى ذكر نسبهم وبطونهم ومسكنهم.

الثانى: فى سبب انتشارهم فى الأرض.

الثالث: فى سبب مجيئهم إلى الجزائر وأى وقت جاءوا وكم مكثوا بالجزائر.

الرابع: فى ذكر ملوكهم فى الإسلام ومن ملك منهم وهران.

الخامس: فى ذكر باشاتهم بالجزائر، ومنهم من يجمعهم على باشوات، ومن ملك منهم وهران.

السادس: فى ذكر معنى الباى وكيفية تصرفه وعمله بالعوائد.

وقد نقل المزارى نفس عنوان الزيانى، وتحدث عن هذه الموضوعات الستة بنفس الترتيب دون الإشارة إلى ذلك التقسيم. ويكاد يكون النقل حرفيًا.

الدولة التاسعة: الفرنسيين، ويقال لهم: الفرنج، والكلام عليهم فى سبعة مواضيع: الأول. اهـ. وقد توقف الزيانى عند هذا العنوان وبهذين الحرفين «ألف وهاء»، دليلًا على انتهائه، وعدم إكماله للفصل الرابع كما وعد فى بدايته.

أما المزارى فبعد أن نقل هذا العنوان كما هو فى دليل الحيران، أرخ لهذه الدولة حسب مخطط الزيانى بالتتابع وبالترتيب، دون أن يشير إلى ذلك التقسيم كما هى عادته فى الأقسام الماضية، وتوسع فى هذه الدولة توسعًا كبيرًا استغرق (208) مائتين وثمانى صفحات وهو ما يعادل أكثر من ثلث المخطوط. وحاول أن يؤرخ لتاريخ فرنسا، وأغرق نفسه فى مواضع ليست فى متناوله. وذلك رغبة منه على ما يبدو فى التقرب من الإدارة الفرنسية التى كان يعمل تحتِ إمرتها، ووفق أوامرها، وتعليماتها.

إن هذه المقارنة تثبت بما لا يدع مجالًا للشك، بأن مخطوط: طلوع سعد السعود، إما أن يكون للزياني نفسه ونسبه المزارى لنفسه لظرف من الظروف التى حكى منها شيئًا مارسيل بودان أو يكون المزارى نقله حرفيًا من كتاب دليل الحيران للزياني، وتصرف فيه قليلًا بالحذف، والاختصار، والتقديم والتأخير، واستغل مركزه كآغا ليقنع شيخه الزياني، أو يرغمه على السكوت، وقبول الأمر الواقع، وليس هناك تفسير آخر غير هذين الافتراضين.

وللشيخ المهدى البوعبدلى البطيوى الذى حقق ونشر مخطوط دليل الحيران للزياني، رأى آخر فيما يخص القسم الأخير الذى عنون له المؤلف، ولم يكمله. فقد قال فى المقدمة التى وضعها للكتاب: إن التأليف الذى يحمل اسم «أقوال التأسيس عما وقع وسيقع من الفرنسيس». ونسب إلى أبى راس المعسكرى، ووضع ضمن قائمة مؤلفاته -ليس له «لأن المتأمل فيه يدرك من أول وهلة أنه كتب بعد الاحتلال الفرنسى، وأبو راس كما نعلم توفى حوالى سنة 1237[1] أى: قبل الاحتلال الفرنسى بسنوات»

ومن رأى الشيخ المهدى البوعبدللى أن مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ محمد بن يوسف الزياني أو أحد سكان قرية البرج مقر أسرة المخفى.

ومما قاله: «وفى آخر الجزء الثانى عقد المؤلف عنوانًا للعهد الفرنسى فقال: الدولة التاسعة الفرنسيس ويقال لهم الفرنج، والكلام عليهم فى سبع مواضع». لكنه أنهى تأليفه عند هذا لعنوان، ولا شك أنه لم يرد أن يتورط، فاختار طريقة أخرى سجل فيها الأحداث الهامة فى العهد الأول من الاحتلال، وحذر مواطنيه من عواقبها وأفرغ ذلك كله فى قالب التنبؤات التى كان أفراد الشعب خصوصًا المتدين يؤمن بها، إذ لم تفارق عقيدة المهدى المنتظر «الذى يملأ الدنيا

---

(1) الصحيح أن أبا راس توفى يوم 15 شعبان 1238 الموافق لشهر أبريل 1823م. وقد حصلنا على قائمة تآليف الشيخ أبى راس التى وضعها بنفسه تحت عنوان: شمس معارف التكاليف فى أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف. تحمل رقم 136، وتاريخها 22 . رجب 1232هـ (4أبريل 1823م). وبها، 136 عنوانًا آخرها هذه القائمة. ومن ضمنها عنوان: أقوال التأسيس عما وقع أو سيقع من الفرنسيس. ويحمل رقم 85. وقد استعملت الأرقام الغبارية فى تعداد هذه القائمة مما يوحى بأنها منسوخة، وليست الأصلية التى كتبها الشيخ أبو راس نفسه

عدلًا» الطبقات المؤمنة فى بلاد المغرب العربى، ومؤلفنا أمكنه أن يتخلص من الورطة؛ فينسب تأليفه الذى هو عبارة عن صفحات للمؤرخ أبى راس المعسكرى الناصرى، كما أمكنه أن يسجل هذا التأليف؛ أى عنوانه فى آخر رحلة أبى راس التى ذكر فيها تأليفه وقد تناقل هذا التأليف معظم المثقفين، وقد بلغ خبره للسلطات فبذلت جهودًا للتحصيل عليه خصوصًا فى الحرب العالمية الأولى، فقد فتشوا المنازل وسجنوا كثيرًا من الطلبة الذين كانوا يشكُّون أنهم يملكونه، كما أمكن لمؤلفه الحقيقى أن يحتفظ بسره حيث لم يعرف نسبته إليه إلا أقلية واسم الكتاب : «أقوال التأسيس عما وقع وسيقع من الفرنسيس». وقال أيضًا «وهذا التأليف تختلف كثيرٌ من نسخه، وإن كانت تتفق فى جوهر الموضوع الذى هو شبه مذكرات لرجل عاش فى الفترة الأولى من عهد الاحتلال الفرنسى، واطلع على نوايا الاستعمار وأهدافه، فسجلها بعد ما أفرغها فى قالب التكنهات أو التنبؤات» ثم قال: «وهذه الرسالة هامة تحتاج إلى دراسة خاصة، فالذى نتحققه أن نسبتها للمؤرخ» أبى راس مستحيلة فقد كتبت بعد الاحتلال الفرنسى بمدة طويلة، وبعد إنهاء الأمير عبد القادر المقاومة، وقد ذكره صاحب الرسالة وفى نفسه منه شىء؛ فخصه بسطور نسب فيها لأعوانه الظلم والفوضى، ولا شك أن المؤلف الذى كان من سكان البرج وكان البرج مقر أسرة المخفى، حتى لازالت تحمل اسمه الآن، الذين كانوا من أعوان الأتراك ثم انضموا إلى الفرنسيس وحاربوا الأمير؛ فانتقم منهم الأمير شرَّ انتقام، فقد أوقد فيها النيران وسجن جلّ سكانها، فلربما بقى فى نفس القاضى البرجى شىء».

وقال كذلك: «وأقل ما نستفيده من هذه الرسالة أو التأليف، بقطع النظر عن مقصد مؤلفه الحقيقى، هو الاطلاع على صفحات من تاريخ الجزائر، تصور انطباعات شاهد عيان، اطلع على أحداث أوائل الاحتلال، إذ المصادر العربية المسجلة لذلك العهد قليلة. ولنرجع إلى الحديث عن النسخة الثانية من: «قول التأسيس مما وقع وسيقع من الفرنسيس» وهى وإن كانت تتفق مع الأولى فى جوهرها، يظهر أن صاحبها اختصرها وزاد فيها وتأخرت كتابتها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى.

واعترف صاحبها بأنه لا يريد أن يطلق العنان لتنبؤه إذ أُمر بذلك»[1]. وقد ذكر الشيخ المهدى البوعبدلى بأن مؤلف دليل الحيران الشيخ محمد ابن يوسف الزيانى البرجى، ينتمى إلى أسر علمية بنواحى مدينة برج عياش المشهور الآن ببرج ولد المخفى قرب معسكر. وأن جده أحمد بن يوسف اليانى كان من العلماء المستشارين عند الباى إبراهيم المليانى (1170هـ). وقد تولى مؤلف دليل الحيران القضاء بمدينة البرج سنة 1861 حسبما وجد ذلك فى وثيقة رسمية كاتبه بها الحاكم العسكرى الفرنسى للناحية، ثم انتقل عام 1883 إلى مدينة تليلات ليتولى نفس الوظيفة، قبل أن ينقل إلى مدينة سيق كذلك لنفس الوظيفة: قاضيًا.

وكان ما يزال حيًّا فى مطلع القرنين: الرابع عشر الهجرى، والعشرين ميلادى. وذكر الشيخ المهدى أنه اطلع على كثير من فتاواه وتعاليقه على بعض الكتب، وعلى مراسلاته لبعض علماء البلد، ومنهم العالم على بن عبد الرحمن الجزائرى مفتى وهران الشهير الذى كاتبه عام 1320هـ (1902-1903م).

وقد خلف بعد وفاته ابنًا فقيهًا تولى إمامة مسجد بناه له صهره بمدينة سيق وبقى به حتى توفى، كما خلف بنتًا ذات شهرة فى مدينة وهران وولايتها؛ لأنها تمردت على عادات البلاد، وصارت تخرج سافرة، وتمارس أعمال الفلاحة لأسرتها وتشارك زوجها فى أعماله وكان غنيًا ويملك أراضٍ شاسعة. ويعمل موظفًا لدى الإدارة الفرنسية كذلك، لأن أسرته من أسر المخزن فى عهد الأتراك، وأقرها الفرنسيون على ذلك فى عهدهم.

وبما أنها كانت تركب الخيل وتشارك فى ألعاب الفروسية، وتستقبل زوار زوجها، وتشارك فى الحفلات التى كان يقيمها الولاة العامون بالجزائر لأعيان البلاد، فإن الناس كانوا يدعونها: «القايدة حليمة»وعندما حجت أصحبت تُدعى «الحاجة حليمة»، وتوفيت أوائل الحرب العالمية الأولى.

---

(1) محمد بن يوسف الزيانى: دليل الحيران وأنس السهران فى أخبار مدينة وهران. تقديم وتعليق المهدى البوعبدلى (الجزائر -1978) ص 13-17.

إن النسخة التى حققها ونشرها الشيخ المهدى البوعبدلى لدليل الحيران، ناقصة ومبتورة فى الوسط، ينقصها جزء من الدولة الثانية وهم المرابطون، وكل الدولة الرابعة وهم الموحدون، وكل الدولة الخامسة وهم بنوزيان.

وهذا القسم المبتور موجود كله فى مخطوط: طلوع سعد السعود. وينقصها فى الأخير، الدولة التاسعة ويقال لهم الفرنج والكلام عليهم فى ستة مواضيع. الأول ا.هـ.

وهذا القسم طويل جدًّا فى مخطوط طلوع سعد السعود، يقع فى مائتين وثمانية من الصفحات، ألا يكون المزارى أخذ هذه الأقسام الناقصة والمبتورة من مخطوط: دليل الحيران لأستاذه الزيانى، وضمها إلى مخطوطه بعنوانه الجديد، طلوع سعد السعود.

سؤال مطروح. وسيبقى كذلك مطروحًا إلى أن يتم العثور على النسخة الكاملة لدليل الحيران، وعلى بعض الوثائق التى تسمح بالمقارنة والاستنتاج، والخروج برأى صحيح ونهائى، بقيت بعد هذا كلمة أخيرة حول المقصد الأخير من كتاب طلوع سعد السعود الذى خصصه المزارى للتأريخ لمخزن وهران، وهذا المقصد لم يشر إليه الزيانى وهو المقصد الوحيد الذى لربما يكون من تأليف المزارى باعتباره من رجال المخزن. أو أحد أقاربه المثقفين من رجال المخزن كذلك، إذا لم يكن الزيانى نفسه، لأنه من بلد المزارى، ومن العائلات العلمية المشهورة بالمنطقة، له خبرة ودارية بتاريخ العائلات المخزنية.

د. يحيى بوعزيز

(جامعة وهران) وهران- حى الصادقية

الأربعاء 6شوال 1407هـ

3جوان 1987م



طلوع سعد السعود

في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا

إلى أواخر القرن التاسع عشر

للآغا بن عوده المزاري

تحقيق ودراسة

الدكتور يحيى بوعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

يقول العبد الضعيف الراجى عفو ربه وغفران سائر المساوى أبو إسماعيل بن عودة السارى بن الحاج محمد المزارى البحثاوى. أمنه الله وكرمه ولطفه آمين، آمين، آمين، آمين.

الحمد لله الذى فضل العلماء على الجهلاء بتفضيل العلم على الجهل، وصيرهم أمناء على خلقه يقومون بحفظ شريعته فى كل الفرد والحفل، وجعل بالعمل تعرف الفرائض والسنن وسائر ما يكون به التكليف وتعرف به الملل، وكذا الماضى والآتى وسائر الدول، والأنساب، وما قل منها وجل لا سيما علم التاريخ الذى تكفل بأخبار القرون والأمم ودولها ومن مضى منها أو حل أو هو آتٍ فى المستقبل، فحقه الاعتناء به بتدوينه كى لا يضيع فيهمل، والصلاة والسلام التامان على سيدنا ومولانا محمد أشرف المخلوقات ومنبع الكون وخاتم الأنبياء والرسل وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأمته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يتبين فيه المفضول من الفاضل والشقى من السعيد والثانى من الأول، وبعد:

فإنى لما طالعت كتب التاريخ واجتمعت عندى منه رقائع جليلة.

تاقت نفسى إلى جمع تأليف جليل فى أخبار وهران، ومخزنها القساور (كذا) الذين بهم فاقت ما عداها من المدون (كذا) فهم أهل الخصائل الجميلة، فجمعته بحمد الله تعالى فى كتاب جليل الفرائد، ورتبته بإذن الله تعالى على خمسة مقاصد:

المقصد الأول: فيمن بنا (كذا) وهران، وأى وقت بنيت فيه، ووصفها بالتعريف.

المقصد الثانى: فى ذكربعض أوليائها، بحسب الاستطاعة والتعرض بالذكر إلى من هو منهم شريف.

المقصد الثالث: فى ذكر بعض علمائها من حين بنيت للآن (كذا).

المقصد الرابع: فى ذكر دولها على سبيل الترتيب من حين بنيت إلى هذا الزمان. وما أذكره من غيرهم (كذا) فذلك (كذا) رغبة فى إتمام الفائدة بزيادة البيان.

المقصد الخامس: فى ذكر مخزنها وهو عين المراد. والتعرض إلى سيرته الجميلة التى لا يكون فيها الانتقاد.

وسميته

طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود

فأقول: بحسب ما رزقت من نصيب، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المقصد الأول

فيمن بنى وهران

/ اعلم أيدنى الله وإياك بنوره. ورزقنى وإياك خيره ووقانى وإياك من شروره. أنه لا خلاف (ص٤) فى أن وهران بنيت فى القرن الثالث من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وإنما الخلاف فيمن بناها والعام الذى بنيت فيه والخليفة الذى بنيت بأمره بالتلزيم (كذا)[1].

فقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار على السينية له، بنتها مغراوة بإذن أمراء الأندلس الأمويين وأن الذى بناها من مغراوة هو خزر بن حفص بن صولات بن وزمار بن مغراو بن يصلين بن مسروق بن زاكين بن ورسيخ بن جانا بن زنات، وكان صقلاب فى زمان النبى ﷺ وأن الخليفة الأموى الذى أمر ببنائها هو عبد الرحمن بن الحاكم (كذا) بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الخليفة بالأندلس اهـ. بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى[2].

فيفهم من أنها بنيت فى وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمن بن الحاكم (كذا) تولى سنة ست ومائتين وتوفى فى ربيع الأخير سنة ثمان وثلاثين ومائتين كما فى المختصر لأبى الفداء صاحب

---

(1) عن التاريخ الذى بنيت فيه مدينة وهران، والأقوال التى وردت فى ذلك، انظر كتابنا: وهران، (الجزائر = 1985) ص 5-32.

(2) محمد بن أحمد بن عبد القادر الرشدى المعروف بأبى راس الناصر، ولد عام 1150هـ (1737م) بقلعة بنى راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائرى، وتنقل فى صغره بين مسقط رأسه، ومتيجة، وتنس ، والمغرب الأقصى، وحفظ القرآن الكريم، واستوعب العلوم العربية الإسلامية على علماء وفقهاء عصره، وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر المشرفى. ثم تصدى للتدريس، والإفتاء فى مدينة معسكر زهاء ست وثلاثين عاما، وتولى مناصب القضاء، والإفتاء، وحج مرتين، واشتهر بالحافظ لغزارة علمه، وكتب وألف فى متخلف الأغراض والفنون، شعرًا ونثرًا، وخلف مائة وستة وثلاثين مخطوطة، (136)، وبين طويلة وقصيرة، بعضها موجود، والبعض مفقود، وتوفى يوم 15 شعبان 1238هـ (17أبريل 1323م). وترجم له عديدون، أمثال: د. أبو القاسم سعد الله: مؤرخ جزائرى معاصر للجبرتى. أبو راس الناصرى، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 12 (الجزائر -1974) ص 22 وما بعدها. وكذلك فى كتابه: أبحاث ،وآراء فى تاريخ الجزائر، وتاريخ الجزائر الثقافى جـ 2. والشيخ عبد الرحمن الجيلالى: تاريخ الجزائر العام ج 4، ط 4. (الجزائر – 1982) ومحمد سى يوسف: دارسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبى راس الناصرى مجلة الدارسات التاريخية . عدد 2 0الجزائر 1982) ص 134 – 155.

حماة[1] وهذا القول لا يوافق بوجه ولا حال. وذكر الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى أنها بنتها مغرواة فى أيامهم وأطلق[2]. وقال الحفاظ الخمسة وهم: محمد بن يوسف القيروانى والبكرى/ (ص5) وابن خلكان والرشاطى والصفدى[3]، كل فى تاريخه أن الذى بناها محمد بن أبى عون، ومحمد بن عبدون، وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران مع نفزة وبنى «مسقن» وهم بنو مسرقين من أزديجة، وكانوا أصحاب القرشى وهو الخليفة الأموى بالأندلس وذلك سنة تسعين ومائتين.

---

(1) سنة 206هـ يوافقها مسيحيًا: جوان 821-ماى822م. وشهر ربيع الأخير لعام 238هـ يوافقه: 20 سبتمبر- 18 أكتوبر -852م، وأبو الفؤاد عماد الدين إسماعيل المؤيد (1273- 1331م) صاحب حماة، من علماء الجغرافيا العرب، ألف كتاب: تقويم البلدان، وكتاب: المختصر فى تاريخ البشر، وهو الكتاب الذى أشار له صاحب المخطوط.

(2) أبو زيد عبد الرحمن الجامعى الفاسى، رحالة مغربى تنقل فى الجزائر وبلدان المغرب، وأعجب برجز شيخه أبى عبد الله محمد بن أحمد الحلفاوى مفتى تلمسان الذى نظمه فى أحداث الفتح الأول لمدينة وهران عام 1119هـ (1707- 1708م) فطلب منه شيخه أن يشرحه نثرًا وعدد أبياته 72بيتًا شعريًا فشرحها وأضاف إليها معلومات عن السلطان العثمانى أحمد الأول (1703- 1733م) الذى تم فى عهده هذا الفتح، فأصبح هذا الشرح مع الرجز من أهم المصادر عن هذا الفتح، وما يزال مخطوطًا، وتوجد نسخة من هذا الرجز فى مكتبة المتحف بمدينة وهران، وللجامعى هذا، رحلة سماها: التاريخ المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق.

(3) أبو عبد الله البكرى جغرافى أندلسى توفى بقرطبة عام 490هـ (1097م) له كتاب: المسالك والممالك، وصف فيه البلدان التى يعرفها المسلمون فى القرن 11م، ومنه أخذ القسم الذى أصبح يعرف باسم: المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب) طبعة دى سلان (باريس -1911م). وابن خلكان أحمد البرمكى الأربيلى (1211- 1281م) مؤرخ كبير تعلم ودرس فى حلب، ودمشق، والقاهرة ، وتولى القضاء والتدريس، ومن مؤلفاته:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، فى التراجم والآداب العربية، والصفدى صلاح الدين خليل (1262- 1362م) الذى يعرف بالصلاح الصفدى ولد بصفد وتعلم بها، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء فى صفد، والقاهرة، وحلب، وقيل إنه ألف 500مجلدًا منها: الوافى بالوفيات، الذى هو قاموس تراجم من 30 جزءًا، أما محمد بن يوسف القيراونى فلم نعرف ترجمته والرشاطى هو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله الرشاطى ولد عام 466هـ (1073- 1074م) بقرية من أعمال مرسية الأندلسية يقال لها: أوريوالة. وتوفى [illegible] عام 542هـ (1147-1148م) كما فى وفيات الأعيان جـ1. ص 337وفى نفح الطيب جـ4

وقال الحافظ أبوراس فى كتابيه: عجائب الأخبار،، والخبر المعرب، على السينية أن الذى بناها هو خزر بن حفص المار، وأن الذى أمره ببنائها هو الخليفة الأموى بالأندلس أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم(كذا) ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل وذلك سنة تسعين ومائتين وقيل إحدى وتسعين وقيل اثنين وتسعين. أهـ.[1] والصحيح من هذه الأقوال التى ذكرها الحافظ فى كتابيه، الأول، لكون الخليفة المذكور تولى سنة خمس وسبعين ومائتين وتوفى فى ربيع الأول سنة ثلاثمائة[2] كما فى مختصر أبى الفداء صاحب حماة، وقد بناها قبل وفاته بعشرة أعوام كما فى دليل الحيران وأنيس السهران، فى أخبار مدينة وهران[3] وإلى من بناها ووقت بنائها أشار الحافظ أبو راس فى سينيته التى تسمى بالحلل السندسية ويقال لها: إنها نفيسة الجمان بقوله:

/ بنتهـا مغـراوة بـإذن مـواليهم الأمـويين أمـراء أنـدلس (ص٦)

ثالث قـرن خـزر منهم قـد أسسها وملكهـم فى غايـة العـز والشـمس

وقال فى وصفها والتعريف لها الشريف الحسنى الربانى: شيخنا العلامة الحافظ السيد محمد بن يوسف الزيانى، فى تاريخه: دليل الحيران وأنيس السهران فى أخبار مدينة وهران، فى الفصل الأول منه ما نصه بطوله: اعلم أن وهران بفتح الواو، وكما لابن خلكان فى كتابه: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، والحافظ أبى راس فى كتبه: عجائب الأخبار، وعجائب الأسفار، والخبر المعرب، وروضة السلوان، لا بكسرها وغلط من كسرها، هى مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومى[4] عظيمة، ذات مساحة وفخامة جسيمة، وبساتين وأشجار،

---

(1) سنة 290هـ يوافقها: ديسمبر 902- نوفمبر 903م. وسنة 291هـ يوافقها: نوفمبر 903 نوفمبر 904م. وسنة 292هـ يوافقها: نوفمبر 904- نوفمبر 905م. والحقيقة أن هذا التاريخ يمثل المرحلة الثانية من تاريخ وهران؛ لأن المدينة قديمة جدًا، وتعود نواتها إلى عهد الفينيقيين، وتمثل قرية إيفرى نواتها الأولى عند البعض انظر كتابنا: وهران ص 5-32.

(2) سنة 275هـ يوافقها: ماى 888م- 889م. وربيع الأول عام 300هـ يوافقه: 16 أكتوبر- 14 نوفمبر 912م.

(3) للشيخ محمد بن يوسف الزيانى. وقد حققه وطبعه الشيخ المهدى البوعبدللى عام 1978م.

(4) يقصد بالبحر الرومى: البحر الأبيض المتوسط، وكانت تطلق عليه هذه التسمية فى العهود القديمة خلال السيطرة الرومانية على بلدان الشمال الإفريقى، أما اليوم فلا.

ومياه عذبة وأطيار، وحبوب عديدة، وفواكه وخضر جديدة، وبروج مشيدة وقصور معددة، من طبقتين فأعلا (كذا) ببناء التحكيم، وأرحية ماء ونار وريح وطحونات (كذا) وسور فخيم (كذا)، وفنادق وحمامات، وشوارع ورياضات ، ومدافع وأبراج، ومنافذ، وسبل فجاج، وأتكية وغنى لكل محتاج، متبحرة فى العمران وسارت بأخبارها لكل ناحية الركبان، معدودة/ من (ص7) أمصار المغرب التى عن نفسها تدافع ولا تدافع، ومن أحسن معاقله التى تطاع ولا تنازع، مقصودة للعلماء والتجار وسائر أرباب البضائع، لها صيت بالمغرب والمشرق وسائر الآفاق، وقد ذكرها صاحب الدرر المكنونة المازونية فى نوازل الطلاق[1]، وجاءت لها الملوك من أقاصى الأقطار، وتزاحمت عليها لنيل الأوطار ورحل لسكانها الأخيار والأشرار، والعبيد والأحرار، والمسلمون والكفار، فكانت مفتخمة (كذا) على غيرها من المدن (كذا). بمخزنها السادات الأسود، أهل العناية والشجاعة والعطاء الممدود والحياء، والرياسة والبسالة والسياسة، مقصودة للعفات (كذا) والوجود، والعساكر والجيوش والحشود. مؤسسة فى أسفل جبل هيدور الأشم[2]، الذى اختط الإسبانيون بقمته بالبناء الأحكم، برج مرجاج (كذا) الشامخ العتيد، وقطب رحا حربها الشديد، الصعب المسلك البعيد المدرك، الضيق الفجاج، المشرف على المدينة والمرسى والأبراج الذى غص منه الجو فى الصعود، وعاد يلمس بيده الأفلاك بالقعود، ذهب فى السماء بفروعه وكلاكله، وملأ الجو بقرونه وهياكله، ونظم النجوم فى مفرقه واستوى كالملك فى جلسته وترقيه ومرتفقه، وترفع بمروط (كذا) السحاب، فضرب بينه وبين الناس بحجاب، رعده/ صوت المدافع، وبرقه شعلتها التى ليس لها مدافع، كأن الرياح آوت (كذا) إلى جوه بإذنه، (ص8)

---

(1) يقصد بذلك كتاب: الدرر المكنونة فى نوازل مازونة. لمؤلفه يحيى بن أبى عمران موسى بن عيسى بن يحيى المغيلى المازونى، الذى تولى القضاء بمازونة، وكان فقيهًا علامة، اعتمد فى كتابة على فتاوى المتأخرين من علماء تونس، وبجاية والجزائر، وتلمسان، وعليه اعتمد كل من أحمد الونشريسى فى كتابه: المعيار والبرزلى فى نوازله. توفى يحيى المازونى بتلمسان عام 883هـ (1478-1479م).

(2) أسست مدينة وهران على السفح الشرقى للجبل الذى يحمل عدة أسماء منها: هيدور، وهو اسم لعالم لا نعرف عنه شيئًا حاليًا، ومرجاجو، وهم اسم لشخص كذلك كما سيأتى. والمائدة وهى صفة لقمته المنبسطة على شكل مائدة كما يحمل اسم: جبل سيدى عبد القادر.

وأصغا (كذا) لها ملاقيًا إلى حيز السماء بأذنيه وأطل على البحر بشماريخه وجعله يحاكى معانى تواريخه، واستدبر البر بظهره، وأناخ سائر الجبل بمنيعه وحجره، حتى صارت جبال قيزة، وبنى مخوخ، وتاسالة، تبايعه وله تنوخ، وتسمى باسم الرجل الذى كان به من غير مناكث، وهل هو الرجل الزناتى، أو الإسبنيولى، أو الحميانى؟ أقوال، أصحها الثالث[1] وطال ما ارتفع للسماء جبل كهر، فانخفض له وبعلوه عليه أقر، تراه وأنت أسفله كأنه فى الجو قلامة، فى قنة غمامة أو باز أو عقاب، على ظهر سحاب، وقد قال فى وصفه بعض الفصحاء فى ملحون:

سـلوا عليـه مرجـاج لـيس أهيانـا　　　وامراقـب البحـر وأبـراج تلمسـان

شـيخ الجبـال عـالى يـا فطانـا　　　كـل الجبـال خـرت لـه سـجدان

ولما دخلها ابن خميس أحد العلماء الكبار، والفقهاء السادات الأخيار، فى آخر القرن الرابع، وقعت منه كل موقع بعدما دخل الجزائر فى الخبر الشائع، وكانت الجزائر إذ ذاك قريبة عهد بالبناء والتمدين، فقال: أعجبنى بالمغرب مدينتان بثغرين: وهران خزر وجزاير بلكين[2]. وكيف لا

---

(1) البرج الذى يتحدث عنه ما يزال قائمًا وشامخًا حتى اليوم على القمة الشرقية الصغيرة المفصولة بمنخفض عن القمة الكبرى الغربية، ويسمى حاليًا برج سانتا كروز وهو يتألف من ثلاثة أقسام كبرى، كان مزودًا فى عهد الإسبان بثلاثمائة مدفع، وهناك خلاف حول اسم مرجاجو: هل هو اسم لرجل زناتى، أو للرجل الإسبانى الذى أشرف على بناء الحصن، أو للشيخ الحميانى الذى ساعد الإسبان على بنائه، وهو رأى صاحب المخطوط، وكان هذا الشيخ الحميانى قد أمر رجال قومه الحميانيين أن يتجندوا جميعًا ويحملوا الماء فى قربهم وعلى أكتافهم إلى البنائين فى قمة الجبل، ولذلك هجاهم أحد شعراء الملحون وقال:

لا تكـب المـاء مـن قربـة　　　لمـن يقـول أنـا حميـانى

ادفـع الكلـب مـع ربيبـه　　　وقـل قلبـه مـا زال نصرانى

وقال آخر:

قيـزة وشـافع وحميـان　　　جارهم مايتهنى وميتهم مايدخل الجنة

وقد تم بناء هذا البرج وهذه القلعة الضخمة عام 1567م، وزرته بنفسى عام 1981 مع وفد من صحافى جريدة الجمهورية، وقد وضعت له السلطات المحلية حاليًا أضواء كاشفة فى الليل بحيث يراه القريب والبعيد، انظر كتابنا وهران ص(155-156).

(2) أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمسانى ولد عام 560هـ (1252م) ونبغ منذ صغره فى الأدب، والحكمة، والتاريخ، وقول الشعر، حتى لقب بشيخ الأدباء، ولاه السلطان الزيانى أبو سعيد بن يغمراسن رئاسة ديوان الإنشاء، وأمانة السر، وتجول فى أقطار المغرب وعواصمها، وتراسل مع عدد من الشعراء،

تكون من ذخائر النفائس، وهى أول مدينة ملكها عبد المؤمن بن على الكومى الموحدى سنة تسع وثلاثين من القرن السادس[1]، ولو رأى (كذا) بناءها صاحب تاريخ مصر والقاهرة/ لعده من (ص9) أعجوبات البناء التى ذكرها فى كتابه: حسن المحاضرة[2] ولو رآها الغزالى صاحب الرحلة، لما اعتنا (كذا) بوصف سبته وطليطلة[3]، ولو أخبر بها صاحب كتاب اللباب الواصف لضخامة بنيان البلدان لما قال: الدار داران: إيوان، وغمدان[4]، ولو رأى (كذا) الغزالى مسجدها الجامع الأعظم، وما اشتمل عليه من السعة والأساطين وإتقانه فى الهواء بالبناء الأحكم، والتراويق

والعلماء والقضاة والأمراء، ثم ذهب إلى غرناطة عام 703هـ (1304م) وضم إلى مجلس الوزير، واغتيل هناك ضحوة عيد الفطر العام 708هـ (14مارس 1309م) على يد على بن نصر الأبكم إثر الانقلاب الذى حصل على الأمير، وقيل: إن قتله كان خطأ.

(1) سنة 539هـ يوافقها: (جويلية 1144 –جوان 1145م). وسيطر عبد المؤمن على مدينة وهران عام 1145م. وسوف تأتى ترجمته عند الحديث عن دولته فى المقصد الرابع.

(2) يقصد به جلال الدين السيوطى (1445 – 1505م). الذى ولد بالقاهرة ونبغ فى التفسير، والحديث، الفقه وعلوم اللغة، وتجول فى الشام، والحجاز، واليمن، والهند،وبلدان المغرب، وإفريقيا ما وراء الصحراء، وألف على ما قيل أكثر من 500 كتابًا منها: طبقات الحفاظ وطبقات المفسرين، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، وتحاور شعرًا مع العالم التلمسانى محمد بن عبد الكريم المغيلى حول المنطق اليونانى، وذلك خلال توجداهما فى بلاد التكرور بنيجيريا أواخر القرن الخامس عشر الميلادى.

(3) هكذا كتب المؤلف طليطلة، أما الغزالى الذى يشير إليه فليس هو أبا حامد الغزالى؛ لأنه لم يزر المغرب والأندلس، ولم يكتب فى التاريخ، ولعله يقصد به أبا العباس أحمد ابن المهدى الغزال الفاسى الأندلسى الذى كان أمين سر المخزن بالمغرب الأقصى، وألف رحلة عام 1179هـ (جوان 1765- جوان 1766م) سماها: نتيجة الاجتهاد فى المهادنة والجهاد، وقام بسفارة إلى إسبانيا ثم إلى ا لجزائر صحبة خالية: عمارة بن موسى، ومحمد بن ناصر، فى مهمة لافتداء الأسرى الإسبان، والجزائريين، وذلك عام 1182هـ (1768-1769م). وقد توفى بفاس عام 1191هـ (1777م). وقام الأستاذ إسماعيل العربى بتحقيق رحلته ونشرها فى دار الغرب الإسلامى، والجزائر.

(4) صاحب كتاب: اللباب فى معرفة الأنساب، هو عز الدين أبو الحسن على بن الأثير (1160-1234م). وقد اختصره فى كتاب: الأنساب، للقاضى أبى سعيد محمد السمعانى (114- 116م)، الذى تجول فى معظم أنحاء المعمورة وأخذ العلم على حوالى أربعة آلاف شيخ، وقد طبع كتاب اللباب: وستنفلد عام 1835 [illegible] كان على ما يظن قصرًا لملوك الفرس، وبه عدد كبير من الصور والتماثيل، وأما غمدان فهو قصر فى مدينة صنعاء باليمن، وكان من عجائب الدنيا، خربه الأحباش عندما غزوا بلاد اليمن عام 1252م.

المرونقة، والاحتكامات المحققة، وخاصته الدافقة بالماء، وصومعته التى علت لجو السماء، تروم منه النزول لها بالهيكلة، لما وصف الجامع الأعظم الذى بمدينة طليطلة[1]، واجتمعت العجائب بالبرج الأحمر، فإنه يفوق حصون بنى الأحمر، ولو رآه المطماطى سليمان بن سابق لقال: لا يقدر على مثله لاحق ولا سابق[2]، وزادت له بالابتهاج والرونقة مقلته التى صعدت للجو مشرقة. لو رأء (كذا) يوسف بن قريون مؤرخ اليهود، برج اليهود، لما وصف قلاع أمصيا التى هى ملك بنى يهود[3]. وأين مرجاج المتقدم، وبرج المرسى، وبرج الحمارات، والإصبايحية، ومرية، والحرسى (كذا) والقصبة، والمرستانات، والمدرسة، وبرجا (كذا) رأس العين والمكنسة، وأبوابها التسعة المتفرقة بحسب النواحى، والمدن، والقرى، والضواحى[4]، ولو صفت لك مصانعها على التمام،

---

(1) المسجد الذى يشير إليه هو مسجد الباشا، الذى أسسه الباى محمد بن عثمان الكبير عام 1796م بأمر من الداى الباش حسن بالجزائر؛ وذلك تخليدًا لتحرير وهران من الاستعمار الإسبانى، وهو مسجد كبير يقع على الضفة الشرقية لواد الرحى فى مواجهة حى القصبة بوهران القديمة،وله منارة عالية ومثمنة الشكل وقد تحدثنا عنه فى مخطوطنا: فى بيوت أذن الله أن ترفع، ويمكن العودة إلى كتابنا: وهران ص 159-164 كذلك. وقد قمت بزيارة خاصة دامت ثلاثة أيام لكل قلاع وهران وأبراجها، ومساجدها ضمن وفد من صحافى الجمهورية، ووضعت عنها دراسات موجزة أثبته فى كتابنا: وهران، المشار إليه، أما المساجد العتيقة فقد وضعت عنها دراسات مطولة ما تزال مخطوطة.

(2) البرج الأحمر الذى يشير إليه يطلق عليه كذلك اسم برج الأمحال، ويقع على الضفة الشرقية لواد الرحى، على هضبة عالية تشرف على البحر شمالًا، وتقابل جبل المائدة أو مرجاجو، أو هيدور، غربًا وقد أسس هذا البرج عام 1331م ويبدو أن نواته تعود إلى أيام الفينيقيين؛ لأن موقعه استراتيجى، وعندما احتل الإسبان وهران بنوا داخله قلعة كبيرة للحراسة، وسلحوه بحوالى 300 مدفعًا كذلك للدفاع، وهو برج ضخم جدًّا وواسع به قصر البايات شرقًا، والقلاع الإسبانية غربًا، وللمزيد من المعلومات انظر كتابنا: وهران، ص 147-149. أما سليمان بن سابق المطماطى هذا فلم نجد من ترجم له حاليًا.

(3) برج اليهود الذى يشير إليه ما يزال موجودًا حتى اليوم، شيد على لسان برى داخل البحر عام 1509 فى المكان الذى دخل منه الإسبان إلى مدينة وهران بواسطة مساعدة المكاس اليهودى شطورة الإشبيلى ولذلك سمى ببرج اليهودى، وقد زرناه عام 1981 صحبة وفد من صحافى جريدة الجمهورية، ووجدنا به مدافع منصوبة للدفاع البحرى من أواخر القرن الماضى، أما المؤرخ اليهودى يوسف بن قوريون فلم نجد من ترجم له. انظر كتابنا: وهران: ص149-150.

(4) أبواب وهران المعروفة من الخرائط، والباقية حتى اليوم ثمانية هى: فى الشرق: باب: السوق وما يزال قائما حتى اليوم وسماه الفرنسيون باب نابليون. ويطل شرقا على مجرى عنى واد روينة، ويؤدى إلى خنق النطاح وكانا ستيل، وارزيو. وتم بناءه عام 1740م. وباب الجيارة شمال برج الصبايحية وما يزال قائما حتى اليوم.

وما تحت أراهيها (كذا) من الأبنية العظام، لقلت يعجز عنه «سور ديب»المفتخر ببناء الأهرام، ولعجز بالاشتهار، واصف قصب الجم والبديع والأجدار/ وسائر بنيانها المرصوص[1] ومياها العذبة المتدفقة التي تعلو للسماء ثم تنبسط على الأرض وتتفرق على الرخام الملون ثم تجتمع فى سيح تحت الأرض بالبناء المحكم فتذهب معه للبحر ففيه تنصب وتغوص. ولقد عظمت مساحتها فى النفل والفرض. حتى صارت لا تحمى فى الطول والعرض فأحاط بها سورها الجديد ببرود شتى فصارد عظيمة العد، والتعديد ومن أين يطيق عد ولبة العدس، أو غيره من الدخنة والعلس، وما خرج عن سورها من البنيان، فلا يضبطه لسان، وقول الحافظ الشيخ عبد الرحمن الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى: هى مدينة صغيرة غير ظاهر كما فى شروح الحافظ أى راس لسينيته. وما قيل فى مدحها من الكلام ما بين النظم والسجع والنثر فإنه مما لا يضبط بعصر فمن ذلك قول بعض علماء لاراشيدة الأذكياء، السادات الكرام الأصفياء وهو العلامة الأجل والقدوة الأبجل، مؤلف كتاب: فتح وهران النقاد الراوى الخالى من سائر المساوى، أحد شرفاء غريس الشريف الحسنى السيد مصطفى بن عبد الله الدحاوى[2] فى مدحها ومدح أميرها السيد

(ص10)

وفى الجنوب: باب البليل، أو باب الواد، وعلى حافة واد الرحى الغربية وفى الغرب: باب المرسى، وما زيال قائما حتى اليوم، وباب القصبة فى أعلى باب المرسى وقد اندثر وفى الشمال: باب: عمارة ولم نعرف مكانه وباب كانا ستيل وما يزال قائما. حتى اليوم، وباب الميناء ولم يبق له أثر. أما الباب التاسع فلم نتعرف ع ليه ولا على مكانه، انظر كتابنا: وهران، ص 140-142.

(1) قصر الجم من آثار الرومان بلاد تونس، والأجدار مدينة أثرية بالجزائر جنوب مدينة تيهرت المشهورة، وليس هناك اتفاق على تاريخ تتأسيسها. أما قصر البديع فيبدو أنه قصر الرياض البديع الذى يقع غرب مدينة قلعة بنى حماد وقال عنه ابن خدلون إنه كان من آنق الرياض وأحفلها. حطمة المرينيون عام 701هـ (1301م) انظر الجيلالى، جـ1. ويمكن أيضا أن يكون أراد به قصر البديع أنشأه أحمد المنصور السعدى الذهبى بمراكش عام 1578، واستغرق بناؤه 14 عامًا لغاية 1594م.

(2) اسم المؤلف بالكامل هو: محمد المصطفى بن عبد اله بن زرفة الدحاوى وسام مؤلفه بالكامل: فتح وهران وجامع الجوامع الحسا، وكان كاتبًا لدى الباى محمد بن عثمان الكبير الكردى وعين مساعدا لرئيس رباط إيفرى بوهران خلال الحصار الثانى عليها، عام 1206هـ (1791- 1792م) وكلفه الباى بتسجيل حوادث الفتح كلها، فسجلها، وجمعها فى كتاب سماه: الرحلة القمرية فى السيرة المحمدية، أتمه فى نفس العام، ونعتقد أنه نفسه كتاب: فتح وران. لأن موضوعهما واحد على ما يبدو، وبعد فتح هذه المدينة وتحريرها، عين المؤلف قاضيا بها إلى أن توفى بالطاعون عام 1215هـ (1800-1801م)، ودرس ابو راس الناصر المعكسرى الراشدى عليه.

محمد بن عثمان، صاحب العدل والرق والجهاد والإنصاف والإحسان، باى الإيالة الغربية وتلمسان فى قصيدته القافية التى من بحر الطويل، فريدة القصائد ونفيحة الجواهر فى غلاية التكميل / ذات الصدر فى وهران والعجوز، فى الأمير الجليل، المشتملة على ثلاث وعشرين بيتًا (ص ٦٦) بالجملة والتفصيل.

عـــرانى أحبتـــى ســـهاد مـــورق ... ومـــن ذاليـــك الســـهاد قلبـــى يخفـــق

ورق فـــؤادى مـــن حلـــول ضـــبابة ... وعـــم دواخـــل الميـــزاج تعلـــق

أتـــانى هـــو نجـــد وطيـــب نســـيمها ... وصرت كســـيف البـــال إذ أتشـــوق

ورمـــت انضـــامًا نحوهـــا برياضـــها ... بهـــا غـــرف وسلســـبيل مـــدفق

وأزهارهـــا تفـــوح منهـــا ريـــاحين ... ونـــور يلـــوح منـــه للعـــين رونـــق

وأشـــجارها تـــرن فيهـــا بلابـــل ... بمختلـــف الأصـــوات تربـــى التعشـــق

وأفنانهـــا ملمـــة لفواكـــه ... ألا كـــل غصـــن منهـــا غـــض مـــورق

فـــما شـــئت مـــن ذوق لذيـــذ ومنظـــر ... تـــنعم فيـــه العـــين ثـــم موفـــق

وأعظـــم شيء فى اشـــتياقى لكامـــل ... يلـــوذ بأنســـه المعنـــى المشـــوق

لـــه فى معـــالى المجـــد أرفـــع همـــة ... وأوفـــر حـــظ وهـــو بالمـــدح أليـــق

وإثبـــات ذهـــن فى العلـــوم بأسرهـــا ... وزان ارتفـــاع القـــدر منـــه تحقـــق

بطلعتـــه وهـــران ثـــم نعيمهـــا ... وطـــاب بهـــا النـــوى وبـــان التـــأنق

انظر تمامها فى دليل الحيران وأنيس السهران[1].

وقد لخص هوداس هذه الرحلة وقدمها فى بحث إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر عام 1905، ونشرها فى وقائع المستشرقين هؤلاء، ولابن زرفة هذا كتاب آخر اسمه: كتاب الاكتفاء فى حكم جوائز الأمراء والخلفاء لخصه إرنست ميرسى، ونشره فى مجلة روكى القسنطينة عام 1989م.

(1) يوجد باقى القصيدة فى صحفة 29 من النسخة التى حققها ونشرها الشيخ المهدى البوعبدلى.

المقصد الثاني
في ذكر بعض أوليائها

اعلم/ أيدنى الله وإياك بأنواره، ونفعنى وإياك بأسراره أن أولياءها عددهم كثير، وحصرهم (ص12) عسير ولكنى أذكر منهم المشاهير، كما ذكرها (كذا) شيخنا الزيانى فى الفصل الثالث من دليل الحيران وأنيس السهران فنقول: إن من أولياء وهران: الولى المشهور[1]، المتعبد بأسماء الشكور، القطب الواضح سيدى هيدور صاحب جبل وهران المشهور، كثير العظامة (كذا) والجلالة، ودفين بلاد أسلافه تاسالة، وكان من أهل متم القرن الثالث ونسب له جبل وهران لتعبده به وكان له وارث[2].

ومنهم ذو النور الباهر، كثير الأسرار والجواهر، والإحسان والعوارف (كذا) والإكمال والمعارف، صاحب البرهان الساطع، سيدى داد أيوب المغراوى الذى كان من أهل القرن الرابع[3]، وهو بينها وبين المرسى الكبير، بمكان على البحر فى محل فيه متعبدون وصالحون وحمامه مقصود للتبرك فيه نفع كبير[4] ومعنى «داد» فى لغة زناتة هو الأب الكبير، وليس هو بهذا المحل مدفون وإنما المحل محل تعبده فيما يعرفون.

---

(1) تاسالة قرية صغيرة فى منطقة جبلية عالية تحمل نفس الاسم جنوب سهل ملاتة، وسبخة وهران الكبيرة جنوب وهران كذلك. وتتوسط الطريق الرابط بين سيدى بالعباس شرقًا، وحمام بو حجر فى الشمال الغربى، وعين تموشنت فى الغرب.

(2) الشيخ هيدور عاش فى أواخر القرنين : 3هـ و 9م، وأوائل القرنين الواليين، ولم نجد من ترجم له فى كتب التراجم، وأطلق اسمه على الجبل الذى يشرف على وهران غربًا حتى القرن العاشر الهجرى (16م) ثم أطلق عليه اسم : مرجاجو كما مر ويطلق عيه حاليًا اسم: جبل المائدة. وجبل سيدى عبد القادر؛ لأن قمته العالية مسطحة على شكل مائدة، وبنيت عليه قبة وضريح باسم سيدى عبد القادر، ولكن هذه القبة والضريح أزيلا عام 1980م.

(3) القرن الرابع الهجرى يوافق العاشر الميلادى، والشيخ داده أيوب هذا لم نجد من ترجم له مثل الشيخ هيدور تمامًا، وهو مغراوى على أى حال، وقد يكون من بلاد الشيخ الهوارى، المغراوى بكلميتو شرق مدينة مستغانم.

(4) حمام الشيخ داده أيوب كان ما يزال موجودًا بعد الحرب العالمية الثانية على شاطئ البحر بين مينائى وهران والمرسى الكبير غربًا، وله لافتة ترشد إليه وطريق يؤدى إليه كذلك أما الآن فلا أثر له وقد يكون اندثر، إذ ذهبت صباح يوم الخميس 18 ذو الحجة 1407هـ (13 أوت 1987م) فلم أجد له ولا للافتة أثرًا كما لم أجد من يرشدنى ويدلنى على مكانه.

ومنهم الشريف الحسنى النقاد الراوى، المقطوع بولايته على الإطلاق سيدى محمد بن عمر الهوارى ثم المغراوى[1] فهو قطب الأولياء، ورايس الزهاد الأتقياء، صاحب الكرامة الظاهرة، والأحوال الباهرة كان كثير السياحة والنجابة والنجاحة، أخذ بفاس عن العبدوسى والقباب، (ص13) / وببجاية عن الشيخ أحمد بن إدريس[2]، والوغليسى، كثير الأتباع والأصحاب[3] وبمصر عن العراف وغيره، وجاور بالحرمين الشريفين وسافر للقدس فجال بالشام لنيل خيره ومكث بدمشق بالجامع الأموى ما شاء الله، وكانت تأتيه الوحوش وعادية السباع فى سياحته لقضاء أوطارها فتقضى لها بإذن الله، ومكث آخر عمره بوهران بلد أسلافه بالتحرير، مثابرًا فيها على العلم والعمل إلى أن انتفع به الخلق الكثير. ولما قرب أجله كثر كلامه الذى يدل على سعة عفو الله بالتبشير. وألف كتاب: «السهو والتنبيه، للفقراء أهل الفضل النبيه». وله تآليف عديدة فى

---

(1) الشيخ محمد بن عمر الهوارى المغراوى ولد بكلميتو على بعد عشرين كلم شرق مدينة مستغانم عام 751هـ (1350- 1351م)، وتوفى بوهران صباح السبت 20 ربيع الثانى عام 843هـ (12 سبتمبر 1439م)، وهو رجل متصوف، ترجم له كثيرون أمثال: الغبرينى فى «عنوان الدراية»، وابن مريم فى البستان، وابن صعد فى روضة النسرين ، وأبى راس فى رحلته، والحفناوى فى تعريف الخلف، والزيانى فى دليل الحيران ودلبيش فى المجلة الإفريقية (1884)، وبارجيس فى كومبليمانت: (تتمة)، وكازاناف فى مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران، وديستيق فى المجلة الآسيوية وغيرهم، وقد وضعنا له ترجمة سوف تصدر ضمن الطبعة الثانية لكتابنا وهران بحول الله وقوته.

(2) أحمد بن إدريس البجائى من علماء القرن الثامن الهجرى، توفى بعد عام 760هـ (1359م) درس عليه ابن خلدون وأخوه يحيى، وعبد الرحمن الوغليسى، وهو صاحب مدرسة صوفية مشهورة وزاوية ببجاية وأحوازها، ألف عدة شروح نقل عنها ابن زاغو التلمسانى، ومحمد المشدالى، ويحيى الرهونى، وابن عرفة وعيسى بن سلامة البسكرى.

(3) أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسى من علماء القرن الثامن الهجرى (14م) ولد وتربى فى بنى وغليس على بعد حوالى ميل من قرية سيدى عيش جنوب بجاية، على الضفة اليسرى لواد الصومام، تضلع فى العلوم والمعارف العربية الإسلامية خاصة الفقه، وتولى وظيفة الإفتاء، والإمامة ببجاية، ولقب بشيخ الجماعة، وتتلمذ على الشيخ أحمد بن إدريس، درس عليه الخلدونيان، وأبو القاسم المشدالى ومحمد بن عمر الهوارى الوهرانى، وعبد الرحمن الثعالبى،ومن تآليفه: منظومة «الوغليسية» فى الفقه التى شرحها أحمد زروق البرنوسى، ومحمد السنوسى، ويحيى العيدلى، وعبد الرحمن الصباغ، وقد توفى الوغليسى عام 786هـ (1384م).

طريق القوم النجاية، وكان كثير الثناء على أهل بجاية، وقد نص على شرفه صاحب كتاب: جواهر الأسرار، فى معرفة آل النبى المختار[1] وكذا الفاسى فى أثمد الأبصار، وكانت له كرامات عديدة، وخوارق عادة مديدة منها أن بعض طغاة الأعراب أخذ مال بعض أصحابه لما أراد الله به النكال فبعث إليه الشيخ رسوله ليرد ذلك المال، فأخذ الظالم الرسول وقيده ومقته، فبلغ الشيخ أمره فقام من مجلسه مغاضبًا وقد اسود وجهه من شدة الغضب ودخل خلوته. قال تلميذه التازى فسمعته جهارًا، يقول: مفرطح، مفرطح، يكرره مرارًا، وفى الوقت قام الظالم يلعب فى عرس والناس ينظرون إليه تفرسًا/ فإذا برجل أبيض الثياب نزعه من فوق فرسه (ص١٤) وضرب به الأرض فإذا هو مفرطح دخل رأسه فى جوفه من شدة ضربه منكسًا. فأطلقت أمه رسول الشيخ وخاطبت ولدها الميت خطاب البوم: يا ولدى حذرتك دعوة الشيخ فأبيت فلا حيلة فيك اليوم.

ومنها أن امرأة أسر ولدها فأتت إليه فقال لها: ايتنى بقصعة من ثريد ولحم فأتته بها فدفعها لسلوقية كانت عنده ترضع أولادها فلما فرغت قال لها: اذهبى لموضع كذا من عدوة النصارى وايتينى بابن هذه المرأة فذهبت وجازت البحر فوجدته، فوجدته اشترى دوارة للنصرانية التى ملكته فخطفتها من يده وصار يتبعها خوفًا من النصرانية إلى أن عرضت له ساقية فقطعها وهى البحر ثم تبعها إلى أن دخلت به على أمه فى وهران وهذا قليل فى حق الأولياء.

ومنها أن السلطان أبا فارس عزوز بن السلطان أبى العباس أحمد الحفصى الملك العادل الذى قال فيه ابن عرفة: إنه كعمر بن عبد العزيز بحسب الزمان قد زحف من تونس بجنود عظام لتلمسان لأمر له فيه حق فرغبه ملكها أحمد العاقل بواسطة الشيخ أبى على الحسن أبركان بن مخلوف المزيلى الراشدى دفين تلمسان فبعث خديمه للشيخ الهوارى فى كف أبى فارس فقال الهوارى: مالى وللملوك، ولما اشتدت الرغبة والإلحاح دعا عليه وقد نزل آخر رمضان من سنة

---

(1) صاحب أثمد الأبصار فى آل النبى المختار، ومؤلفه، هو أبو عبد الله محمد الفاسى، وأما صاحب جواهر الأسرار فى معرفة آل النبى المختار فلم نهتد لصاحبه.

(ص15) سبع وثلاثين وثمانمائة[1] بفج السدر حذو جبل ونسريس[2] فمات/ فجأة ضحوة عيد الفطر فانتظره الناس لصلاة العيد حتى خشوا خروج وقتها فذهب ابنه للسرادق والفساطيط فوجده ميتًا فجعله فى محفة وانقلب إلى تونس وأخفى أمره، إلى غير ذلك من كراماته، وهو القائل لتلميذه: لا تخف من النار فإن صاحبى أدخله فى بطنى كى لا تراه النار، ولما سمع هذا القول بعده سيدى أحمد بن يوسف بن عباد بن مصباح الوامودى الراشدى قال: إن البطن تلقى ما دخلها وتطرحه وأنا أدخل صاحبى فى قلبى كى لا تمسه النار. اهـ. فانظر ما بينهما من البون فى المعنى.

وتوفى رحمه الله فى صبيحة يوم السبت ثانى عشر ربيع الثانى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة[3] فى وقت الملك أحمد العاقل بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى ووقت القائم عليه وهو أخوه أبو يحيى زكرياء بن أبى حم[4] موسى بن يوسف الزيانى وهذا القائم هو الذى اتخذ وهران دار ملكه وسكناه. وقول الحافظ أبى راس فى عجائب الأسفار: أحمد العاقل الذى جعل وهران دار ملكه سبق قلم، ولما مات الشيخ الهوارى دفن بوهران وضريحه بها مشهور مقصود للتبرك ويؤيده قول

---

(1) آخر شهر رمضان من عام 837هـ يوافق أوائل ماى 1434م.

(2) جبال الونشريس تكتب بالشين المثلثة فى الأول والسين المهملة فى الأخير، ولكن المؤلف كتب بالسين المهملة فى الوسط والأخير، وقد يكون سبق قلم منه أو من الناسخ، وتقع هذه الجبال (الونشريس) على الضفة الجنوبية لنهر الشلف، وتشرف على هضبة السرسو والهضاب العليا جنوبًا ويقابلها فى الضفة الشمالية لنهر الشلف سلسلة جبال الظهرة، وزكار المشرفة على ساحل البحر المتوسط، وتمتد من جبال الأطلس البليدى شرقًا على تيارات وفرندة وزمورة غربًا وتولى السلطان أبو فارس عزوز الحفصى السلطة بتونس من يوم 3 شعبان (796)هـ إلى 1 شوال (837هـ) (3جوان 1394م 11 ماى 1434م). وتولى السلطان أحمد العاقل السلطة بتلمسان من يوم 1 رجب 834هـ إلى ذى الحجة 867هـ (15مارس 1431، أوت 1463م)..

(3) يوم 12 ربيع الثانى عام 843 هـ يوافق 22 سبتمبر 1439م. وهذا التاريخ خطأ على ما يبدو لأن الشيخ الهوارى توفى يوم 2 ربيع الثانى وليس يوم 12 وذلك يوافق 12 وليس 22 سبتمبر .

(4) أبو حمو يكتب هكذا بالميم المضمومة، والمشددة بعدها واو، ولكن المؤلف اكتفى بالشدة والضمة، وحذف الواو، وهو خطأ فى الرسم طبعًا، وفعل نفس الشيء بكلمة الشيخ معاشو. فاكتفى بالضمة والشدة على الشين وحذف الواو.

العلامة أبى عبد الله محمد بن عبد المؤمن قاضى المالكية بالجزائر يحرض أمير وقته حسن باشا رحمه الله على غزو وهران فى قصيدته الهائية/ : (ص16)

نادتــــك وهــــران فلـــبِّ نـــداها وانـــزل بهـــا لا تقصـــدن ســـواها

واحلـــل بتلـــك الأبـــاطح والربـــى واســـتصرخن دفينهـــا الأواهـــا

إلخ. وأراد به الشيخ الهوارى نفعنا الله به، ولا تلتفت لمن يقول: إنه مدفون بسيدى المسعود بتارقة، وبسيدى سعيد بشافع، فإن ذلك من خرافات العامة[1] ولم يدخل النصارى الإسبانيون

---

(1) هناك عدة روايات متضاربة حول مدفن الشيخ الهوارى، فزعم كازاناف فى مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران عام 21926؛ بأن حوش الشيخ الهوارى المحاط بسور ما يزال موجودًا وقائمًا فى قرية بنى تالة قرب مدينة وهران ولكنه لم يحدد مكانه ومكان القرية بالضبط، وأورد المقدم ديديى فى الجزء الرابع من كتابه: وهران عام 1931م صورًا لأفراد أسرة زعم أنهم من أعقاب الشيخ الهوارى، عددهم أربعة، أخذت لهم يوم 9 أوت 1931م، وهم: الهوارى، وحامد، ومحمد، وبدرة، يحملون جميعًا لقب بن ستى البشر بن الهوارى. وروى عنهم بأن جدهم الشيخ الهوارى مدفون فى ضريح صديقه الشيخ سيدى سعيد بقرية حاسى الغلة غرب مدينة وهران على الطريق المؤدى إلى عين تيموشنت وتلمسان، وأما الضريح والمسجد الحاليان اللذان يحملان اسمه بوهران فقد اسسها حفيداه: الحاج حاجى ، وحمو بويعزار عام 1793م، وأى بعد عام من تحرير المدينة من الإسبان.

ومن أجل الزيادة فى التحرى، والتحقيق قمنا بزيارة إلى ضريح سيدى المسعود قرب قرية تارقة شمال قرية المالح على بعد حوالى 65 كلم من وهران صباح الخميس 5 ذو الحجة 1407هـ(30 جويلية 1978م)و لم نجد فى الضريح سوى قبر واحد، وبجواره مسجد صغير بدأ ينهار سقفه، ولكن هناك على بعد بضعة أمتار آثار لقبر داخل حويطة محاطة بثلاث جدران، ولم يحدثنا أحد لمن. ثم قمنا بزيارة لضريح آخر غرب قرية تارقة بحوالى أربعة كلم يحمل اسم سيدى الهوارى صباح الخميس 25 ذو الحجة 1407هـ (20 أوت 1987) ووجدناه داخل ضريح تهدم سقفه بفعل السلطات الاستعمارية خلال الثورة على ما قال لنا أحد الرجال هناك، وأكد لنا رجل آخر فى ثارقة بأن هذا الولى ليس هو الشيخ الهوارى والوهرانى، وإنما هو رجل آخر كان صديقًا وتلميذًا للشيخ بختى بن عياد دفين قرية سيدى بختى ببلاد غمرة شمال قرية حمو بوتليليس، كما أكد لنا بأن بنى تالة يوجدون بين قرية زفيزف، وحمام بو حجر ، قرب سيدى بلعباس، وأن سيدى شافع يوجد قرب قرية عين البيضاء بجوار حاسى الغلة على طريق حمام بوحجر. إن الحقيقة ضائعة بين هذه الأقوال والروايات، فالإسبان الذين احتلوا وهران ما يقر بمن ثلاثة قرون حولوها إلى محتشد للجنود الإسبان ولم يبقوا فيها أى أثر للمعالم العربية الإسلامية فكيف سلم قبر الشيخ الهوارى ومسجده من التخريب اللهم، إلا إذا بلغتهم دعوته عليها باحتلالهم لها، وعندما تحقق لهم ذلك كرموه بالإبقاء على قبره

لوهران فى حياته وإنما دخلوها بعد وفاته باثنين وسبعين عامًا لأن دخولهم إياها كان سنة أربعة أو خمسة عشر من القرن العاشر[1] وسبب دخولهم لها وتملكهم بها دعاء الشيخ الهوارى عليها وعلى أهلها؛ وذلك أن أهل وهران بغوا على ولده سيدى أحمد الهايج وقتلوه ظلمًا وعدوانًا بالمحل المسمى به للآن (كذا) وهو الهايج وواديه يقال له: واد الهايج[2] وادعوا أنه هايج عليهم بغير حق وسمع بذلك الشيخ وسكت فحرضته زوجته أم الولد على أخذ ثأر ولده بالانتقام من أهل وهران فلم يلتفت لها فذهبت إلى دجاجة كانت عندها ذات فلاليس صغار وأخذت فلوسًا منهم والشيخ ينظر فجاءت الدجاجة وصارت تضاربها على ولدها لتخلصه منها ولها صياح فقالت له: يا هوارى انظر لهذه الدجاجة كيف أخذتها الغيرة على ولدها وكيف بك لم تأخذك الغيرة على ولدك القتيل ظلمًا وعدوانًا فعند ذلك غضب الشيخ/ وقال لأهل وهران لأى شيء قتلتم ولدى (ص17) فإنه قرت (كذا) عينى وثمرة فؤادى وبضعة منى، فقالوا له: لأنه ارتكب ذنبًا وثبت عليه وقتلته الشريعة، فقال لهم: من حكم بقتله من ساداتها العلماء؟ فقالوا له: لا نحتاج (كذا) فى ذلك إلى حكم وإنما رأينا الشريعة قتلته فقتلناه فقال لهم: أنتم قلتم بزعمكم أن الشريعة قتلت ولدى الهوارى وأن الهوارى لا يجوز ولده لعدم تحقيق دعواكم وإن كان قولكم بزعمكم فى الظاهر مقبول. ففى باطن الأمر الذى لا اطلاع لكم عليه ولدى ناج وكلامه محمول. فأسلمها رحمه الله

وضريحه ومسجده، ولو أن هذه الدعوة مشكوك فى صحتها، لأنه مهما بلغ غضب الشيخ الهوارى على سكانها فلا يعقل بأن يرضى بأن يحتلها النصارى الكفار المسيحيون، وهو رجل مربى، وعالم وولى متصوف، وإلا فلا معنى لعلمه، وتدينه وتصوفه، وتزعمه لعلماء عصره.

والروايات العديدة المتواترة عن دفنه بوهران، يصعب تكذيبها خاصة وأنه عاش بها، وشهرت به، ونقل ذلك تلاميذه ومنهم الشيخ إبراهيم التازى وآخرون، ومع ذلك فالرأى الذى أورده ديديى جدير بالدراسة، والبحث والتدقيق والله أعلم فى الأخير بحقيقة الأمر. أما القاضى بن عبد المؤمن الذى حرض الباشا حسن على غزو وهران فقد توفى عام 1101 هـ (1690م) والقصيدة موجودة فى كتاب التحفة المرضية لابن ميمون ص (301-304)، ويوجد قسم منها بدليل الحيران للزيانى ص 43.

(1) تم احتلال الأسبان لمدينة وهران فى شهر صفر عام 915هـ (ماى 1909م).

(2) الواد الهائج لم نجد له أثرًا فى الخرائط، ولم نجد من يعرفه من كبار السن، ولكنه على أى حال يوجد ما بين وهران وسيق؛ لأن المزارى يتحدث عنه عند ذكره لحوادث المنطقة.

للنصارى لأنه سلطان مصرها، ومتولى أمرها، وكان من الذين لو أقسموا على الله لأبر قسمهم. ونص دعائه (روحى يا وهران الفاسقة، يا كثيرة الجور والبغى والطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة إنى بعتك بالبيعة الموافقة، لنصارى مالقة والجالقة، إلى يوم البعث والتالقة، مهمى (كذا) ترجعى فأنت الطالقة»، فلما قال الشيخ ذلك قال له بعض تلامذته الحاضرين لدعوته: أظنه الشيخ إبراهيم التازى «يا سيدى والفرج لاحقة»، فقال الشيخ «والفرج لاحقة» وحضر لدعوته على وهران الشيخ سيدى أبى الحسن على الأصفر التلمسانى وأنذر تلميذه الشيخ إبراهيم التازى أهل وهران بقصيدة تائية (كذا) مع ما انضم لتلك الدعوة من دعوة الشيخ/ أبى العباس سيدى (ص٦٨) أحمد بن يوسف الراشدى أحد الأولياء الكبار، والأتقياء الأخيار والأبرار، الهوارى وطنًا الوامودى أصلًا نفعنا الله بالجميع، آمين فإنه فى وقته ذهب مرة لوهران فعظمه أهلها أشد التعظيم فكتب قائدها للأمير أبى عبد الله الزيانى «آه رجل بأرض هوارة يخشى منه الملك فكتب الأمير إلى القائد: ابعثه إلىَّ أو اقتله لما أتى الشيخ أهله برأس الماء، بعث العامل لأمير هوارة أحمد بن غانم فى الشيخ فاطلع الشيخ على ذلك وارتحل من وطنه وقال: شوشونا شوشهم الله من البحر والبر فلم يك إلا قليل حتى شوش الله بنى زيان من البحر بالكفرة فأخذوا وهران ومن البر الأتراك فأخذوا تلمسان فذهب الشيخ قاصدًا بنى غدو فاعترضه محاربون من سويد[1] فقبض على ثلاثة أحجار من الصم وحكهم فى يده فصاروا رمادًا وقال لهم: إن تعرضتهم لنا يسحقكم الله مثل هذه الأحجار فأتوه تائبين مذعنين. وذكر الشيخ صالح القلعى أن له حينئذ ابنت (كذا) اسمها عائشة، وتوفى رحمه الله سنة إحدى وثلاثين على ما للحافظين: أبى راس والصباغ، وأربعة وعشرين على ما للحافظ الغول فى وافيته، اللامية، من القرن العاشر[2] وقبره

---

(1) بنو غدو قبيلة قرب قلعة هوارة شرق مدينة معسكر التى تعرف اليوم بالقلعة، وعرفت قبل ذلك بقلعة سيدى راشد. وسويد قبيلة مشهورة تقطن بالمنطقة الممتدة بين مستغانم والأصنام، وتحدث عنها ابن خلدون كثيرًا فى تاريخه، كما تحدث عنها صاحب القول الأعم، ويطلق عليها حاليًا اسم المحال.

(2) توفى أحمد بن يوسف الراشدى الملياني عام 927هـ(1521م) حسب رواية الحفناوى، وهى رواية تتوسط الروايتين اللتين أوردهما المؤلف عن الصباغ القلعى، والحافظ الغول، وهو صوفى شاذلى الطريقة، ساعد عروج وخير الدين على الاستقرار بمدينة الجزائر، وترجم له كثيرون، وألف عنه قاضى قلعة الاستقرار

بمليانة من أعظم المزارات، وله كرامات لا تحصى منها أن شابًا قال له أطعمني مشماشًا وذلك فى زمان الشتاء وبإزائه شجرة فهزها الشيخ فتساقط منها المشماش، فتاب الشاب وحسن (ص19) حاله/ ومنها قضيته مع المحاربين المتقدمين (كذا) الذكر، ومنها أن أمير تلمسان أبا حم سجن الشيخ بتلمسان وفعل له دجاجة ميتة على الطعام وأخرى مذكاة فقال: هذه حلال وهذه حرام، وبعث الأمير الذباح فدخل البيت الذى فيه الشيخ لم يجد أحدًا قال الشيخ وأنا أنظر إليه فرجع وقال: لم أجد أحدًا، فرده ثانيًا وثالثًا ولم يجد أحدًا، ثم أتى الأمير بنفسه فلم ير شيئا وأخذ الله بأبصارهم، ولما رجع الأمير لقصره بعث للشيخ بالتسريح. فقال الشيخ للرسول: لا أخرج حتى نخرجا (كذا) جميعًا، ثم بعد أيام قدم المسعودى حاركًا على أخيه فهرب أبو حم لوهران وولى المسعودى فحينئذ خرج الشيخ بلا إذن لتوكله على مولاه. ومنها أن خديمة على بن أحمد الكثيرى كان أبوه خديم الشيخ عبد الرحمن الغلامى وتفاخرا فأرى الأب لابنه الكعبة تلعب بأستارها فذهب الولد للشيخ وأخبره فقال له: اذهب قد أعطاك الله الدنيا والآخرة فكثر ماله، ومنها أن بعض أصحابه قالوا عن الشيخ الثعالبى أنه قال من رءا (كذا) من رآنى لا تأكله النار على ثلاثة فقال الشيخ: وأنا إلى عشرة، ومنها أنه أخبر بإمارة الأمير محمد بن على تلمسان قبل أن يكون فكان كما قال. ومنها أن الشيخ على الندرومى كان (كذا) له منزلة فى الولاية وتأتيه الناس فاعترض على الشيخ فسلب . وقال الشيخ يحيى بن على المغراوى القاطن بمسراتة: شاهدت الرجل تضحك منه العامة، ومنها/ ما حدث به محمد بن الهوارى المسراتى أن الشيخ كان (ص20) بكرشتل[1] قبل أخذ النصارى وهران فإذا بعروج التركى رسى سفينته بالقرب منه وكان مع

هوارة محمد الصباغ القلعى كتابًا بعنوان: بستان الأزهار فى مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيد أحمد بن يوسف الراشدى النسب والدار. وطبعه محمد بن عبد الله الهاشمى بالجزائر عام 1927 ضمن كتاب: جواهر الأسرار. والوامودى نسبة إلى قرية وامود بتوات.

(1) قرية كريشتل تقع على بعد حوالى عشرين كلم من وهران شرقًا على ساحل بحرى صخرى فى سفح جبل كسيكسو، وتشتهر بحقولها وخضرواتها وثمارها خاصة، التين، والرمان، وبمياهها العذبة المتدفقة من الصخر وسوقها الذى يتدفق عليه الناس بسياراتهم للتسوق، ومصيفها الجميل على الشاطئ، وبها ميناء صغير لصيد الأسماك وقد ترددنا عليها مرات عديدة للفسحة والتسوق مع أفراد العائلة، ومع الأحباب والأصدقاء من الأساتذة.

عروج رجل مراكشي شجاع فقال لعروج: سر بنا نتبرك بهذا الشيخ فقال عروج: إن خرج على ما فى ضميرى فذهبا وسلما على الشيخ فقال لعروج: أنت عزمت على الغدر بأصحابك فقبل رجل الشيخ فقال المراكشى: قل لعروج يطلقنى فسرحه ودعا له وقال: إن أصابك هول فى البحر فقل: يا أحمد بن يوسف فأغيثك [1]، ومنها أن شيخه زروق قال له لك ثلاثة أرباع الدنيا وشاركت الناس فى الرابع إلى غير ذلك من كراماته وهو شريف حسنى نص عليه صاحب كتاب الاعتبار، وصاحب كتاب أثمد الأبصار [2].

ومنهم الشريف الحسنى الذى علمه بمنزلة الرازى، تلميذ الهوارى أبو إسحاق الشيخ إبراهيم بن على بن مالك التازى، نص على شرفه بالإجهار صاحب جواهر الأسرار، وصاحب أثمد الأبصار، وصاحب كتاب: الاعتبار، وله ولشيخه نسل مبارك. كان رضى الله عنه ريحان الدين والأدب، وإكسير اللجين والذهب فقيهًا بارعًا علامة جامعًا مع حسب وفضل، وسخاء وعدل، نزاهة وأمانة وعفة وديانة، فهو نبيل جليل، ذو معارف وتحصيل، محدث لغوى، بيانى، أصولى، نحوى، صوفى، سنى، بديعى معانى، خاشى خاشع حجة لا يدافع إمام العباد، وملحق العوام بالأفراد، والأحفاد بالأجداد من أكابر الفقهاء والمحدثين، وجهابذة العلماء الراسخين الوارثين الموروثين،/ وكان جامعًا بين العلم والعمل، والزهد والورع والفضل والكمل (كذا) ذا (ص21) تصانيف صحيحة، وقصائد ظريفة مليحة، وخطب بديعة، ومنح صنيعه، عارفًا بالأولياء وأخبارهم، وأيام العرب وأشعارهم، والأدب والأدباء ونوادرهم والبلغاء ومواردهم ومصادرهم، صاحب اللسان، حافظًا للحديث وفصوله، بصيرًا فى الفقه وأصوله، له خط رايق،

---

(1) المعروف أن عروج وخير الدين استقرا بمدينة الجزائر عام 1516م، والإسبان احتلوا وهران عام 1509. وحسب هذه الروية فإن عروج كان يرتاد الشواطئ الغربية قبل سقوط المدينة فى أيدى الإسبان ولا غرابة فى ذلك؛ لأن الأخوين استقرا فى جربة وشواطئ تونس منذ عام 1502 تقريبًا، ودخلا فى صراع محموم ضد القراصنة الإسبان والأوربيين فى كل حوض البحر المتوسط الغربى، وشاركا فى إنقاذ عشرات الآلاف من مسلمى الأندلس المطرودين والمطاردين.

(2) صاحب كتاب الاعتبار والتعريف بآل النبى المختار، هو الشيخ أحمد العشماوى، كما ورد فى كتاب حاشية رياض النزهة للشيخ بلهاشمى بن بكار ص 147.

وحفظ فايق، لا يعادله فى فهمه وحفظه سابق ولا لاحق، معروفًا بجودة النظر وثقوب (كذا) الفهم فى جميع الحقائق، لا نظير له فى التمكن والمعارف وبلوغ الدرجات العليا، والهمة التى نيطت هامتها بالثريا لا يقوم بمعرفة كلامه فى التصرف ومعانى العرفان إلا من تمكنت معرفته، وذاق من طعم الحب ما توفرت به مادته. وكان له تصرف فى الولايات وكرامات، وأمور باطنية وخوارق عادات. فله كرامة عجيبة، وأحوال غريبة، وكلام موشح بالحكمة فى غاية الاقتباس، وقصائد جليلة مشهورة عند الناس. وكان شديدًا على الملحدين، لين الجانب على المتقين والمرشدين. وصار يضرب به المثل حتى إذا بالغ أحد فى وصف غيره قال: كأنه التازى الأكمل، وإذا امتلأ غيظًا، قال: لو كنت فى منزلة إبراهيم التازى ما صبرت لهذا ولو لحظًا، فهو ممن أظهره (ص22) الله/ لهداية الخلق، وألحقه برود المحبة والمهابة عند الخاصة والعامة بالأسبق.

وكان أحسن الناس صوتًا وتجويدًا، حتى إنه إذا قرأ البخارى أيام مجاورته لمكة انحاش (كذا) الناس إليه، ويسألون (كذا) منه مزيدًا، وانتشر صيته إلى مشارق الأرض ومغاربها، ومباعدها ومقاربها، حتى حدث عنه من يوثق به أنه وجد بمكة المشرفة تأليفًا مشتملًا على قصائد تتعلق بطريق القوم من تأليف الشيخ المذكور، ومع ذلك أن بائعه عراقى مشهور[1]، وكان الوازعى يقول للطلبة: هذا عالمكم وصالحكم فهو ذو العز الشامخ، لبس الخرقة، عن المراغى، والشيخ صالح الزواوى بسنده إلى أبى مدين شعيب شيخ المشايخ، وأخذ بمكة عن تقى الدين الفاسى الحدوسى، وبالمدينة عن أبى بكر القرشى، وبتونس عن الحافظ العبدوسى، وبتلمسان عن ابن مرزوق الحفيد السارى، وبوهران عن الشيخ محمد الهوارى، فتلمذه ولازمه؛ فنال بركاته

(1) لقد أورد الحفناوى فى تعريف الخلف حوالى سبع مقطوعات شعرية للشيخ إبراهيم التأزى فى الوصف، والمدح، والتصوف، بعضها طويلة ، والبعض قصيرة، ولهذا ليس غريبًا أن يوجد كناش له فى قصائده الصوفية لدى أحد الباعة فى مكة،وله قصيدة مشهورة فى التصوف تعرف بالموردانية بدأها بقوله:

مـــرادى مـــن المـــولى وغايـــة آمـــالى   دوام الـــرضى والعفـــو عـــن ســـوء أحـــوالى

ومقامه وقاومه، إلى أن كان في غالب أمره في طريقه يذهب، وعلى قالبه في جميع أحواله يضرب[1].

قال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار: لما حكي ما للتازي من المآثر الكبار، وأني رأيت في تأليف منسوب له أنه بعث من وهران إلى أهله بالمغرب مكتوبًا بلفظ موجز موضوح (كذا) يقول فيه: فقد ظهر فضل الشيخ عليّ والحمد لله أني أدرس في مختصر الشيخ خليل ولا أحتاج لنظر شروح.

قال القلصادي لقيت إبراهيم التازي خليفة الهواري بوهران، وله اعتناء/ بكلام شيخه في السر والإعلان. اهـ.[2] وقد أخذ عنه جماعة ففازوا بنيل خيرهم منهم التونسي، والحافظ (ص23)

شرحها محمد الصباغ القلعي في القرن العاشر الهجري (16م) وسمى شرحه عليها: شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد، وما يزال مخطوطًا، وقد ترجم للتازي معظم من ترجموا لشيخه الهواري. وهو من بني لنت في تازة بالمغرب الأقصى.

(1) الوازعي هو أبو زكريا يحيى الوازعي من علماء وأولياء مدينة تازة، أشرف على تربية وتعليم إبراهيم التازي في صغره، ورعاه وحفظه القرآن الكريم وعددًا من المتون، والمزاغي هو شرف الدين الداعي، والحدوسي هو تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي الذي نبغ في الفقه، وتولى قضاء المالكية، وبمكة بعد أن هاجر إليها والقرشي هو أبو الفتح ابن أبي بكر إمام الأئمة، والحافظ العبدوسي هو أبو القاسم عبد العزيز العبدوسي الفاسي الذي هاجر إلى تونس واستقر بها. أما ابن أخيه عبد الله العبدوسي فلم يهاجر إلى تونس بل عاش بفاس. وتوفي بها، والزواوي هو أبو محمد الشيخ مجد الدين صالح بن محمد الحسني الزواوي، ولد ليلة الأربعاء 12 رجب 760هـ (9جوان 1350م) وتوفي يوم 16 رجب839هـ(4 فيفري 1436م) وأما أبو مدين شعيب بن الحسين دفين العباد بتلمسان فهو أشهر من أن يعرف، وترجم له أغلب الكتاب والباحثين المسلمين والمستشرقين قديمًا وحديثًا وتوفي عام 595هـ (1199م) وأما محمد بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني فهو أحد علماء المرازقة الستة، ولد بتلمسان ليلة الاثنين 14 ربيع الأول عام 766هـ (9ديسمبر 1364م) وتوفي بها يوم الخميس 14 شعبان 842هـ (30 جانفي 1439م) وهو عالم متضلع في العلوم والمعارف الإسلامية، وتخرج عليه جيل من العلماء، وألف في كثير من الأغراض، وترجم له كثيرون أمثال: ابن مريم في البستان، والحفناوي في تعريف الخلف، والتنبكتي في نيل الابتهاج، والمازوني في نوازله، والقلصاوي في رحلته، والحافظ التنيسي، والثعالبي، والسخاوي في الضوء اللامع، ودائرة المعارف الإسلامية، عن أبي مدين، وعلماء المرازقة انظر كتابنا: أعلام الفكر والثقافة بمدينة تلمسان (تحت الطبع).

(2) علي بن محمد بن علي القرشي، البسطي ، الشهير بالقلصادي، رحالة أندلسي كبير، كثير التجوال، ألف في كثير من الأغراض الدينية، العلمية وكالحساب والفرائض، انتقل من بلدته بسطة إلى غرناطة، ثم إلى

التنسي[1] والتالوتي[2] وزروق[3] والسنوسي [4] إلى غير ذلك من غيرهم. ولما مات شيخه الهواري رضي الله عنهما قام بوهران مقامه، وتقلد حسامه، ونصب راية العلوم وشيد بنيانها، ورفع قواعدها

تلمسان حيث تتلمذ على عدد من علمائها ومنهم ابن مرزوق الكفيف، وبعد ذلك رحل إلى المشرق عبر الجزائر وتونس ، وطرابلس، ومصر. وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى غرناطة ولم تسعده الظروف فرحل عنها إلى تونس، وأدركته الوفاة في مدينة باجة التونسية في منتصف شهر ذي الحجة عام 891هـ منتصف ديسمبر (1486م)، ومن أهم كتبه رحلته التي قام بتحقيقها الأستاذ التونسي الفاضل أبو الأجفان الذي راسلني عدة مرات في شأن تحقيق بعض الأسماء والأماكن بتلمسان ذات الصلة بها، وقد ترجم له ابن مريم، والسخاوي، والمقري، وأبو راس، وغيرهم.

(1) لم ندر من هو التونسي الذي يعنيه، أما التنسي فهو محمد بن عبد الجليل التنسي الملقب بالحافظ ولد بمدينة تنس بين شرشال ومستغانم، وانتقل إلى تلمسان وتتلمذ على ابن مرزوق، وقاسم العقباني وابن الإمام، والنجاري، وإبراهيم التازي، وتبحر في العلوم والمعارف حتى قال فيه أحمد بن داود الأندلسي: العلم مع التنسي. والصلاح مع السنوسي، والرياسة مع ابن زكري، ومن أهم مؤلفاته: نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، وقد انتصر للعالم المجاهد عبد الكريم المغيلي في قضية يهود توات وتمنطيط وتوفي في شهر جمادى الأولى عام 1899هـ (فيفري مارس 1494م) وترجم له أحمد بابا، وابن مريم، وغيرهما.

(2) علي بن محمد التالوتي هو أخو الشيخ محمد بن يوسف السنوسي من أمه، تتلمذ على الحسن أبركان. ودرس عليه أخوه من أمه الشيخ السنوسي. توفي في صفر عام 895هـ (ديسمبر 1489- جانفي 1490م)، وترجم له ابن مريم، والحفناوي وغيرهما.

(3) أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي الشهير بزروق، ولد صباح الخميس 28 محرم عام 846هـ (17/ ماي/ 1444م) وتنقل بين تلمسان، وبجاية وقسنطينة، للدراسة والتحصيل، وتتلمذ على الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وألف عدة كتب في علم التصوف وشرح عدة منظومات منها: منظومة الوغليسية للشيخ عبد الرحمن الوغليسي في الفقه المالكي، وقد حاول أن يوفق بين التصوف والفلسفة، وحج عدة مرات، وأدركته الوفاة في قرية تكرين بضواحي مسراته قرب مدينة طرابلس الليبية في شهر صفر عام 399هـ (نوفمبر -ديسمبر 1493م). فدفن هناك وبُني على قبره ضريح يحتفل به الناس كل سنة. وفي عام 1979م، احتفل المصراتيون بذكرى مرور خمسمائةعام على وفاته وكنت آنذاك بمدينة طرابلس أشارك في ملتقى دولي حول تجارة القوافل الصحراوية نظمه مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ولاحظت تهجم الإذاعة على فكرة الاحتفال بمثل تلك الشخصيات وذكرياتهم، وكذلك الصحافة.

(4) محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني، ولد بتلمسان بعد عام 830هـ (1426م)، ونشأ بها واشتهر بتبحره وتضلعه، وتخصصه في علم التوحيد، والتصوف ، وألّف متون السنوسية: الكبرى والصغرى، والوسطى، التي كانت تدرس في القرويين، والزيتونة، والأزهر، وقسنطينة، والجزائر، وفاس،

ودعم أركانها، فابتهج به المحل والأوان، وحاز رئاسة الفضل بثغر وهران، فهو المطاع وليس بذى سلطان، والنافذ الكلمة من غير أعوان.

وهو الذى جلب الماء العظيم لوهران، وقد جمعه لها من محالة بغاية الصيانة، فاخترعه بتدبير عجيب وابتدعه بتوفيق من الله والإعانة، قد كان أهل وهران قبل ذلك فى غاية الإهمال، بحيث تذهب المرأة بكرة لسقى الماء، فلا تروج لبيتها إلَّا بعد الزوال لكون الماء بيض قليلًا قليلًا وعليه نوبة وزحام، ويقال إنه لما وصله للموضع المعروف برأس العين من وهران طلسم عليه؛ فلا يعرف من أين مجيئه (كذا) باحتكام، وبديع تدبيره لمائه يدل على عظيم فراسته ودهائه، وكان يقترض الدراهم الكثيرة من التجار بتحقيق المسالك، ويصرفها فى إصلاح هذا الماء فلا يدرى من أين يوفى ذلك. ولما أتم بنيانه، وصوب ميزانه، وأرصد مكانه، وأفخم عرفانه، أخرج الأطعمة المختلفة الألوان، فشبع كل من كان بثغر وهران، وكان ذلك/ اليوم مشهودًا، ومن (ص24) المواسم والأعياد معدودًا، فقيل له: من أين أخرجت هذا الطعام وما صرفت على الماء وأنت فقير بالعيان؟ فلست من الملوك ولا من الأغنياء الأعيان، فقال: مساعدة الزمان ومساعفة الإخوان، فعل بهما كل ما كان. وكان جمعه له قبل موته بأمد فى الشايع؛ لأنه توفى رحمه الله فى تاسع شعبان سنة ست وستين من القرن التاسع[1]، أيام السلطان مولانا أبى عبد الله المتوكل الزيانى رحمه الله، وأسكنه دار التهانى، ودفن بالقصبة الخلانصة، كما دفن شيخه الهوارى بالبلانصة، وبقى بضريحه خمسين عامًا، ولما ملكها الإسبانيون فى المرة الأولى سكن بعضهم عند قبره؛ فراء (كذا) ما يكرهه التزامًا، فأخبره بطريقهم بتلك القضية، وقد وافق قدوم أهل القلعة عليه بالضريبة، فأمرهم بأخذه؛ فأخذوه بفرح وسرور، ودفنوه بمدينتهم؛ فضريحه بها مزار مشهور، وعليه قبة عجيبة،

وفى معظم المعاهد والزوايا العلمية لغاية نهاية عقد الستينات من هذا القرن العشرين الميلادى. واشتهر بتزعمه لمدرسة تلسمان الصوفية، وتوفى يوم الأحد 18 جمادى الثانى عام 895هـ (18 أبريل 1490م)، ودفن بمقبرة العباد، وما يزال قبره وضريحه قائمين، كما أن مسجده ما يزال أيضًا قائمًا حتى اليوم فى حى القيصرية بتلمسان، وقد ترجم له ابن مريم وأحمد بابا، والحفناوى، ودائرة المعارف الإسلامية.

(1) يوم 9 شعبان عام 866هـ يوافق 9ماى 1462م، والسلطان الزيانى أبو ثابت أبو عبد الله محمد المتوكل حكم فى الفترة من 10 جمادى الأولى 866هـ إلى عام 890هـ (1فيفرى 1462-1485م).

وله مناقب كثيرة غريبة، ولا زال على محل ضريحه بوهران تحويط من الحجر[1] مقصود للتبرك به عند الخميل، والأشهر وفيه وفى شيخه الهوارى قال الحافظ أبو راس فى سينيته:

فى رقـــتهم كـــان قطبهـــا وعالمهـــا	محمـــد ذى المقـــدار العـــادم الحجـــس
خلفـــه مـــن بعـــد موتـــه تلميـــذه	إبـــراهيم الـــذى كـــان يسمو عـــن بـــرجيس
وأتـــت لهـــا لمـــا حـــج أهـــل مشرقنـــا	بـــل أقصـــا ذاك كأهـــل طـــوس مـــع قـــومس
جلـــب مـــاء إليهـــا فيـــه منفعـــة	لـــذلك الثغـــر بأبـــدع مقتـــبس

(ص25) / ومنهم العلامة الشريف الذى أغنى عن التعريف به ما له من شهرة وخمرة، سيدى بختى بن عياد دفين بلاد غمرة[2] قد جمع الله له بين العمل والعلم وجودة النظر وثقوبة بالفهم (كذا)

---

(1) لا يوجد حاليًا هذا التحويط، وذكرت لنا ما المقدمة التى تحرس ضريح الشيخ الهوارى بأن هذه التحويطة كانت فى ساحة المسجد على اليمين حيث بيوت الوضوء والأدواش التى أنشئت حديثًا بعد استعادة الاستقلال الوطنى عام 1962، وأغلقت بجدار خلال الترميمات التى أجريت للمسجد، ولسنا ندرى مدى صحة ذلك، والمفروض أن يكون مدفونًا داخل ضريح شيخه قبل أن ينقل، والبلانصة هى المدينة بالإسبانية ويقصد بها وسط المدينة وهو قلب القصبة، أما الخلانصة فيبدو أنها لا معنى لها وأتى بها لملاءمة فقرة السجع، وقد زار الرحالة المصرى عبد الباسط خليل ، وهران عام (811هـ)(1408-1409م)، والتقى بالشيخ الهوارى وإبراهيم التازى وترجم لها.

(2) الشيخ بختى بن عياد معاصر للشيخ الهوارى، وتتلمذ عليه وعلى الشيخ الحسن أبركان التلمسانى، وهو الذى حمل رسالة الأخير إلى الشيخ الهوارى بوهران فى قضية الوساطة بين أمير تلمسان أحمد العاقل، والسلطان الحفصى أبى فارس عزوز الذى كان يقود جيشًا لغزو تلمسان، وكان الشيخ الهوارى فى البداية يرفض الوساطة، ولكن الشيخ بختى أكد له بأن الشيخ الحسن أبركان هو الذى أرسله إليه؛ فسر وزالت عنه الحسرة والتقطيب، وقال للشيخ بختى: قل لشيخك ليؤكد للأمير عدم وصول السلطان إلى بلاده إلى آخر القصة.

وقد قدم أحمد العاقل الزيانى جائزة بعشرة دنانير إلى الشيخ بختى بعد أن نجاه الله من ذلك الغزو المتوقع عليه وعلى إمارته، وأورد القصة بتفاصيلها ابن مريم فى البستان ص(231-232).

وعندما توفى الشيخ بختى فى تاريخ لا نعلمه خلال القرن التاسع الهجرى (15م)، دفن فى قرية تحمل اسمه اليوم على بعد خمسة كيلومترات من قرية غمرة غربًا، واثنى عشر كيلومترًا من قرية حمو بوتليليس شمالًا، واثنين وأربعين كليو مترات من وهران غربًا، وقد زرت هذه القرية صباح الخميس 25 ذو الحجة 407هـ (20 أوت 1987) للتعرف على المكان، ووجدت هناك ضريحين اثنين واحد للشيخ بختى الصغير بجوار

والنجابة وذكاء القريحة، والديانة وكثرة النصيحة، فانتفع به خلق كثير، فهو من الأولياء المشاهير، وكان رضى الله عنه من أهل القرن التاسع[1] فهو القطب الربانى، فى زمان الملك أحمد العاقل بن الملك أبى حم موسى بن يوسف الزيانى. فاجتمع بالشيخ محمد الهوارى وتلمذه وأخذ عنه فانتفع بعلوم دينية ولدنية منه. ونال بركاته فى القول الخفى فكان من المفتوح لهم فى كل شىء، وكانت له صحبة جسيمة، ومحبة عظيمة، مع الولى الزاهد، القطب الغوث الماجد، شيخ الزهاد، وقدوة العباد، كثير المعانى، وصاحب أسرار الأسماء والحروف، أبى على الحسن أبركان بن مخلوف المزيلى الراشدى دفين تلمسان وأحد ساداتها الأعيان[2] لأخذهما معًا عن من اشتهر عن وصف الواصف، الشيخ محمد بن أعمر الهوارى، العلوم وأسرار المعارف فتلمذه له وخدمه بالنية والتصديق، إلى أن نال منه سرًّا عظيمًا بالتحقيق، وكان سيدى بختى من الشرفاء الحسنيين أولاد أبى عنان الأخيار، نص على ذلك صاحب جواهر الأسرار.

ومنهم القطب الكامل، العامل الواصل، العالم الفاضل، قامع أهل الضلالة واللصوص/(ص26) أبو عبد الله سيدى محمد بن يبقى دفين جبل أبى عروص كان رحمه الله من أهل القرن التاسع[3]،

القرية دخل مقبرة صغيرة، والثانى للشيخ بختى الكبير على بعد حوالى ثلاثة كيلو مترات من شمال القرية وهو الذى يحتفل به كل سنة.

ولكن أحد الرجال هناك قال لى خلال الزيارة: بأن الناس كانوا يقيمون الاحتفال فى الضريح الذى بجور القرية، ولكن المشاجرات التى تحصل باستمرار، وقتل البعض خلالها، جعل الناس ينقلون الاحتفال إلى الضريح البعيد عن القرية.

(1) القرن التاسع الهجرى يقابله القرن الخامس عشر الميلادى.

(2) الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلى الراشدى، أبوعلى الشهير بأبركان، يعتبر من أكابر علماء تلمسان، عاصر الشيخ الهوارى وإبراهيم التازى، وهو الذى توسط لسلطان تلمسان أحمد العاقل لدى الشيخ الهوارى، عندما زحف السلطان الحفصى أبو فارس على تلمسان عام 837هـ (1434م) وقد توفى بتلمسان ودفن بها فى آخر شهر شوال عام 857هـ (أول نوفمبر 1453م). وترجم له ابن مريم، والحفناوى، والجيلالى وغيرهم.

(3) جبل عروص الذى يسميه الناس بو عروص، يقع شمال قرية قديل فى سفح الكتلة الجبلية الضخمة التى تقع بين وهران وأرزيون، ويقع فى سفحها الغربى جبل كسيكسو، وقرية كريشتل، ويقع فى سفحها الشرقى جبل عروص وقرية سيدى محمد بن يبقى، وقرية قصيبة، أما ضريح الشيخ وزاويته فتقع فى عمق الجبل على بعد

وله جلاله وعظامة وسر نافع، وعلى ضريحه مشهد عظيم مزار، مقصود للتبرك به وقضاء المآرب (كذا) فى الليل (كذا) والنهار.

ومنهم العلامة الأكبر، والكبريت الأحمر، من جمع الله له بين العلم والعمل، ونار وقته وسعد به المكان والمحل، الشريف الحسنى الذى سره وعلمه كالماء الجارى، يجرى، الشيخ غانم بن يوسف الملقب التركى الغمرى، دفين جبل ماخوخ[1] من بلاد أولاد على أحد بطون بنى عامر، فظهر فضله وكثر سره فهو لكسير جابر. وكان من أهل القرن التاسع ومات بالعاشر واجتمع بالشيخ أبى العباس أحمد بن يوسف الراشدى المليانى ذى السر الناشر، نص على شرفه

حوالى ثمانى كيلومتر غربًا وقد زرتها صباح يوم الأحد 21 ذ و الحجة 1470هـ (16 أوت 1987) ووجدناها مغلقة ثم لما عدنا إلى القرية التى تحمل اسمه دلنا البعض على منزل المقدمة زينب حفيدة الشيخ التى ولدت وتربت هناك هى وأبوها وجدها، وتفتح الضريح والزاوية للزوار، كل يومى الخميس والجمعة من كل أسبوع، وذكر لنا أن خادمة الشيخ التى دفنت هناك بجوار الضريح خارج القبة جىء بها من السودان. وكان الشيخ محمد بن يبقى معاصرًا للشيخ الهوارى والشيخ بختى بن عباد، ولا يستبعد أن يكون قد تتلمذ هو الآخر على الشيخ الهوارى. وعاش فى القرن التاسع الهجرى (15م) ولا ندرى التاريخ الذى توفى فيه.

(1) جبل ماخوخ يقع جنوب وهران على الحافة الجنوبية لسهل ملاتة، وسبخة وهران الكبيرة، وتقع قرية الطافراوى فى سفحه الشمالى على بعد حوالى خمسة أو ستة كيلومترات. وقد أسست قرية وبلدية جديدة بعد استعادة الاستقلال الوطنى عام 1962 أطلق عليها اسم: سيدى غانم. ويحتفل سنويًا بذكراه فيما يعرف بالوعدة، كما حصل هذا العام (أوت 1987) وقد أدرك القرن العاشر الهجرى (16م) ومات به، وله ذكرى فى كثير من رحلات الرحالة المغاربة الذين كانوا يمرون بالمنطقة خلال ذهابهم وإيابهم من ا لحج، حيث كانوا يزورونه، ويتحاورون معه، وهذا يدل على شرفه، وعلمه، تقواه، وقد تحدث عنه أحمد العشماوى فى كتابه السلسلة الوافية، والياقوتة الصافية، وأثبت صحة نسبه إلى الأشراف الأدارسة، وقد قمت شخصيًا بزيارة ضريحه صباح يوم السبت 27 ذى الحجة 1407هـ (22 أوت 1987م) للتعرف على المكان والتثبت من بعض المعلومات، ولكن لا أحد يعرف شيئًا، وحتى اسم جبل مأخوخ لا يعرفه الناس حاليًا إطلاقًا ولم يسمعوا به فمقدم الضريح الذى يبلغ عمره أربعًا وثمانين عامًا لم يسمع فى حياته بهذا الاسم، علمًا بأن صاحب المخطوط كان ما يزال حيًا فى نهاية القرن التاسع عشر، وهو الذى أورد الاسم. أما أولاد على فبعيدة عن موقع ضريح وقرية سيدى غانم إلى الشرق بحوالى عشر أو اثنى عشر كيلومترًا وتقع على الطريق العام بين سيدى بلعباس جنوبًا وزهانة ووادى تليلات شمالًا. وهذا يدل على عدم التدقيق فى تحديد الأمكنة والأزمنة، وكان ذلك مصدرًا للأخطاء التى يقع فيها الناقلون والناسخون والمحققون.

أبو عبد الله محمد الفاسي في كتابه -إثمد الأبصار- فهو من السادات الأولياء العلماء الأبرار، وكان معاصرًا للذي له في العلم والشرف والولاية قدم رسوخ (كذا) سيدي معاش بن أحمد الكثيري، دفين ثنية ماخوخ[1] وأصل مسكن سيدي غانم ببني وراغ؛ فسمع به الأحلاف فرقة.

منهم بأنه عنده شاة من الضأن مسمنة منذ ثلاث سنين، فقدموا إليه بطغيانهم وأمروه بذبحها لهم؛ فسألهم غيرها؛ فأبوا لما أراد الله بهم الانتقام المكين. فذبحها لهم واحتسب وبش في وجوهم وانطرب، ولما فرغوا من الأكل وأرادوا الانصراف.

أنشأ يقول: حاف حاف طاح الكاف على الأحلاف، فلا ينجو منهم إلى الأعمى والزحاف، فذهبوا نحو كاف الوادي وناموا في ظله/ من شدة الحر فسقط عليهم ذلك الكاف وماتوا ولم (ص27) ينج منهم إلا من كان أعمى أو زحافًا كما قال.

(1) ثنية ماخوخ التي دفن فيها الشيخ معاشو تعرف اليوم باسم: عين البرد، وكان الاستعمار الفرنسي قد أطلق عليها اسم واد أمبير وتقع على الطريق العام الذي يتجه إلى سيدي بلعباس البرى، والحديدي، ولا تبعد عن قرية أولاد على شمالًا إلا بضعة كيلومترات كما لا تبعد كثيرًا عن مدينة سيدي بلعباس، ويوجد ضريح الشيخ معاشو في ربوة عالية بأعلى القرية قرب سفح الجبل في منقطة فلاحية هامة وخصبة، وحسب مقدم ضريحه الحالي فإنه كان متزوجًا من بنت الشيخ محمد بن عمر الهواري الوهراني، فهو صهر ومعاصر له، ومن أهل القرن التاسع الهجري (15م) ولربما عاش إلى العاشر (16م). مثل الشيخ غانم وحسب الشيخ عبد القادر الزبير أحد أحفاد الشيخ غانم فإن هناك صراعًا وتنافسًا بين أتباع الشيخ معاشو، والشيخ غانم على النفوذ والسلطة الدينية، والمركز العلمي، وقد زرت ضريح الشيخ معاشو صباح السبت 27 ذو الحجة 1407هـ (22 أوت 1997م) للتعرف على المكان والتثبت من بعض المعلومات ولكن لا أحد يعرف شيئًا حتى مقدم الضريح الذي هو أمي كذلك. ومن غرائب ما لاحظناه قيام الناسب بإحاطة قبور موتاهم بشبابيك حديدية، مما يصعب معها زيارة أي قبر، يضاف إلى هذا التبذير في الحديد المطلوب لصناعات أخرى، وفي الأحوال التي يتم بها صنع تلك الشبابيك الحديدية.

ورغم أن الشيخ معاشوا هذا كان عالمًا إلا أنه لا يتم تعليم الأطفال حتى القرآن الكريم في زاويته، وهو ما لاحظناه كذلك في زاوية الشيخ غانم، والشيخ بختي، والشيخ ابن يبقى، والشيخ المسعود، وغيرهم من العلماء الذين رزنا مدافنهم وأماكن استقرارهم ومثواهم.

ثم ارتحل وجاء عند أبيه بمستغانيهم؛ فسكن بغربها بحشم دراوغ إلى أن توفى أبوه سيدى يوسف الشريف فدفنه بالمطمر من مدينة مستغانم[1].وفى التوسل بوالده، وسيدى عبد الله بن خطاب يقول الشيخ محمد بن حواء القدارى ثم التجينى فى غوثيته التى من بحر الرجز:

وبـــــدفين المطمـــــر الأواه   الإمــــام الأعظــــم عبــــد الله

وبالإمــــام الخــــتما لــــلشرف   رفيقــــه بعــــد المســــات يوســــف

ثم انتقل وسكن وهران أمدًا، ثم انتقل لغمرة غربى وهران وسكن بها إلى أن نسب لها. ثم انتقل منها وسكن بجبل ماخوخ إلى أن توفى به ودفن هناك وعلى ضريحه قبة ومشهد عظيم مقصود للتبرك به وله نسل كثير أكثرهم بلهاء[2].

ومنهم العلامة الكبير الدراكة الشهير، الفهامة الأثير، كثير المعارف والأنوار، والخوارق والأسرار، أبو العباس سيدى أحمد بن أبى جمعة المغرواى النجار، مؤلف كتاب: «جواهر الاختصار والبيان، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان». كانت له اليد الطولى (كذا) فى كل شيء، كثير التقارير. وكان من أولياء الله الأكابير (كذا). اجتمع بالشيخ غانم بن يوسف الغمرى وأخذ عنه فوائد جمة، ومسائل مهمة، وتوفى بالعشرة الثالثة من العاشر رحمه الله ونفعنا به وأمثاله. آمين[3].

---

(1) المطمر حى من أحياء مدينة مستغانم، وهناك قرية المطمر التى تقع بين مستغانم وغليزان، فلا بد من التفريق بينهما حتى لا يقع الخلط.

(2) لا ندرى ماذا يقصد بكونهم بلهاء ولم نحاول أن نستنطق أحدًا؛ لأنه من الصعب الحصول على جواب صحيح فى مثل هذا الوصف، ولسنا ندرى هل المؤلف على علم حقيقى بهذا أم أنه استقى معلوماته من الغير؟ وهنا تدخل النغرة، والنعرة، والصراعات القبلية والجهوية.

(3) أى فيما بين (930- 940هـ) (1524-1534م) وهو حفيد الشيخ محمد بن عمر الهوارى ابن ابنه، وشقيق محمد بن أبى جمعة الوهرانى الذى سيأتى ذكره فيما بعد فى المقصد الثالث، وحسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله فإن الكتاب ألفه أخوه محمد بن أبى جمعة، وعنوانه: جامع جوامع الاختصار والتبيين فيما بين المعلمين وآباء الصبيان انظر تاريخ الجزائر الثقافى جـ 1، ص 343. وقد حققه ونشره الدكتور عبد الهادى التازى فى المملكة العربية السعودية.

ومنهم الولى الأشهر، والكبريت الأحمر، المنتشر الصيت/ المراصد فى العبادة للأوقات، أبو (ص28) عبد الله سيدى محمد بن الخير الجماعى دفين وادى تليلات وأصله من أولاد جماعة فرقة من العرب من بين زروال، وكان من أهل القرن الثانى عشر فى صحيح الأقوال[1] ويقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب كأبى مدين أحد الإمامين والأقطاب، وله كرامات جليلة، وخوارق عادات جميلة خرج رحمه الله من وهران لما دخلها العدو فى المرة الأولى[2] وسكن برأس التافراوى ثم انتقل بزاويته إلى المحل الذى به ضريحه وسكنه إلى أن مات، وعلى ضريحه قبة وله مشهد للزيارة، ويقال: إن له نسلًا وكانت زاويته فى أمن من العدو وسائر الآفات.

ومنهم الشيخ النجيب، الآخذ من العلم والسر بأوفر النصيب، الطائع للإله (كذا) الرقيب المجيب، أبوعبد الله سيدى محمد أغريب كان من أهل العطا والنفع الوافر. وهو من الأقدمين فى المتواتر. وضريحه بسفح (كذا) جبل هيدور، غربى وهران خارج سورها مشهور، ولدى ضريحه مقبرة جليلة، منتمية إليه فضيلة[3].

---

(1) وادى التليلات قرية فلاحية هامة جنوب شرق مدينة وهران على بعد 27 كلم منها. وأسست فى سهل منبسط خصب على الطريق العام البرى والحديدى إلى الجزائر العاصمة، الطافراوى قرية صغيرة تقع إلى جنوبها الغربى وقد زرت ضريح محمد بن الخير الجماعى وزاويته صباح الأحد 21 ذو الحجة 1407هـ (16أوت 1987م) وذلك فى الجنوب الشرقى لوداى التليلات بجوار خط السكة الحديدية، والطريق البرى المتجه إلى زاهانة، وسيدى بلعباس، ويرد عليها الزوار من عدة جهات، وسط مقبرة صغيرة خاصة بالعنصر النسوى، ولا أثر للعمل الثقافى والتربوى للأسف بها.

(2) هناك تضارب فى هذا التاريخ. فقد قال المؤلف قيل: بأن الشيخ الجماعى من أهل القرن الثانى عشر (الهجرى) فى صحيح الأقوال وهو ما يوافق الثامن عشر الميلادى، وهنا يقول بأنه غادر وهران إلى الطافرواى عند احتلال الإسبان لها أول مرة. وهذا الاحتلال تم عام 915هـ (1509) أى فى مطلع القرنين: 10هـ و 16م.

(3) ما تزال هذه المقبرة إلى اليوم تحمل اسمه فى سفح الجبل المطل على مدينة وهران، وجنوب حى القصبة القديم، خارج السور القديم للمدينة، ويفصل بينهما واد وخانق كبير ينحدر من الجبل غربًا إلى واد الرحى أو رأس العين شرقًا. وقد زرت هذه المقبرة صباح السبت 20 ذو الحجة 14077هـ (15 أوت 1987م) ووقفت على قبر الشيخ الغريب، داخل حويطة محاطة بجدران أربعة إلى علو نصف متر. ويبدو أنها كانت فى الأصل بيتًا مسقفة، ثم تهدم سقفها وأعالى جدرانها، ودفن معه حديثًا إنسان آخر فى اتجاه شمالى معاكس تمام لقبره، والمقبرة فى حالة يرثى لها مليئة بالأزبال والقاذوارت ، رغم أنها محاطة بجدار ولها بابان، ولكن الجدار

ومنهم سيدى البشير بن يحيى من ذرية الشريف الحسنى، القطب الأكمل مُقْرِ الجان على الإطلاق/ (ص29) سيدى محمد بن يحيى المغراوى دفين وادى فروحه بالاتفاق ، الذى نص على شرفه أبو زيد عبد الرحمن فى عقد الجمان النفيس، وشارحه الشيخ الجوزى المزيلى، والحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار، وكذا صاحب جواهر الأسرار، وإثمد الأبصار، وغيرهم من ذوى الأسرار. وكان سيدى البشير وقبره مشهور، ومقصود للزيارة، وعليه قبة وعنده مقبرة منتمية إليه بالاشتهارة[1].

فى أعلى مهدم، يسهل للناس تخطيه، ورمى القاذورات، فأين مصالح البلدية، وأين الأخلاق الإسلامية التى تحث على النظافة، وتمنع إيذاء الموتى ومراقدهم، وتوسيخها، إنه أمر يسىء إلى الأخلاق والفضيلة والدين،ويؤذى الله والرسول.

(1) أوائل القرن الثالث عشر الهجرى يوافقه أواخر القرن الثامن عشر الميلادى، والشيخ البشير هذا ما يزال قبره وضريحه قائمين حتى اليوم فى حى الهضبة من مدينة وهران بجوار ثانوية بن باديس، وخلف متوسطة ابن خلدون، وقرب المكتبة البلدية والمتحف البلدى، وحى المدينة الجديدة، ويتكاثر عليه العنصر النسوى دائمًا، وزرته شخصيًا صباح السبت 20 ذو الحجة 1407 هـ (15أوت 1987م) ووجدته مملوءًا بالعنصر السنوى أما المقبرة فقد أزالها الفرنسيون ضمن ما أزالوا فى إطار توسيع المدينة وأقاموا حيًا كبيرًا يُدعى بحى الهضبة، وقد توفى الشيخ البشير فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى (أواخر القرن 18م). ولابد من التفريق بينه وبين عالم آخر بنفس الاسم دفن شرق قرية بئر الجير، شرق وهران على بعد حوالى عشرة كيلومترات. وأقيمت حول ضريحه قرية تحمل اسمه ويزوره العنصر النسوى بكثرة.
أما «عقد الجمان النفيس فى ذكر الأعيان من أشراف غريس» الذى أشار إليه فهو رجز نظمه عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد التيجانى فى القرن الحادى عشر الهجرى (17م) وشرحه تلميذه محمد الجوزى المزيلى الراشدى وسمى شرحه عليه: فتح الرحمن فى عقد الجمان، كما شرحه أيضًا أبو راس، وترجمه إلى الفرنسية السيد ل. قان: L.GUIN ونشره فى المجلة الإفريقية عام 1891 وأما مقرئ الجان ومعلمهم أَمْحَمَّد بن يحيى، الذى ينتسب إليه الشيخ البشير، فقد تحدث عنه أحمد العشماوى فى كتابه السلسلة الوافية، وقال: بأنه من أهل غريس الشرقى وليس الغربى وخلّف وراءه ثلاثة أبناء: محمد الكبير الذى استقر بواد زيان الذى يدعى وازيان بجوار قبائل بنى كلال، ومحمد الكبير الذى استقر بالمنطقة الساحلية إزاء مديونة ومسيردة. وسليمان الذى استقر بوازيان كذلك، وأنجب ثمانية أبناء هم: رحمون، وموسى ، وعلى، ومحمد، وعبد الله، وعبد القادر، وصالح، وعبد الحق، فإلى من ينتسب الشيخ البشير، من هؤلاء الأبناء والأحفاد والفروع ص 277-278.

ومنهم العلامة سيدى بدر الدين وضريحه بوهران مشهور. وكان من العلماء الأكابر فهو من أهل الثالث عشر وله مسجد بها فى المساجد مذكور[1].

ومنهم سيدى السنوسى مقامه خارج سور وهران بطريق تلمسان[2].

وسيدى إبراهيم الخروطى الوهيبى مقامه خارج سور وهران بطريق كدية الخيار يعان (كذا)[3].

وسيدى محمد بن أبى يعزى من ذرية سيدى أبى يعزى الغربى الهسكورى مقامه بمقبرة سيدى البشير المار المبرورى[4].

وهؤلاء الثلاثة كلهم من أهل القرن الثالث عشر مشتهر[5].والتشريف سيدى قادة بن المختار، مقامه بالمدينة الجديدة، وهو فى القرن الحادى عشر -مشتهر([6]). غير أنى فى حيرة من هذا المقام بالتعيين؛ لأنه إن كان المنسوب له جلس به؛ فإن وهران بذلك الوقت مسكونة بالإسبانيين،

وقد ذكر الشيخ المهدى البوعبدلى فى تعليق له بدليل الحيران بأن أحمد بن يحيى مقرئ الجان تتلمذ على الشيخ السنوسى بتلمسان وهو الذى أذن له فى الذهاب إلى الراشدية (قلعة بنى راشد) لنشر علم التوحيد الذى تخصص فيه وألف عقائده الثلاثة الكبرى والوسطى والصغرى، فامتثل واستقر بها وأسس معهدًا علميًا لا تزال آثاره، وما حبس عليه من الأملاك والأموال باقية إلى اليوم، وخلف ذرية كبيرة بالجزائر والمغرب الأقصى. ص 144 تعليق.

(1) الموافق للقرن التاسع عشر المسيحى. وهذا الولى غير معروف الآن، ولا ذكر لمسجده، وقد يكون اندثر ضمن ما اندثر مما خربته الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

(2) ما يزال ضريحه قائمًا حتى اليوم بجنوب المدينة فى ساحة كبيرة وواسعة، غير بعيد عن السوق المركزى لبيع الخضر والفواكه بالجملة، ويتردد على زيارته العنصر النسوى بكثرة، وقامت البلدية أخيرًا ببناء حائط دائرى على ساحته وأقامت له باب لحمايته.

(3) لا يوجد قبره حاليًا، ولربما يكون قد اندثر كذلك. وكان هذا الولى معاصرًا للباى حسن آخر بايات وهران، وكاد يقتله لولا لطف الله كما فعل بغيره.

(4) أزال الفرنسيون قبره عندما أزالوا المقبرة، ولا نعلم عنه شيئًا.

(5) الموافق أواخر القرن 18 وأغلب القرن 19م.

(6) شهر شعبان عام 1239هـ يوافقه شهر أبريل 1824م، وقد تم إعدامها خلال أحداث ثورة الشريف الدرقاوى، التى سيأتى الحديث عنها فى المقصد الرابع. إن شاء الله.

ثم زالت حيرتى بكونه قدم مجاهدًا وجلس به ليلًا فجعل له المقام ، والحمد الله على زوال هذه الحيرة باتضاح المرام.

ومنهم العلامة الكبير، والقدوة الشهير الجامع بين العلم والعمل الشيخ الربانى، أبو محمد عبد الله بن الطيب بن حواء القدارى التجانى، شيخ الطريقة الدرقاوية كثيرة النوالى، بعد شيخه مولاى العربى بن أحمد الدرقاوى البوبريحى الزروالى.

والسيد فرقان الفيليتى بالبيان.

(ص30) وهما/ اللذان (كذا) أمر الباى حسن بقطع رأسيهما فقطعا فى شعبان سنة تسع وثلاثين من القرن الثالث عشر بالتحرى[1] ودفنا بضريح واحد بلحدين أحدهما قبلة والآخر بحرًا بمقبرة سيدى البشير. ويحكى أن السبب فى قتلهما قاضى الحملة السيد محمود بن حواء التجينى[2] وشى بهما عند الباقى لينال سعده، بأنهما يريدا (كذا) القيام عليه كما قام ابن الشريف على من قبله من بايات الأتراك وهو الباى مصطفى بن عبد الله العجمى فمن بعده. ثم نقلا معًا من وهران فى عام أربعة وثمانين من الثالث عشر ودفنا بضواحى البطحا فى المشتهر[3].

ومنهم الضرير السيد أحمد الفلالى المختارى كان يقرأ القرآن بالسبع[4] ولقراءته قد حرر. توفى سنة خمس أو ست وستين من القرن الثالث عشر[5] ودفن بقبة مقام سيدى عبد القادر

---

(1) الموافق للقرن 17م وما يزال ضريحه قائمًا حاليًا على بعد بضعة أمتار من مسجد وساحة سيدى بلال بالمدينة الجديدة.

(2) ذكر الشيخ المهدى البوعبدلى فى تعليق له بدليل الحيران بأن محمود بن حواء هذا كان قاضيًا عند الأتراك، وشغف بنسخ الكتب، وجمعها، ومن ضمنها: كتاب لمسلم بن عبد القادر بخط يده يوجد بالمكتبة الوطنية فى الجزائر تحت رقم 893، ولا نعلم عنه حاليًا غير هذا.

(3) عام 1284هـ يوافق: (ماى 1867- أبريل 1868م)، والبطحاء هى قرية المطمر الحالية. وكانت تسمى كلانشة فى عهد الاحتلال الفرنسى، وتقع بين مستغانم وغليزان، وزرتها فى شهر مارس 1988.

(4) يقرأ القرآن ويتلوه بالرويات السبعة المشهورة والمتواترة، وأولها رواية ورش المنتشرة فى كل بلدان المغرب الإسلامى والأندلس، ثم حفص ، وقالون، وغيرهما.

(5) الموافق لعام 1849أو 1850.

الجيلالى بقرب مقبرة سيدى الغريب خارج سور وهران. وقبره مقصود للتبرك به نفعنا الله بالجميع فى السر والإعلان[1].

* * *

(1) ما يزال هذا الضريح قائمًا حتى اليوم فى سفح الجبل المطل على وهران غربًا بجوار الحى الذى يدعى بالبلانتور، جنوب غرب المدينة على الضفة اليسرى للوادى الذى يشقها من الجنوب، إلى الشمال، وقد أحيط بمقبرة صغيرة، مسيجة بحائط كبير، ووضع لها باب كتبت عليه عبارة مقبرة سيدى الفيلالى، ولا يفصلها عن مقبرة سيدى الغريب شمالًا سوى طريق عام للسيارات، وبعض المنازل والمساكن والدكاكين الشعبية، وقد زرتها مرتين آخرهما صباح اليوم السبت 20 ذو الحجة 1407هـ (15 أوت، 1986م). والضريح يتألف من بيتين هذا داخل فى الآخر، وبه لا أقل من سبعة قبور ويقع ضريح الشيخ على يسار البيت الأول، وعليه تابوت وملحفة من الكتان، والضريح والمقبرة نظيفتان جدًا، على عكس مقبرة سيدى الغريب، ويبدو أنها تغلق فى الليل ومحروسة بالنار وإلا لما بقيت نظيفة هكذا وسالمة من التخريب.

المقصد الثالث
في ذكر بعض علمائها

اعلم أيدنى الله وإياك بنوره. ونفعنى وإياك بسره ووقانا من ضروره، أن علماءها عددهم كثير. وحصرهم شديد عسير. ولكنى أذكر منهم إن شاء تعالى المشاهير، كما ذكرهم شيخنا الحافظ المحقق سيدى ومولاى، وسمط محياى، العالم الربانى، الشريف الحسنى أبو عبد الله محمد بن يوسف الزيانى، الفصل الثالث من كتاب – دليل الحيران فنقول:

إن من علماء وهران عالمها ومحدثها أبو إسحاق إبراهيم الوهرانى أحد شيوخ ابن عبد الله النمرى الأندلوسى (كذا) كان من أهل القرن الرابع[1]

ومنهم أبو تميم الواعظ نفعنا الله به[2].

ومنهم أبو عبد الله محمد الوهرانى الملقب بركن الدين صاحب الرسالة المشهور على لسان بغلته للأمير بمصر عز الدِّين موسك المذكورة فى «دليل الحيران وعقد الأجياد» وغيرهما، دخل مصر فى حدود السبعين من القرن السادس[3] واشتهر بالعلم والأدب، وحسن الفهم والنجب وحصل بها من العلوم لبابها. وكشف الحقائق حجابها.

---

(1) الموافق للعاشر الميلادى، ولم نجد من ترجم له.

(2) هكذا كتبه المؤلف نقلًا عن الزيانى، ولكن غيره يكتبه هكذا، أبا تمام بفتح الميم الأولى مع الشدة والمدّ، بعدها ألف. وقد سكن بجاية مدة من الزمن، ودرس بها وهو فقيه وعالم، عاش فى القرن السابع الهجرى (13م) وترجم له ابن أبى زرع، والغبرينى، والجيلالى، وشربونو، وديديى.

(3) أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهرانى الذى يلقب بركن الدين، من علماء وأدباء القرن السادس الهجرى (12م) ولد وعاش بوهران معظم سنى حياته التى لم يسجل عنها شىء، ولم تحدد حتى سنة ميلاده. وقد تجول فى بلدان المغرب العربى، وصقلية على عهد الموحدين، ثم انتقل إلى مصر عبر تونس، وصقلية، وحاول أن يلتحق بديوان الإنشاء. فلم يوفق بسبب شخصية القاضى الفاضل ولذلك غادر مصر إلى الشام، وزار بغداد ثم التحق بدمشق، عام 570 هـ (1174م)، وعُين إمامًا فى مسجد داريا بضواحيها وبقى بها حتى توفى فى شهر رجب 575هـ (1179م) ودفن بها. وقد ألَّف خلال حياته رسائل، ومنامات؛ ومقامات، على شكل وأسلوب أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران. وكان سليط اللسان مقذعًا، لا يتورع عن استعمال الكلمات والجمل القبيحة، والبذيئة، وعن استعمال الأساليب الهزلية الهادفة: ومن أشهر مقاماته «المنام الكبير» الذى سار فيه على غرار المعرى، والمقامة البغدادية، والمقامة الصقلية، ومقامة مساجد الشام، ومقامة بغلته، وترجم له ابن خلكان فى «وفيات الأعيان»، وابن فضل الله العمرى فى« مسالك الأبصار»، والصفدى فى «الوافى بالوفيات»، وابن قاضى شعبة فى «الأعلام»، والسيوطى فى «الكنز المدفون»، ومحمد كرد على فى مجلة المقتبس (1906– 1908م)، وخير الدين الزركلى فى الأعلام. وفريد وجدى فى دائرة

ومنهم أبو زيد عبد الرحمان مقلاش وهو الذى أصلح فى سهو الشيخ محمد الهوارى أشياء وزنًا وإعربًا وأتى به إلى الشيخ وقال له: يا سيدى إنى أصلحت سهوك فلم يقبل منه وقال له: هذا السهو يقال له سهو مقلاش وأما سهوى فهو سهو الفقراء يبقى على ما هو عليه إنما ينظر فيه إلى المعنى ومن أين لمحمد الهوارى بالعربية والوزن. وأنشد سبويه فى هذا المعنى أبياتًا فقال:

لســانى فصـــيح معـــرب فى كلامـــه ... فيـا ليتـه مـن وقفـة العـرض يسـلم

أراه فصـــيحًا فى الحيـــاة وإنـــما ... أخـــاف عليـــه فى القيـــام يلجـــم

ومـا ينفـع الإعـراب إن لم تكـن تقـى ... ومـــا ضرّ ذا تقـــوى لســـان معجّـــم

وكان من أهل القرن التاسع[1].

(ص32) ومنهم المشايخ الستة المتقدمون/ الذكر وهم: سيدى محمد الهوارى، وتلميذاه سيدى إبراهيم التازى، وسيدى بختى البوعنانى، وسيدى محمد بن يبقى، وهؤلاء الأربعة كانوا فى عصر واحد من أهل القرن التاسع. وسيدى غانم الغمرى وتلميذه سيدى أحمد بن أبى جمعة المغراوى، وكانا من أهل التاسع أيضًا لكنهما ماتا بالعاشر كما مرّ[2].

ومنهم الشيخ أبو عبد الله سيدى محمد بن أبى جمعة الوهرانى المغراوى شارح لامية كعب بن زهير التى اسمها: بانت سعاد. وله يد فى علم النجم والحساب وكل علم لا سيما اللغة. واسم

معارف القرن العشرين، وبروكلمان، والجيلالى، وعبد الله حمزة فى دراسته عن الأدب المصرى. وأخيرًا الأستاذان: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، اللذان جمعا عددًا كبيرًا من مقاماته ورسائله ومناماته، وإصدارها فى كتاب تحت عنوان: «منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله»، بالقاهرة عام 1968م ويحتوى على 308 صفحة. ولكن هذه الدراسة لم تقدم أى شيء عن حياته قبل هجرته إلى مصر والشام، وهى فترة طويلة وتعتبر ثغرة فى حياته تتطلب البحث والدراسة.

(1) الموافق للقرن 13م. وعبد الرحمن مقلاش هذا، تلميذ للشيخ محمد بن عمر الهوارى ولم يترجم له أحد ما عدا حكاية تصحيحه لأخطاء شيخه اللغوية فى ذلك التأليف، والتى لم يقبلها، ورفضها، أما سبويه فهو بشر بن عمر بن عثمان البصرى، ولد بمدينة البصرة فى العراق واشتهر بتضلعه فى علم النحو والصرف وقواعد اللغة، وتصدر مدرسة البصرة كإمام لها، بينما تصدر الكسائى مدرسة الكوفية. وقد توفى قرب شيراز عام 770 هـ (1368- 1369م).

(2) لقد مر التعريف بكل هؤلاء فى هوامش المقصد الثانى فليراجعوا هناك.

الشرح المذكور: «تسهيل الصعب، على لامية كعب». وقال شيخنا الزيانى وهو عندى فى الملكية بخطّ مؤلفه رحمه الله تعالى وهو صنو السيد أحمد بن أبى جمعة المار وكلاهما من ذرية سيدى محمد الهوارى ابنا ابنه توفى سنة عشر من القرن العاشر[1].

ومنهم بالقرن الثالث عشر:

الشريف السيد محمد بن حسن المعروف بالكتاب المستغانمى لكونه كان كاتبًا لإنشاء الباى المجاهد السيد محمد بن عثمان، فاتح مدينة وهران.

وقد وصفه الحافظ أبو راس فى رحلته المسمّة (كذا) بفتح الإلاه (كذا) ومنته، فى التحدث بفضل ربى ونعمته فى الباب الثالث منه بما نصّه: فانجرّ الكلام إلى أن قلت الأمر الفلانى كَلَا شىء بفتح الهمزة، فقال لى لسان الدولة، وفارس الجولة الذى عظّم مكانه ورفعه. وأفرد له متلو العزّ وجمعه، وأوتره وشفّعه وقرّبه فى بساط الملك تقريبًا، فتح له باب السعادة وشرحه وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دونه من أولى صنعته أن يتبعه / وحسبك مِنْ ذمَّام لا يحتاج إلى شىء (ص33) معه، العالم الفقيه، الحبر النزيه، الأمثل الأفضل السيد محمد بن حسن، من بيت علم وصيانة، ونزاهة وأمانة، وبركة وخير وقرى ومير، ومنصب كريم، وحسب صميم. وكان رحمه الله ذا يد فى النحو واللغة وسائر العلوم ولا سيّما الأدب. فينسل إليه فيه من كل حدب، حتى أنه كان لهجته وربيع حواسيه ومهجته. قل: كلا شىء بكسر الهمزة ألا ترى أنك تقول جئت بلا زاد وحرف لا، لا عمل له. فقلت له: إن الكاف لا تعيق عن العمل كهمزة الاستفهام والباى رحمه الله ينظر إلينا ثم ذهبت وفى قلبى من كلامه شىء فعملت على ذلك تأليفًا فلما قرأه استحسنه وأراه

---

(1) الموافق لعامى 1504 – 1505م. وهو حفيد الشيخ محمد بن عمر الهوارى، ابن ابنه مباشرة، ومرت ترجمة أخيه أحمد فى المقصد الثانى. وفى نفس السنة التى توفى وهى 910هـ أصدر فتوى لمسلمى الأندلس، الراغبين فى البقاء فى بلادهم، رخص لهم فيها بإخفاء إسلامهم وإظهار التدين بالمسيحية، كوسيلة للمحافظة على أرزاقهم، وأملاكهم مع العمل على تربية أبنائهم تربية إسلامية فى منازلهم وتنشئتهم على الدين الإسلامى بصورة خفية. وقد أورد هذا الخبر الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه: «نهاية الأندلس»، ونقلت عنه الأستاذة ليلى الصباغ فى مقالها: ثورة مسلمى غرناطة والدولة العثمانية، المنشور فى مجلة الأصالة الجزائرية. عدد 27 (1975).

للباى؛ لأنه رحمه الله ممن طاب خيمه، وسلم من الحسد أديمه. وسميت هذا التأليف «بغية المرتاد فى كلا شىء وجئت بلا زاد». ولما علمت أنه لم ترتضه ذهبت وألّفت تأليفًا آخرًا وبعثته له فأعجبه وسميته: «عمدة الزاد فى إعراب كلا شىء، وجئت بلا زاد» ثم انتقل رحمه الله من خطة الكتابة إلى خطة القضاء إلى أن مات بها.

وابنه القاضى الشريف السيد أحمد بن الخوجة المستغانمى[1].

وأهل الراشدية وهم: الشريف السيد مصطفى بن عبد الله الدحاوى مؤلف «فتح وهران»[2]. والشريف السيد الحاج محمد بن البشير الحريزى الزيانى[3]. والشريف السيد أحمد بن يوسف الزيانى عم شيخنا[4] . (ص34)

---

(1) عائلة ابن الخوجة المستغانمية من الأسر العلمية المشهورة، أنجبت عددًا من العلماء والأدباء منهم: حسين خوجة، وابنه محمد بن حسين خوجة، والشريف بن خوجة، وابنه أحمد بن الخوجة الذى درس عليه الأمير عبد القادر بوهران خلال إقامته بها مع والده محيى الدين. وكان حسين خوجة مثل ابنه، كاتبًا فى ديوان الإنشاء للباى محمد بن عثمان الكبير، وألف كتابًا أسماه: «دُرَّ الأعيان فى أخبار مدينة وهران». ترجمه إلى الفرنسية السيد ألفونس روسو: ALphonse Rousseau حسبما أشار إلى ذلك ليون فى: Leon Fey فى كتابه: «وهران». ومارسيل بودان فى مجلة جمعية الجغرافيا والآثار لمدينة وهران فى ماى 1924م. ولحسن خوجة أيضًا على ما قيل، كتاب آخر سمّاه: «بشائر أهل الإيمان فى فتوحات آل عثمان». ما يزال مخطوطًا بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 2192.

(2) محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة بن دحو الدحاوى من شرفاء وعلماء غريس، مر التعريف به فى هامش 23 من هوامش المقصد الأول فليراجع هناك.

(3) لم نتمكن من معرفة شىء عنه ويبدو أنه لم يترجم له أحد.

(4) يقصد به محمد بن يوسف الزيانى مؤلف كتاب «دليل الحيران وأنيس السهران فى أخبار مدينة وهران». وقد مرت ترجمته فى المقصد الأول. أما عمّه أحمد بن يوسف فكان فقيهًا ومحدثًا، ودرس عليه أبو راس الناصر.

(5) ذكر الشيخ المهدى البوعبدلى فى تعليق له بدليل الحيران صفحة 40 هامش بأن الشيخ محمد الطاهر المحفوظى من شرفاء غريس. عالم مشهور وجماعة كتب، جمع خزانة كبيرة وهامة معظمها نقله بخط يده، وتولى وظيفة القضاء بوهران، وتلمسان، خلال الاحتلال الفرنسى ، وتعرف أسرته باسم أسرة خطيب، انتقل بعض أفرادها إلى المغرب الأقصى، والبعض إلى مدينة الشلف، وبقى أكثرهم بالراشدية، قلعة بنى راشد، وقد لاحظنا نحن وجود شخصين من هذه العائلة فى مجلس الشورى العالى الأميرى للأمير عبد القادر وهما: الطاهر المحفوظى، ومحمد المحفوظى.

والشريف السيد عبد/ الله بن محمد بن عبد الله الجيلالي الفيقيقي[1] والشرفاء الثلاثة المشارف وهم: السيد الطاهر بن الشيخ المشرفي صاحب التآليف العديدة. وابن أخيه السيد محمد بن عبد الله سقاط بن مصطفى بن الشيخ المشرفي. وابن عمهما السيد الحاج عبد القادر بن مصطفى المشرفي الذي توفي بمصر سنة تسع وستين ومائتين وألف[2].

---

(1) لم نجد عنه معلومات تذكر. وقد لقَّبه الزياني في دليل الحيران بالعفيفي في النسخة المحققة بينما لقبه صاحب طلوع سعد السعود بالفقيقي ولسنا ندري من الأصح.

(2) تنتسب عائلة المشارف إلى مشرف (بكسر الراء وفتحها) بن عبد الرحمن بن مسعود الذي قدم من بوصمغون، وتولى القضاء بغريس لبعض أمراء بني زيان. ويتصل نسبهم بالشرفاء العرصيين أهل فيقيق بقصر واد غير. وجدها الأعلى مشرف بن غريب الذي ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر. والسيدة فاطمة الزهراء. كما في شرح عقد الجمان النفيس. ولعبت هذه العائلة دورًا هامًّا ورائدًا في حياة المنطقة، علمًا وثقافة، وجهادًا، مما جعل صاحب القول الأعم يقول: «ولم تتعد الرئاسة فيما علمناه دار الشيخ المشرفي وأولاده، فإنهم الذين كانوا معتبرين عند الملوك الأتراك. وكانت لهم ولاية في خطة الشريعة (خطة القضاء) أيام الأتراك، وأيام ابن عمنا الأمير (عبد القادر) ص 334 – 335.

ومن أشهر علماء هذه العائلة:

أ – الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي كان يدعى: شيخ الجماعة وإمام الراشدية. ولد ونشأ في قرية الكرط قرب مدينة معسكر، وتثقف في المنطقة على علماء عصره، ثم عين مدرسًا بمعهد الشيخ مصطفى بن المختار، وابنه محيي الدين بالقيطنة مدة من الزمن، وأخيرًا أسس لنفسه زاوية دينية ومعهدًا علميًّا بالكرط، أصبح في مستوى زاوية ومعهد القيطنة وشارك بنفسه في مقاومة النصارى الإسبان بوهران، والتحرير الأول لها عام 1119هـ (1708م). وألف رسالة في التنديد والتشهير بالقبائل التي كانت تتعاون مع الإسبان المحتلين لوهران سماها: «بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر» وعدد فيها القبائل المعنية وهي: كريشتل، وشافع، وحميان، وغمرة، وقيزة، وأولاد عبد الله، وأولاد علي، والونازرة. وأنهى رسالته هذه عام 1178هـ (1764-1765م). وتوفي بمسقط رأسه يوم الخميس 19 رمضان 1192هـ (2 أكتوبر 1778م). ولخص مارسيل بودان هذه الرسالة في المجلة الإفريقية عام 1924م، وعرف بهذا التلخيص الضابط بيليكا: PELLECAT في مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران في نفس العام، حققها ونشرها الأستاذ محمد بن عبد الكريم في دار الحياة ببيروت عام 1972.

ب– ابنه القاضي الطاهر المشرفي، الذي تولى القضاء للأتراك وله عدة تآليف، ولا نعرف عنه حاليًا أكثر من هذا.

جـ– ابنه أحمد بن الطاهر المشرفي الذي كان عضوًا في مجلس الشورى العالي الأميري للأمير عبد القادر.

د– حفيد الشيخ عبد القادر، وهو محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي. الذي كان إمامًا في الفقه والحديث، وتولى القضاء للأتراك، وكان ضمن الموقعين على وثيقة المبايعة للأمير عبد القادر، أميرًا للجهاد.

والشريف السيد أحمد بن التهامى أحد أولاد سيدى أحمد بن على البوعمرانى[1].

فعينه قاضيًا، وعضوًا فى مجلس الشورى العالى الأميرى. وأرسله فى مهمة دبلوماسية، وشرعية فقهية قضائية إلى سلطان فاس عبد الرحمن بن هشام وحمله سؤلًا إلى مفتى فاس وشيخ الإسلام بها أبى الحسن على بن عبد السلام مديدش التسولى، حول موقف الشرع الإسلامى من المتعاونين مع الكفار والرافضين لدفع الزكاة والأعشار لتموين حركة الجهاد . فسافر إلى المغرب يوم 19ذو الحجة 1252هـ (27 مارس 1837م) وعاد بالجواب فى ربيع الأول 1253هـ (جوان جويلية 1837م) واجتمع بالأمير فى حصن تازة بين بوغار، وثنية الحد، جنوب شرق مليانة. حسب رواية صاحب تحفة الزائر (جـ2ص206-208). وأبلغه رغبة السلطان المغربى إلغاء معاهدة تافنة، والعودة إلى الجهاد والمقاومة . أما الشيخ المهدى البوعبدلى فقد ذكر فى تعليق له بذليل الحيران، بأن عبد الله سقاط مات مسمومًا بمكناس ودفن بها ولعله يكون ذلك فى رحلة أخرى غير هذه.

هـ- الحاج عبد القادر بن مصطفى المشرفى ابن عم الأخيرين وقد توفى بمصر عام 1269هـ (1832-1853م) حسب رواية صاحب طلوع سعد السعود، ولا نعرف عنه شيئًا آخر غير هذا حاليًا. ولعله كان فى طريقه إلى الحج، أو عاد منه، من يدرى؟

و- أبو حامد العربى بن على بن عبد القادر المشرفى، المعاصر للأمير عبد القادر ولد بغريس فى قرية الكرط، وتثقف بها على علماء عصره حتى أصبح كاتبًا، وشاعرًا، وناقدًا، وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ووهران، هاجر إلى فاس، ووثق صلاته بسلاطين المغرب الأقصى خاصة: الحسن الأول الذى كان يصحبه معه فى جولاته التفقدية والتأديبية. ولذلك خصه بديوان شعر فى مدحه. وقد ألَّف عدة كتب ودواوين شعرية، ونقد بأسلوب جارح حتى سكان فاس الذين يعيش بينهم. وذلك مما يدل على اعتداده بنفسه، وزار الجزائر مرتين: الأولى عام 1848 -1849 بعد استسلام الأمير عبد القادر، والثانية عام 1877 خلال ذهابه إلى الحج، وعودته من هناك. فكتب عن الجزائر وعلمائها والمحتلين الفرنسيين. وأحصى له الدكتور أبو القاسم سعد الله ما يقرب من 28 مخطوطة، شعرًا ونثرًا، بين طويلة وقصيرة، منها: كتاب: ياقوتة النسب الوهاجة فى التعريف بسيدى محمد بن على مولى مجاجة. وكتاب: ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول، ويبدو أنه كان معارضًا لسياسة الأمير عبد القادر ورجاله ولذلك ألف كتابًا أو رسالة سماها: طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار فى عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار». وقد توفى بفاس عام 1311 هـ (1893م) وقيل عام 1313هـ (1895م).

(1) أحمد بن التهامى صهر الأمير عبد القادر، متزوج من عمته، وعينه الأمير عضوًا فى مجلس الشورى العالى الأميرى، وكان على رأس الأحد عشر عضوًا. ولقبه صاحب القول الأعم بشيخ الجماعة، نظرًا لسعة ثقافته ورفعة مكانته العلمية والسياسية.

وابنه السيد الحاج مصطفى بن التهامى خليفة الأمير السيد الحاج عبد القادر الحسنى بالمعسكر[1].

وشيخ الجامعة السيد محيى الدين بن المصطفى بن المختار والد الأمير الحسنى[2].

---

(1) الحاج مصطفى بن التهامى هو ابن أحمد بن التهامى وابن عمة الأمير عينه الأمير رئيسًا لديوان الإنشاء، وخليفة له على مدينة معسكر بعد مقتل الخليفة محمد بن فريحة المراحى، فى البرجية أثناء التدريب على استعمال السلاح. وقد تولى قيادة جيش الأمير فى عدة جهات من الوطن: بتلمسان، والمدية، والهضاب العليا، والجلفة، وبو سعادة، والمسيلة، وبرج بوعريريج، وسطيف، وعين تاغروط، وعين الترك، وخاض معه معظم المعارك وأشرف على تنصيب الحسن بن عزوز، ومحمد الصغير بن عبد الرحمن، خليفتين للأمير عبد القادر فى الزيبان. والشيخ بوزيان شيخًا على واحة الزعاطشة. وبقى يكافح ويجاهد مع الأمير إلى أن استسلم، ونفى معه إلى فرنسا، وألَّف فى قصر أمبواز، تاريخًا عن حياة الأمير عبد القادر العسكرية، والسياسية، والأدبية والتاريخية. ما يزال مخطوطًا. وهاجر معه إلى الشام بعد إطلاق سراحهما وتوفى هناك، ونظم قبل وفاته غوثية طويلة من ألف بيت جاء فى أولها:

لما جرى القدر بالخلاف	ووقع الخلف بالإئتلاف
ووجب الوحش بقعر اليم	وألحق النقص ببدر التم
واقتنص الصقر عدو صائد	وللنعام فى القرى وصائد
وابتعدت عن العقول حيل	واقتعدت بالاعتراف جيل
لم يبق إلّا الابتهال والسكن	للقاهر المالك كل ما سكن
سبحانه تعالى جده العالى	من قام بالقهر لكل معتلى
ثم الضراعة والاستكانة	تحلية الدعا والاستعانة
قلت مناديًا نداء السرب	مقتربًا أن جاز وعد الرب

(2) الشيخ محيى الدين بن مصطفى، والد الأمير عبد القادر، ولد بواد الحمام عام 1190هـ (1776- 1777م) ودرس على أبيه، وعلى شيوخ معهد القيطنة، ومنهم الشيخ عبد القادر المشرفى. وورث على والده مشيخة الزاوية، وأصبح من علماء الظاهر والباطن، وكثر عليه طلاب العلم، ومريدو الطريقة والتصوف، واشتهر بالصلاح وسداد الرأى، وغزارة العلم والمعرفة كما اشتهر بمقاومته لسياسة القسوة، والظلم، التى يتبعها بعض الحكام، ولذلك وشى به بعض خصومه إلى الباى حسن بن موسى بوهران، وأشاروا عليه بأن يرحله إلى هناك ليكون تحت رقابته الفعلية، فامتثل وانتقل بأسرته إلى هناك وصحب معه ابنه الشاب عبد القادر، وذلك عام 1236هـ (1821)م). وبقى بوهران أربع سنوات كاملة حتى عام 1241 هـ (1825م). وخلال إقامته هناك بعث إليه أحد تلاميذه المخلصين له وهو الشيخ السنوسى بن عبد القادر الراشدى الدحاوى قصيدة شعرية يسلّيه بها، ويخفف عليه آلام الغربة، وفراق الأهل، ومما جاء فيها:

والشريف السيد مصطفى بن الهاشمى. وصنواه: السيد أحمد بن الهاشمى قاضى المعسكر والسيد الحبيب بن الهاشمى المراحيين[1].

والشريف السيد أحمد بن أعمر بن الخضير المهاجى[2].

عـولّ عـلى الصـبر لا تفزعـك أشـجان	ولا ترعـك بـما فاجتـك وهـران
أمـا هـى الـدار لا تـؤمن غوائلهـا	بـلى هـى الـدار أغيـار وأحـزان
شـبت عـلى الغـدر لم تعطـف عـلى أحـد	إلا ومـن غـدرها صـد وهجـران
مـا أنـت أول مـن أدهـت وآخـرهم	ولا بأوسـط مـن خانتـه أزمـان
انظـر إلى يوسـف الصـديق كـم لبثـت	فى السـجن ذاتـه مـا واقتـه خـلان
وانظـر إلى ابـن رسـول الله ثـم إلى	هلـم جـرّا ومـا لاقـاه عـثمان
تلـك العوائـد أجراهـا عـلى قـدر	مـدبر الأمـر مهـما شـاء ديـان
لم يثقفـوك أحمـى الـدين عـن زلـل	رأوا ولكـن أغـوى القـوم شـيطان

إلى أن يقول:

بـل لا عليـك وإن سـاءت ظنـونهم	سـيهزم الجمـع أو يـنفض ديـوان
إن العواقـب فى القـرآن ثابتـة	للمتقـين وصـدق القـول قـرآن
وأنـت مـا زلـت تهـدينا إلى سـنن	تهـدى إلى الحـق لم يثنـك طغيـان
تقـرى الضـيوف وتسـعى فى حـوائجهم	وتحمـل الكـل لا غـش ولا ران

وعندما تأكد الباى حسن بو موسى، من بطلان الوشاية، وكذبها رفع عنه الإقامة الجبرية، وأذن له فى الذهاب إلى الحج، فشد الرحال صحبة ابنه عبد القادر برًّا إلى تونس، وبحرًا إلى مصر، والحجاز، واستغرقت رحلتهما عامين وزيادة، وأديا مناسك الحج ثلاث مرات، وزارا معظم عواصم المشرق ومنها بغداد التى جدد فيها الشيخ محيى الدين أخذ الطريقة القادرية الجيلانية، ولبس الخرقة، ثم قفلا راجعين إلى الوطن برًّا عبر مصر، وبرقة حيث زارا قبر والده الشيخ مصطفى بعين غزالة قرب دونة ثم واصلا الرحلة إلى طرابلس، والقيروان، وتونس، وقسنطينة والجزائر ووهران وأخيرًا القيطنة أوائل عام 1243هـ (1828م). وبعد أن احتل الفرنسيون مدينة وهران يوم 4 جانفى (1841م) تزعم الشيخ محيى الدين حركة الجهاد والمقاومة ضدهم مع ابنه عبد القادر الذى رشحه للإمارة وحضر مبايعته بسهل غريس أميرًا للجهاد والمقاومة وتوفى عام 1249هـ (1833– 1834م) فخلفه ابنه محمد السعيد فى رئاسة الزاوية، وابنه عبد القادر فى حركة الجهاد والمقاومة.

(1) لم نجد حاليًا معلومات عن هؤلاء العلماء.

(2) لم نجد معلومات عن هذا العالم، ولكن صاحب القول الأعم ذكر أن عائلته تنتمى إلى قبيلة مهاجة المتفرعة من أولاد ميمون. ومن رجالها الحاج الخضير المهاجى الذى لربما يكون جدًّا لأحمد بن عمر هذا. وقد توسط بين الباى محمد بن عثمان الملقب بالمقلش (1805 – 1807م) وبين الحشم بمعسكر خلال ثورة درقاوة، وأشار

والشريف السيد عبد القادر بن بروكش الورغى المفتى بوهران وابن عمّه السيد الحبيب بن بروكش الورغى، فهؤلاء أهل المعسكر من الراشدية[1].

وحافظ البخارى السيد مصطفى بن جلول الخروبى، وصنوه السيد محمد ابن جلول الخروبى. والخوجة السيد الحاج محمد بن الخروبى، والشبيه بالحكيم اليونانى، القاضى السيد محمد بن الجيلانى، الخروبى الذى قال فيه الخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الحميدى فى أنيس الغريب والمسافر هذين البيتين:

ونـــــديم لأبى محمـــــد عـــــثمان مصـــــدّر فى كـــــل شىء فقيـــــه

عفيـــــف ذو نجابـــــة مهـــــاب ظريـــــف ذو رئاســـــة وجيـــــه

/ وهؤلاء أهل القلعة الراشدية[2]. (ص35)

على الباى أن يصاهر كبير الحشم الشيخ قدور بن الصحراوى، ويخطب بنته إلى ابنه فوافقه على ذلك، وأعطى له توكيلًا بخط يده يحمل تاريخ 1220هـ (1805-1806م) لينوبه فى الخطبة، وهو ما حصل، وقد أنجب الحاج الخضير المهاجى هذا ابنين، هما: محمد، وابن فريحة الذى أصبح خليفة للأمير عبد القادر على ولاية معسكر.

(1) هذان العالمان يسميهما صاحب القول الأعم بن روكش، ولَيس بن بروكش، وذكر أنهما ينتميان إلى أولاد سيدى أحمد الورغى ويعرفون اليوم بورغية أصلهم من المغرب الأقصى. وهم فى غاية الشهرة والهمة والترفع، تولى الكثير منهم خطة القضاء للأتراك وللأمير عبد القادر، ومنهم الحاج عبد القادر بن بروكش الصغير، والحاج عبد القادر بن بروكش الكبير. اللذان كانا عضوين فى مجلس الشورى العالى الأميرى للأمير عبد القادر. والكبير منهما تولى القضاء للأتراك قبل ذلك، وابنه الصغير تولى القضاء للأتراك ثم للأمير عبد القادر، وهاجر إلى فاس فيما بعد وتوفى هناك، وما يزال أعقابه بها إلى اليوم. انظر القول الأعم ص336 و388. ومن هذه العائلة أيضًا محمد بن المختار الورغى الذى كان عضوًا هو الآخر فى مجلس الشورى العالى الأميرى للأمير.

(2) يقصد بالقلعة الراشدية قلعة هوارة التى تم تأسيسها فى القرن الخامس الهجرى (11م) وعرفت فيما بعد بقلعة بنى راشد. وأسرة الخروبى هذه من الأسر العلمية التى توارث علماؤها خطة القضاء للأتراك، وللأمير عبد القادر. وقد تولى الشيخ محمد بن الخروبى القضاء للباى عثمان بن محمد الكبير بوهران (1800-1804م) وكان من المؤنسين له، ووقف إلى جانب الشيخ الطيب بن الفريج حينما وشى به بعض خصومه فأعرض الباى عنهم ولم يصدقهم. ومن الذين توظفوا لدى الأمير عبد القادر: الشيخ محمد الجيلانى الخروبى الذى تولى خطة القضاء وهاجر معه إلى الشام وتوفى هناك. والمكى الخروبى الذى عين عضوًا فى مجلس الشورى

والسيد الحاج محمد بن قجيل[1] والسيد أحمد بن أفغول[2] وهذان برجيان من الراشدية أيضًا؛ والسيد محمد الصادق الحميسى بن على المازونى ثم ....

العالى الأميرى. ومحمد الخروبى القلعى الذى عين خليفة على ولاية مجانة ونواحيها فى البيبان وسطيف. أما الذين ذكرهم صاحب المخطوط فلم نجد من ترجم لهم.

(1) الشيخ محمد بن على أقوجيل الكاتب، والشاعر، ينحدر من أسرة علمية عريقة بنواحى مدينة البرج شرق مدينة معسكر. توارث علماؤها وفقهاؤها خطة القضاء للأتراك، وللفرنسيين بعدهم، وقد ألّف ابن أقوجيل هذا كتابًا فى الحديث أسماه: عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع، ونظم شعرًا فى المقاومة ضد الإسبان حث به الباشا حسين خوجة الشريف (1705-1707م) على الجهاد ومحاربة الإسبان بوهران، وعلى احترام العلماء، ومشاورتهم فى الأمور والقضايا، فقال عن الجهاد:

ولتلتفت نحو الجهاد بقوة ... والكفر أقطع أصله بذكور
جهز جيوشك كالأسود وسرحن ... تلك الجوارى فى عباب البحور
اضرم على الكفار نار الحرب لا ... تقلع ولا تمهلهم بفتور
وبقربنا وهران ضرس مؤلم ... سهل اقتلاع فى اعتناء يسير
كم قد أذت من مسلمين وكم سبت ... منهم بقهر أسيرة وأسير

وقال عن مشاورة العلماء:

شاور ذوى علم ودين ناصح ... ودع الغواة وكل ذى تنوير
فالعلم ميراث النبوة ناله ... قوم لهم حظ من التنوير
إنى نصحتك والنصيحة ديننا ... فاقبل ولم ينصحك دون خبير

ولم ندر متى ولد ومتى مات، ولكن الأستاذ محمد بن عبد الكريم ذكر أنه توفى عام 1078هـ (1667م) وذلك لا يتناسب مع تاريخ الشعر الذى نظمه فى حث الباشا حسين خوجة الشريف. فى مطلع القرن 18م، وعدد أبياته سبعون، أوردها بكاملها محمد بن ميمون فى كتابه التحفة المرضية الذى حققه ونشره محمد بن عبد الكريم ببيروت عام 1972م.

(2) يعنى من قلعة بنى راشد، وأحمد بن أفغول هذا، ابن عبد الله بن المغوفل الذى توفى عام 1023هـ (1614م)، وابن أفغول من علماء مازونة المشهورين أخذ المشيخة بتونس، ثم عاد إلى الجزائر واستقر فى بومليل بالشلف مدة من الزمن وبعدها انتقل إلى ندايلة حتى توفى فى تاريخ لا نعلمه حاليًا. وقد تتلمذ عليه أبو راس الناصر أواخر القرنين (12هـ و18م)، وألّف فى حياته رجزًا شعريًا سماه: كتاب الفلك الكواكبى وسلم الراقى إلى المراكب. فى ذكر مناقب صلحاء وطن الشلف من القرن 6 إلى 9هـ (12-15م) عدّد فيه أخبارهم وكراماتهم وخصائص المريدين، والأولياء ودرجاتهم، وسلوكهم، وسيرهم ومما قاله:

المغيلي [1] والسيد عبد الله بن حواء والسيد فرقان والسيد بدر الدين المتقدمين (كذا) الذكر. والسيد محمود بن حواء التجيني. والسيد الحاج مفتاح البخاري الحنفي شيخ الجماعة بوهران. والسيد أحمد بن هطال التلمساني وأبو عبد الله السيد محمد الغزلاوي وماتا معًا يوم فرطاسة في ربيع الأول سنة تسع عشر من القرن الثالث عشر في قصة ابن الشريف الدرقاوي الحارك على الباي مصطفى بن عبد الله العجمي باي وهران[2]. والشريف الوادفلي السيد الحاج محمد بن البشير أحد شرفاء الواد المبطوح[3] وصهره السيد الغوثي، والخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الحميدي وهو الذي سأل

وبعد فالقصد بهذا الرجز تقريب ما نأى بلفظ موجز
سميته بالفلك الكواكب وسلم الراقي إلى المراكب
أعني مراتب السلوك للمريد في الابتداء والانتهاء للمزيد

(1) القاضي محمد الصادق الحميسي حفيد أبي يحيى زكرياء المغيلي، صاحب كتاب: الدرر المكنونة في نوازل مازونة. تولى القضاء في مازونة ثم في وهران على عهد الأتراك ولم ندر متى ولد ولا متى مات.

(2) معظم هؤلاء لم نجد من ترجم لهم، ما عدا أحمد بن هطال التلمساني الذي كان كاتبًا خاصًا للباي محمد بن عثمان الكبير، ووافقه في حملته التفقدية التأديبية إلى الأغواط، وعين ماضي عام 1189هـ (مارس 1775 – فيفري 1776م)، ودوّن أحداث تلك الرحلة في كتاب سمّاه: رحلة الباي محمد بن عثمان الكبير، حققها ونشرها محمد بن عبد الكريم في بيروت عام 1972م. وذهب رسولًا من قبل الباي إلى فاس صحبة أحد القضاة بهدية إلى السلطان محمد بن عبد الله، وكلف بالذهاب إلى جبل طارق لشراء الأسلحة والذخائر من التجار والوسطاء الإنجليز واليهود والمغاربة، وعاد بكميات هائلة. وقد قتل ابن هطال في معركة فرطاسة ضد الشريف الدرقاوي الثائر في ربيع الأول 1219هـ (جوان جويلية 1804) وذلك بين غليزان وتيارت. وسميت بواد الأبطال تخليدًا للمعركة، وسماها الفرنسيون أوزى لودوك: Uzés le Duc وبعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 استرجعت اسمها: واد الأبطال.

(3) الواد المبطوح يقع جنوب غرب مدينة سيق الفلاحية على بعد خمسين كلم من شرق مدينة وهران. ويسمى في منابعه بواد مكره، وأقيم عليه سد الشرفاء لتزويد سيق بمياه الشرب، والحقول والبساتين بمياه السقي. والحاج محمد البشير الذي يشير إليه ينتمي إلى أسرة من شرفاء تلمسان الأدارسة هاجروا إلى عين سمرة لمدة أربعة وعشرين عامًا بسبب حروبهم مع بني زيان. ثم رحلوا إلى واد المبطوح حسب رواية أحمد العشماوي في كتابه: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية. وهم أصحاب علم، وفضل، وجاه، لهم زاوية طيبة.

ومن مشاهير صلحائهم: جدهم الأول العربي بن عبد القادر بن بوزيان، والحاج محمد البشير المشار إليه، وأبناؤه وأحفاده: الحاج الطيب، والحاج البشير الذي كان قاضيًا، والحاج عبد القادر، وابن عبد الله والحاج

الحافظ الشيخ أبا راس أن يجمع تأليفًا فى الأمثلة السائرة فجمعه الشيخ وسمّاه: «كشف النقاب، ورفع الحجاب، على أمثال سائرة وحكم باهرة، ومواعظ زاجرة». على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة ، وفارس الجولة. ألهم لها وبادر، السيد مسلم بن عبد القادر. نص عليه الحافظ فى الباب الخامس من رحلته[1]، والسيد على بن أبى سيف الدائرى والسيد سليمان بن النزارى الدائراى أيضًا[2] وهؤلاء الثلاثة من علماء المخزن وسكنوا بوهران. وفى السيد سليمان المذكور قال السيد أحمد الكلاعى بن السيد الحاج/ المكى الدحاوى فى قصيدته الملحونة التى منها: (ص36)

كـــــلا بـــــــلاد بــــــدحّها فى وهــــــران صــــبت ســــليمان

والسيد الحاج قارة الجزائرى، والسيد أحمد بن الطاهر الرزيوى، والسيد محمد بن قريد، والسيد عبد الله بن عمارة البوعمرانى، وهذان غريبان.

على الأزهرى الذى درس بالأزهر، وتصدى للتدريس فى الجامع الأعظم بسيق سنوات طويلة، والحاج المنور بن البشير، الذى توفى بسيق عام 1344هـ (1925-1926م). وقد توارث علماء هذه العائلة العلم والتقوى. انظر كتاب مجموع النسب والحسب للشيخ بن بكار. ص 53-55.

(1) مسلم بن عبد القادر الحميدى أو الحميرى الزايرى من أولاد زاير كان كاتبًا خاصًا للباى حسن بن موسى آخر بايات وهران. ونظم أرجوزة فى تاريخ الاحتلال الفرنسى، وألّف كتابًا سماه: أنيس الغريب والمسافر فى طرائف الحكايات والنوادر. سجل فيه أحداث الناحية الغربية مثل تاريخ بايات وهران. وأحداث ثورة درقاوة وغيرها. حقق الأستاذ رابح بونار الجزء الأخير المتبقى منه الذى هو بمثابة خاتمة عام 1974م. وقد توفى مسلم بن عبد القادر عام 1249هـ (1833-1834م) ودفن فى ضريح سيدى المسعود قرب المالح حسبما ذكر كل من أبى رأس، والزيانى، والمؤلف ولكنى زرت هذا الضريح يوم الخميس ذو الحجة 1407 هـ (30 جويلية 1987م)، ولم أجد سوى قبر واحد فى الضريح . وهذه الإشاعة تنطبق حتى على الشيخ الهوارى الذى قيل أيضًا: أنه دفن هناك وقد قام أدريان دلبيش بترجمة أنيس الغريب والمسافر ونشره فى المجلة الإفريقية عام 1874هـ.

(2) الدايرى نسبة إلى قبائل الدواير التى كانت فى سهل ملاتة بأحواز مدينة وهران. وعارضت الأمير عبد القادر، وحاربته وانضمت إلى جيش الاحتلال الفرنسى. ولم نعرف شيئًا عن على وسليمان الدائريين هذين إذ لم يترجم لهما أحد.

إلى غير ذلك مما لا أطيق حصره، ولا أحصى ذكره، وكلهم علماء أجلّة، وأيمة بدور أهلّة[1].

ومنهم بوقتنا الذى هو العام السابع من القرن الرابع عشر أستاذ الاخوان والياقوت البرهان، فائق البراعة، وجزيل الفصاحة والبراعة، مفتيها وخطيبها ذو الإنصاف والإحسان أبو الحسن السيد على بن عبد الرحمن الجزائرى وجارا الوهرانى دارًا، العبّاسى نجارًا[2] ولما حل بها أتحف جامعها الأعظم غاية الإتحاف ورونقه بالفرش المختلفة الألوان والأنواع وأغناه حتى صار لا يسئل الإلحاف. وطهره من الأدناس وسائر المناكب، بعد أن وقع فى زوايا الإهمال ونسجت بجميعه العناكب. فعاد بفضل الله مبتسمًا ضاحكًا، وأضاء منه ما كان ديجورًا حالكًا، وعلا بمنارته جهير الصوت بالأذان، ونادى بقوله هلموا للطاعة والعبادة فى الأوقات الخمس والجمعة والعيدين يا أهل الإيمان، فلله درّه من ماهر ومرقّ سنّى باهر.

ومنهم شيخنا الفاضل الماجد العالم الفاضل الزاهد، من هو بحفظ الأوقات للعبادة شديد المراصد، قدوة السالكين، وبقية الأيمة الناسكين، المدرس المضيف/ الحافظ الضابط الموثّق (ص24) المؤلف الشريف الحسنى الصمدانى الربَّانى، العلَّامة السيد محمد بن يوسف الزيانى. فهو معدود فى أعيان علماء المخزن وإن كان من جملة علماء وهران وبها قد سكن[3].

---

(1) أحمد الطاهر الرزيوى كان قاضيًا فى أرزيو على عهد الأتراك، وحكم عليه الأمير عبد القادر بالقتل لتعاونه مع الأعداء الفرنسيين، ونفذ فيه القتل بمدينة معسكر، رغم أنه درس عليه على ما قيل أما باقى العلما فلم نجد من ترجم لهم حاليًا.

(2) عام 1307هـ يوافقه: أوت 1989- أوت 1890م. والعباسى نجارًا يقصد به أن أصله من مدينة سيدى بلعباس. وكان مفتيًا بمدينة وهران خلال عهد الاحتلال الفرنسى، وتراسل معه الشيخ محمد بن يوسف الزيانى، ولغاية عام 1320هـ (1903م) كان ما يزال حيًّا.

(3) هو مؤلف كتاب «دليل الحيران وأنيس السهران فى أخبار مدينة وهران»، الذى ينتمى إلى أسرة علمية من الأسر المخزنية بنواحى مدينة برج عياش التى عرفت ببرج ولد المخفى، ثم بالبرج أخيرًا، فى شرق مدينة معسكر، وكان عمه أحمد بن يوسف الزيانى قد تولى منصب المستشار للداى إبراهيم المليانى عام 1170هـ (1756 – 1757م). أما هو فقد تولى خطة القضاء بمدينة البرج نفسها عام 1861. ثم نقل إلى وادى تليلات عام 1883م قرب وهران، وبعد ذلك نقل إلى سيق لنفس الوظيفة وحتى عام 1320هـ (1902-1903م) كان ما يزال حيًّا حسب رواية الشيخ المهدى البوعبدلّى الذى اطلع على مراسلة له مع مفتى وهران

ونخبة الأشراف وقدوة السادات الظراف، ومقصد الذاهب والعانى ياقوتة الكمال والجوهر القانى، الشريف الحسنى السيد الحسنى بن إبراهيم العلمى الوزَّانى نفعنا الله به وبسلفه، ومتعنا به وبخلفه.

وإمام جامعها الأعظم الفقيه الوهرانى، الشريف الحسنى السيد أحمد انكروف بن المليانى النَّكروفى.

والفقيه المدرِّس بالجامع الوهرانى، الشريف الحسنى السيد الحبيب بن البخارى الحريزى الزيانى[1].

والفقيه الشريف ذو التدريس بالكفراوى إمام قبَّة الشيخ الهوارى السيد محمد بن الجيلانى الشهير بابن العالية بن سيدى أحمد بن عربية المعسكرى المغراوى.

والفقيه الوجيه الرحمانى، الشريف السيد الحاج عبد الرحمن بن الطيب أحد أولاد سيدى أحمد بن على البوعمرانى[2].

والفقيه الأجل الذى للتحقيق يحوى، السيد الحاج بن آمنة بن عمر المريانى العبد الغوى.

والفقيه النبيل الشريف البلاحى المشيشى الذى فى أموره لله راجى السيد أحمد بن محمد بن أحمد، وكذا ابن عمِّه السيد المولود ابن عبد الرحمن بن أحمد البلاحى المهاجى.

على بن عبد الرحمن المشار إليه سابقًا فى نفس التاريخ . أما بقية العلماء الذين أشار إليهم بعد ذلك فأغلبهم لم نجد من ترجم لهم حاليًا.

(1) ذكر الشيخ الطيب المهاجى فى كتابه: أنفس الذخائر وأطيب المآثر فى أهم ما اتفق لى فى الماضى والحاضر. بأنه درس على الشيخ الحبيب البخارى المدرس بجامع الترك بوهران، الذى يتصل نسبه بصاحب الضريح المشهور بالقلعة (قلعة سيدى راشد) الشيخ عبد القادر بن يسعد انظر ص 56.

(2) ذكر صاحب القول الأعم بأن عبد الرحمن بن الطيب هذا تولى القضاء بوهران على عهد الباى حسن بن موسى آخر بايات وهران، وهذا يتعارض مع ما ذكره المؤلف بأن هؤلاء ما يزالون أحياء فى هذا التاريخ وهو عام 1307هـ (1889- 1890م) اللهم إلّا إذا كان عبد الرحمن بن الطيب هذا حفيد للأول القاضى، أو ابن له، انظر ص 333. وذكر الشيخ بلهاشمى بن بكار نقلًا عن أبى راس فى كتابه: الحاوى. بأن أبا العباس أحمد بن على البوعمرانى جد عبد الرحمن بن الطيب، كان تلميذًا لأحمد بن يوسف الراشدى المليانى، وكان يطعم المساكين من ماله الخاص خاصة فى عامى المسغبة 958 و 959 هـ (1551- 1552م) توفى بغريس ودفن بها. انظر ص 148.

وقدوة العبّاد، وبقية الزهاد، الأبر الأكمل الفقيه الأجلّ، السيد الحاج الطيب بن البشير الشريف الوادفلي[1].

فهؤلاء السادات الكرام الأفاضل، والعلماء/ الأجلة البواسل الذين بهم طاب الوقت ونار، (ص24) واطمأنت القلوب بهم وحلّت بها الأسرار.

* * *

(1) هذا العالم ينتمي إلى أسرة بلبشير بالواد المبطوح، وسيق شرق وهران انظر هامش رقم 23 قبل.

المقصد الرابع
في ذكر دولها

اعلم أنار الله قلبى وقلبك بأنواره، وأيدنى وإيّاك بأسراره. وأمننى وإياك بحوله وقوته من مكره وشرِّه. ووقانى وإياك من بأسه وضرّه. أن دول وهران من حين اختطت تسع دول كما فى دليل الحيران، وهم: دولة الأمويين بالأندلس القائمين بأمورهم زناتة. والعبيديين وهم الشيعة، والمرابطين وهم الملثمون والموحدين، والزيانيين وهم بنو عبد الواد، والمرينيين وهم بنو احمامة، ثم الزيانيين، والإسبانيين، والأتراك، وهم الترك والفرانسيس. فهؤلاء تسعة إجمالًا. وأما تفصيلًا فكانت عمالهم يتداولونها بينهم إلّا الدول الثلاثة الأخرة (كذا) فعمالهم منهم.

الدولة الأولى مغراوة

عمال بني أمية

وأول العمال مغراوة عمال بنى أمية الذين هم الدولة الأولى، وأول من ملكها من مغراوة خزر بن حفص المختط لها فى القرن الثالث كما مرَّ. وتولى إمارة مغراوة بوهران وغيرها بعد موت أبيه حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب بن مغراو. ووزمار هو الذى أسلم على أيدِ سيدنا عبد الله بن سعد ابن أبى صرح، لما غزى (كذا) إفريقية وبعثه لأمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثالث الخلفاء بالمدينة المنورة/ على صاحبها أفضل (ص39) الصلاة وأزكى التسليم فجدّد إسلامه على يده وعقد له على قومه ورجع لإفريقية. ومن ثم بقيت مغراوة موالى (كذا) لبنى أمية كصنهاجة للعلويين العبيديين بإفريقية.

وأقام خزر مقام أبيه فى أمر زناتة واعتزّ قومه على المضرية بالقيروان واستفحل ملكهم وعظم سلطانهم على البدو وزناتة بالمغرب الأوسط عند تقلص ظل الخلافة بعض الشيء بالمغرب حيث عمت فتنة ميسرة الحقير ومدغرة وقوى اعتزاز خزر وقومه، وعتوّه وانتشر صيته وعلت كلمته عند المروانيين بالأندلس والأدارسة بالمغرب الأقصا (كذا) والسليمانيين برشقون وتلمسان، والشيعة بإفريقية إلى أن هلك فى خلال ذلك. اهـ.

قال البكرى فى تاريخه المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب:

«وفى سنة سبع وتسعين ومائتين[1] زحف (كذا) قبائل كثيرة إلى وهران يطالبون أهلها بإسلام بنى مسقن إليهم لدماء كانت بينهم فأبى أهل وهران من إسلامهم إليهم فنصب (كذا) القبائل عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم من الماء فخرج عنهم بنو مسقن وهم من أزديجة ويقال لهم بنو مسرقين ليلًا هاربين واستجاروا بأزديجة فأجاروهم وتغلّب الحاركون على أهل وهران فخرج أهلها منها بأنفسهم وأسلموا ذخائرهم وأموالهم للحاركين وخربت وهران وأضرمت نارًا وذلك فى ذى الحجة من هذه السنة[2] ثم عاد أهل وهران إليها فى السنة بعدها وهى سنة ثمان وتسعين ومائتين[3] بأمر أبى حميد داوس بن صولات ويقال له داود عامل تاهرت. (ص40) وابتدءوا بنيانها فى شعبان من هذه السنة[4] فعادت أحسن مما / كانت وولى عليهم داود بن صولات الدهيصى، محمدًا بن أبى عون فلم تزل فى عمارة وكمال، وزيادة وحسن حال. اهـ.

وهو مخالف لما فى الحافظ أبى راس.

ولما هلك خزر بن صولات تولى بموضعه ابنه محمد بن خزر وسكن وهران وأجلب على ضواحيها بكل ما أراد وشنّ الغارات فى المغرب الأوسط إلى إفريقية وفى الأقطار إلى المصامدة وهابته الملوك وخشيت سطوته وأذعنت له الناس وعاش كثيرًا من السنين وجرب الأمور. فقد قال ابن خلدون فى «تاريخه الكبير» فى الجزء السابع منه أنه نيف على المائة سنة بكثير والذى يقتضيه استقراء كلامه من أوله إلى آخره أنه بلغ المائتى سنة أو قاربها فإنه فى أخباره أن إدريس بن عبد الله لما نهض إلى المغرب الأوسط سنة أربع وسبعين ومائة[5] تلقاه محمد بن خزر هذا وألقى إليه المقادة وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد أن غلب عليها بنى يفرن أهلها وانتظم لإدريس بن إدريس الأمر وغلب على جميع أعمال أبيه وملك تلمسان وقام بنو خزر هؤلاء

---

(1) الموافق 909-910م.

(2) الموافق 11أوت- 8 سبتمبر 910م.

(3) الموافق 910-911م.

(4) الموافق 4 أبريل – 2 ماى 911م.

(5) الموافق 887- 888م.

بدعوته كما كانوا لأبيه إلى أن قال: ثم وفد على المعتز بعد ذلك سنة خمسين وثلاثمائة[1] وهلك بالقيروان وقد نيّف على المائة من السنين ا.هـ.

لكن قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار فى الكلام على مغراوة كلام ابن خلدون فيه تخليط وتناقض اهـ. وفى سنة ست وثلاثمائة[2] حرك ازديجة وعجيسة على محمد بن خزر المغراوى وقاتلوه شديدًا، وحاصروه عتيدًا، إلى أن أخذوا من يده وهران عنوة فبقيت فى ملكهم وتحت تصرفهم سبع سنين وهم عمال على المروانيين ثم صاروا عمالًا/ على الشيعة. ثم قام عليهم محمد (ص41) بن خزر بجيوش لا تحصى وحاصرهم وأثخن فيهم إلى أن غلبهم عليها سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة[3] وبقوا تحت حكمه. ولما غلبهم عليها وعادت لحكمه بعد حروب كثيرة كان الظفر له فيها عليهم، أخّر نفسه، وولى عليها ابنه الخير وبقى (كذا) ازديجة وعجيسة تحت حكمه، وفى قبضة جبره وحلمه. فقام الخير بضبط ملك وهران غاية الضبط وظاهر المروانيين بالأندلس كعادة أسلافه وأمير الأندلس وقتئذ عبد الرحمن الناصر وشن الغارات على ضواحى وهران والمغرب الأوسط فملك بلاد الغرب كلها وسوس الأدنا (كذا) وتلمسان والصحرا (كذا) وحارب الشيعة ملوك إفريقية وتاهرت حروبًا عظامًا وغزى (كذا) بسكرة والمسيلة والزّاب ودوّخ المغرب الأوسط تدويخًا عظيمًا ووالده محمد بن خزر لم يفارقه فى كل ذلك. واتصلت يده بيد موسى بن العافية المكناسى فبثا معًا دعوة المراوانيين أمراء الأندلس بالمغربين وقطعا دعوة الشيعة بإفريقية ثم فسد ما بينهما وتزاحفا للحرب فبعث لهما عبد الرحمن الناصر أمير الأندلس قاضى قرطبة وهو الفقيه منذر بن سعد الوهاصى ثم البلوطى فأصلح بينهما ولم يزل الملك فى يده إلى أن انتقل لولده محمد بن الخير بعده.

* * *

(1) الموافق 961- 962م.

(2) الموافق 918- 919م.

(3) الموافق 925- 926م.

الدولة الثانية الشيعة الفاطميون

ثم ملك وهران الدولة الثانية وهم الشيعة ويقال لهم: الرافضية والعبيديون والعلويون والفاطميون.

(ص42) أما / تسميتهم بالشيعة والرافضية فلتمذهبهم بمذهب شيعة المشرق والرافضية من سبهم للشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، ورفضهم للسنة واتباعهم للبدعة ومدحهم لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه دون غيره.

وأما تسميتهم بالعبيديين فذلك نسبة لجدهم عبيد الله المهدى الشيعى أول ملوكهم.

وأما تسميتهم بالعلويين والفاطميين فذلك نسبة لجدهم على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وجدتهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهم حسينيون (بضم الحاء المهملة) ولا عبرة بالطعن فيهم.

وذلك أن وهران غزاها فى سنة ثمانى عشر[1] داوس بن صولات ويقال له: داود بن صولات الدهيصى عامل تاهرت على يد الدولة الشيعية فحاصرها حصارًا عظيمًا وحارب ملكها الخير بن محمد بن خزر المغراوى ومن معه من أزديجة وعجيسة لوكنهم صاروا يدًا واحدة مع الخير بن محمد بن خزر فأثخن فيهم كثيرًا وأخذها من يد ملكها الخير عنوة بعد حروب شاب لها رأس الغراب وولى عليها من قبله محمد بن أبي عون الشيعى فهو أول عامل للشيعة بوهران وأول من ملكها من الشيعة داوس عامل عبيد الله الشيعى فعمّت الرافضية المغرب الأوسط وانقطع حكم المروانيين منه بالكلية وخرج حكم وهران من يد الدولة الأموية ودخل فى يد الدولة الشيعية.

فأقام محمد بن أبي عون الشيعى الملك بوهران وتصرّف فى المغرب الأوسط بها شاء وصار (ص43) معه أزديجة وعجيسة يدًا واحدة وعنه أخذوا الرافضية واندرست / السنة ولما مر ميسور الخصِّى، سمى بذلك لكونه لا لحية له، فى عام ثلاث وعشرين وثلاثمائة[2] بأمر القائم العبيدى حال

---

(1) الموافق 930- 931م.

(2) الموافق 934- 935م.

ذهابه لمحاربة موسى بن أبي العافية المكناسي للمغرب لمظاهرته للمروانيين وإعراضه عن الشيعة متوجهًا بجيشه لفاس ولقيه محمد بن أبي عون الشيعي والى وهران فأقرّه عليها. وكذلك لما توجه مصالة بن حبوس الكتامى للمغرب فى عام إحدى وأربعين وثلاثمائة[1] بجيشه لتدويخ المغرب بأمر المعزّ العبيدى أقرّه على وهران كما أقر كل عامل كان للشيعة على محلّه ودوّخ المغرب غاية وأزال ما ظهر به من أمر المروانيين ملوك الأندلس ورجع بغنائم عظيمة.

ثم فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة[2] اختلط يعلى بن محمد بن صالح اليفرينى مدينته بأيفكان أحد أراضى بنى راشد بسفح (كذا) جبل أوسلاس وهو بجوفها واستقر بها وظاهر المروانيين بالأندلس وتجانب الشيعة بإفريقية فولّاه عبد الرحمن الناصر الأموى ملك الأندلس على المغرب الأوسط وعقد له على حروب الشيعة الرافضية. وكان مصالة بن حبوس الكتامى قد رجع من المغرب للمهدية فخلا الجوّ ليعلى بن محمد بن صالح اليفرينى وزحف لوهران فحاصر بها محمد بن أبي عون الشيعى وأزديجة وعجيسة وطالت بينه وبينهم حروب عظام إلى أن فرّق جمعهم بجبل قيزة غربى وهران وذلك فى يوم السبت منتصف جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة[3] ودخل وهران عنوة وأضرمها نارًا وخربها ولحق أكثر أزديجة وعجيسة بالمغرب، / وبعضهم بالأندلس لما أيسوا (كذا) منها وملكوا دار بنى صالح وهى قلعة النكور سنة ست من (ص44) القرن الخامس[4] فخربوها وبقوا بها إلى أن قطع ملكهم يوسف بن تاشفين اللمتونى. ومن لحق منهم بالأندلس، صار من أعيان جند المنصور بن أبي عامر المعافرى حاجب المؤيد هشام الأموى. ولما فتح يعلى مدينة وهران وخرّبها نقل أهلها إلى مدينته المعروفة فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة[5] وبقيت خرابًا مدة ثم تراجع الناس لها وبنيت. وذكر الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار أن يعلى بن محمد بن صالح لما خرّب وهران جدّد بناءها فى تلك

---

(1) الموافق 952- 953م. ويعلى يكتب بياء بعد اللام وليس بالألف كما فعل المؤلف.

(2) الموافق 949- 951م.

(3) الموافق 954- 955م.

(4) الموافق 1015- 1016م.

(5) الموافق 954- 955م.

السنة وانتقل إليها بأهله وولده من مدينته بأيفكان. قال البكرى فى تاريخه وكان فى عمل وهران قرية أهلها موصوفون بعظم الأجساد، وشدة الأياد (كذا) حتى إن الرجل الكامل فى الخلق المعهود من غيرهم يكون إلى دون منكب الرجل منهم وكان رجل منهم يحمل ستة أنفار ويخطو بهم خطوات اثنين على عاتقيه ويتأبط باثنين وعلى ذراعية اثنين. وأن رجلًا منهم احتاج لعمل بيت يسكنه فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وبنا بهم بيتًا تامًّا معرسًا. اهـ.

ثم إن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى لما رأى (كذا) وهران دار ملكهم اتخذها بنو يفرن دار ملكهم أيضًا وبثوا بها الدعوة المروانية، نزع إلى الشيعة وظهر لهم وأدّى لهم الطاعة ووفد على المعزّ العبيدى الشيعى/ بإفريقية فألفاه جهز قائده جوهرًا لغزو المغرب سنة سبع (ص45) وأربعين وثلاثمائة[1] وخرج من القيروان فى جيش عرمرم فجاء معه مغربًا وكان من مشاهير بنى خزر وأشرفهم نفسًا فكان عنده بمكانة عظيمة وسار جوهر إلى أن نزل بتاهرت فلقيه بها يعلىَ بن محمد بن صالح اليفرنى فى جيش عظيم من قبائل زناتة على مقربة من تاهرت بناحية شلف فالتحمت (كذا) الحرب بينهما وبذل جوهر الأموال لقواد كتامة ولما اشتد الحرب صممت عصابة من أنجاد قواد كتامة وأجنادها وقصدوا يعلى فقتلوه واجتزوا رأسه وأتوا به إلى جوهر فأعطاهم الأموال الجليلة بشارة عليه وبعث برأسه إلى المعزّ فطيف به بالقيروان وهزم بنو يفرن وتفرق جمعهم. هكذا فى الأنيس المطرب، وفى ابن خلدون ما يخالفه.

ولما مات يعلى قام ابنه يَدُّو مقامه لكنه لم يملك وهران. ثم ذهب جوهر مغربًا ومرّ بمدينة إيفكان التى بناها يعلى فخربها ولم تعمر للآن وذهب معه محمد بن الخير وقد عقد له على وهران فحضر معه جميع وقائعه بالمغرب ولما رجع أقرّه على وهران بعد أن قطع الدعوة المروانية من المغرب بأجمعه وردّها للشّيعة فخطب لهم على جميع منابر المغرب.

ثم حل محمد بن الخير بوهران وأقام ملكها غاية وبثّ دعوة الشيعة بالمغرب بعد أن وقعت له معهم حروب عظام ولما تقلدها فى سنة سبع أو ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة/ وهى السنة التى قتل (ص46) فيها يعلى. ويقال إن محمد بن الخير هو الذى أغرى جوهرًا على قتله. أدّى لهم الطاعة التامة

(1) الموافق 958- 959م.

وظاهرهم غاية الظهور ورفض المروانيين بالأندلس رفضًا كليًّا. وفى سنة خمسين وثلاثمائة[1] توفى جده محمد بن خزر بالقيروان بعد أن عمر كثيرًا كما فى ابن خلدون. ثم فى سنة ستين وثلاثمائة[2] فسد ما بين محمد بن الخير والشيعة وتقلد طاعة المروانيين بالأندلس وحشّد جميع زناتة المغرب الأوسط ما عدا تاهرت لبقائها بيد الشيعة وأمدّه المروانى من قرطبة بما أراد من الجيش العرمرم ونهض من وهران يجرّ الأمم بحذافرها فبلغ ذلك زيرى بن مناد الصنهاجى عامل الشيعة وجمع له الجموع التى لم يعهد الزمان بمثلها ولما اجتمعت بدار ملكه أشير، عقد لابنه بلكين وأمره بحرب محمد بن الخير فالتقى الجمعان بالبطحاء ووقعت الدائرة على محمد بن الخير بعد أن وقعت بينهما الحروب العظام ويقال أن زيرى دسّ من يجرّ الهزيمة على محمد بن الخير. ولما رأى (كذا) ذلك مال بنفسه إلى ناحية من عسكره وذبح نفسه سنه ستين وثلاثمائة[3] وانهزم قومه سائر يومهم وبقيت عظامهم ماثلة بمحل القتل أعصرًا وهلك من قومه سبعة عشر أميرًا فى تلك الواقعة سوى الأتباع كذا فى ابن خلدون، وقال غيره بضعة عشر من غير تعيين فأخذ بلكين رءوسهم وانقلب بها إلى أبيه ظافرًا بالغنيمة وبعث بها زيرى إلى إفريقية للمعزّ الشيعى/ (ص47) فامتلأ سرورًا وغمّ لها المنصور الأموى بقرطبة وبذلك علا قدر زيرى على سائر العمال.

ثم تولى الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر رئاسة قومه بموضع أبيه بوهران فملكها واجتمع بأخيه يعلى بن محمد بن الخير وقومهما وطلبوا الثأر. ولما جاءهم جعفر بن على عامل المسيلة للشيعة فارًّا من المعزّ الشيعى ألقوا إليه حالهم وجعلوا بيده زمام أمرهم فقام بدعوة المروانى منتقضًا على الشيعى فزحف لهم زيرى بن مناد الصنهاجى من آشير واقتتلوا قتالًا شديدًا فكانت الدائرة على زيرى وأكبّ (كذا) به فرسه فأخذوه وقتلوه واجتزوا رأسه وبعثوا به إلى الحاكم المروانى بقرطبة سنة ستين أو إحدى وستين وثلاثمائة فأخذ مغراوة ثأرهم وشفوا غليلهم، وأبردوا (كذا) غليلهم وتهدم بموت زيرى البنيان لصنهاجة، والدنيا تلك عادتها يوم بيوم

(1) الموافق 961- 962م.

(2) الموافق 970- 971م.

(3) الموافق 970- 971م.

والدّهر قاضٍ ما عليه لوم. ولما أخذ الخير بن محمد بن الخير بثأر أبيه من الصنهاجيين وتمهّد له الملك نهض بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى لقتاله آخذًا بثأر أبيه زيرى المذكور وذلك سنة سبع وستين وثلاثمائة[1] فجمع الجموع التى لا تحصى ولا تعد، وغزى (كذا) المغربين حتى انتهى إلى أقاصى المغرب الأقصى (كذا) ملك فاسا وسجلماسة وطرد (كذا) جميع أولياء المروانيين وتقبّض على على بن نور، ومحمد والخير، ابنى محمد بن الخير فقتلهم وفرّ من بقى من ملوك زناتة مثل يدُّو بن يعلى اليفرينى وبنى عطيّة المغراويين وغيرهم ولاذوا بسبتة وبعثوا بالصريخ إلى (ص48) المنصور بن أبى عامر المعافرى فخرج من قرطبة للجزيرة الخضراء/ وأمدهم بعساكر جمّة ولّى عليها ابن حمدون وعقد له على حرب بلكين وأمّده بمائة حمل من المال فأجاز (كذا) البحر، وصير مصافّ القتال لظاهر سبتة. وكان بلكين بعساكره فى تيطاون فتحيّل وأطلّ على عسكرهم فرء (كذا) ما أدهشه وقال: هذه أفعى أفغرت إلينا فاها (كذا) وكرّ راجعًا فهدم البصرة وجاهد فى بر غوّاطة وسلبهم وبعث بذلك للقيروان وأقطع (كذا) الدولة الأموية من المغرب كله. ولم تزل معه مغراوة فى تشريد إلى الصحراء وإذعان له إلى أن هلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[2] بموضع يقال له: وازركس بين سلجماسة وتلمسان بسمّ سقته له زوجته.

ثم تولى بوهران يعلى بن محمد بن الخير الخزرى المغراوى بموضع أخيه الخير بن محمد وقام بأمر زناتة فضبط الملك وتكررت إجازته (كذا) مع ابن أخيه محمد بن الخير بن محمد إلى المنصور بن أبى عامر المعافرى بقرطبة ليمدهما بالجيش لأخذ الثأر فى الخير بن محمد وأصحابه من أعدائهم الصنهاجيين فلم تحصل لهما فائدة وسلم يعلى بن محمد بن الخير لابن أخيه محمد فى رئاسة قومه بوهران.

ثم تولى بوهران محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى رئاسة قومه وذلك فى أعوام الستين وثلاثمائة[3] ثم تولى بعده أمر زناتة بالمغرب الأوسط بدار ملكهم وهران

---

(1) الموافق 977- 978م.

(2) الموافق 9830- 984م.

(3) الموافق 970- 980م.

محمد بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى فملك ما ملك أبوه وجده كافة واستولى على كافة المغرب حتى أضاف لعمله المسيلة والصحراء والمغرب وبوادى زناتة. ولم يبق لبنى أمية معه سوى الخطبة خاصة وأطرد (كذا) الصنهاجيين من / أكثر عملهم. (ص49)

ثم فى سنة ثمان وستين وثلاثمائة[1] تولى زيرى بن عطية بن عبد الله بن محمد بن خزر الخزرى المغراوى، فملك وهران وغيرها وذلك بدعوة هشام المؤيد الأموى وحاجبه المنصور بن أبى عامر المعافرى بعد انقطاع أيام الأدارسة وبنى أبى العافية المكناسى من الغرب الأقصى (كذا)، فملك المغربين وغلب على بواديها كله (كذا) واستوطن فاسًا وصيره دار ملكه فى عام سبعة وسبعين وثلاثمائة[2] وأورثه لبنيه من بعده. المعروف الآن بباب القيسة وعلا قدره وعظم سطانه وارتفع شأنه على سائر العمال.

ثم قام عليه أبو البهار بن زيرى بن منادٍ الصنهاجى بالمغرب الأوسط مخالفًا على ابن أخيه منصور بن بلكين ظهير الشيعة فنقض أمر الشيعة ومال للمروانيين وغلب على تلمسان ووهران ومازونة وتمزغران (كذا) مستغانيم والبطحاء، وتنس، وشلف، وشرشال، ووانسريس، ومليانة، وكثير من بلاد الزّاب، وخطب للمؤيد وحاجبه وبعث لهما بالبيعة والهدية وذلك سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[3] فبعث له المنصور بالعهد على ما بيده من البلاد وصارت وهران فى حكمه ودار ملكه وبقى نحو الشهرين ورفض دعوة الأمويين ومال للشيعة فبلغ المنصور أمره فبعث فورًا لزيرى بن عطية المغراوى المذكور بالعهد على بلاد أبى البهار وأمره بقتاله فصار له بجيوش كثيرة وفرّ أبو البهار هاربًا بنفسه فلحق بابن أخيه وترك المغرب لزيرى الخزرى فرجعت له وهران كأول مرة فاتسع عند ذلك سلطانه وامتدّ ملكه من سوس الأقصى إلى الزاب، وكتب بالفتح للمنصور وبعث له صحبة الكتاب بهدية عظيمة من جملتها قطط الزبد ثم اللمط، والزرفة وغيرهم، فسرّ المنصور بذلك كثيرًا وكتب له بالجواز عنده فجاز فى سنة إحدى وثمانين

(1) الموافق 978- 979م.

(2) الموافق 987- 988م.

(3) الموافق 987- 988م.

(ص50) وثلاثمائة[1] فأوسع له المنصور ولأصحابه فى الجوائز / وأعطاه مالًا عظيمًا، وهدايا كثيرة ولقّبه بالوزارة فرجع لأهله كارهًا لذلك ومستقلًا للعطايا ونهر من قال له يومًا: يا وزير وقال له: ما أنا إلّا أمير وابن أمير فوالله لو ألقى المنصور رجلًا بالأندلس ما تركه على حاله يراه، تسمع بالمعيدى خير من أن تراه، ثم وضع يده على رأسه وقال له: يا هذا الرأس الآن علمت انك لى، وكان فى حال جوازه للأندلس وجد يدُّو بن يعلى اليفرينى فرصة للمغرب فزحف بجنوده لفاس ودخلها فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة[2] ولما سمع به زيرى جدّ السير له إلى أن وصله فقاتله كثيرًا واتصلت بينهما حروب عظيمة وصار من غلب منهما دخل فاسًا إلى أن ظهر به زيرى فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة[3] فقتله وبعث برأسه للمنصور فلم يبق له بالمغرب منازع وهابته الملوك. ويَدُّو بن يعلى هو القائل للمنصور لما استدعاه للقدوم عنده: حمر الوحش لا تقاد للبيطار.

ثم فى رجب سنة ثلاث أو أربع وثمانين وثلاثمائة[4] بنا (كذا) زيرى مدينة وجدة وحصّنها وشيد قصبتها وانتقل إليها بأهله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لتوسطها بين المغربين. قال الحافظ أبو راس فى الخبر المعرب: إن وجدة هى الفاصل بين المغرب الأقصى والأدنى. وقال فى فتح الرحمان: إن وجدة كانت فى القديم بها مدينة عظيمة لها ثلاثمائة باب وبضعة وستون بابًا. وسمّيت وجدة لأنها مسكن أهل الوجد، أو لوجود الصالحين فيها. قاله الغزالى. وبإزائها قبر يحيى بن يونس المدفون بغرب جبل الكواكب من أرض أنقاد يقال: إنه من الحواريين الصديقين، عَبَد الله تعالى ثمانين سنة صيامًا وقيامًا ولم يأكل فيها شيئًا وآمن بالنبى ﷺ قبل مبعثه بخمسمائة عام يقال: إن ماء وجدة يخرج من قرب ضريحه أو منه، نفعنا الله وذريتنا وقرابتنا وأحبابنا وكافة المؤمنين ببركته.

---

(1) الموافق 991- 992م.

(2) الموافق 992- 993م.

(3) الموافق 993- 994م.

(4) الموافق 993- 995م.

ثم فسد ما بين زيرى بن عطية الخزرى المغراوى وبين المنصور بن أبى عامر المعافرى فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة[1] فبعث المنصور جيوشًا كثيرة لنظر واضح لمحاربته ولقيه زيرى بجيوشه وحصل المصافّ بوادى ردات بأحواظ طنجة واتصلت الحروب الكثيرة بينهما ثلاثة أشهر، فكان الظفر فيها لزيرى / وهزم واضح بجيوشه ومات منه خلق كثير وفرّ لطنجة فتحصّن بها وكتب (ص51) للمنصور يستصرخه فأمده بجيوش الأندلس وقوادها وعقد عليها لابنه المظفر بن المنصور وأمره بحرب زيرى فأجاز البحر وحلّ بطنجة فأهابه زيرى وكتب لجيوشه فاجتمعت عليه من سجلماسة، وتلمسان، ووهران، والزاب، وسائر بوادى زناتة، ونهض بهم للقاء المظفر فكان المصاف بوادى مينا من أحواز طنجة. وكان لزيرى غلام يقال له: سلام لا يحبه فألفى الغلام فى زيرى الفرصة لما وجده مضطجعًا ظنًّا منه أنه نائم فتقدم له وضربه بسكين كانت عنده للبّته يريد نحره وجرحه ثلاث جراحات وتركه كالميت فى دمه وانطلق مسرعًا للمظفر وأخبره فأمكنته الفرصة وشدّ على زناتة وهم فى دهشة مما حلّ بأميرهم من غلامه سلّام فهزمهم واحتوى على المحلة بجميع ما فيها وكثر السبى والقتل وغنم ما لا يحصى ولا يعدّ. وهرب زيرى لمضيق الحية وهو موضع قرب مكناسة واجتمع عليه فلّه وهم بالرجوع فجهّز له المظفر خمسة آلاف فارس لنظر واضح فأسرى بهم ليلًا وضرب محلّة زيرى غفله وذلك فى نصف رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[2] فأوقع بهم موقعًا عظيمًا وأسر من أعيانهم نحو ألفى رجل فمنّ عليهم المظفر وصاروا من جملة جنوده. وفرّ زيرى فى شرذمة من أصحابه وقرابته لفاس فأغلقت الأبواب فى وجهه فأخذ أهله والدواب والزاد وذهب للصحراء (كذا) فنزل بسجلماسة ثم زاد لبلاد صنهاجة فألفى أهلها قد اختلفوا على ملكهم باديس بن منصور بن بلكين بعد وفاة/ منصور فبعث لقبائل (ص52) زناتة فأتاه خلق كثير فاغتنم الفرصة وزحف لصنهاجة فأوغل فيهم كثيرًا وهزم جيوشهم ودخل تاهرت وجملة من الزاب وملك المسيلة،ووانسريس، وشلف، وتنس، ومازونة، والبطحاء، ومستغانم، وتمزغران، ووهران، وتلمسان، وسائر المغرب الأوسط، وغيره، وأعاد (كذا) لوجدة

---

(1) الموافق 996- 997م.

(2) الموافق سبتمبر 1997م.

وأقام الدعوة للمؤيد وحاصر آشير قاعدة صنهاجة وبقى يغاديها ويراوحها إلى أن مات من جراحاته المارة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة[1].

ثم تولى بعده بوهران يعلى بن محمد بن الخير مرة ثانية وضبط أمرها وخضعت له الرعية وأدّت طاعته زناتة، وهابته الملوك فبقى إلى سنة عشرة وأربعمائة[2].

ثم بويع بموضعه ابن أخيه وهو محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر مرة ثانية وضبط الملك أكثر من عمّه يعلى وأطاعته سائر زناتة والمغرب الأوسط مدنه وبواديه وامتدّ له فى الملك من سنة عشر وأربعمائة إلى سنة ثلاثين وأربعمائة[3].

ثم قام بأمره من بعده فى وهران ابن عمه محمد بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر مرة أخرى ومهّد له الملك أكثر من الأولى ودخل فى طاعته سائر المغرب الأوسط بواديه وقراه ومدنه، وحصنه، وضايق صنهاجة بالمشرق وأبناء عمه مغراوة وبنى يفرن بالمغرب والصحراء، وصاروا معه تارة فى حرب وأخرى فى سلم واتصلت يده بيد ابن أخيه بختى بن تميم بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر ملك تلمسان فتمهّد لهما المغرب.

ولا زالا كذلك فى الملك إلى أن هلكا معًا ومعهما وزير بختى بن تميم وهو أبو سعيد الزنانى (ص53) خليفة اليفرنى فى حرب الأثبج/ وزغبه الهلاليين بالزاب فى أعوام الخمسين وأربعمائة[4] كما فى ابن خلدون وغيره.

ثم تولى بموضع محمد بن يعلى بوهران ابنه محمد الصغير بن محمد بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى.

وبتلمسان العباس بن بختى بن تميم بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى. واستبدّ كلّ منهما بموضعه وما يليه وتحت حكمه، وضبط الأمر بحكمه، ولا زالا كذلك إلى أن

(1) الموافق 1000-1001م.
(2) الموافق 1019 - 1020م.
(3) الموافق 1019 - 1039م.
(4) الموافق 1058 – 1067م.

أزالها يوسف بن تاشفين اللمتونى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة[1] فانقطع ملك الدولتين بالمغرب وهما المروانيين والشيعة بالكلية.

قائمة حكام وهران

فتلخص من هذا أن الذين ملكوا وهران من عمّال الدولتين المذكورتين ستة عشر:

فمن مغراوة عشرة وهم: خزر بن حفص، ثم ابنه محمد بن خزر، ثم ابنه الخير بن محمد، ثم ابنه محمد بن الخير، ثم ابنه الخير بن محمد بن الخير، ثم ابنه يعلى بن محمد بن الخير، ثم محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر، ثم محمد بن يعلى، ثم زيرى بن عطية، ثم محمد الصغير ابن محمد بن يعلى.

وهؤلاء كلهم خزريون مغراويون.

ومن أزديجة وعجيسة اثنان: وهما: أبو ديلم بن الخطاب الأزديجى من بنى مسرقين، وشجرة ابن عبد الكريم العجيسى.

ومن الشيعة واحد وهو: محمد بن أبى عون.

ومن بنى يفرن واحد وهو: يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى.

ومن صنهاجة اثنان وهما: بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى، وأخوة أبو البهار بن زيرى ابن مناد الصنهاجى.

قائمة الخلفاء الأمويين بالأندلس والمشرق

وأعلم أن جملة المروانيين بالأندلس ستة عشر ملكًا وهم: عبد الرحمن الداخل، ثم ابنه هشام الراضى، ثم / ابنه الحاكم، ثم ابنه عبد الرحمن، ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن، ثم ابنه المنذر بن (ص54) محمد، ثم أخوه عبد الله بن محمد، ثم عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، ثم ابنه الحاكم بن عبد الرحمن الناصر، ثم ابنه هشام المؤيد، ثم محمد المهدى بن هشام بن عبد الجبار، ثم المستعين سليمان بن الحاكم بن سليم بن عبد الرحمن الناصر، ثم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجابر، ثم

---

(1) الموافق 1080 – 1081م.

المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر، ثم المستعين هشام بن محمد ابن عبد المالك بن عبد الرحمن الناصر، ثم أميّة الأموى وبه انقطعت دولة بنى أمية من الأندلس.

وجملتهم بالمشرق أربعة عشر ملكًا وهم: معاوية بن أبى سفيان، ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن (كذا) يزيد، ثم مروان بن عبد الحكم، ثم ابنه عبد الملك (كذا) بن مروان، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك، ثم أخوه سليمان (كذا) بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز بن مروان، ثم يزيد بن عبد الملك بن مروان، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن اليزيد بن عبد الملك، ثم ابنه يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم (كذا) بن الوليد، ثم مروان بن محمد بن مروان، وبه انقرضت دولتهم بالمشرق.

قال العلا (كذا) ولما انقضت مدة دولة بنى أمية وقرب تمامها كنت نائمًا عند سليمان بن هشام فإذا به قد أيقظنى وقال لى: كنت نائمًا فرأيت فى نومى كأنى فى جامع دمشق وكأن رجلًا فى يده خنجر وعلى رأسه تاج وهو رافع صوته بهذه الأبيات:

(ص55)

أبنـــى أميـــة قـــد دنـــا تشـــتيتكم ... وذهـــاب ملككـــم وأن لا يرجـــع

وينـــال صـــفوته عـــدو ظـــالم ... للمحســـنين إليـــه ثمّـــت يفجـــع/

بعـــد المـــمات فكـــل ذلـــك صـــالح ... يـــا ويحـــه مـــن قـــبح مـــا قـــد يصـــنع

قال العلا: فقلت لسليمان: ولعل ذلك لا يكون، فأطرق سليمان ساعة وقال لى: هيهات يا علا ما يأتى به الزمان قريب، فلم تتم الجمعة حتى دخل عليهم مروان الجعدى وانقرضت دولتهم فاتح ثلاث وثلاثين ومائة[1] انظر الجمان للشاطبى.

قائمة خلفاء الشيعة الفاطميين

وجملة ملوك الشيعة وهم العبيديون أربعة عشر ملكًا وهم: المهدى ثم القائم، ثم المنصور، ثم المعزّ، ثم العزيز، ثم الحاكم، ثم الظاهر ثم المستنصر، ثم المستعلى، ثم الآمر، ثم الحافظ، ثم الظافر، ثم الفائز، ثم العاضد وهو آخرهم. وبه انقرضت دولتهم، ودأب الدنيا لم تعط إلّا

(1) الموافق أوت 750م.

استردّت ولم تحلُ إلّا تمرّرت ولم تصف إلا تكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر . وفى ذلك قال الشاعر من البسيط:

حسّنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وساعدتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

الحذر ينفع ما لم يغلب القدر ... فإن أتى قدر لم ينفع الحذر

لا بدّ من فرح يومًا ومن ترح ... وهكذا الدّهر فى تصريفه عبر

وليس من قدر إلا له سبب ... وليس من سبب إلّا له قدر

رمت البقا أبدًا ولا بقاء بها ... والموت حقّ فلا يبقى ولا يذر

قائمة ملوك الأدارسة بالمغرب الأقصى

وجملة ملوك الأدارسة بالمغرب الأقصا (كذا) ثلاثة عشر وهم: إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، ثم ابنه إدريس الأصغر، ثم ابنه محمد بن إدريس، ثم ابنه على بن محمد، ثم أخوه يحيى بن محمد، ثم ابنه يحيى بن يحيى، ثم على بن عمر بن إدريس الأصغر، ثم يحيى المقدام بن القاسم بن إدريس الأصغر، ثم يحى بن إدريس بن عمر بن إدريس الأصغر. وهو أعلى الأدارسة ملكًا، ثم الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن إدريس الأصغر. ثم محمد كانون بن القاسم بن إدريس الأصغر. ثم ابنه أبو يعيش أحمد بن محمد كانون، ثم أخوه الحسن بن محمد كانون وهو آخرهم، وبه انقرضت دولتهم من المغرب بالكلية.

قائمة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط

وجملة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط أحد وعشرون:

فبتلمسان أربعة وهم: محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل. ثم ابنه أحمد، ثم ابنه محمد، ثم ابنه القاسم.

وبرشقون أربعة أيضًا وهم: عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، ثم ابنه إبراهيم، ثم ابنه يحيى، ثم أخوه إدريس بن إبراهيم.

وبجرارة ثلاث وهم: إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، ثم ابنه أبو العيش عيسى، ثم ابنه الحسن.

ويتاهرت ثلاثة أيضًا وهم: الحسن بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، ثم ابنه حناش، ثم ابنه بطوش.

وبتنس سبعة وهم: إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، ثم ابنه عيسى، ثم ابنه إبراهيم، ثم محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، ثم ابنه يحيى، ثم ابنه على، ثم أخوه حمزة بن على.

وتغلّب العبيديون على السليمانيين، لما تملّكوا المغرب الأوسط فأزالوا دولتهم وقطعوهم والملك لله وحده.

* * *

الدولة الثالثة المرابطون

ثم ملك وهران / الدولة الثالثة وهم المرابطون: (ص57)

ويقال لهم: الملثمون، وهم لمتونة فرقة من صنهاجة تلقّبوا بذلك لكونهم انقطعوا فى جزيرة ببحر النيل[1] وربطوا أنفسهم فيها للطاعة مع شيخهم عبد الله بن ياسين إلى أن كثر عددهم فقاموا للملك إلى أن كان منهم ما كان. ومن ثمّ صار هذا لقب لكل ناسك مبرور ملازم للطاعة لا يدخل فى شئون المخزن سيّما بالمغرب الأوسط. وسمّوا بالملثمين إمّا لكونهم لا يتركون (كذا) اللثام حتى إنه لا يعرف أحدهم إلا إذا كان ملثمًا وإلّا فلا، وإما لكون رجالهم غابت عن حيّهم وبقى به النساء فجاءتهم العرب لأخذهم فلبس النساء لباس الرجال وتلثمن لئلا يعرفن وركبن النجائب وقاتلن العدو إلى أن دافعن (كذا) عن الحى ففعل ذلك الرجال وبقيت فيهم سنة للآن فى بلادهم وهم الذين يقال لهم: التوارق بقرب السّودان.

وأول من ملك منهم وهران المجاهد يوسف بن تاشفين اللمتونى وذلك أنه استقر بالمغرب سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة[2] خليفة لابن عمه أبى بكر بن عمر اللمتونى لما اختار الرجوع للصحراء وصار يدّوخ فيه ولما صعب عليه حرب المصامدة ذهب لمراكش وهى مفاوز ومعناها بلغتهم «امش مسرعًا» . فمر معناه: امش، معناه: مسرعًا. وبنا (كذا) قصبة صغيرة ومسجدًا وأدار بذلك سورًا وذلك سنة أربع أو خمس وخمسين وأربعمائة[3] واتخذ الأجناد والقواد والبنود والطبول وسائر/ آلة الملك تلك السّنة وتوجه بذلك لفاس فدخل عنوة وخرّبه وهدم أسواره وظفر بعامله بكّار بن إبراهيم فقتله وارتحل إلى صفرو فدخله من يومه عنوة وقتل عماله أولاد المسعود والمغراوى ورجع لفاس لكونه لما فتحه أولًا وجعل عليه عاملًا لمتونيا قام عليه به تميم بن معنصر المغراوى فدخله وقتل عامله ولما سمع بقدوم يوسف هرب من فاس ودخل يوسف ثانيًا

---

(1) هذه رواية ابن خلدون ولكن الحقيقة أن الجزيرة التى اعتصم بها عبد الله بن ياسين وتلاميذه ورابطوا بها تقع فى حوض نهر السنغال. ولو أن الأستاذ محمد عبد الله عنان ذكر أنها تقع فى منحنى نهر النيجر.

(2) الموافق 1061 – 62م.

(3) بدأ الشروع فى بناء مدينة مراكش عام 454 هـ (الموافق لعام 1062م).

وهو الفتح الثانى فى يوم الخميس ثانى جمادى الثانية سنة اثنتين وستين وأربعمائة[1] فأسرف فى قتل مغراوة إلى أن قتل منهم بالجامعين الأعظمين ما يزيد على ثلاثة آلاف، وهدم الأسوار التى فصل بها ابنا زيرى بن عطية وهما: الفتوح، وعجيسة، بين العدوتين وصيرهما (كذا) مدينة واحدة حمل أهلها على تكثير المساجد وأقام بها إلى صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة[2] فخرج لقصور بنى وطاط بملوية ففتحها ووجه إلى أمراء المغرب وأشياخه بالقدوم ليتفقد أحوالهم وأحوال رعيته وغزى (كذا) مدينة رهونة من طنجة سنة خمس وستين وأربعمائة[3] فدخلها عنوة وفتح جبل علودان، وفتح غياثة وبنى مكود، وزهينة، سنة سبع وستين وأربعمائة[4] وفتح طنجة فى سبعين وأربعمائة[5] . ثم بعث قائدة مزدلى لتلمسان فى عشرين ألفًا ففتحها سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة[6] وقتل ابن أميرها معلى بن يعلى المغراوى وكتب اسمه على السكة فى جهة وفى الأخرى كتب: «ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه» سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة[7] / وفيها غزا (كذا) وجدة وبنى يزناسن وتلمسان فلقيه بها ملكها العباس بن يحتى المغراوى بجيشه من بنى يفرن ومغراوة فقتله. (ص59)

وأكثر جنده وفتحها عنوة واستعمل عليها محمد بن تعمر المسوفى[8] وبنى (كذا) بها تلمسان الجديدة بمحل محلّته وهى المسكونة الآن.

ثم تخطى (كذا) منها لوهران تلك السنة ففتحها عنوة ونفى (كذا) عنها ملوكها بنى الخزر المغراويين وصيرها من جملة رعيته وقطع دعوة مغراوة وبنى يفرن من المغرب كله.

---

(1) الموافق 18 مارس 1070م.
(2) الموافق نوفمبر – ديسمبر 1070م.
(3) الموافق 1072 – 1073م.
(4) الموفق 1074 – 1075م.
(5) الموافق 1077 – 1078م.
(6) الموافق 1079 – 1080م .
(7) الموافق 1086 – 1087م.
(8) لعله تينعمر المسوفى.

وفي إخراجه لمغراوة من فاس، ووهران، قال الحافظ أبو راس في سينيته ما نصّه:

ثـــم أزالهـــم يوســـف أيضًـــا فعـــى   كـــما أزالهـــم قبـــل عـــن أرض فـــاس

ثم زاد إلى مازونة وتنس وونسريس وشلف وزاد متماديًا بجيوشه إلى الجزائر فطوعها وأطاعه أملها بنو مزغّنة وكان دخوله لها في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وأربعمائة[1] وصيرها حدًّا بينه وبين ملوك البلكانية من صنهاجة للقرابة التي بينهم. فملك رحمه الله من الجزائر إلى السوادن إلى البحر المحيط إلى جبل الذهب بهذه العدوة وكلها بسط فيها العدل وأبطل منها المكس والمغارم.

ثم تخطى إلى عدوة الأندلس سنة تسع وسبعين وأربعمائة [2]/ فهزم الكفرة وأوقع بهم في (ص60) قضية الزلاقة المشهورة الموقع العظيم حتى إنه جمع فيها الرءوس إلى أن صارت تلًا؛ يعني: ربوة وأذن عليها المؤذن ثم فرّقها على المدن فأعطى لكل مدينة ألوفًا عديدة، وازينت لتلك الواقعة بغداد، والحرمان الشريفان ومصر، والعراق، والشام، وغيرهم من مدن المشرق وشاع خبرها إلى مدينة سرة[3] قاعدة مدن الهند وبعث له الناصر العباسي على ذلك خلعًا كثيرة يقصر عنها الوصف، وجدد له العهد وقطع رحمه الله ثوار الأندلس مثل ابن عبّاد وغيره.

وملك بعدوة الأندلس من أفراغة قاصية أرض الفرنج إلى إشبونة حدها من المغرب عند البحر المحيط وذلك مسيرة شهر وثلاثة أيام طولًا، والعرض نحو العشرين يومًا وبسط فيها أيضًا العدل وأبطل المكس وبايعه بها ثلاثة عشر ملكًا وخطب له على ألف وتسعمائة منبر وساست ملكه زوجه زينب وماتت سنة أربع وستين وأربعمائة[4] وكان رحمه الله زاهدًا يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير بلبن الإبل ولحومها، وغالب أكل جنده الجيّد كالدرمك والفالوذج ونحوهما، وجدد السكة من واقعة الزلاقة فنقش في ديناره في جهة: لا إله إلا الله محمد رسول

(1) الموافق 1080 – 1081م.

(2) الموافق 10 جويلية – 28 أوت 1082م.

(3) لعلها سورات هكذا وهو الأصح.

(4) الموافق 1071 – 1072م.

الله، وتحته أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، وفى الدائرة: ومن يبتغ غير الإسلام دينًا... إلى الخاسرين. وفى الصفحة الأخرى الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسى وفى الدائرة تاريخ الضرب وموضع السكة. ولد رحمه الله سنة أربعمائة وتوفى سنة خمسمائة[1] عن مائة سنة بعد ما ملك أربعين سنة ودفن بمراكش وقبره بها من أعظم المزارات وعليه مشهد عظيم.

(ص61) ثم ملك وهران بعده ابنه على، تولى / بموضع أبيه قيل سنة خمسمائة وقيل سنة إحدى وخمسمائة[2] وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، فملك جميع الغرب من بجاية لسوس الأقصى وللقبلة من سجلماسة لجبل الذهب فى السودان والأندلس شرقًا وغربًا وخطب له على ألفين وثلاثمائة منبر وكان محبًّا لأبى الوليد بن رشد فولاه القضاء بقرطبة سنة تسع وخمسمائة[3] وعزله منها سنة ثلاث عشرة وخمسمائة[4] وجعل بدله أبا القاسم بن حميدين فشرع ابن رشد فى شرح «العتيبة» وسماه «بالتحصيل والبيان».

وفى أعوام العشرة الثانية أمر بحرق كتاب «الإحياء» للغزالى لما فيه من التشديد بإغراء أبى القاسم بن حمدين وموافقة ابن رشد والقاضى عياض. وفى أيامه ظهر أمر الشريف المهدى بن تومرت القائم بدولة الموحدين وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة[5] فقال له قاضى المرية بمراكش: اجعل على رجليه كبلًا، قبل أن يسمعك طبلًا، فأبى إلى أن كان ما كان وبسببه دخل الدولة المرابطية الهرم وكثر فيها الإرجاف وكمل بناء مدينة مراكش بإشارة ابن رشد عليه سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة[6] فأنفق على سورها سبعين ألف دينار وعلى جامعها الأعظم والمنارة (ص62) ستين ألف دينار أخرى. وأخذ البيعة لولده تاشفيق سنة سبع وسبعين وأربعمائة [7]/ وتوفى

---

(1) الموافق 1109 – 1107م.

(2) تولى على بن يوسف الملك عام 500 هـ الموافق 1106م.

(3) الموافق 1115 – 1116م .

(4) الموافق 1119 – 1120م.

(5) الموافق 1121 – 1122م.

(6) الموافق 1128م.

(7) الموافق 1084 - 1085م.

بمراكش سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. وهو ابن سبع وخمسين سنة بعدما ملك سبعًا وثلاثين سنة. وكان فقيهًا عالمًا فاضلًا خير مالك ودولته عز للإسلام وسيرته حسنة وأحواله مستحسنة. وفى وقته بى (كذا) وزيره عبد الرحمن المعافرى الحمام بجوف الجامع الأعظم من غرناطة وفرّش صحن جامع قرطبة وأصلح بناء مدينة طرطوشة.

ثم تولى ابنه تاشفين بموضعه فى ثامن رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة[1] فى معظم فتنة الموحدين بمعاهدة أبيه إليه فى حياته فأطاعته العدوتان كأبيه وجده واتصلت حروبه مع عبد المؤمن بن على من أول أمره وصار يتبع عبد المؤمن بن على حيث مرّ إلى أن توجه لتلمسان فأتبعه لها ودخلها تاشفين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة[2] ونزل عبد المؤمن بن على بين الصخرتين بظاهرها مما يلى الجبل ونزل تاشفين الوطا مما يلى الصفصيف وزحف المرابطون للموحدين فنهاهم تاشفين فأبوا وتعلقوا بالجبل فانحدر لهم الموحدون وهزموهم شنيع وفرّ تاشفين لوهران فى مواعدة صاحبة ابن ميمون فى أسطوله بالبحر ونزل بظاهرها وترك تلمسان تحت عامله محمد ابن الشيّور فترك عبد المؤمن لمحاصرة تلمسان وزيره يحيى بن تومرت ولحق بوهران فى طلب تاشفين فنزل عليه وحاصره بها إلى أن مات.

واختلف فى وجه الموت على أربعة أقوال ومعناها واحد:

فقال أبو محمد صالح فى الأنيس المطرب بروض القرطاس: خرج تاشفين ليلًا ليضرب فى محلة العدو فتكاثرت عليه الخيل والرجال وكانت ليلة مظلمة ممطرة وهى ليلة تسع وعشرين من رمضان سنة / تسع وثلاثين وخمسمائة[3] ففرّ أمامهم وكان بجبل عالٍ منيفٍ على البحر فظن أن (ص63) الأرض متصلة فأهوى بفرسه من شاهقٍ بإزاء رباطة وهران فمات.

وقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار وسائر كتبه المؤلفة فى التاريخ: إنه لما طال عليه الحصار بوهران وعلم أنه لا طاقة له ودّع خواصه وخرج ليلة عيد الفطر سنة تسع وثلاثين

---

(1) الموافق 26 جانفى 1143م.

(2) الموافق 1144 – 1145م.

(3) الموافق 25 مارس 1145م.

وخمسمائة إلى جبل هيدور وهو جبل وهران على فرس عتيق وحملها (كذا) على شاهق فتردى به فى بعض الأخاديد فمات ومن الغد وجد. وقوله رضى الله عنه فى عجائب الأسفار: إن ذلك سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، سبق قلم.

وقال أبو الفداء صاحب حماة فى المختصر: فلما كان ليلة تسع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وهى ليلة يعظمها المغاربة سار تاشفين فى جملة يسيرة مختفيًا ليزور مكانًا على البحر فيه متعبدون وصالحون بقصد التبرك فبلغ الخبر مقدم جيش عبد المؤمن واسمه عمر بن يحيى الهنتاتى فساروا وأحاطوا به فركب تاشفين فرسه وحمل ليهرب فسقط من جرف عال فمات.

وقال أبو إسحاق الشاطبى فى الجمان: إن تاشفين لما هرب من تلمسان اتبعوه إلى أن نزل بمرسى وهران فحاصروه بها ودخلوا عليه فلجئوه (كذا) إلى جرف عال فرمى بنفسه وهو راكب على فرسه من أعلى (كذا) الجرف فاندق عنقه وعنق فرسه فى تلك السنة . اهـ.

قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران وأنيس السهران: والموضع الذى مات فيه يعرف إلى الآن (ص64) بمكبّ/ الفرس قرب حمام سيدى دادّ أيوب ما بين وهران والمرسى (الكبير) ثم إنه لما وجد من الغد ميتًا بإزاء البحر أخذ وصلب على جذع واجتزّ رأسه وحمل لتمليل فعلق بها على شجرة صفصاف عاليه ولما صلب بوهران استأصل القتل أصحابه وتفرقوا فهرب بعضهم للنهر المنحدر من رأس العين وهو نهر وهران وكان مشعرًا وبه غيظ ملتف بعضه ببعض فأضرم الموحدون النار فى الوادى فمن بقى احترق ومن خرج قتل وسار عبد المؤمن لوهران فتمكن منها بالسيف وقتل بها ما لا يحصى.

قائمة ملوك صنهاجة

واعلم أن ملوك صنهاجة على ثلاثة فرق:

الفرقة الأولى البلكانية: وهم ملوك إفريقية وبجاية والمغرب الأوسط والأندلس أيام الطوائف.

وجملتهم خمسة وعشرون: فبإفريقية عشرة: أولهم منادِ الصنهاجي مقيم الدولة الفاسية، ثم ابنه زيرى مختط مدينة أشير بسفح (كذا) جبل تيطرى أواسط القرن الرابع[1]، ثم ابنه يوسف بلكين مختط مدينة الجزائر ومليانة والمدية أواسط القرن الرابع أيضًا بأمر أبيه المذكور وكانت له أربعمائة حاضنة (كذا) فى قصره حتى إنه بشر فى يوم واحد بولادة سبعة عشر غلامًا وهذا لم يسمع مثله. ثم ابنه منصور، ثم ابنه باديس، ومات بدعاء الشيخ محرز ابن خلف عليه. ثم ابنه المعز الذى بلغ فى خسارة عرسه ستة عشر ألف ألف دينار وتراتيب بيته من العود الهندى بمسامير الذهب وأنه عمل لجدّته / لما ماتت تابوتًا من العود الهندى مرصعًا بالجواهر وصفائح (ص65) الذهب وعلّق عليه عشرين سبحة من نفس الجوهر وذبح عليها مائة بقرة وألف شاة ونحر خمسين ناقة وفرق على النساء عشرين ألف دينار. ثم ابنه تميم الذى قال فيه أبو على بن رشيق:

أصح وأعلى ما سمعناه فى الندا من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر فى كفّ الأمير تميم

ثم ابنه يحيى، ثم ابنه على، ثم ابنه الحسن وهو آخرهم بإفريقية وبه تمت دولتهم بها فهؤلاء عشرة.

وببجاية عشرة: أولهم: حماد بن بلكين بن زيرى بن منادِ مختط مدينة قلعة بنى حماد بجبل عجيسة بإزاء بجاية الذى يقال له: جبل المعاضيد فى آخر القرن الرابع ثم الناصر بن علناس بن حماد، ثم ابنه المعز، ثم ابنه القايد، ثم ابنه محسن، ثم بلكين بن محمد بن حماد، ثم ابنه المنصور، ثم ابنه باديس، ثم أخوه العزيز بن منصور، ثم ابنه يحيى.

وبه تمت دولتهم ببجاية فهؤلاء العشرة مع العشرة الأولى تلك عشرون.

وبالمغرب الأوسط واحد: وهو أبو البهار فذلك أحد وعشرون **وبالأندلس أربعة: أولهم** صاحب غرناطة زاوى بن بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى كما فى «الجمع والبيان فى تاريخ القيروان». ثم ابن أخيه حابوس بن ماكس بن بلكين، ثم ابنه باديس صاحب اللعب الذى يقال

(1) الموافق منتصف القرن العاشر الميلادى.

له السلام عليك يا باديس، ثم ابن أخيه عبد الله بن بلكين بن حابوس وهو الذى أخذه مع

(ص66) أخيه/ تميم، يوسف بن تاشفين وعبر بهما البحر لمراكش فهؤلاء خمسة وعشرون.

الفرقة الثانية: المرابطون ويقال لهم الملثمون، وهم لمتونة ملوك المغرب الأقصى والأوسط وعدوة الأندلس وجملتهم فى الإسلام اثنا عشر ملكًا: أربعة قبل تسميتهم بالمرابطين، وثمانية بعد تسميتهم بها، إلّا أن المراد بالمرابطين هم الخمسة التاشفنيون: يوسف بن تاشفين ومن بعده لا غير. أول الاثنى عشر: تيلوتان بن تيكلان اللمتونى كان فى أيام عبد الرحمن الداخل ملك الصحراء بأسرها وأطاعه بها من ملوك السودان عشرون ملكًا كلها تؤدى له الجزية وكان يركب فى مائة ألف نجيب وعمله مسيرة ثلاثة أشهر فى مثلها لكنه لم يملك الغرب وعاش نحو الثمانين سنة. ثم حفيده الأثير بن فطين بن تيلوتان، ثم ابنه تميم ومات قتيلًا سنة ست من الرابع[1] وبقى بعده صنهاجة هَمَلًا من الأمير نحو المائة والعشرين سنة وإنما أمرهم جمهوريًا شوريًا بينهم. ثم أبو عبد الله تارشنا بن تفاوت اللمتونى، ثم يحيى بن إبراهيم القدالى وهو الذى حجّ وأخذ عن الشيخ أبى عمران الفاسى بالقيروان وسأل منه أن يصبحه من تلامذته من يعلمه وقومه الديانة فأمرهم فأبوا فكتب له لتلميذه محمد بن واقاق اللمطى بنفوسه ليبعث معه من يقوم بهم فى دينهم

(ص67) فبعث معه الشيخ عبد الله بن ياسين الجزولى سنة ثلاثين من الرابع[2] وانقطع بهم / بجزيرة ببحر النيل[3] إلى أن كثر عددهم وتسمّوا بالمرابطين لملازمتهم لرابطة الشيخ عبد الله بن ياسين ببحر النيل. ثم يحيى بن عمر اللمتونى، ثم أخوه أبو بكر بن عمر وهو الذى ملك الصحراء وتخطى (كذا) للمغرب وجعل ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورنقطن بن منصور بن محالة بن أمية بن وثمار بن تلميت اللمتونى الصنهاجى الحميرى خليفة عليه. ثم استقل يوسف بالمغرب. ثم ابنه على، ثم ابنه تاشفين، ثم ابنه إبراهيم، ثم عمه إسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين وهو آخر المرابطين وبه انقطعت دولتهم لما قتله وابن أخيه إبراهيم، عبد

---

(1) الموافق 918 – 919م.

(2) الموافق 941 – 942م.

(3) ارجع إلى هامش رقم 1 قبل هذا.

المؤمن بن على بمراكش. ولكل بداية نهاية والله يوتى ملكه من يشاء. وقد ألف الحافظ الصيراف رحمة الله فى المرابطين كتابًا أسماه – «الأنوار الجالية (كذا) فى أخبار الدولة المرابطية».

الفرقة الثالثة الغانية: أولاد المرأة التى يقال لها غانية بنت عمّ يوسف بن تاشفين وأبوهم مسوفى من صنهاجة يقال له: على بن يحيى المسوفى كان من الشجعان وبالمكانة العظيمة عند يوسف بن تاشفين فلذلك زوّجه من بنت عمه غانية فأتت معه بولدين وهما: يحيى، ومحمد، اللذان ولّاهما علىّ بن يوسف بالأندلس أحدهما: وهو يحيى على غربى الأندلس والآخر: وهو محمد على شرقها كميورقة ويابسة/ وغيرهما. (ص68)

وجملة ملوكهم ما بين الأندلس وبجاية وقابس خمسة أولهم: يحيى المعروف بابن غانية بن على بن يحيى المسوفى بالجهة الغربية من الأندلس وهو الذى أعان شيخه القاضى بسبتة على عبد المؤمن بن على. ثم أخوه محمد بن على بن يحيى على شرقى الأندلس. ثم ابنه عبد الله على ذلك، ثم أخوه على بن محمد بن غانية على بجاية، ثم أخوه يحيى بن محمد بن غانية على قابس وهو الذى دوّخ المغرب الأوسط وإفريقية وخرّب تاهرت فلم تعمر من وقته إلى أن جدد عمارتها الفرنسيس فى أعوام الخمسين من القرن الثالث عشر[1] وتقبّض بمنديل المغراوى فصلبه بالجزائر واشتدت وطأته على الموحدين إلى أن توفى بشلف تحت مليانة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة[2] بعد ما ملك خمسين عامًا فاستراحوا عند ذلك بموته وطاب لهم القرار وصفى حالهم من الأكدار.

فجملة ملوك فرق صنهاجة الثلاثة: اثنان وأربعون ملكًا، خمسة وعشرون من الأولى. واثنا عشر فى الثانية. وخمسة فى الثالثة. والملك والدوام لله الواحد القهار لا إله غيره، ولا خير إلّا خيره.

* * *

(1) الموافق 1834 – 1844م.

(2) الموافق 1235 – 1236م.

الدولة الرابعة: الموحدون

ثم ملك وهران الدولة الرابعة وهم الموحدون، سمّوا بذلك لأخذهم علم التوحيد عن شيخهم الشريف المهدى بن تومرت فهو الذى سمّاهم بذلك تعريضًا بالمرابطين لكون أهل المغرب كانوا على مذهب الحنابلة فى الاعتقاد[1] وبمعزل/ (ص69) عن التأويل فهم كتسمية لمتونة بالمرابطين لملازمتهم لرابطة شيخهم عبد الله بن ياسين وانقطاعهم معه وأخذهم عنه فعبد الله بن ياسين شيخ المرابطين والمهدى بن تومرت شيخ الموحّدين.

وأول ملوك الموحدين شيخهم المهدى بن تومرت المذكور فهو ممن مهّد الملك لغيره ولم يملك وهران. قال الغازى بن قيس فى تاريخه: -وكان جدّه لأبيه دخل المغرب مع عقبة بن نافع الفهرى الصحابى واستوطنه من حينئذ.

واختلف فى نسبه على ستة أقوال: فقال ابن رشيق وابن مطروح: هو مرغاتى نسبة لقبيلة يقال لها مرغاتة أحد بطون المصامدة.

وقال غيرهما: هو نفيسى نسبة لقبيلة يقال لها نفسية أحد (كذا) بطون المصامدة أيضًا فهو أبو عبد الله محمد المهدى بن تومرت الملقب أمغار أيضًا ابن عبد الله بن وجليد المرغاتى أو النفيسى المصمودى. وقال لسان الدولة ابن الخطيب السلمانى فى شرحه لرقم الحلل: هو من الآل من بنى العباس بن الحسن بن على كرم الله وجهه. وهو غير صحيح؛ لأن الحسن السبط لا عقب له إلّا من الحسن المثنى وزيد، وعلى أنه من بنى العباس فهو كما فى «الجمان»، و«الأنيس المطرب»، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن جابر بن يحيى.

ابن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقال الشيخ على بن أبى زرع فى القاطاس: هو من بنى محمد بن على وهو غير صحيح أيضًا؛ لأن محمد/ (ص70) خلف أبا هاشم فقط ولم يعقب، وقال ابن نخيل وهو من أهل البيت من ذرية محمد بن سليمان أخى إدريس بن عبد الله؛ لأن عبد الله الكامل له من الأولاد إدريس وسليمان ومحمد

(1) الحقيقة أن سكان المغرب العربى كانوا على مذهب مالك وليس مذهب الحنابلة.

النفس الزاكية (كذا) وإبراهيم ويحيى، وموسى، هؤلاء باتفاق وعيسى على خلاف فيه وجعل بعضهم بدل إبراهيم جعفر فقال فى رجزه:

خلّف ستة من المذكور عبد الله الكامل فى المشهور

فجعفر بجزيرة سوس وزرهون فيه مولاى إدريس

وثالثهم مولاى سليمان فقبره بثغور تلمسان

والينبوع فيه مولاى محمد ومولاى موسى فى بلاد الهند

ومولاى يحيى فى بلد السودان بجاههم نجنا من نيران

فجعفر منه الجزولى محمدًا به دليل الخيرات قد ابتدوا

من موسى كان الصالح الجيلانى ومن محمد علىّ الثانى

وأبو عنان صاحب الغزالا غصنه من سليمان لا زالا

ومن إدريس كان إدريس الثانى قبرهما فى زرهون الأثنانى

مزاره فاس فيه ثم أمره وقيل بل ضعيف ذاك قبره

اجعلنا فى حماهم يا من مُهْدِهِمْ فى الأرض يا رب بجاه جدهم

أعنى بذاك سيد الإرسال محمد الموصوف بالكمال

وزوج بنته فاطمة البتول عنه الرضاء بالبكور والأصول

/ وقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار، والخبر المعرب: والصواب أنه من أهل البيت (ص71) من بنى محمد النفس الزاكية بشقيق إدريس. اهـ.

والصحيح أن سليمان بن عبد الله الكامل لم يأت المغرب؛ لأنه مات بقصة فخ وإنما الذى أتى للمغرب واستقر بتلمسان وخلف أولاده بها هو ابنه محمد بن سليمان. هـ.

ثم ملك وهران تلميذه وخليفته عبد المؤمن بن على الكومى الزناتى واختلف فى نسبه على قولين: فقيل: أصله من بنى عابد من قبيلة كومة أحد بطون ترارة أهل جبل تاجرًا على ثلاثة أميال من مرسى هنين ويقال له: أهناى، وقيل: أصله من نبى عبس أحد قبائل قيس بن غيلان

ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بالحجاز، وعليه فهو أبو محمد عبد المؤمن بن على ابن يعلا بن مروان بن نصر بن على بن عامر بن لمتى بن موسى بن عون الله بن يحيى بن وزجايع ابن صطفور بن نفور بن مطماط بن هودج بن مادغس بن عبس بن قيس بن غيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قاله فى الأنيس المطرب. والصحيح الأول، وكان أبوه طيانًا فخاريًّا يعمل النافخ فبينما هو فى شأن طينه للنافخ إذ جاءته زوجته تبكى قائلة له: إن ابنى نزل عليه جند نحل فذهب معها إلى أن رآه فى تلك الحالة فزم عنه النحل لذلك ثم انصرف ولم يؤذه فقال لعراف: ما رأى؟ فقال له: أنت طيان من أين يبلغ ابنك الملك، وتطلب من/ صغره، ولزم المساجد لدرس القرآن والعلم فقرأ على ابن صاحب الصلاة بتلمسان، والشيخ عبد السلام التونسى ضجيع الشيخ أبى مدين، ثم على المهدى فكان من العلماء الجماهر والفقهاء الأكابر وكذا أولاده من بعده. وتصدى (كذا) لشرح المقامات الحريرية وكان فى الحزم والنجدة بالغاية وتعلم الحيل من شيخه المهدى فكان منها فى الغاية من جملتها أنه علم الطائر يقول عند زريبته: العز والتمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين والشبل إذ رآه يبصبص ويسكن إلى أن صار أسدًا. فبويع لذلك وقال فى ذلك أبو على:

آنس الشبل ابتهاجًا لذا الأسد ... ورأى شبه إليه لما قصد

ودعا الطائر بالنصر لكم ... فقضى حقكم لما قد وفد

وأنطق الخالق مخلوقاته ... بالشهادة فكلهم قد شهد

بأنك القائم بالأمر له ... بعد ما طال على الناس ذا الأمد

وكان شاعرًا بالغًا فمن جملة شعره ما يروى أنه خرج يومًا ومعه وزيره أبو جعفر بن عطية للتنزه ببعض بساتين مراكش فنظر على طاقة دار عالية عليها شباك من خشب، جارية بارعة قد خرجت تنظره فأوقعت به حبًّا.

فقال ارتجالًا من البسيط:

قدت فؤادى من الشباك إذ نظرت

فقال الوزير:

خـــــذوا بثـــــأرى أيـــــا عاشـــــق بـــــالمقل

فقال عبد المؤمن:

كـــــأنها لحظهـــــا فى قلـــــب عاشـــــقها

فقال الوزير:

ســـيف المؤيـــد عبـــد المـــؤمن بـــن عـــلى

/ فاستحسنه وخلع عليه. ثم قتله بعد ذلك بغرناطة لنزغة ملوكية، وكان رقيق الطبع (ص73) والحشاشة وتربى فى البادية فاكتسب الرقة وكانت له جارية مولدة من ولادة العرب تسمى حسناء وكان لها عاشقًا وبها مغرمًا مع ما كان يكابده من تطويل المملكة وإخماد الفتن فقال فيها لما خرج يومًا إلى بعض غزواته وودعها منشدًا:

ألا كيـف صـبرى عنـك يـا غايـة المنـا ... إلا أن روحـى بعـدكم سـوف تـذهب

لقـــد أورثتنـــى ودعـــت حســـنها ... حـــرارة وجـــدى والهـــوى يتلهـــب

فقلبـــى حـــيران لفـــرط لهيبهـــا ... وفى الخـد عـين مـن دمـوعى تسـكب

انظر «أنيس الغريب والمسافر» للشيخ مسلم بن عبد القادر، وكان فى عصره الشيخ أبا يعزى الغربى الهسكورى وقد شاهد منه كرامات عند الخليفة عبد المؤمن بن على فقال لأخيه: ما هذا الذى يذكر عن أخيك فى مشاركته لله فى علم الغيب؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنت أقدر عليه منى فبعث إليه الأمير فلقيه الرسول بالطريق قادمًا للأمير، فلما وصل سلم عليه ثم قال له: يا أمير المؤمنين فى نفسك شىء مما قال لك فلان وفلان فى يوم كذا فى ساعة كذا فهل لا أخبرك أن تحت ذلك البساط ألف دينار عيونًا قطعتها وقلت فى نفسك: هل ترجع إلى بيت المال أم لا؟ فقال له الخليفة: صدقت وقلت الآن فى نفسك: أكتب له كتابًا بكل ما يريد فأرح الكاتب ووفر الكاغط، ثم قال: حاجتى/ إليك أن تمشى معى لتكل الكدية وبها زرع وأحب أن تسقى ذلك (ص74) الزرع من هذا الوادى فقال: ومن يطيق ذلك ثم حرك الشيخ شفتيه فأمر الله المطر حتى شربت

الكدية وجرت الأودية فى الحين وقال له: عرفنا بصدق الغيوب التى تذكر عنك فقال حمارى يأكله السبع الليلة فوجه الخليفة من جعله بين مربط خيله وبات عليه العبيد هنالك فلما أصبح تفقده العبيد فوجدوا الحمار عقيرًا والسبع يأكل فيه حتى وقف عليه وضربه بعصاه فخر الأسد ميتًا فقيل للخليفة ذلك فقال لجلسائه: اعتبروا بهذا القصة فقد ضربها لكم مثلًا فكأنه يقول: أنا رب الحمار قتله لى الأسد فسلطت عليه وقتلته وأنا عبد، وربى الله وإن قتلتمونى غضب على سيدى فيفعل مثل ذلك أو أشد وقد توفى رحمه الله ونفعنا به سنة اثنين وسبعين وخمسمائة[1] عن مائة وثلاثين سنة.

قال ابن رزقون كنت فى العلماء الذين جمعهم عبد المؤمن بن على سنة خمسين من القرن السادس[2] التى أمر فيها بحرق كتب الفروع وقام وزيره أبو جعفر بن عطية وقال: بلغ سيدنا أن قومًا تركوا الكتاب والسنة وصاروا يفتون بفروع لا أصل لها. فمن نظر فيها عاقبته وأنهم عندهم كتاب يقال له المدونة لا يرجعون إلا إليه ومن العجب قولها بإعادة الصلاة فى الوقت مراده بذلك أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهرى/ قال: فحملتنى الغيرة وتكلمت بأن (ص75) رسول الله ﷺ لما صلى أعرابى أمامه قال له: «صلِّ فإنك لم تصل» كما فى البخارى فقال: لا أحسن غير هذا فعلمه ولم يأمره بإعادة ما خرج وقته فقام عبد المؤمن وسكن الحال ولم أر منه بعد هذا إلا الكراهة هـ.

وهو الذى أمر بتكسير الأرض بالمغرب فى سنة أربع وخمسين من السادس[3] من برقة إلى واد نون بسوس الأقصا بالفراسخ والأميال طولًا وعرضًا فأسقط بعد التحقيق الثلث للجبال والأودية والشعاب والغيب والسباخ الطرقات والخراب وقسط على الثلثين الباقيين الخراج وألزم كل قبيلة بقسطها من الزرع والورق والذهب، ثم بنا (كذا) فى التى تليها جبل الفتح[4] وحصنه ونقل من عرب إفريقية للمغرب ألفًا من كل قبيلة بأهلهم وهم الذين بالمغربين يقال

---

(1) الموافق 1176- 1177م.
(2) الموافق 1155 –1156م.
(3) الموافق 1159—1160م.
(4) يقصد مدينة الفتح بجبل طارق.

لهم: الحشم سموا بذلك لأنهم حشم عبد المؤمن بن على أى أتباعه الخادمين له الممتزجين الأجناس. وبنا (كذا) مدينة البطحاء بأرض هوارة تلك السنة ودفن بها شيخه وبنى على ضريحه قبة وبإزائها جامعًا وترك بها عشرة من كل قبيلة من قبائل العرب وبعث خفية لقبيلته وهو بمراكش فأتوه فى أربعين ألف فارس كلهم شبان فى أثناء سنة سبع وخمسين من السادس[1] فصيرهم جندًا له فى الدرجة الثانية؛ لأن الدرجة الأولى هى أهل تنمليل، والثانية كومة، والثالثة الأتباع، وأدناهم منه بطانة يركبون وراءه ويقفون على رأسه ويمشون بين يديه وقد تمهدت / له العدوتان وبسط فيهما العدل حتى صارت المرأة تمشى وحدها حاملة معها ما تحبه من سوس الأقصا (كذا) إلى برقة فلا يتعرض لها أحد ولا يكلمها بسوء. وكذا حفيده المنصور فى أيامه مثله وقد ابتدأه المرض الذى مات منه فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[2] بمدينة سلا حال تجهيزه الجيوش للغزو فنزل برباط الفتح وقد اجتمع عليه من القبائل ما يزيد على ثلاثمائة ألف ومن المطاوعة ثمانون ألف فارس ومائة فارس راجل وانتشرت محلته بسلا من موضع يقال له: غيولة إلى موضع يقال له عين: خميس. فتوفى ليلة الثلاثاء وقت الفجر ثامن جمادى الثانية تلك السنة[3] عن ثلاث أو أربع وستين سنة تبعد ما ملك ثلاثًا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وعشرين يومًا فحمل لتنمليل ودفن بجانب قبر شيخه المهدى. وإلى كون الموحدين ملكوا وهران فى وسط السادس أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

موحـــدون أتـــوا مـــن بعـــد ذا وعلـــو ... اســـتحوذوا عليهـــا وفى وســـط الســـادس

ثم ملكها بعده ابنه يوسف بن عبد المؤمن بن على الكومى، وكان عالمًا صالحًا منزهًا عن (ص76) سفك الدماء وهو أول من جاز بنفسه من ملوك الموحدين لغزو الأندلس وقيل: أبوه قبله ملك بالمغرب من سويقة مطكوك قاصية إفريقية إلى وراء نون بأقصا سوس إلى آخر بلاد القبلة وبالأندلس من تطليت قاصية شرقى الأندلس إلى آخر غربى الأندلس. وهو الذى بنا (كذا)

---

(1) الموافق 1161 -1162م.

(2) الموافق 1163م.

(3) الموافق 14ماى 1163م.

(ص77) قنطرة تانسيفت سنة ست/ وستين[1] منه وكذا القصبة وغيرها وأتى بالماء لإشبيلية من قلعة جابر. كل ذلك تلك السنة، وقام عليه مزدرع الغمارى المفتاحى سنة تسع وخمسين من السادس[2] وكتب فى سكته مزدرع الغريب، نصره الله قريب، فبعث له جيشًا فقتلوه وأتوا له برأسه لمراكش، ثم قام عليه بقماره يوسف بن منفقيد سنة إحدى وستين[3] منه فتحرك له بجيشه فى سنة اثنين وستين منه[4] فقتله وحمل رأسه لمراكش. ثم قام عليه بقفصه بإفريقية ابن زيرى سنة أربع وسبعين فتحرك له من مراكش فى السنة التى بعدها ووصل لإفريقية سنة ست وسبعين منه[5] .وضايق ابن زيرى ثم ظفر به وقتله وعاد لمراكش فدخلها فى السنة السابعة والسبعين منه[6]. ثم جهز الجيوش للجواز الثانى بالأندلس سنة تسع وسبعين منه[7] ولما حل بسلا أخبر بتمهيد إفريقية ثم رحل لمكناسة ثم لفاس وخرج منه سنة ثمانين من السادس[8] فحل بسبتة وأمر الناس بالجواز فجاز العرب أولًا، ثم زناتة من غير مغراوة، ثم المصامدة، ثم مغراوة، ثم صنهاجة، ثم أوربة وسائر البربر، ثم الموحدون والأغزاز والرمات (كذا) ثم هو فى عبيده ودائرته، فنزل بمرسى جبل الفتح. ثم للجزيرة الخضراء، ثم لقلعة خولان، ثم لاوكس، ثم لشريش، ثم لبنريشة، ثم (ص78) لإشبيلية/ ثم لواد بصر ثم لشنترين فنزل عليها وأدار بها الجيوش وضايقها ثم انتقل لغربها لأمر أراده الله تعالى (كذا) فأنكر المسلمون ذلك وبعد العشاء أمر ابنه أبا إسحاق بالرحيل نهارًا لأشبونة ويشن الغارات بجيش الأندلس خاصة فأساء الفهم ورحل ليلًا فاتبعه الناس بلا علم من الأمير وبقى فى شرذمة قليلة، فسمع العدو فصك محلته إلى خبائه فمزقوه وقاتلهم بسيفه إلى أن قتل منهم ستة فطعنوه طعنات نافذة وقتل من جواريه ثلاثة وحل بالأرض فاجتمعت عليه

---

(1) الموافق 1171-1172م.

(2) الموافق 1263 – 1164م.

(3) الموفق 1178-1166م.

(4) الموافق 1178-1179م.

(5) الموافق 1180-1181م

(6) الموافق 1181-1182م.

(7) الموافق 1182-1183م.

(8) الموافق 1184-1185م.

عبيده وباقى جيشه وتراجع المسلمون فدفعوا عنه العدو وهزموه وفتحوا البلد عنوة وقتل من العدو ما يزيد على العشرة آلاف ومن المسلمين جماعة ولاح الأمن للأمير فركب ورحل وضل الناس فاهتدوا بالطبول وساروا لإشبيلية، قال ابن مطروح القيسى فى تاريخه: فاشتد بالأمير ألمه ومات بالطريق قرب الجزيرة قاصدًا مراكش يوم السبت ثانى عشر ربيع الثانى سنة ثمانين وخمسمائة[1] عن نحو الست وخمسين سنة بعد ما ملك اثنين وعشرين سنة وشهرًا وستة أيام فحمل لتنمليل ودفن بجانب قبر أبيه، وقيل مات بمراكش. قال اليافعى فى تاريخه: وكان يحفظ أحد الصحيحن وذكر الحافظ اللواق الشهير بابن بطوطة الطبخى فى رحلته التى اسمها: تحفة النظار، وغرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، أنه يحكى أن يوسف بن عبد المؤمن دخل دمشق فمرض بها شديدًا مطروحًا بالأسواق وبعد برئه، (كذا) خرج لظاهر دمشق/ ليلتمس بستانًا يحرسه فاستؤجر لحراسة بستان (ص79) الملك نور الدين وأقام ستة أشهر وفى أوان الفاكهة جاء السلطان لبستانه وأمر أن يؤتى له برمان يأكله فأتى به فوجده حامضًا وتكرر ذلك فقال الوكيل: أنت فى حراسة منذ ستة أشهر ولا تعرف حلوه من حامضه فقال: استأجرتنى على الحراسة لا على الأكل فأعلم الوكيل الملك بذلك فبعث له وكان الملك رأى فى المنام أنه يجتمع به وتحصل له منه فائدة فتفرس أنه هو وقال له: أنت يوسف، قال: نعم، فقام له وعانقه وأجلسه بجانبه واحتمله لمجلسه وأضافه (كذا) بحلال مكتسب من كد يمينه؛ لأنه من الصاحين كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها فبقى عنده أيامًا ثم خرج من دمشق فارًّا من أوان البرد الشديد فأتى قرية من قراها وبها رجل من الضعفاء فعرضه للنزول ففعل وأتاه بمرقة ودجاجة مطبوخة وخبز شعير فأكل ودعا له، وله جملة أولاد منهم بنت، آن بناء زواجها بها وعادتهم أن يجهزها أبوها ومعظم الجهاز أوانى النحاس به يتفاخرون ويتبايعون فقال له: أعندك النحاس، قال: بلى إنى اشتريته كثيرًا لتجهيز البنت فأمره أن يأتيه به فأتاه وقال له استعر من الجيران ما أمكنك ففعل وأحضره وأوقد عليه النار وأخرج صرة فيها الأكسير فطرح منه عليه فعاد ذهبًا. وتركه فى بيت مقفل. وكتب لنور الدين ملك دمشق يعلمه به وينبهه على بناء مارستان للمرضى الغرباء ويوقف عليه الأوقاف ويبنى الزوايا بالطرق

(1) الموافق 23 جويلية 1184م.

(ص80) ويرضى أباب النحاس ويعطى لصاحب البيت الكفاية/ وقال فى آخر الكتاب إن كان إبراهيم بن أدهم خرج عن ملك خراسان فأنا خرجت عن ملك المغرب وعن هذه الصنعة. وقبره بكرك نوح من بقاع العزيز ببيروت وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر ووقف عليه صلاح الدين وقيل: نور الدين الأوقاف. وقال اليافعى فى تاريخه: إن القضية وقعت لابنه المنصور كما ستراه إن شاء الله تعالى (كذا).

ثم ملكها بعده ابنه يعقوب المنصور ، وكان شهمًا شجاعًا محبًّا للعلماء معظمًا لهم مشاركًا فى كثير من الفنون. وأول ما فعله أخرج مائة ألف دينار ذهبًا من بيت المال وفرقها على الضعفاء، وكتب بتسريح المساجين ورد المظالم وإكرام العلماء والصلحاء ورجوع الأحكام للقضاة وإجراء الإنفاق على أهل الفضل والصلحاء والعلماء وتفريق الأموال على الأجناد وتشحيم الثغور بالخيل والأبطال وغزا إفريقية سنة اثنين وثمانين من السادس[1] فدوخ وسبا إلى أن أذعنوا له ونقل عربها لمراكش وجاز جوازه الأول لغزو الأندلس سنة ثلاث وثمانين منه[2] فقتل وخرب لأشبونة وانصراف للعودة بسبى كثير ما بين النساء والصبيان.

ثم ارتحل للأندلس لغزوة الأراك المشهورة سنة إحدى وتسعين منه [3] فأجاز العرب أولًا ثم زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم الموحدين ثم المطاوعة ثم الرماة ثم العبيد ثم هو فى أثرهم ومعه العلماء والصلحاء وأهل النجدة والزعامة، فحل بالخضراء وزاد إلى أن بقى بينه وبين الأرك (ص81) مرحلتان/ قدم على جيشه أبا عبد الله بن صناديد وحصل المصاف بالأرك فقسم جيشه على نصفين: نصفه فى مقابلة العدو ونصف كمينًا، واشتد القتال ودارت نار الحرب فوقع النصر له وأثخن فى العدو قتلًا وسبيًا وانهزم الفنش[4] وفتح الحصن عنوة تلك السنة وكان جملة القتلى ثلاثين ألفًا والأسارى (كذا) خمسة آلاف. وجال بالقتل والسبى والتخريب إلى إشبيلية فدخلها وبنا (كذا) جامعها الأعظم ومنارته فكان بين غزوته الزلاقة والأرك مائة واثنتا عشرة سنة وفتح

(1) الموافق 1186-1187م.
(2) الموافق 1187-1188م.
(3) الموافق 1194-1195م.
(4) يقصد ألفونسو قائد النصارى الإسبان.

كثيرًا من مدن الأندلس وحصنيه وبنى (كذا) مراكش ورباط الفتح وجامع حسان ومناراته حال جوازه للأندلس ثم رجع لمراكش سنة أربع وتسعين منه[1] وأخذ البيعة لابنه الناصر فبدأه مرض موته ولما اشتد به قال ندمت على ثلاث مسائل وهى إدخالى عرب إفريقية للمغرب وهم أهل فساد، وبنائى رباط الفتح وهو بعيد لا يعمر، وإطلاقى أسارى الأرك ولا بد لهم من طلب الثأر، وتوفى رحمه الله بعد صلاة العشاء من ليلة الجمعة ثانى عشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة[2] بقصبة مراكش وحمل لتنمليل فدفن بها وهو ابن أربعين سنة بعد ما ملك أربعة عشر سنة وإحدى عشر شهرًا وأربعة أيام. قال أبو الفدا صاحب حماة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك. قال اليافعى فى تاريخه: ويحكى أنه زهد فى الملك وساح إليه أن مات بالشام لأنى سمعت ممن لا أشك فيه أن جمعًا من شيوخ/ المغاربة تذاكروا رسالة القشيرى وما (ص82) فيها من مشايخ المشارقة ومناقبهم فرأوا معارضته برسالة فيها مناقب شيوخ المغاربة ثم تذاكروا أن فى القشيرية من زهد فى الملك من المشارقة وهو ابن أدهم فلم يجدوا ذلك فى شيوخ المغرب، وقالوا: لا يتم إلا بذكر ملك زهد فى الملك فجاء الشيخ الكبير أبو إبراهيم إلى يعقوب المنصور فسرّ به وأعطاه جوهرًا نفيسًا فالتفت الشيخ أبو إبراهيم إلى شجرة هناك ونظرها فإذا هى حاملة جوهرًا يدهش منه العقول فعلم السلطان ما أكرم الله به أولياءه غنى صارت ملوك الدنيا بين أيديهم كالخدم، وملكهم حقير كالعدم، فعندها أحقر يعقوب الملك وزهد فيه وصار من أكابر الأولياء، قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار، وما يقال أنه ساح فى الأرض وترك الملك زهدًا ووصل إلى الشام وقبره به ما هو الشائع عند العوام لا أصل له. زاد اليفرينى فى نزعته أنه لم يسح ولا حام له وأنه لم يزهد، وليس بمولاى وإنما ذلك كله خرافات هـ.

ثم قال الحافظ أبو راس فى الخبر المعرب، كان ابن زهر الطبيب الماهر بمراكش عند يعقوب المنصور فتشوق وأهله بإشبيلية فسمعه يقول هذه الأبيات الثلاثة:

ولى واحـــد مثـــل فـــرخ القطـــات صـــغير تخلفـــت قلبـــى لديـــه

---

(1) الموافق 1197-1198م.

(2) الموافق 12جانفى 1199م.

وأفــــردت عنــــه فيـــا وحشــــتى لـــــذاك الشـــــخيص وذاك الوجيــــه
تشـــــــــوقنى وتشـــــــــوقته فيبكـــــى عـــــلى وأبكـــــى عليـــــه

(ص83) / قال: فأرسل المنصور المهندسين لإشبيلية وأمرهم أن يحيطوا علمًا ببيوت ابن زهر وحارته ثم بينوا مثالها بمراكش فذهبوا وانقلبوا لمراكش وفعلوا ما رأوا فى أقرب مدة ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وكل ما يتعلق به بعد ما فرش المهندسون البيوت بمثل فرشه ووضعوا فيها آلة مثل آلته ثم جاء ابن زهر فرأى دارًا أشبه بداره فتحير وظن أنه نام، وتلك أضغاث أحلام ثم رأى ولده الذى تشوق له يلعب فى البيت ورأى أهله جالسين فسر سرورًا عظيمًا وهو القائل لما شاب رحمه الله تعالى (كذا):

كانـــت ســـليمى تنـــادى يـــا أخـــى وقـــد صـــارت ســـليمى تنـــادى اليـــوم يـــا أبانـــا

وهو مثل قول الأخطل فى المعنى حيث قال:

وإذا دعونــــــك عمهــــــن فإنـــــه نســـــب يزيـــــدك عنـــــدهن خبـــــالا
وإذا دعونــــــك يــــــا أخــــــى فإنـــــه أدنـــــى وأقـــــرب خلـــــة ووصـــــالا

ولما أراد المنصور أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهرى وسمع المواق ذلك جمع من كتب ابن حزم مسائل كثيرة انتقدت عليه وأراها للمنصور فلما قرأها قال: أعوذ بالله أن أحمل أمة محمد على هذا وثنا (كذا) عليه وليس هو المواق شارح مختصر الشيخ خليل لأن الشارح متأخر عن هذا بنحو ثلاثمائة سنة هـ.

قائمة ملوك الموحدين

واعلم أن ملوك الموحدين ما بين المغرب وإفريقية وبجاية والمهدية مع طرابلس سبعة وأربعون ملكًا.

فبالمغرب أربعة عشر ملكًا: أولهم شيخهم المهدى بن تومرت، ثم عبد المؤمن بن على الكومى العابدى، ثم ابنه يوسف العسرى، ثم ابنه المجاهد يعقوب المنصور صاحب قصة الأرك (ص84) ثم ابنه محمد الناصر وهو صاحب/ غزوة العقاب التى حصد فيها شوكة المسلمين سنة تسع من

السابع[1] فكانت مشومة على المسلمين عامة وعلى أهل الأندلس خاصة وهو أنه غزاها فى جيش كالجراد المنتشر فأدركه الإعجاب من ذلك وحل به الانتقام فكانت الدائرة عليه. ثم ابنه يوسف المستنصر وفى وقته سنة ثلاثة عشر من السابع[2] ظهر أمر عبد الحق المرينى وبظهوره دخل دولتهم الهرم، ثم عمه عبد الواحد المخلوع بإجماع الدولة على توليته وخلع بعد تسعة أشهر وقتل خنقًا وانتهبت أمواله وسبى حريمه وهتك ستره فهو أول من خلع وقتل من الموحدين، وصار الموحدون كالأتراك لبنى العباس. ثم ابن أخيه عبد الله العادل بن يعقوب المنصور وقد بويع أولًا بمرسية من الأندلس فى نصف صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة[3] وبوى ثانيًا مراكش يوم الأحد ثانى عشرين شعبان تلك السنة[4] وتوقف عن بيعته بلنسية وشاطبة ودانية والحفصيون عمال إفريقية، وفى أيامه كانت الواقعة الشنيعة بين المسلمين والفرنج على طليطلة[5] بالأندلس انهزم فيها المسلمون هزيمة قبيحة وهى التى هدمت دعائم الإسلام بالأندلس فسأل منه الموحدون أن يخلع نفسه فأبى، وقال: لا أموت إلا أميرًا فخلعوه ثم جعلوا عمامته فى عنقه وشنقوه بها ورأسه فى الخاصة إلى أن مات يوم الثلاثاء حادى عشرين شوال سنة أربع وعشرين من السابع[6] ونهب المصموديون قصره واستباحوا حريمه، ثم يحيى بن محمد الناصر باتفاق الموحدين على بيعته وخالفهم عرب/ الخلط وهسكورة وقام عليه بإشبيلية إدريس المأمون بن (ص85) يعقوب المنصور وثارت عليه جماعة من أهل مراكش وانضم إليهم العرب ووثبوا عليه بمراكش فهرب للجبل ثم زاد العرب المعقل بفج عبد الله من رباط تازة فغدروا به وقتلوه وكانت مدته بأسرها مزاحمة للمأمون وولده الرشيد ثم إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بإشبيلية وكان فصيح اللسان فقيهًا حافظًا للحديث ضابطًا للرواية عارفًا بالقراءة حسن الصوت والتلاوة إمامًا

---

(1) الموافق 1212-1213م.

(2) الموافق 1216-1217م.

(3) الموافق 7 مارس 1224م.

(4) الموافق 8 سبتمبر 1224م.

(5) ضيع المسلمون طليطلة عام 1085م.

(6) الموافق 4 أكتوبر 1227م.

فى اللغة العربية والأدب وأيام العرب كاتبًا مداومًا على البخارى وسنن أبى داود، عالمًا بأمور الدين والدنيا شهمًا حازمًا شجاعًا مهابًا سفاكًا للدماء لا يتقيها طرفة عين شاعرًا، فمن شعره متمثلًا:

تكـــاثرت الظبـــا عـــلى خـــدّاش   فلـــم يـــدر خـــدّاش مـــا يصـــيد

وأطاعته العدوتان وخرج عليه المتوكل بن هود شرقى الأندلس واستولى على الأندلس ففارقها المأمون وجاز لمراكش فاستقرّ بها وتتبع الخارجين على من قبله من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم وهم أربعة آلاف وستمائة وجزّ رءوسهم وعلّقها بمراكش وكان زمان الصيف فتنتن المدينة وتضرر الناس بالرائحة فرفعوا أمرهم إليه فقال: تلك رائحة طيبة للمحبّين وكريهة للمبغضين، وأنشد يقول:

أهـــل الحرابـــة والفســـاد مـــن الـــورى   يعـــــزون فى التشـــــبيه للـــــذكار

ففســـاده فيـــه الصـــلاح لغـــيره   بـــالقطع والتعليـــق بالأشـــجار

/ مـــن رآهـــم ذكـــرى إذا مـــا أبصروا   فـــوق الجـــذوع وفى ذروى الأســـوار

وكـــذا القصـــاص حيـــاة أربـــاب النهـــى   والعـــدل مـــألوف بكـــل الجـــوار

لـــو عـــم حلـــم الله ســـائر خلقـــه   مـــا كـــان أكثـــرهم مـــن أهـــل النـــار

(ص86) ولكثرة سفكه للدماء سموه حجاج المغرب وأمر بإسقاط اسم مهديهم من الخطبة وإزالته من السكة المربعة وقال لا مهدى إلا عيسى وعمل فيه رسالة وكان خطيبًا فأفصح بتكذيبه وضلاله فيها، وثار عليه أخوه بسبتة فسار إليه وحاصره بها ثم لحقه الخبر بأن البعض من أولاد الناصر دخل مراكش فرجع إليه من سبتة ومات بالطريق مفقوعًا بوادى العبيد، وفى أيامه سنة سبع وعشرين من السابع[1] كان ابتداء أمر بنى عبد الوادى.

ثم ابنه عبد الواحد بن إدريس المأمون الملقب بالرشيد وتقاتل مع يحيى وهو ابن أربعة عشرة سنة فهزم يحيى بجيشه واستقر بملكه وهرب يحيى لرباط تازة فغدر به عرب المعقل وقتلوه

---

(1) الموافق 1229-1230م.

وأتوا برأسه وبقى بملكه بمراكش إلى أن قتل غريقًا فى سهريج (كذا) بستان له وكان حسن السياسة وأعاد اسم مهديهم فى السكة والخطبة وقمع العرب لكنه لما استقر أمره تخلى للذات فلم يخطب له بالمغرب والأوسط وإفريقية.

ثم أخوه أبو الحسن على المعتضد ويقال له: السعيد بن إدريس المأمون وكان بطلًا (كذا) شجاعًا مهابًا له إقدام فى الحروب والنجدة فاق بها سلفه وهو الذى حرك/ على يغمراسن بن (ص87) زيان بتلمسان وحاصره بقعلة تمزريغت الغربية ببنى ورنيد قرب تلمسان وقبله وجده إلى أن قتله يغمراسن بها بالجبل وعمل له جنازة الملوك ودفنه بالعباد.

ثم أبو حفص عمر بن أبى إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، قال بعضهم: بويع له بمراكش يوم الأربعاء غرة ربيع الأول سنة ست وأربعين من السابع[1] قال ابن رشيق فى تاريخه المسمى بميزان العقل: هذا وهم فإن السعيد توفى يوم الثلاثاء منسلخ صفر ولا يمكن أن يصل الخبر بموته من تلمسان إلى مراكش فى ليلة واحدة والصحيح أن بين موت السعيد وبيعة أبى حفص المرتضى مهلة نحو العشرة أيام هـ.

وفى أبى الفدا أن بيعة المرتضى فى ربيع الأخير وبه ظهر الوهم الذى قال عليه ابن رشيق لما رد على غيره فاستقام له الأمر من سلا لسوس الأقصى وغزا (كذا) فأسا سنة ثلاث وخمسين وستمائة [2] وأخذ أبو يحيى المرينى محلته ودخل مراكش فى فله إلى سنة خمسة وخمسين وستمائة حادى أو ثانى عشرين المحرم[3] دخل عليه القائم أبو دابوس الموحدى مراكش فهرب المرتضى إلى أزمور فقبض عليه عامله وبعثه لأبى دابوس فقتله بكتامة على ثلاثة أيام من مراكش.

ثم أبو العلا الواثق أبو دابوس بن أبى حفص بن عبد المؤمن بن على، وكان بطلًا شجاعًا داهية مقدامًا فى الحروب دخل مراكش غدرًا على المرتضى وبايعه بها كافة الموحدين وغيرهم ثم وقعت بينه وبن المرينى أبى يوسف حروب قتل ببعضها/ وبه انقطع ملك بنى عبد المؤمن (ص88)

---

(1) الموافق 24جوان 1248م.

(2) الموافق 1255-1256م.

(3) الموافق 8أو 9 فيفرى 1256م.

وانقرضت دولة الموحدين من المغرب والأقصى واستقامت دولة المرينيين به ومن المغرب الأوسط واستقامت دولة الزيانيين به.

وبإفريقية[1] تسعة وعشرون ملكًا، أولهم أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدى بن محمد ابن واندين بن علية بن أحمد بن والال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن ابن محمد بن لجبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاله الشيخ أحمد بن الشماع فى تاريخه ودولتهم تسمى بالحفصية. ثم ابنه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص صاحب المهدى، ثم أبو العلا بن عبد المؤمن بن على، ثم عبد الله بن عبد الواحد الحفصى واتسع ملكه إلى أن ملك إفريقية وبجاية وسائر المغرب الأوسط وتلمسان ووهران وبلد الجريد والزاب، وتوفى ببونة سنة سبع وستين من السابع[2]. وقد أنشأ بتونس بنيانًا شاهقًا. ثم ابنه أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء وسعى عمه أبو إبراهيم فى خلعه وبايع لأخيه محمد اللحيانى الزاهد على كره منه فجمع له أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء المخلوع أصحابه وشد على عميه فقهرهما وقتلهما واستقل بملكه وتلقب بالمنتصر وفى أيامه سنة ثمان وستين من السابع[3] وصل الفرنسيس لإفريقية بجموعه وأشرفت إفريقية على الذهاب لولا أن الله مَنَّ عليهم بموت أمير الفرنسيس الحارك[4] تفرقت الجموع، ثم ابنه يحيى بن محمد وتلقب/ بالواثق. (ص89) ثم خلعه عمه أبو إسحاق إبراهيم وخطب لنفسه وتلقب بالمجاهد وترك زى الحفصيين وتزى بزى زناتة واشتغل بالشرب وفرق الملك على أولاده وذبح الواثق المخلوع وولديه الفضل والطيب وسلم له ابن صغير يقال له أبو عصيدة ثم قام عليه شخص من بجاية يقال له أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة وادعى أنه الفضل المذبوح ابن الواثق لشبهه به فقيل له الداعى، واجتمعت عليه أناس وقصد أبا إسحاق إبراهيم فهرب به لبجاية عند ابنه أبى فارس عبد العزيز بن إبراهيم وهو أمير بها فتركه ابنه أبو فارس بها وذب بإخوته وجمعه للداعى بتونس فانهزم جيشه بعد

(1) يقصد بلاد تونس وملوك بنى حفص بها.
(2) الموافق 1268-1269م.
(3) الموافق 1269-1270م.
(4) يقصد به لويس التاسع الذى غزا تونس عام 1270 وتوفى بها وخابت حملته.

الالتقاء وقتل هو إخوته ثلاثة ونجا الرابع وهو وأخوه الصغير يحيى بن إبراهيم وعمه أبو حفص عمر بن زكرياء ثم أرسل الداعى لبجاية من قتل أبا إسحاق وأتى له برأسه وتحدث الناس بالداعى، ثم اجتمعت العرب على عمر بن أبى زكرياء بعد هروبه من المعركة وقوى أمره وقصد الداعى ثانيًا فأثخن فيه واستتر فى بعض دور التجار ثم أحضر واعترف بنفسه وضربت عنقه. ولما قتل أبو حفص الداعى استقر فى ملكه وتلقب بالمستنصر فصار ابن أخيه يحيى السالم من المعركة لباجية وملكها وتلقب بالمنتخب ولما اشتد مرض المستنصر بايع لابنه الصغير فأتته الفقهاء وقالوا له: أنت صائر لعفو الله وتولية مثل هذا لا يحل فأبطله.

ثم أبو عصيدة ولد الواثق المخلوع/ وتلقب بالمستنصر أيضًا وكنى بأبى عصيدة لعمل أمه فى (ص٩٠) نفاسها به العصيدة وإهدائها للجيران، وفى أيامه توفى صاحب بجاية المنتخب وملك بجاية ابنه خالد. ثم أبو بكر عبد الرحمن بن أبى زكرياء عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص. ثم خالد بن المنتخب صاحب بجاية بعد قتله لأبى بكر المذكور، ثم زكرياء اللحيانى جاء من مصر مع عساكر الناصر لطرابلس فبايعته العرب وزاد لتونس فخلع خالدًا وحبسه وقتله قصاصًا بأبى بكر بن عبد الرحمن واستقر بإفريقية وهو أبو يحيى زكرياء بن أحمد ابن محمد الزاهد اللحيانى بن عبد الواحد ابن حفص، ثم أبو بكر بن يحيى المنتخب أخو خالد قتيل زكرياء اللحيانى فهرب منه اللحيانى لمصر وأقام بالإسكندرية وملك أبو بكر ماعدا المهدية وطرابلس فقام عليه محمد بن اللحيانى بعد هروب أبيه لمصر وقتل معه فهزمه أبو بكر واستقل ابن اللحيانى بها بيده المهدية وطرابلس، ثم اجتمعت الناس على طاعة محمد بن أبى بكر الحفصى من صهر زكرياء اللحيانى وبايعوه لما ضعف أبو بكر وهرب باستيلاء العرب ولكون ابن أبى بكر كان نائبًا على اللحيانى فلذلك بويع له وكاتبوا اللحيانى على القدوم فأبى. هذا مفاد ما فى تاريخ أبى الفداء.

وقال ابن أبى دينار فى المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس:

ثم أبو ضربة بن محمد اللحيانى، ثم ابنه أبو حفص وبقى إلى أن مات فملك أبو الحسن المرينى، ثم الفضل الحفصى، ثم إبراهيم، ثم خالد، ثم أبو العباس أحمد، ثم أبنه أبو فارس عبد العزيز الذى قال فيه ابن عرفة أنه فى العدالة مثل عمر بن عبد العزيز الأموى بحسب الزمان

ومات/ بوانسريس بسبب دعاء الشيخ محمد الهوارى عليه كما مر، ثم ابنه عبد الله المنتصر،ثم ابنه أبو عمر عثمان ثم حفيده أبو زكرياء يحيى بن عبد الله محمد المسعود، ثم أبو عبد الله محمد بن أبى محمد الحسن ابن أبى عبد الله محمد المسعود، ثم أبو محمد الحسن بن محمد الحسن بن المسعود وبه ختام بنى أبى حفص ومن أتى بعده فهو اسم لا رسم/ (ص91) ثم أحمد بن أبى محمد بن الحسن بن أبى عبد الله محمد بن أبى محمد الحسن بن أبى عبد الله محمد المسعود، ثم محمد بن الحسن وهو خاتمة بنى أبى حفص وبانقراضه انقرضت أيامهم.

وببجاية ثلاثة: أولهم أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم، ثم يحيى المنتخب، ثم ابنه خالد. وبالمهدية مع طرابلس واحد: وهو محمد بن اللحيانى فهؤلاء السبعة والأربعون الموحدين.

قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار: ولا زالت إفريقية بيد الحفصيين واحدًا بعد واحد إلى أن أخذها منهم الأتراك سنة إحدى وثمانين وتسعمائة [1] فمدتهم بإفريقية ثلاثمائة وثمانون سنة إلا ما تخلل ذلك من الداعى بن أبى عمارة ونحوه من الذين لا حكم له. والملك لله وحده يورثه من يشاء من عباده.

---

(1) الموافق 1574م.

الدولة الخامسة الزيانيون

ثم ملك وهران، الدولة الخامسة، وهم الزيانيون ويقال لهم: بنو زيان والعبد الواديون يوم وبنو عبد الوادى.

فتسميتهم بالزيانيين نسبة لجدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكس/ بن (ص92) طاع الله بن على بن يمل بن يزوجن بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجه. وتسميتهم ببنى عبد الواد نسبة لجهدهم لأمهم عبد الوادى ابن يادين بن محمد بن رزجيك بن واسين كما فى ابن خلدون وغيره، قال صاحب بغية الرواد: وعبد الواد أصله عابد الوادى رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيع بن واسين بن يصليتن ابن مسرى بن زاكيا بن رسيح بن مادغس الأبتر بن قيس ابن غيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال التنسى فى نظم الدرر والعقيان فى شرف بنى زيان، والقاسم جد أمير المؤمنين المتوكل، اتفق النسابون على أنه من ولد عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولكن اختلف فى طريق اتصاله به، فقيل إنه القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، قال صاحب بغية الرواد: وهذا القول من أشهرهم. وقيل: إنه القاسم بن محمد ابن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، وهو الذى صححه صاحب ترجمان العبر حيث قال: إنه القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، واحتج على ذلك بأن القاسم هو الذى كان بتلمسان فلما غلب عليه العبيديون دخل لبنى عبد الوادى القاطنين بصحراء تلمسان فأصهر فيهم وعقب عقبًا مباركًا فشا فيهم حتى زاد عليهم بخلاف أعقاب الأدارسة فإنهم كانوا يلتقون بغمارة الريف/ وخالفه فى ذلك بغية الرواد بقوله إنه لما قتل المنصور (ص93) ابن أبى عامر المعافرى الحسن بن أبى كانون آخر ملوك الأدارسة بالمغرب افترقت الأدارسة فى البلاد. فكان القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس ممن توجه إلى الصحراء فانضاف إلى بنى عبد الوادى فأكرموا نزوله وعظموا قدره وحكموه بينهم فتزوج فيهم وأنسل نسلًا كثيرًا والله أعلم بحقيقة الأمر. فبان لك بهذا أن القاسم من ولد عبد الله الكامل بلا خلاف وإنما الخلاف هل هو

من ولد إدريس بن عبد الله أو من ولد أخيه سليمان بن عبد الله. وسليمان هو الذى ملك المغرب الأوسط وإدريس هو الذى ملك المغرب الأقصا (كذا).ا هـ.

قال الحافظ أبو راس فى تواريخه: والقول بأن سليمان بن عبد الله الكامل هو الذى جاء للمغرب غير صحيح والصحيح أن الذى جاء له هو ابنه محمد بن سليمان هو الذى ملك المغرب الأوسط ووهم التنسى فى قوله: دخلها سليمان وملكه أهل تلمسان عليهم لأن سليمان استشهد بوقعة فخ التى قتل فيها جعفر بن يحيى البرموكى (كذا) بأمر الرشيد، الأشراف وقبورهم مشهورة بين التنعيم ومكة المشرفة مع ضريح ابن عمر رضى الله عنهم، ومن أولاد سيدى محمد هذا بنو العيش ملوك رشقون ، وبنو إبراهيم ملوك أتنس. وإلى إبراهيم هذا ينسب السوق الذى هو غربى العروسى حيث مكب واد أسلى فى شلف. ومنهم حمزة أخوه على ملوك الأبيرة [1] بإزاء جرجرة جبل زواوة وبحمزة سميت تلك الأراضى على الآن. ا هـ.

(ص94) قال صاحب بغية الرواد: فبنو القاسم هذا هم/ الذين حازوا الشرف وكرم الأبوة وفخر الملك القديم والحادث (كذا). ولا يسمح للطعن فى هذا النسب الكريم لأنه من الشهرة بالآفاق والفشو فى القبائل والأجداد فى الغاية بحيث لا يحجبه بعد دار ولا يجحده عدو ولا بار، وفى المشهور من مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه ثبوت النسب بمجرد الشهادة من غير معرفة أحوالها. وحكى الباجى فى منتقاه وغيره من المتأخرين أن شهادة السماع الفاشى المتواتر تفيد العلم إجماعًا. وقال ابن القاسم يقطع بالنسب وإن لم يعلم الأصل، وقال بعض قضاة المتكلمين خبر الواحد إذا احتفت به القرائن أفاد العلم، فإن روعى فى إثبات هذا النسب الشريف الشهادة، فلا شهادة أعدل من قبل الأصل المشتمل على مشيب وشبان رؤساء ومرءوسين رجال ونساء من بنى عبد الوادى كرام القوم وعيانهم يعرفون أصلهم ويدينون بصحبة منتماهم الهاشمى، وإن اكتفى فيه بالسماع الفاشى فأمره فى المشارق والمغارب مشهور فى لسان الوالى والصدوق والعدو شأنهم معترف به. وأخبرت بحضرة تلمسان دار أولهم وآخرهم عرفان الشمس المعروفة، فهو إذًا أظهر من أن يخفى وأوضح من أن يجحد.

---

(1) يقصد مدينة البويرة شرق مدينة الجزائر التى تدعى ببرج حمزة كذلك.

وهـــل يبقــى عـــلى الأذهـــان شيء   إذا احتــــاج النهـــــار إلى دليـــــل

وقال ابن خلدون: كان يغمراسن بن زيان يرفع نسبه إلى إدريس ثم يقول إن كان هذا صحيحًا نفعنا فى الآخرة وأما الدنيا فنلناها بأسيافنا. ا هـ.

وقد آلف/ الحافظ التنسى فى شرفهم كتابًا سماه: نظم الدرر والعقيان، فى شرف بنى زيان. (ص95) وكذا الحفاظ أبو راس كتابًا سماه: العجال وذكر شرفهم صاحب بغية الرواد، وأثمد الأبصار، وجواهر الأسرار، وغيرهم من الأئمة.

وسبب مصير الملك إليهم أن بنى عبد المؤمن لما ضعف أمرهم بما بينهم من الفرقة تطاول بنو عبد الوادى إلى الاستيلاء على قطر تلمسان لقربهم منها فجاسوا خلالها وأوجفوا عليها بالخيل والركاب واجتاز كل منهم جانبًا من القطر وأمن أهله على خراج يؤديه إليه كل سنة، وأمرهم إلى كبيرهم جابر بن يوسف بن عم زيان والد يغمراسن بن زيان وكان والى تلمسان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور لأخيه المأمون إدريس بن المنصور فاحتال على جماعة من رؤسائهم بإغراء الحسن بن حيون فأخذهم واعتقلهم بدار الريح من القصر القديم وبعد مدة شفع فيهم إبراهيم بن إسماعيل بن غيلان اللمتونى فردت شفاعته فأنف وجمع قومه وهجم عليهم وسرحهم وقتل الحسن بن حيون واعتقل الأمير أبا سعيد موضعهم وخلع طاعة المومنية[1] وتطاول فحياء اللمتونية وسولت له ونفسه أنه لا يتأتى له إلا إذا قطع كبار عبد الوادى فبعث إلى جابر وكبراء قومه لحضور وليمة فأتوه فخرج إليهم فى ثمانية من أصحابه وقد بلغهم الخبر فقبضوا عليه وأصحابه وأوثقوهم ودخلوا البلد بدعوة المأمون فجاء جابر دار الإمارة وضبط أمرها وبعث إلى المأمون بالخطبة والسكة فقنع منه لقعود/ الشيخوخة به عن النهوض. (ص96)

فأول من ملك منهم جابر بن يوسف ونزع الملك من بنى عبد المؤمن واستخلص تلمسان من يد عمال إفريقية[2] فملك تلمسان ووهران واستولى عليهما وعلى أحوازهما وعلية كافة بنى راشد وبنى عبد الواد وحواضر ذلك القطر سوى ندرومة فزحف لحصارها فهلك هناك بسهم

(1) يقصد طاعة بنى عبد المؤمن الموحدين.

(2) يقصد عمال تونس أو المغرب الأدنى.

أصابه من داخلها من يد يوسف الغفارى التلمسانى. ثم ملكها ابنه الحسن بن جابر وخلع نفسه لما كبر سنه لعمه عثمان ثم ملكها عثمان بن يوسف وكان فظًّا غليظا فأساء السيرة وضيع الملك فأخرج من تلمسان. ثم اتفق بنو عبد الوادى على تقديم أبى يعز زيدان بن زيان فاستولى عليها وأعمالها فنكث عنه بنو مطهر بمظاهرة بنى راشد فكانت بينه وبينهم حروب سجال قتل فى بعضها وبموته انقطعت دولة بنى عبد المؤمن من تلمسان وقطرها وعلا صيت بنى زيان فهؤلاء الأربعة تولوا لا استقلالًا ثم ملك استقلالًا أبو يحيى يغمراسن بن زيان وهو فى الحقيقة أول ملوكهم والذين قبله كانت لهم المشيخة، واسمه يحيى ولقبه يغمراسن ومعناه بلغتهم كثير المرق لقب بذلك لكثرة جوده نص عليه الحافظ أبو راس فى كتاب الحاوى. وكان ابتداء ملكه يوم (ص97) الأحد رابع عشرين ذى القعدة الحرام سنة سبع وعشرين من السابع[1]/ فى أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون ونازعه بنو مظهر وبنو راشد فأظهره الله عليهم وبعث له الرشيد المؤمنى هدية عظيمة راجيًا منه الخطبة والسكة فأبى وظهرت العداوة بينهما وهَمَّ الرشيد بالنهوض له فعاجلته المنية وهو أول من خلط البادية زى الملوك وأظهر قبيلة لباس الشريعة وتعرض لهديه أبى زكرياء الحفصى الهنتاتى التى بعثها من إفريقية للسعيد المؤمنى وأخذها فنظر للسعيد لم يظهر منه شيء فاستقل بنفسه وجهز الجيوش لتلمسان فنازلها سنة خمس وأربعين من السابع [2] بجيوش فيها ثلاثون ألف رامٍ من المشاة فضلًا عن غيرهم وأحاط بها فكان الهر مع صغر جرمه تأتيه العشرون سهمًا فأكثر فخرج منها يغمراسن بجيشه وقد أفرج له لشدة بأسه وصعد لبنى ورنيد ودخلها الحفصى وعرضها على ولاته فأبو خشية من يغمراسن فاصطلح معه ورجع كل موضعه واتفقا معًا على عداوة بنى عبد المؤمن فسمع السعيد ذلك فأقسم لابد يملك مملكتهما معًا ونهض من مراكش يجر الأمم العظيمة والبحور الزاخرات من الجيوش وساعدته على ذلك بنو مرين فانجاز يغمراسن لحصن تمزريدت الغربية جنوب وجدة بجبل بنى ورنيد وحاصره فيها السعيد بعد أن نزل بوادى سلى وسأل منه الدخول فى طاعته فأبى فزحف له

---

(1) الموافق 4اكتوبر 1230م.

(2) الموافق 1247-1248م.

وتعلق بالجبل محرضًا على الهجوم فتعرض له يغمراسن للقتال ونصره الله عليه فقتل السعد على يد يوسف بن خزرون وأوتى له برأسه فأدخله على أمه لكونها أمرته بطاعته فأبى وأقسم لها أن يأتيها برأسه فأبر الله/ قسمه وقال فى ذلك الظفر الوزير أبو على الحسن صاحب سبتة القصيدة (ص98) السينية الطويلة التى مطلعها:

بشرى بعاجـــل أوجـــب لنـــا العرســـا   وأصـــفر الـــدهر عنـــه بعـــد مـــا عبســـا

واستولى يغمراسن على المحلة بما فيها فكان منه العقد اليتيم وغدار زمرد والمصحف العثمانى الذى بخطه رضى الله عنه ،وكان يغمراسن دينًا فاضلا محبًا للأولياء والعلماء فأتى بأبى إسحاق الشيخ إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسى وأخيه أبى الحسن على بن يخلف بن عبد السلام بن تنس لتلمسان إلى أن ماتا بها وقبرهما بالعباد. ووفد عليه خاتمة أهل الأدب أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب فأحسن إليه وصيره صاحب القلم الأعلا (كذا) وارتحل لزيارة أبى اليمان القطب الشيخ واضح بن عاصم المكناسى بجبل وافرشان من وادى رهيو لنيل الفضل منه قال الحافظ أبو راس فى الحاوى: ولما جاء يحيى الملقب يغمرسن لزيارة سيدى واضح المكناسى فكوشف له عن ذلك وسد باب المغارة بالحجر فوقف السلطان باب الخلوة فاستأذن على الشيخ فلم يأذن له فمكث حينًا طويلًا وكان يومًا حارًا فصار يتشفع إليه بخدامه وقرابته وهو ممتنع فقال بعض وزرائه: قد حصل المقصود فانصرف لعل الله ييسر رؤيته فى غير هذا الوقت فقال يغمراسن والله لا أنصرف حتى يرضى عنا فلما رأى منهم أنهم يئسوا من لقائه برز لهم وقال: يا يغمراسن، أما تعلم وقوف ذى الحاجات ببابك وما يجدونه من الانكسار ومدافعة الحرس لطول/ احتجابك عنهم وإنما جعلت لك ذلك للتيقظ من غفلتك فصار يغمراسن يتملق بين (ص99) يديه ويتعذر له والشيخ فى كل ذلك منقبض عنه وقد القى الله فى قلب يغمراسن وجنده من هيبة الشيخ ما لا يوصف، ثم إنه خلا به وقال له: أما كفاك ما ترتكب من الأعمال الخبيثة جمعت بين علجتين وهما أختان فتبًا للذة تصير صاحبها إلى النار فَقَبَّل عند ذلك السلطان أقدام الشيخ وقال: أنا تائب ولا أعود هذا ثم التفت الشيخ لأخيه يحيى وقال له ائتهم بطعام فبعد ساعة قرب لهم طعامًا جيدًا ولحمًا سمينًا فرمى الشيخ ذلك وقال: تطعم الزيار (كذا) خبز الشعير وتطعم الأمير

ما أرى، فقال يغمراسن: إن لم يطب خاطرك لم نأكله فقال: لا بل كلوا على بركة الله. ثم قال لاخيه أنت معذور تحتاج لما بيد يغمراسن لأنك لك ذرية بكلامه الزناتى فلما أكلوا انبسط الشيخ وقال: من تولى عهدك؟ فقال: هذا وأشار لولده عثمان فسر يغمراسن ببقاء الملك فى عقبه فلما هم بالانصراف قال

وأشار لولده محمد فقال له الشيخ الرعية لا تحتاج للفقيه الحاذق والكيس؛ لأن الفقيه مجبول على جمع المال يقول للدرهم درهما، فقال له السلطان: ومن ترى؟ فقال: هذا الشيخ لأحد ولدى يغمراسن ألم توصك أمك أن تأتيها بحجاب أكتبه لك فقال: نسيت وقَبَّل يده فقال الشيخ: يا سيدى عزوز ناوله إياه فناوله فحينئذ أوصى الشيخ يغمراسن بالرفق بالرعية وقال له يغمراسن: كل راع مسئول عن رعيته، وسيدى واضح هذا هو الذى تسمى عليه جد سيدى أبى عبد الله محمد المغوفل/ (ص100) بن محمد بن واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فكرون المغراوى سماه عليه والده لكونه تلميذه وتوفى سيدى واضح بن عثمان المغرواى سنة ست وخمسين وثمانمائة[1] كما فى ذيل الديباج للشيخ أحمد بابا، ويغمراسن هو الذى بابا (كذا) الصومعتين بالجامعين الأعظمين من أقادير، وتلمسان، ولم يكتب اسمه عليهما وقال علمهما عند ربى قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار: ويقال: إن الجامع الذى بتلمسان القديمة بناه مولانا إدريس الأكبر وعمل له المنبر. وبالقديمة ضريح الشيخ داود بن نصر أول من شرح البخارى توفى فى آخر القرن الرابع[2] وحروبه مع زناتة والعرب أمر لا يحصى ولا يصدر من أحد لشرف همته، فقد قال صاحب بغية الرواد: له فى العرب وحدهم اثنان وسبعون غزوة ومثلها مع تجين (كذا) ومغراوة. ولما حل الأمير أبو إسحاق الحفصى بتلمسان لطلب ملكه بتونس سنة ثمان وسبعين من السابع[3] زوج إحدى بناته المقصورات فى خيام الخلافة لولد يغمراسن عثمان ثم بعد تمهد الملك له بعث

---

(1) الموافق 1452-1453م.

(2) الموافق أول القرن 11/ .

(3) الموافق 1279- 1280م.

يغمراسن بمليانة للتنويه ببنت سلطان تونس ولما نزلوا بريهو مات سنة إحدى وثمانين من السابع[1] وحمل لتلمسان فدفن بها.

ثم ابنه أبو سعيد عثمان باتفاق الملأ من بنى عبد الوادى فشمر فى غزو الأعادى ذيله حتى أقام من كل ذى زيغ ميله، فقتل ابن عبد القوى ملك تجين وانتزع لهم وانسريس والمدية وأخذ مازونة وتنس وفرشك[2] من يد مغراوة/ وهرب مالكهم راشد بن منديل فى البحر، وقطع (ص101) ملكهم. غير أن الحافظ أبو راس قال فى عجائب الأسفار: قد رأيت راشدًا بن منديل مذكورًا فى نحو السبع من الثامن وزاد عثمان لبجاية فخربها وغزى (كذا) العرب فأجلاهم للصحراء وحرك عليه يوسف بن عبد الحق المرينى خمس مرات كان الحصار صادر منه فى الخامسة لتلمسان ثمان سنين وثلاثة أشهر، وبنا (كذا) المنصورة وتوفى أبو سعيد فى الحصار، ثم ابنه أبو زيان محمد بن أبى سعيد ونهض لحرب عدوه غير أنه عاجلته المنية فى أثناء الحصار لمرض اعتراه.

ثم أخوه أبو حم[3] موسى بن عثمان وفى وقته حصل الفرج وزال الحصار بسبب الولى أبى زيد عبد الرحمن الهزميرى جاء من أغمات ليوسف بن يعقوب والمرينى شفيعًا فأبى فذهب الشيخ مغاضبًا وقال: يأتى سعاذًا (؟) يقضى هذاء وانصرف للمغرب فدخل عليه سعادة غلام العلامة أبى على المليانى الذى قتله يوسف بن يعقوب فألفاه (كذا) نائمًا وقد ألقى الله فى قلبه طلب الثأر فوجأه بسكين فى بطنه فبلغ الخبر الهزميرى وهو بفاس فقال له خديمه: نرجع لبلدنا فقال الشيخ وعبد الرحمن يموت فمات لأيام قلائل ودفن بفاس بروضة الأنوار، وأول ما بدأ به أبو حمّ هدم المنصورة وأصلح ما ثلم من تلمسان وبنى الأسوار وحفر الخناديس والأهرية وملأها طعامًا وإيدامًا وحطبًا وفحمًا وملحًا وجميع ما يحتاج إليه بها لا حدّ له ثم استقبل بالتمهيد وتتبع الحركات بنفسه/ على تجين ومغراوة وسائر المخالفين أيام الحصار وحرك عليه أبو سعيد المرينى إلى أن بلغ (ص102) وجدة ففر عنه أخوه يعيش لتلمسان فرجع وثار عليه راشد بن راشد المغراوى بشلف فنهض له

(1) الموافق 1282- 1283م.

(2) الصحيح برشك بالباء وليس بالفاء قرية بين تنس وشرشال على ساحل البحر.

(3) أبو حمو يكتب بالواو بعد الميم ولكن المؤلف يهمل الواو دائما.

وفر راشد لزواوة واستعصم بها فنازله أبو حم بوادى تمهل وبنى به قصره المعروف به[1] ففر راشد لبنى أبي سعيد وانحاز للموحدين فبعث له جيشين عظيمين أحدهما لنظر مسعود بن أبي عامر الزيانى والآخر لنظر موسى بن على الغزى فاستباحوا إبل قسنطينة وحصل التنافس بين الرؤساء كادت تبين الفتنة وعزل عامل مليانة وبعث به لتلمسان فاستقبح ابنه أبو تاشفين سجن خاله وأمره بالمسير للأمير فغض بصره ففر للمدية وثار بها وتبعه الغوغاء فرجع أبو حم مغاضبًا على ابنه وصار يؤثر عليه مسعود بن أبي عامر بن عمه فأغر (كذا) أبا تاشفين خواصه بقتل المسعود وأبيه فقتلهما. وكان أبو حم محبًا للعلماء والعلم وهو الذى بنى المدرسة المعروفة لابنى الإمام وأعطى بلاد تجين للحشم فصلًا بينه وبينهم.

ثم ابنه أبو تاشفين، فاستولى على البدو والحضر. واستخدم ربيعة ومضر وتولع بتبييض الدور، وبنى (كذا) القصور، ونهض لخاله محمد بن يوسف الثائر على أبيه والموجب لقتله فحاصره، بوانسريس إلى أن أخذه عنوة وقتله وعفا عن غيره، ثم زاد لبجاية فأخذ رياحًا أخذة رابية وأمر قائده موسى بن على ببناء مدينة على وادى بجاية فبنيت فى أربعين يومًا وسماها تمزريت الشرقية[2] وأما الغربية فهى التى / بجبل بنى ورنيد كما مر، وجهز عامله يحيى الجمى جيوشًا (ص103) لغزو تونس تحت نظر ابن أبي عمران الحفصى فلقيهم مالكها أبو يحيى بجيوشه فهزموه واستولوا على حريمه وذخائره ومحلاته وأفلت جريحًا لقسنطينة وزادوا فدخلوها واستراحوا بها أربعين يومًا وأسلموها لابن أبي عمران فبعث له أبو سعيد المرينى على الإقلاع عن بجاية فأبى وهم أبو سعيد بقتاله فعاجلته منيته (كذا).

وكان له بالعلم وأهله احتفال عظيم فقد ورد عليه أبو موسى المشذالى فأكرمه وولاه التدريس بمدرسته الجديدة وورد عليه أبو العباس البجائى تأجرًا ودخل المدرسة القديمة فألفاهم يتكلمون بمجلس أبي زيد بن الإمام فى قول ابن الحاجب فى الأصول فى حد العلم أنه صفة توجب تمييزًا لا يحتمل التنقيض فقال يا سيدى هذا الحد غير مانع لانتفاضه بالفصل

---

(1) وهو الذى تحول إلى قرية عمى موى حاليا بين واد رهيو والشلف.

(2) وهى قرية أقبو الحالية. على الضفة الغربية لوادى الصومام.

والخاصة فقال أبو زيد: من المتكلم؟ فقال أحمد البجائى فقال: يقع الجواب بعد الضيافة وأنزل وأكرمه وسأله عن مقدمة فقال تاجرًا فعرف به الأمير فرفع عنه مغرمه ومن معه قدره مائة دينار وزاده صلة مائة دينار ذهبًا، ووقع بمجلسه السؤال عن أبن القاسم هل هو مقلد أو مجتهد فقال أبو زيد مقلد النظر بأصول مالك وقال المشذالى مجتهد مطلق الاجتهاد واحتج بمخالفته لمالك فى بعض المسائل واستظهر أبو زيد نص ابن التلمسانى الذى مثل به المرينى اللاجتهاد المخصوص/ (ص١٠٤) بانب القاسم لمالك والمازنى للشافعى فقال المسذالى هذا مثال لا تلزم صحته. وحرك عليه أبو الحسن المرينى فنزل بتاسالة وأطال بها إلى آن ثار عليه أخوه بسجلماسة فرجع له إلى أن قتله ومهد المغرب ثم رجع لتلمسان وحاصرها وبنى عليها مدينته التى هى الآن محراث ولم يزل أبو تاشفين وأولاده ووزيره فى المقاتلة معه إلى أن استشهدوا جميعًا فى يوم الأربعاء ثامن عشرين رمضان سنة سبع وثلاثين من الثامن[1] فدخلها المرينى وبموته جر الحادث، والخطب الكارث، على الدولة الزيانية القفا، وكدر بينها الحنسى ما كان صفا.

* * *

(1) الموافق 10أبريل 1337م.

الدولة السادسة: المرينيون

ثم ملك وهران الدولة السادسة، وهم المرينيون، ويقال لهم: بنو حمامة، أما تسميتهم بالمرينيين فذلك نسبة لجدهم مرين بن أمير الناس على قول، وابن ورتاجن على الآخر، وأما تسميتهم ببنى حمامة فذلك نسبة لجدهم حمامة ابن محمد بن ورزين. واختلف فى نسبهم على ثلاثة أقوال، فقال صاحب أثمد الأبصار وغيره: إنهم أدارسة من ذرية يحيى بن إدريس، وقال صاحب القرطاس إنهم زناته من ذرية ماخوخ الزناتى، وقال أيضًا فى موضع آخر: إنهم من نسل قيس بن غيلان بن مضر، ومن زناتة تفرقت قبائل زناته فهم عرب صريحون وسبب تغير لسانهم عن (ص105) العربية إلى البربرية أن بر بن نزار كان له ولدان: قيس، ودهمان، ابنا/ غيلان، فدهمان ولده قليل وهم أهل بيت من قيس يعرفون ببنى أمامة، وقيس ولد أربعة رجال وجارية وهم: سعيد وعمر وحفصة أمهم مريم بنت أسد بن ربيعة بن نزار، وبر ونماض أمهما بريع بنت محمد بن مجدل بن عمر ابن مضر المجدولى. وكان البربر يسكنون بالشام ويجاورون العرب فى الأسواق والمساكن والمراعى، ويشاركونهم فى المياه والمساعى ويصاهرون بعضهم بعضًا، وكانت البها بنت دهمان بن غيلان بن مضر من أجمل النساء وأكملهن ظرفًا وطربًا وحسنًا فكثر طلابها للتزويج من كل قبيلة فقال أبناء عمها قيس وهم: عمر وسعيد وبر وحفصة لا يتزوج بنت عمنا غيرنا فخيروها فاختارت برًا لكمال شرفه وصغره وتزوجته فحسده إخوته عليها وهموا بقتله. وكانت أمه بريع من جهات (كذا) النساء فبعثت إلى ولدها بر وزوجته البها وأمرتها بالذهاب معها لقومها فوافقاها وذهبوا فنزلوا عند أخواله وأعرس بها وامتنع من قومه فولدت له البها علوان ومادغس، فعلوان مات صغيرًا ولم يعقب، ومادغس لقب بالأبتر فهو جدّ البتر ومن ولده جميع زناتة فبمكث بر بالبربر تغير لسانه وأورث فى ذريته فهذا هو السبب وقالت فى ذلك أخته ترثيه:

وشاطت ببر داره عن بلاده ... واطرح بر نفسه حيث يمما

وأورث بر لكنه أعجمية ... وما كان بر بالحجاز بأعجما

(ص106) / وقال أبو فارس فى أرجوزته نظم السلوك:

فجاورت زناتة البرابرا ... فصيرت كلامهم كما ترا

ومـــا بـــدل الـــدهر ســـوى أقـــوالهم ولم يبـــــدل منتهـــــى أحـــــوالهم
بـــل فعلهـــم أربـــى عـــلى فعـــل العـــرب فى الحـــــال والآثـــــار ثـــــم فى الأدب
فـــانظر كـــلام العـــرب قـــد تبـــدلا وحـــالهم عـــن حالـــه تحـــولا
لا يعرفـــون اليـــوم مـــا الكـــلام ومـــا لهـــم نطـــق ولا إفهـــام
وإن تمـــادت بهـــم الأحـــوال لم يبـــق فى الـــدهر لهـــم أقـــوال
كـــذاك كانـــت قـــبلهم مـــرين كلامهـــم كالـــدر إذ يبـــين
فاتخـــذوا ســـواهم خلـــيلا وبـــدلوا كلامهـــم تبـــديلا

وأصل مواطنهم كأخوتهم بنى لومى ومديونة، قبلة زاب إفريقية ثم دخلوا المغرب سنة تسع وستمائة [1] فنزلوا من فيق على تفلالت إلى ملوية، وكانت بين بنى لومى هؤلاء وبين بنى مانوا حروب عظيمة هلك فيها ماخوخ الزناق صاحب الخيمة المشهورة التى آثارها للآن ببلاد أولاد على من بنى عامر فى أواخر المائة الخامسة، وكان بنو لومى يمدون بنى مرين بالجيوش وسبب مصير الملك إليهم أنهم كانوا ببلادهم المذكورة رائسهم (كذا) محمد بن ورزين ثم قام ابنه حمامة مقامه ثم أخوه عسكر ثم ابنه المخضب ولما سمعوا بعبد المؤمن بن على الموحدى غزى (كذا) وهران واستولى على أموال لمتونة وبعث بها لتنمليل تعرضوا له من الزاب مغلغلين إلى وادى تلاغ فاستولوا/ عليها به ثم لحقهم المحدون ومعهم بنو عبد الوادى فكان المصاف بفحص (ص107) حسون وانكشف المرينيون وقتل شيخهم المخضب واكتسح العبد الواديون حللهم سنة أربعين من السادس[2] فلحقوا بالصحراء وركد ريحهم إلى سنة عشرة من السابع[3] فى وقت المنتصر الموحدى وكان صبيًّا صغيرًا لا يعرف شيئًا أتوا على عادتهم للكيل فوجدوا الغرب لا حياة فيه لمن تنادى فأقاموا بمكانهم وبعثوا لإخوانهم على القدوم فأسرعوا على الخيل والنجائب، يقطعون المهامه والسباسب يريدون الدنو والبلاغ، إلى أن وصلوا لوادى تلاغ، فدخلوا المغرب بجيش

(1) الموافق 1212-12133م.
(2) الموافق 1145-1146م.
(3) الموافق 1213-1214م.

كالجراد يقمع الحاضر والباد، فظهر ما كان فى الغيب مجهولًا ليقضى الله أمرًا كان مفعولًا قال أبو فارس فى أرجوزته:

في عــــام عشرة وســـتمائة أتـــوا إلى الغـــرب مـــن البريـــة

جـــاؤوا مـــن الصـــحراء والسباســـب عـــلى ظهـــور الخيـــل والنجايـــب

كمثـــل مـــا قـــد دخـــل اللمتونيـــون مـــن قبـــل ذا وهـــم لهـــم ميممـــون

فهذا سبب مصير الملك إليهم. قال ابن خلدون: وهم قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم من أقوى القبائل وأنجدها وأفرسها كثير جمعهم، مضاهون للعرب والفرس واليونان والروم، وفيهم قال ابن الخطيب فى رقم الحلل.

أورث الله بـــــلاد الغـــــرب للســـادات الغـــر الكـــرام النجـــب

أهـــل الخيـــول والرمـــاح والهمـــم أقـــوى بنـــى الـــدنيا وأوفى بالـــذمم

وأدرب الخلـــق بـــركض الخيـــل وخـــوض أحشـــاء الفـــلا والليـــل

/ قـــاموا وقـــد بـــان اختلال الطاعـــة بمـــذهب الســـنَّة والجماعـــة

(ص108) ولما دخلوا المغرب تفرقوا فيه وشنوا الغارات فمن أذعن لهم سالموه من أبى قتلوه. ففرت الناس منهم وبلغ خبرهم إلى أمير الموحدين المستنصر فقال لقومه: ما ترون من هؤلاء؟ فاتفق رأيهم على محاربتهم فبعثوا لهم جيشًا فيه عشرون ألفًا تحت رئاسة أبى على بن واندين فسمعت مرين فلقيتهم بأكمل حالة وجعلوا أموالهم وحريمهم بقلعتى: تازة وزا فلما تراء الجمعان كانت الدائرة لمرين على الموحدين فقتلوهم ذريعًا وهزموهم شنيعًا واحتووا على ما فى المحلة بأجمعه ودخل فل رباط تازة وفاسا منهزمين، وبالمشعلة مستترين ومنحرمين.وهى نبت يشبه الحلفا له أوراق طويلة عريضة تسميها عامة المغرب بلحية الشيخ ويقال لها بالشلحة الأثموج، وأكثر نبتها قبلة تازة سيما بلاد مكناسة وقلوبهم بالحزن مشتعلة فسمى العام عام المشعلة وهو عام ثلاثة عشر وستمائة[1].

---

(1) الموافق 1216-1217م.

وأول ملوكهم بالمغرب عبد الحق بن محيوا وكان فاضلًا صالحًا متبركًا به وهو الذى استخلص الملك من غيره لكنه لم يستول على كرسى الخلافة بمراكش، ثم ابنه أبو سعيد عثمان، ثم أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق وبايعته كافة مرين وسار فيهم سيرة حميدة، وكان بطلًا شجاعًا شهمًا مهابًا مطاعًا، كثير الغارات لا يفتر عن القتال والمحاولات وفيه قال صاحب الأرجوزة:

(ص109)

/ ثـــم ولى مـــــن بعـــــده محمـــــد ... وكـــــان فى أمـــــوره مســـــدد

فكـــان لا يفـــتر عـــن قتـــال ... مواضـــبًا للحـــرب والنـــزال

كـــم عســـكر لـــه وكـــم حشـــود ... ومـــن جميـــع جمـــة الجنـــود

وكـــم مـــن جـــيش جـــاء مـــن مـــراكش ... أفنـــاه بـــالحروب والتنـــاوش

نهـــاره وليلـــه طعـــان ... لكنـــه مؤيـــد معـــان

ولم يزل فى قتال الموحدين إلى أن قتل بصخرة أبى بياس من أحواز مدينة فاس، يوم الخميس تاسع جمادى الثانية سنة اثنين وأربعين من السابع تحاملًا مع زعيم الروم، ثم أخوه أبو يحيى زكرياء بن عبد الحق وهو أول من عمل من ملوكهم مراسم الملك من بنود وطبول وغيرها، وأول ما ابتدأ به تقسيم البلاد على قومه وإنزال كل قبيلة فى ناحية وأمرهم بتكثير الجيش وركوب الرجال وما غلبت عليه كل قبيلة فهو لها وتوفى بفاس ودفن بإزاء قبر الفشتالى تبركًا به.

ثم أخوه سلطان الجهاد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى ولقبه المنصور، وقد استوفى أبو فارس فى أرجوزته سيرته حيث قال:

ســـيرة يوســـف بـــن عبـــد الحـــق ... قـــد حـــاز فيهـــا قصـــبات الســـبق

ســـيرته أن يقـــرأ الكتابـــا ... ويـــذكر العلـــوم والآدابـــا

يقـــوم للصـــلاة ثلـــث الليـــل ... ومـــا لـــه عـــن ورده بميـــل

إلى آخر الأبيات السبعة والعشرين وشرع فى تمهيد المغرب ففتح / بلاده من أقصى سوس (ص110) الى وجدة وفتح مراكش وقطع ملك الموحدين ومحا آثارها وجاز للأندلس فدوخها وملك بها ما يزيد على خمسين قصرًا ما بين مدن وحصن كمالقة ورندة والخضراء، وطريف ومربات وأشبونة

وما بين ذلك من الحصن والقرى والبروج وخطب له على جميع منابر الغرب فهو أول ملك حما (كذا) الإسلام من بنى مرين ونزل فى سنة ثمان وخمسين من السابع بتازة[1] يستنشق ريح يغمراسن فبلغه الخبر بأن النصارى دخلوا مدينة سلا غدرًا ووضعوا السيف فى رقاب أهلها، فجد السير لها يومه وليلته إلى أن أدرك المسلمين وخلصهم من العدو وأطرد العدو منها وبنا عليها (كذا) السور وغزى (كذا) مراكش سنة ستين من السابع [2] فحاصرها شديدًا وغلق أميرها المرتضى على نفسه ثم خرج منها ووقعت بينهما حروب عظيمة قتل فيها عبد الله ولد المرينى فارتحل عنها. وفى ذاك قال أبو فارس عبد العزيز فى أرجوزته:

فى عـــــام ســــــتمائة وســـــــتين ... ســـــار المـــــراكش ســــلطان مـــــرين

فوقــــــف المنصـــــــور بجليـــــــز ... مبــــــــزرًا بأحســـــــن التبريـــــــز

وعــــاد فيهــــا المـــــرتضى محصـــــورًا ... ذًا أرق فى قصره مقصــــــــــــــــورًا

ودارت الأعـــــــــراب بالأســـــــوار ... واعتمــــدوا فيهــــا عــــلى الإحصـــــار

(ص١١١) وضيق على أبى دابوس بمراكش شديدًا ولم أيقن بعدم النجـ :/ استصرخ بيغمراسن فشن الغارات على أطراف الغرب فرجع إليه المرينى ووقع المصاف بوادى تلاغ الغربى وحصلت الحب العظيمة بينهما من الضحى للظهر؛ فرجعت الدائرة على يغمراسن؛ فهزم وقتل أكبر أولاده عمر، ثم غزا (كذا) تلمسان فى سنة تسع وستين من السابع[3] فلقيه يغمراسن بواد سلى قرب وجدة فوقع بينهما حرب عظيم مات فيه من جيش يغمراسن خلق كثير ولولا ما حال الظلام بينهما لم تقم قائمة بنى عبد الوادى، وفر يغمراسن لتلمسان وأضرمت محلته نارًا وتبعه يعقوب المرينى فمر بوجدة وجعل عاليها سافلها وسبا (كذا)أموالها وزاد لتلمسان فحاصرها شديدًا وأدار محلته بها وجاءه بها محمد بن عبد القوى إعانة ثم سرحه لأهله ولم ترتحل عنها حتى وصل

---

(1) الموافق 1259-1260م.

(2) الموافق 1261- 1262م.

(3) الموافق 1270-1271م.

التجيني بلده خشية عليه من يغمراسن؛ ثم أقلع عنها ورجع للمغرب فقال بعض كتابه، الملزمين لخدمة بابه:

فإنـك ذا الخيـل جالـت حبسـتهم قضـاء مـن الـرحمن مـا منـه عاصـم
فـذاك عـلى اليمنـى يبيـد حماتهـا وهـذا عـلى الـيسرى فـأين المقـاوم
ووالـدهم في جـاحم الحـرب بيـنهم يبيـد حمـاة الجـيش والسـقر قـائم
فويحـك يـا يغمـور هـل لـك حـاجز أيقظـان حقًّـا أنـت أم أنـت نـائم
أفي كـل عـام تـترك ابنـاك للفنـى وتسـبى لـك المغيـد الحسـان المكـارم

وجهز جيشًا قدره خمسة آلاف لنظر ولده أبي زيان سنة ثلاث/ وسبعين من السابع [1](ص112) فغزى (كذا) الأندلس به ونزل بطريف واستراح ثلاثًا، ومنه للحيرة فغنمها وبعث بالغنائم للجزيرة ووالى السير في الأرض يفتح ويسبى إلى شريش، ورجع بالغنائم للجزيرة ولحقه والده في سنة أربع وسبعين من السابع[2] ففتح فتوحًا كثيرة وغنم غنائم عظيمة وجال بالقتل والسبى والتخريب وقتل زعيم النصارى دنونة[3] وهزمت عساكره وأوتى له بالرؤوس فكانت نيفا وثمانية عشر ألفًا على ما لصاحب الأنيس، وتسعة آلاف على ما لصاحب رقم الحلل، فجعلت تلا وأذن عليها للصلاة وصلى المسلمون بالمعركة الظهر والعصر وأوتى له برأس دنونة فبعثه لابن الأحمر فكوفره ومسكه ابن الأحمر وبعثه للفنش (ألفونسو) تقربًا منه وتجنبًا من أبي يوسف، قال ابن الخطيب في رقم الحلل:

تسـعة آلاف مـن الكفـار دعـا بهـم داع إلى البـوار

وعدد الأسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون أسيرًا، والكراع أربعة عشر ألفًا وستمائة، والبقر مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، وأما الغنم فضاقت بها الأرض وبيعت الشاة بدرهم

(1) الموافق 1274-1275م.
(2) الموافق 1275-1276م.
(3) لم نتعرف على اسمه الحقيقي.

والمرأة بدينار ونصف. ولما قسم الغنائم ارتحل ونزل قصر الصخرة فأتاه هرنادة[1] ملك قشتالة لعقد الجزية وقبل يد السلطان فدعا بماء بمرأى بطارقته وغسلها من قبلته؛ فكانت له فخرًا وفى ذلك قال لسان الدين ابن الخطيب فى رقم الحلل:

/ واجتمـــع القـــوم بـــقصر الصـــخرة وشـــاهد النـــاس جميعًـــا فخـــره

(ص113) وحين حل بالخضراء بعث له أبو محمد بن أشقيلولة كتابا يهنيه بالفتح مشتملًا على قصيدة عينية فيها تسعة عشر بيتًا مطلعها:

هبـــت بـــنصركم الريـــاح الأربـــع وجـــرت بســـعدكم النجـــوم الطوالـــع

واصطلح فى سنة أربع وسبعين من السابع[2] مع شانجة طاغية الروم فبعث له الطاغية بثلاثة عشر حملًا من كتب المسلمين التى أخذوها ما بين الكتاب العزيز وتفاسيره وكتب الحديث وشراحاته وكتب الفروع والأصول واللغة العربية والآداب وغيرها، وأتاه العلامة الأديب أبو فارس عبد العزيز المكناسى ناظم الأرجوزة التى يقال لها نظم السلوك بقصيدة بائية مشتملة على مائتين وثلاثين بيتًا يذكر فيها سيرته وجهاده وغزواته وجميع أموره كلها مطلعها:

بحمـــــد الله أفـــــتح الخطابـــــا وأبـــــدأ فى النظـــــام؟ والكتابـــــا

لعـــــل الله يبلغنـــــى أمـــــالى ويفـــــتح بـــــالسرور علـــىّ بابـــا

فأنشدها بين يديه قارئه أبو زيد عبد الرحمن الفاسى الغرابلى وحضور أشياخ بنى مرين والعرب لقراءته مائتى دينار، وللناظم ألف دينار وخلعًا ومركوبًا ومن أرادها بتمامها فعليه بالأنيس، أو دليل الحيران. وتوفى ضحى يوم الثلاثاء ثانى عشرين من المحرم كما فى الأنيس، (ص114) وصفر كما فى عجائب الأخبار، سنة خمس وثمانين من السابع[3] / بالجزيرة الخضراء بعد موت يغمراسن بخمس سنين كما فى الخبر المعرب. وحمل إلى رباط الفتح من بلاد العدوة ودفن بمسجد

---

(1) لعله يقصد: HERNANDO

(2) الموافق: 1275-1276م.

(3) الموافق 20 مارس أو 21 ابريل 1286م.

شالة منها كما فى الأنيس وبموته انصدع الإسلام. قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار ولولا يغمراسن ألهاه بشن الغارات لاسترد كثيرًا من الأندلس فكان له مانعًا من الموانع .

ثم ابنه يوسف الناصر فصالح ابن الأحمر وجدد الصلح لابن الفنش (الفونسو) وأكثر من غزو الأندلس فأثخن فى النصارى ثم صرف عزمه لغزو تلمسان بسبب ابن عطوا؛ فحاصرها وبها ملكها عثمان بن يغمراسن ودام حصاره عليها أعوامًا وشهرًا ومات ملكها عثمان أيام الحصار، وانتهت عساكر المرينى إلى إفريقية واشتد البلاء على أهل تلمسان إلى أن قتله غلامه وهو نائم مع إحدى جواريه؛ فأفرجت عساكر مرين عنها، وحمل إلى شالة برباط الفتح ودفن بها، ولما مات جلس ابنه أبو سالم على الكرسى فغلبه ابن أخيه أبو ثابت وخعله بإعانة أبى حم الزيانى.

ثم أبو ثابت عامر بن عبد الله فارتحل عن تلمسان ورجع للمغرب؛ فدوخه كثيرًا وجال فى نواحيه إلى أن توفى بقصبة طنجة؛ فجلس على كرسى الملك عمه على بن يوسف؛ فخلع فورًا ورضوا بسليمان أخى (كذا) أبى ثابت. ثم أبو الربيع سليمان بن عبد الله أخو أبى ثابت فجدد الصلح مع آل زيان وتوفى مريضًا بتازة ودفن من ليلته بصحن جامع تازة وقد ترفهت الناس فى أيامه/ باتخاذ الدواب والملابس الجيدة وتشييد الدور وترويقها بالزليج والرخام والنقوش. ثم (ص115) أبو سعيد عثمان السعيد بن يعقوب فمهر الملك ودوخ المغرب وأوقع بملوية ووجدة وبنى يزناسن كثيرًا وحاصر تلمسان شديدًا وبها سلطانها أبو حم موسى بن عثمان ثم أفرج عنها ورجع للمغرب وغزى (كذا) الأندلس وطالت مدته فى التدويخ ووقع الخلل بينه وبين ولده عمر فاجتمع العسكر على عمر وخاف السعيد من العسكر؛ فانتصر عليه ولده وهرب السعيد لتازة ولحقه بها ولده وحاصره إلى أن سلم له الأمر بالأشهاد وبقى بتازة ثم سار ولده بالجيوش لفاس وحل به المرض الشديد؛ فحاصره أبوه بها إلى أن سلم له الأمر على أموال عظيمة أعطاها له السعيد مع سجلماسة وترك الملك لأبيه فاستقل به إلى أن مات. وهؤلاء الملوك التسعة من بنى مرين لم يملك واحد منهم وهران.

ثم ملكها أبو الحسن المرينى وهو على بن وعثمان السعيد بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ابن أبى بكر بن حمامة بن محمد بن وزرين بن فلوس بن كرماط بن مرين فدوخ المغرب بأجمعه

وحاصر تلمسان مدة حصرًا شديدًا وبنى المنصورة غربى تلمسان مدة الحصار وفيها يقول ابن الخطيب السلماني في رقم الحلل:

ثـــم بنـــا المنصـــورة الشـــهيرة البلـــدة الجامعـــة الكبـــيرة

(ص116) / وقيل بناها يوسف بن يعقوب كما مر وفتك بأهل تلمسان فتكًا عظيمًا وقاتله مالكها أبو تاشفين إلى أن استشهد هو وأولاده ووزيره فدخلها عنوة ولما حل بها طلب الإعانة منهم بالأموال للجهاد فقال له أبو زيد بن الإمام: لا يصح لك حتى تكنس بيت المال وتصلى فيها ركعتين كما فعل عمر رضى الله عنه، وفتح ندرومة ووجدة ورجع للمغرب. ثم غزى (كذا) وهران والمغرب الأوسط إلى أن وصل لإفريقية بسبب أن السلطان أبا بكر الأصغر الحفصى لما توفى سنة سبع وأربعين من الثامن[1] وكثر القتال بين بقية بنى حفص وبين ولديه أبى العباس وأبى فارس وأضرمت إفريقية نار الفتنة هرب حاجب السلطان محمد بن تافركين للمغرب لسعاية بلغت به؛ فلحق بأبى الحسن المرينى وصار يرغبه فى ملك تونس ويسهل عليه أمرها ويهونها عليه وكانت نفسه تحدثه لما فتح تلمسان بإفريقية ويتربص بالسلطان أبى بكر؛ فقويت عزائمه عليها، ثم أخبر بمهلك ولدى بكر أبى العباس وأبى فارس فارتحل من مراكش وجد السير إلى تلمسان فوافته بها الحشود من كل جهة وارتحل فى صفر سنة ثمان وأربعين من الثامن[2] يجر الدنيا بما حملت فنزل بوهران وفتحها وأمر ببناء البرج الأحمر بها فبنى وجعل فى وسطه دائرة لا تراكين لها بناء محكمًا وأتقنه إلى أن كاد الجو يغص به وقلّما يوجد مثله فى السعة وإتقان البناء فهو إيوان الحكم لكل من ملك وهران ثم بنا (كذا).

(ص117) ثانيا برج/ المرسى كلاهما تلك السنة فبينما هو بوهران إذ وفدت عليه بها أولاد حمزة، والكعوب وسائر أمراء إفريقية وبعث ابن مكى أمير قابس وفده بالطاعة وابن جلول صاحب توزر وابن عابد صاحب قفصة وصاحب الحامة وصاحب نفطة كلهم بايعوه بوهران رغبة ورهبة وأدوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس لبعد داره ثم قدم فى أثرهم يوسف بن منصور

---

(1) الموافق 1346-1347م.

(2) الموافق ماى – جوان 1347م.

صاحب الزاب ومعه كبير الذواودة يعقوب بن على فأوسع الكل كرمه وجوائزه وعين القهارمة لإتمام البرجين المذكورين والعمالة والولاة وفى ذلك قال الحافظ أبو راس فى سينيته:

ثـــامن قـــرن قـــدمها المرينـــى أبـــو حســـن ثمـــت بيعـــة طـــرابلس
بنـــا بهـــا الأحمـــر ففـــاق كـــل بنـــا ثـــم بنـــا الثـــانى حـــذو ســـفن المـــرس

ثم ارتحل يجر الأمم قاصدًا إفريقية فمر على كل بلدة ومكان فى أمن وأمان إلى أن دخل تونس فى يوم مشهود يقل مثله بعده فى الوجود، ومعه شيخ الموحدين بتونس أبو محمد بن تافركين بجنود عظام فبايعه بها خمسون ملكًا ووافق ذلك موت الحاجب لتعلقات العلم وجامع أشتات النثر والنظم وإمام المصنفين بحكم أقرانه الراشدة العلامة ابن هارون أحد شارحى ابن الحاجب وشيخ ابن عرفة وزوجته فى ليلة واحدة، فقدم السلطان لما حضر جنازتها للصلاة عليهما أبا عبد الله السبطى صاحب الفتوى بالمجلس الذى أولاده مشهورون بأولاد السبطى للآن بفاس. ولما حل بتونس اندفع إليه الشعراء بها يهنونه بالفتح وكان سابقهم فى تلك النوبة أبو القاسم الرحوى من ناشئة أهل الأدب فرفع/ إليه قصيدة بائية محتوية على ثمان وستين بيتًا (ص118) مطلعها:

أجابـــك شرق إذا دعـــوت ومغـــرب فمكـــة هشـــت للقـــاء ويثـــرب
ونادتـــك مصر والعـــراق وشـــامه بـــدارًا فصـــدع الـــدين عنـــدك يشـــعب
وحيتـــك أو كـــادت تحيـــى منـــابر عليهـــا دعـــاة الحـــق باســـمك تخطـــب

وانظر تمامها إن شئت فى ترجمان العبر أو دليل الحيران.

ثم غزى (كذا) من تونس العرب بالقيروان بعد صلاة عيد الأضحى فوافاهم فى الفرح بين بسيط تونس وبسيط القيروان المسمى بالثنية؛ فأجفلوا أمامه وقاتلوه منهزمين وهو فى أتباعهم إلى أن حل بالقيروان ورأوا أن لا ملجأ منه فاتفقوا على الاستماتة (كذا) ودس إليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وتجين؛ فغلبوا بنى مرين وواعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا إليهم براياتهم وصبحوا معسكر السلطان فركب إليهم التعبئة فاختل مصافه وتحيز إليهم الكثير من جيشه فكانت الدائرة عليه ونكب نكبة عظيمة، ونجا إلى القيروان فدخلها فى

الفل من عساكره وتدافعت ساقات العرب فى إثره وتسابقوا إلى محلته؛ فنهبوها ودخلوا فساطيطه واستولوا على ذخائره والكثير من حريمه وأحاطوا بالقيروان ودارت حللهم بها وتعاوت ذيابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان ولم ينج إلا فى أرذل حالة وذهب ليلًا إلى سوسة على تعبئة فركب منها فى الأسطل (كذا) إلى تونس وحل بها فشرع فى إصلاح ما ثلم منها.

عودة وهران لدولة بني زيان

(ص119) ثم/ رجع ملك وهران للدولة الخامسة وهى دولة بنى زيان؛ فملكها بعد أن استولى على تلمسان أبو سعيد بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن الزيانى فأحيا (كذا) الدولة الزيانية بعد العفاء وأظهرها بعد طول الخفاء، وهو سادس الملوك الزيانية وعاشر القاسمية، بويع له فى ربيع الأول سنة تسع وأربعين من الثامن[1] بأرض إفريقية وجاء مغربًا ومعه تجين ومغراوة وبنو عبد الوادى ولما حل بشلف فارقته تجين ومغراوة بعد التحالف مع المناصرة عند الحاجة وتمادى بنو عبد الوادى بسلطانهم لتلمسان، وكان أبو عنان المرينى أقام بها عثمان بن جرار أحد بنى طاع الله فبعث لهم ابن جرار أخاه فى جيش للمحاربة؛ فكان مصاف القتال بسكاك فقتل ابن جرار وأخذ ما معه إلا اليسير وجاء أبو سعيد لتلمسان فسأل عاملها ابن جرار الأمان؛ فأمن ودخلها أبو سعيد فى جمادى الثانية تلك السنة[2] ، فبرز فى سماء الخلافة وشارك أخاه أبا ثابت فى المملكة فكانت السكة والخطبة لأبى سعيد، وأمر الحرب واستتباع الجيوش لأبى ثابت، واختار أخوهما الأكبر أبو يعقوب سكنى ندرومة منقطعًا للعبادة، وتركا أبا الحسن المرينى بالمشرق فمهدا البلاد ودوخا العباد. فبينما هما كذلك؛ إذ أتاهما الخبر أن أبا الحسن نزل بالجزائر ومعه وزمار بن عريف السويدى الهلالى على ما لابن خلدون، والمخزومى/ على ما للحفاظ الثلاثة، أبى راس (ص120) المعسكرى، وموسى بن عيسى المازونى المغيلى، وابن الخطيب التلمسانى القرشى، وتجين وعرب تلك النواحى، وأنه رايم تلمسان فخرج أبو ثابت بجيش عظيم وبعث لعلى بن راشد المغراوى فالتقيا بالتاغية واتفقا على أن أبا ثابت يلقى أبا الحسن، وعليًا بن راشد يلقى الناصر، فكان

(1) الموافق ماى - جوان 1348م.

(2) الموافق أوت سبتمبر 1348م.

مصاف القتال بتيغرين وحصلت الحروب الشديدة التى يشيب لها رأس الوليد انهزم فيها المغراوى وثبت أبو ثابت إلى أن هزم أبا الحسن وقتل ولده الناصر وأعيانه، ولولا ظلام الليل (كذا) ما نجا أبو الحسن ودخل وزمار بن عريف بأبى الحسن للصحراء على أن وصل لسجلماسة وذهب مغربًا ورجع أبو ثابت بالظفر والغنيمة.

ثم قتل مغراوة بعض بنى عبد الوادى غيلة فتوجه لهم أبو ثابت وهم بالجبل المطل على تنس وهجم عليهم ففر على بن راشد لتنس واقتحمها عليه فذبح علىّ نفسه وبه انقرض ملك بنى ثابت بن منديل واستولى أبو ثابت على بركش والمدية ومليانة والجزائر ورجع لتلمسان وكتب له أبو عنان المرينى على الإقلاع عليهم؛ فأبى وسمع بموت على بن راشد فأنف وتحرك لتلمسان ولقيه أبو سعد وأبو ثابت بجيش بلغ منه الإعجاب بأنقاد ونزلوا بسلى فكان مصاف القتال بوادى القصب ولما حمى الوطيس خدعت بنو عامر على عادتهم الذميمة وجرت الهزيمة على أبى سعيد وكب به فرسه فأخذ وقتل يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة[1] واستمر / أبو ثابت لتلمسان فأقام بها يومًا ولحق بالجزائر فاجتمع عنده جيش عظيم (ص121) ورجع به مغربًا لعدوه فكان مصاف القتال بوادى شلف، فوقعت حروب يشيب لها الرضيع ونكص بنو مرين الأعقاب فحمل وزمار بن عريف السويدى على أبى ثابت فردهم على أعقابهم وحصلت الهزيمة ففر أبو ثابت وأبوحم موسى والوزير يحيى بن داود مشرقين فى ثياب التنكر فأرصدهم صاحب بجاية وأخذهم حولها فقال لهم الآخذون: من هو أبوثابت منكم؟ فتقدم أبوحم وقال: أنا؛ فأطلقوا غيرى فورد عليهم من يعرف أباثابت وهو وزمار بن عريف السويدى فحملهم إلى أبى عنان المرينى فقال أبو عنان لأبى ثابت: كيف رأيتم أبطال بنى مرين؟ فقال أبو ثابت: أعانكم السعد، وأما الرجلة غلبناكم فيها فدفعه لبنى جرار فقتلوه قصاصًا ثالث عشر رمضان تلك السنة[2] وذهب أبو حم لتونس فاستقر بها عند أبى إسحاق إبراهيم بن أبى يحيى زكرياء الحفصى فى نعمة شاملة إلى أن كان ما ياتى ذكره.

---

(1) الموافق 5 جويلية 1352م.

(2) الموافق 23 اكتوبر 1352م.

عودة وهران للدولة المرينية

ثم رجع ملك وهران للدولة السادسة وهى المرينية؛ فملكها أبوعنان وذلك أن أبا الحسن لما رجع للمغرب حصل الخلل بينه وبين ابنه أبي عنان على الخلافة وغلبه ابنه على ذلك إلى أن عهد بها فرجع له ابنه وتوفى سنة اثنين وخمسين من ا لثامن [1] ودفن بسلا، وسبب موته أنه لما رجع من مقاتلة ابنه ابن عنان تمرض فقصد لإزالة الدم واغتسل بالماء قصد الطهارة فتورم ومات بعد أيام قليلة، وهو الذى شيد بناء جامع سيدى أبى مدين، وبنا (كذا) جامع سيدى الحلوى، ولما مات تولى أبو عنان فارس بن أبي الحسن بموضع أبيه وشرع فى تدويخ المغرب وتمهيده ثم غزا (كذا) تلماس، سنة أربع وخمسين من الثامن [2] فحاصرها شديدًا إلى أن دخلها عنوة وأطرد (كذا) عنها سلطانها صاحب الحرب أبا ثابت للمشرق ثم قتله بعد الظفر به وذبح سلطانها صاحب الأمر أبا سعيد بإفتاء الفقهاء له بذلك، وخرب تلمسان فحرثها غلام أسود على ثورين أسودين تلك السنة، ثم تخطا لوهران فملكها أيضًا، وقد قال موسى بن صالح/ الكاهن المعروف عند الناس بموسى، وصالح المشهور بالكهانة، إن تلمسان تحرث فكان كما قال: وكان هذا الكاهن يسكن ببرابرة غمرة وأرضهم من المشتل إلى الزاب، قال ابن خلدون: «اختلف الناس فى أمره فبعضهم يقول بكهانته وبعضهم يقول بولايته ولا صحة لخبر هـ» وقول الحافظ أبى راس فى عجائب الأسفار: إن تلمسان حرثت سنة ستين من الثامن سبق قلم لأن أبا عنان كان ميتًا فى الستين وكانت تلمسان معمورة وهى حرثت فى حياته وقت تخريبه لها، وكان أبو عنان عالمًا كبيرًا يقرأ القرآن بالسبع[3]، وقال الحافظ أبو راس فى الشماريخ: أنه كان يقرأه وأن أباه كان يقرأه (كذا) بالسبع وكان أديبًا كثير الاعتناء بشعر ابن خميس التلمسانى فهوعلم الأعلام، ومستخدم السيف والأقلام، وله بطش وبغض شديد فى الأمور حتى أنه حبس الإمام ابن مرزوق الخطيب لاتهامه فى تقصيره خطبة حفصة بنت سلطان تونس حتى قدم عليه شيوخ إفريقية بالخراج فقالوا له:

ص122

(1) الموافق 1351-1352م.

(2) الموافق 1353- 1354م.

(3) يقصد أنه كان يقرأ القرآن بالروايات السبع المشهورة والعشر كذلك.

سمعنا فى بلادنا أنك حبست عالمًا كبيرًا فأمر بإطلاقه، وقيل أطلق بعد موته وهو أول من اعتنا (كذا) بتعظيم المولد النبوى فى البلاد الغربية، فاقتدا (كذا) به أبو حم موسى بن يوسف الزيانى أحد الأعياص وبنو حفص بتونس لا سيما أبو فارس عبد العزيز الحفصى، وتوفى يوم الأربعاء رابع عشرين ذى الحجة الحرام سنة تسع وخمسين من الثامن[1] وقد عاهد (كذا) بالملك لابنه أبى زيان فأبى أهل المجلس ذلك وعقدوا البيعة لأخيه السعيد ابن أبى عنان وكان صغيرًا ابن خمس سنين، وجزموا على الفتك بأبى زيان فأجبروه على البيعة لأخيه فبايع له وتلفت مهجته، واستقل بالأمر الحسن بن عمر كافل الخليفة السعيد بن أبى عنان فصارت الخلافة للسعيد وبقى تسعة أشهر ثم خلعه منها عمه أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن ا المرينى فى منتصف شعبان سنة ستين من الثامن[2].

عودة وهران للدولة الخامسة الزيانية

ثم رجع ملك وهران للدولة الخامسة الزيانية فملكها أبو حم موسى بن يوسف الزيانى، وذلك أنه لما خلص من واقعة أبى عنان وذهب لتونس/ (ص123) فاستقر بها عند الملك الحفصى أبى إسحاق إبراهيم بن أبى يحيى زكرياء فى نعمة شاملة، إلى أن جاءه من المغرب سقير بن عامر الهلالى رئيس بنى عامر بقبيله ومعه مغراوة فجاءوا مغربين به لجبل عياض ومنه للزاب وريغة ووارقلا وجبل مزاب وواد زرقون، وغزوا أولاد عريف ساروا إليهم عشرة أيام بلياليها (كذا) فصبحوهم بواد ملال؛ فاستباحوا مالهم وقتلوا كثيرًا من رجالهم من جملتهم عثمان بن وزمار بن عريف السويدى فهذه الواقعة هى باكورة السعد، ثم جاءهم البشير بموت أبى عنان فاستبشروا بنيل المراد. ثم بايعوه فى خامس محرم سنة ستين من الثامن [3] وجاءوا مغربين إلى أن وصلوا إلى مكرة فسمع أهل وطن تلمسان فأتوه من كل حدب ينسلون (كذا) ثم زادوا لتلمسان وبها محمد ابن أبى عنان فنزلها وحاصرها ثم دخل أقادير بعد حروب فسأل منه بنو مرين الأمان فأمنوا

---

(1) الموافق 27 نوفمبر 1358م.

(2) الموافق 12 جويلية 1359م.

(3) الموافق 7 ديسمبر 1358م.

وأسلموا البلد، وبايعوا أبا حم فدخلها بعد صلاة ظهر يوم الخميس غرة ربيع الأول تلك السنة[1] ولما جلس على كرسى المملكة أنشأ يقول قصيدته الميمية التى من ا لطويل الذاكر فيها أحواله من حين مجيئه من تونس إلى حال دخوله تلمسان مطلعها:

جــرت أدمعــى بــين الرســوم الطواســم   لمــا شــطحتها مــن هبــوب الــرواكم

وقفـــت بهـــا مســـتفهمًا لخطابهـــا   وأى خطـــاب للصـــعاب الصـــلادم

وانظر تمامها فى الدر والعقيان، أو بغية الرواد، أو زهر البستان، أو دليل الحيران، أو لباب اللباب، وكان أهم ما بدأ به الإحسان إلى أنصار الدولة ثم لوفود التهنئة ثم التفت إلى قبيله؛ فاستركب منهم فى يوم واحد ألفى فارس وضبط ملكه وأسسه واجتمع بأبيه أبى يعقوب وابنه أبى تاشفين فى عام الستين من الثامن، فجهز لأبيه جيشًا دوخ به المشرق وأخذ يحيى البطيوى بوانسريس أخذًا وبيلًا، وفتح المدية ومليانة وعنوة وأسر ما فيها من شيعة بنى مرين واصطلح مع أبى سالم المرينى لما أفضت الخلافة إليه فى عام الستين المار وجهز لابنه أبى تاشفين فى عام إحدى وستين من الثامن/ (ص124) جيشًا[2] لحرب أبى زيان بن أبى يحيى الراشدى ففر أبو زيان واستولى أبو تاشفين على المال والذرارى، ولوزيره أبى محمد عبد الله بن مسلم جيشًا لحرب محمد بن عثمان فهزمه الوزير هزيمة بليغة، وجاءته البشارتان بالهزيمتين وفيها بايعته أهل البطحاء ومستغانيم ومزغران، وجهز جيشًا بعثه مع وزيره موسى بن برغوث لفتح وهران فكانت الدائرة على وزيره، وهرب جيشه وكب به فرسه فأخذ أسيرًا وبعث به للمغرب وحرك عليه فيها أبو سالم المرينى بجنود كالجراد المنتشر فدخل تلمسان وخرج أبو حم وتوجه للمغرب فدوخه، وبعد أربعين يومًا فتح تلمسان من يد أبى سالم ودوخ بنى وطاط كثيرًا ومات فى تلك الواقعة سقير بن عامر فحمله بجنازة الملوك ودفنه بالعباد وكان فى موته راحة له لأنه خادعه غفلة وأراد غدره؛ لميله لبنى مرين فأراحه الله منه وتلك عادة بنى عامر بكبيرهم وصغيرهم. ثم نهض للجبهة

(1) الموافق 31 جانفى 1359م.

(2) الموافق 1359-1360م.

الشرقية فدوخها فى سنة اثنين وستين من الثامن[1] فتح وهران عنوة على يد أبى موسى عمران فارس الولادى وسلم له أبو سالم المرينى الجزائر فاجتمعت له الجهة الشرقية وجاءه محمد بن موسى اليزناسى طريدًا فآواه وأحسن إليه ولله در القائل:

تطـــاول دائـــى فاســـتفز منـــامى وطـــال ســـهادى واســـتطال ســـقامى

وحرمـــت ســـبعًا لـــيس للـــنفس بعـــدها مقـــام بطيـــب وجـــد حزامـــى

ومنـــامى وعقـــلى والفـــؤادى وعـــبرتى وقلبـــى ولبـــى والتـــذاذ طعـــامى

واصطلح مع أبى سالم المرينى أمير المغرب فرد كل واحد الأسارى لصاحبه، وذهب وزيره أبو محمد عبد الله بن مسلم للجهة الشرقية فمهدها ومات والده أبو يعقوب بالجزائر فى شعبان تلك السنة فحمله ودفنه بباب أيلان وبنا (كذا) عليه المدرسة اليعقوبية ونقله لجوار أخويه أبى سعيد وأبى ثابت، ولما كملت المدرسة نقل الثلاثة لها وجعل أطعمة ورتب أوقافًا، وأتاه خالد بن عامر صحبة محمد بن عمر للاختلاس فبعث لهما ابنه أبا تاشفين وعمران بن موسى فهزمهما ببنى ورنيد ورجع أبو تاشفين منصورًا، وفى أربع وستين[2] من الثامن/ جهز جيشًا كثيفًا لوزيره وأمره (ص125) بطرد أبى زيان الراشدى أو الفتك به وبخالد ابن عامر القاتل لأخيه شعيب بن عامر غدرًا ففرا واطردا عن الوطن وفى خمس وستين منه[3] جهز لوزيره جيشًا لإطراد المنافقين فأزعجهم إلى المسيلة، ومات وولى بموضعه أخاه عثمان بن مسلم فاجتمعت عليه الحشود فأرسل ابنه أبا تشافين ثم لحقه فى جيشه ولما حل بالبطحاء نزل العدو بغليزان ووقع الحرب بينهما يومًا كاملًا وأبوحم بمحلته ينظر ففر عنه الناس ولم يشعر إلى أن وجد نفسه منفردًا بخاصته فارتحل لحضرته وتكالب عليه العدو وزاد معه/ إلى سيق كأنه جراد منتشر واشتد القتال فى الثنية فقطع رأس بعض أعيانهم فرجعوا منهزمين وذهب لحضرته، ولقد انتكب ثلاث نكبات: واحدة بناحية

---

(1) الموافق 1360-1361م.

(2) الموافق 1362-1363م.

(3) الموافق 1363-1364م.

بجاية، والأخرى بتسكاله، وأخرى بوانسريس، والأمر لله وحده، وفى سنة ست وستين منه[1] اجتمعت عليه العرب لأمر لم يرده الله فذهبوا خائبين وأذعنوا بالطاعة ، وأتى سويد لبابه الكريم يتلمسون الرضى فاصفح (كذا) عنهم وعفا، وحضرت ليلة الميلاد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فاحتفل لها كعادته وأنشد قصيدته الجيمية المسماة (كذا) بالمنفرجة المحتوية على أربعين بيتًا من بحر البسيط مطلعها بتمامها للفائدة فيها بالتوسل:

يا من يجيب دعا المضطر فى الدجي ... ويكشف الكرب عند الضيق والهرج

ولطف رحمته يأتى على قنط ... إذا القنوط دعا يا أزمة الفرج

ومن إذا حل خطب واعترى توب ... أبدا (كذا) من اللطف ما لم يجر فى المهج

إنى دعوتك جنح الليل يا أملى ... دعا مبتهل بالعفو مبتهج

يا كاشف الضر عن أيوب حين دعا ... قد مسنى الضر فاكشف ضر كل شج

أنت المنجى لنوح فى سفينته ... ومخرج يونس من ضيقة اللجج

يا من وقى يوسف الصديق كل ... لما رموه بجب ضيق حرج

أجاب يعقوب لما أن بكا وشكا ... وجاءه منه لطف لم يخله يج

وعاد بعد بصيرا حين هب له ... نسيم نشر القميص الطيب الأرج

/ نجا من النار إبراهيم حين رمى ... فيها وعادت سلامًا دون ما وهج

يا من تكفل موسى وهو منتبذ ... باليم فى جوف تابوت على لجج

(ص126) يا من أعاد للأم بعد ما يئست ... موسى وقربه فى المرسلين نج

يا من كفى المصطفى كيد الذى كفروا ... إذ جاءهم بكتاب غير ذى عوج

يا من وقاه الردا فى الغار إذ نسجت ... ببابه عنكبوت خير منتسج

وكل ما حاولوا مكرا به انقلبوا ... بالرعب مابين مكبوت ومرتعج

من قد أتى رحمة للعالمين وقد ... أحيا القلوب بوحى واضح الحجج

---

(1) الموافق 1364-1365م.

مـن عطـر الكـون طيبـا عنـد مولـده وأشرق الأفـق مـن نـور لـه بهـج
مـن أنزلـت فيـه آيـات مطهـرة أنوارهـا كمصـباح لاح منـبلج
يـبلى الجديـدين أخلاقًـا وجـدناهما مـع الجديـدين فى نـور وفى بهـج
فى طيهـا كـل علـم ظـل منـدرجًا وأى علـم لـديها غـير منـدرج
وكـم لـه معجـزات مـا لهـا عـدد جلـت عـن الحصر مـن فـرد ومـزدوج
عمـت شـفاعته للخلـق أجمعهـم فبالوسـيلة ترقـى أرفـع الـدرج
محمـد خـير خلـق الله قاطبـة نـور الهـدى وإمـام الرسـل ذى السرج
يـا حـادى العـيس عـرج نحـو أربعـة بـالله عـج بى عـلى ذاك المحـل عـج
لله قـوم إلى معنـاه قـد وصـلوا بـالعزم إذ وصـلوا الروحـة بالـدلج
سـاروا فـزاروا وفـرط الـذنب أقعـدنى وقـد مزجـت بـدمعى دمـى ممتـزج
فالجسـم منتحـل والـدمع منهمـل والقلـب مشـتعل مـن حـره الـوهج
وقـد تقلـدت مـا لا نسـتطيع لـه مـن الخلافـة أوهنـت قـوى حجـج
يـا ربّ عبـدك موسـى قـد دعـاك عسـى تنيلـه نفحـة مـن نصرك الأرج
فكـن نصـيرى فقـد أصـبحت مكتئبـا فالقلـب مـن نكـد الأوزار فى السـيرج
قـد ضـقت ذرعًـا بزلتـى وكثرتهـا فـما اعتـذارى إذ ذاك نبـت بـالحجج
فكـم قطعـت مـن الأيـام فى لعـب وفى ضـلال وكـم ضـيعت مـن حجـج
/ وفى البطالـة لهـوا قـد مضى عمـرى آه لتضـييعه فى اللهـو والمـرج
وكـم عصـيتك جهـلًا ثـم تسـترنى وبـاب فضـلك عنـى غـير مـرتتج
منـى الإسـاءة والإحسـان منـك بـدا منـى الـذنوب وكـل العفـو منـك زج
كم جدت بالفضل والإحسان منك وكـم سـترت بالفضـل عـن أفـاعلى السـمج
إنى سـألتك بـالسر الـذى ارتفعـت بـه السـموات والأراضى لم تمـج
أصـلح بفضـلك مـا قـد كـان مـن خلـل واجـبر بحلمـك مـا قـد بـان مـن عـوج

واجعل لنا مخرجًا فى أثره فرجًا ... فكم تعامل بعد الضيق بالفرج

وصل صلاة على المختار من مضر ... ما لاحت الشهب فى الأفق كالسرج

وتحرك لتدويخ المغرب بجميع عساكره شرقًا وغربًا فنزل جبل دَبْدُوجاس خلال دياره ثم لثنية تيزى، ثم فرط ثم لثنية بلزوز، وقرية تابريد، وغارت خيله لتازة ثم كر قافلًا لتاوريرت فهدم أسوارها وخربها وعاد لحضرته العالية فدخلها سنة سبع وستين منه[1] وصرف إلى كور قطره جميع قواده فبعث إلى تجين راشد بن أبي يحيى، وإلى منداس ونزمار، وإلى وانسريس إبراهيم ابن محمد وإلى شلف عطية بن موسى وإلى المدية وادفل بن عبُّ، وإلى تدلس بن راشد، وإلى وجدة موسى بن خالد. حرك عليه فى سنة إحدى وسبعين من الثامن[2] أبو فارس عبد العزيز أبي الحسن المرينى بجيوش عظيمة فأفرج له عن تلمسان وقصد نحو المشرق بجنوده فدخل لتلمسان أبو بكر بن غازى وزير أبي فارس ثم دخلها أبو فاس المرينى فى أثره فى عاشوراء سنة اثنتين وسبعين من الثامن[3] ولما حل بقصر الإمارة الفى مكتوبا بحائطه هذه الأبيات من شعر أبي حم موسى بن يوسف الزيانى ونصها:

سكناها ليالى آمنينا ... وأياما تسر الناظرينا

/ بناها جدنا الملك المعلا ... وكنا نحن بعض الوارثينا

فلما أن جلانا الدهر منها ... تركناها لقوم آخرينا

(ص128) فأمر عبد العزيز بتبديلها فقالوا فى تغييرها:

سكناها ليالى خائفينا ... وأيامًا تسوء الناظرينا

بناها جدنا شيخ المعاصى ... وكنا نحن شر الوارثينا

فلما أن جلانا السيف عنها ... تركناها لقوم غالبينا

---

(1) الموافق 1364-1366م.

(2) الموافق 1369-1370م.

(3) الموافق 4أوت 1370م.

ونظير هذا ما وقع للعلامة الشيخ أبي على الحسن بن مسعود اليوسى رضى الله عنه فإنه لما رأى البيت التى (كذا) قيلت فى مدح مسيلمة الكذاب وهى:

علـوت بالمجـد يـا ابـن الأكـرمين أبـا   وأنـت غيـث الـورى لازلـت رحمانـا

أبدلها بقوله:

سـفلت بالكفر يـا ابـن الأرذلـين أبـا   وأنـت شر الـورى لازلـت شـيطانا

قال التنسى فى نظم الدر والعقيان: وما قاله المولى أبوحم وقيل فيه من الشعر فكثير، وأما حروبه ووقائعه فى العرب وزناتة وسوق عمال بنى مرين إليه فى السلاسل وحركته إلى بلادهم وتحركه عليهم وما كان بينه وبينهم من الوقائع، فأمر لا يحاط به. وقد تولى ذلك صاحب بغية الرواد وصاحب زهر البستان هـ.

وكان رحمه الله له اعتناء بالعلم وأهله فى الغاية، وفى وقته كان شريف العلماء وعالم الشرفاء أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن يحيى بن محمد بن القاسم بن حمو فكان له محبًا ومعظمًا ودرس التفسير بالمدرسة اليعقوبية وحضر الخليفة أبوحم للختم وأطعم الناس فكان موسمًا عظيمًا، وقول الحافظ أبي راس فى عجائب الأسفار أن أبا عبد الله الشريف وابنى الإمام أبا زيد وأبا موسى وفدوا على أبي حم موسى بن يوسف فإنه صحيح بالنسبة لشريف العلماء، وسبق قلم بالنسبة لابنى الإمام لأنهما كانا فى وقت أبي حم الأول فى الوفود، لا الثانى فكلامه فيه تلفيف رحمه الله وصنف رضى الله عنه كتابًا أدبيًا لولده خليفة عهده أبي تاشفين سماه: نظم السلوك فى سياسة الملوك أتى فيه بالعجب العجاب[1] وأودعه من رائق نظمه ما يزرى بأولى الألباب، ثم حصلت السعاية الخبيثة بينه وبين ولده أبي تاشفين الخليفة من بعده فعمد أبو تاشفين لأبيه أبي حم وخلعه من الملك وأسكنه بعض حجر القصر ووكل به من لا يدعه يخرج ثم استلبه من الأموال والذخائر وبعثه لقصبة وهران فاعتقله بها واعتقل سائر إخوته بتلمسان ثم/ (ص129) قتلهم سنة ثمان وثمانين من الثامن[2] وبعث لأبيه بوهران من يقتله فأغلق الباب فى وجوههم وصعد لجدارن

(1) حقق هذا الكتاب ونشره الأستاذ عبد الحميد حاجيات ضمن كتابه: أبو حمو موسى الثانى.

(2) الموافق 1386-1387م.

القصبة واستصرخ أهل البلدة فأتوه من كل جهة وتدلى لهم بعمامته والرهط واقف بباب القصبة فسالوا الأمان وطلبوا النجاة واجتمع أهل البلد عليه وجددوا له البيعة وارتحل من حينه لتلمسان فدخلها أوائل سنة تسع وثمانين منه[1] وقام بملكه فسمع ابنه أبو تاشفين وهو بتيطرى فجاءه مغلغلًا قبل تمام الأمر فدخل عليه وأحيط به ففر للصومعة واستعصم فسأل عنه فأبخبر به فأخرجه منها وأدركه الندم وبكا (كذا) ثم عاد به للقصر وربطه مع حجرة أعوذ بالله من هذا العقوق فخلع أبوه نفسه وسلم له فى الملك وسأل منه التوجه للمشرق فى البحر بقصد الحج فجاء به لوهران وركبه من مرساها مع نصارى القطلان مكبلًا للإسكندرية فلما وصل بجاية سأل: من رايس السفينة؟ إخرجه لها فأخرجه ولما حل بها جددت له البيعة وجاء متوجها لتلمسان مستجيشًا كل من ببلدة الشرقية من عرب وزناته ثم ذهب مع الصحراء إلى ناحية المغرب فنزل بوادى زا ثم جاء لتلمسان وفر أبو تاشفين أمامه لفاس خائفًا عاديته لأمور وقعت منه فى إخوته فاستجاش بنى مرين فبعث معه السلطان أبو العباس أحمد المرينى زيان بن محمد الوطاسى بجوشٍ وكب به فرسه فاستشهد رحمه الله بموضع يقال له الغيران من بنى ورنيد غرة ذى الحجة الحرام سنة إحدى وتسعين وسبعمائة[2] عن ثمان وستين سنة بعد ما ملك إحدى وثلاثين سنة، وهذاالعجب الكبير فى ملوك بنى زيان كل خليفة اسمه أبى (كذا) حم يقتله ولده اسمه أبى (كذا) تاشفين على الرئاسة، ثم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى أحد الأعياص فهو تاسع الزيانيين وثالث عشر القاسميين، فاستقر فى الملك ودوخ البربر والعربان وملك من ملوية إلى جبل الزبان، وكان عين الجود والكرم ومعدن النزاهة وعلو الهمم، فهو ليث (ص130) النزال، وغيث النوال / فشمل الرعية عدله وأمانه، وعمهم فضله وامتنانه وتوفى على سرير ملك سابع عشر ربيع الثانى وقيل رمضان سنة خمس وتسعين من الثامن[3].

---

(1) الموافق 1387م.

(2) الموافق 21 نوفمبر 1389م.

(3) الموافق 2مارس 1393م.

عودة وهران للدولة السادسة

ثم رجع ملك وهران للدولة السادسة المرينية فملكها أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم ابن أبى الحسن المرينى سلطان المغرب، وذلك أنه لما سمع بموت السلطان أبى تاشفين الزيانى خرج من فاس لتازة وبعث ابنه أبا فارس لتلمسان فاستولى عليها وأقام بها دعوة أبيه ثم زاد لوهران ومليانة وما وراءها من الجزائر ودلس إلى حدود بجاية فملكها تلك السنة وانقرضت دولة بنى عبد الواد من المغرب والأوسط أمدًا والله غالب على أمره ولا زال السلطان أبو العباس بتازة إلى أن اعتراه مرض كان فيه حتفه فتوفى فى المحرم سنة ست وتسعين من الثامن[1].

ثم استدعى المرينيون ابنه أبا فارس من تلمسان فلما جاءهم بايعوه بتازة ورجعوا به إلى فاس فاستقل بالملك وتمهد له المغرب ومنه ذهب ما تعلق بحفظى من ملوك المرينيين إلى أبى سعيد ثم منه إلى محمد بن أبى ظريف بن أبى عنان ثم منه إلى آخر ملوكهم عبد الحق بن أبى سعيد الذى خلعه السيد محمد بن على بن عمران الإدريسى الجوطى وتولى مكانه سنة خمس وسبعين من التاسع[2] فلذلك لم أذكرهم ولكون وهران خرجت عن ملكهم بالكلية بل لم يملكها إلا من تقدم ذكره منهم.

عودة وهران للدولة الخامسة

ثم رجع ملك وهران للدولة الخامسة الزيانية فملكها أبو زيان محمد ابن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى وبه انقطع ملك بنى مرين بالمغرب الأوسط فلم يملكه أحد منهم، وذلك أن أبا تاشفين بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى لما توفى على سرير الملك كما مر، تولى بموضعه ابنه أبو ثابت فبقى فى الملك أربعين يوما ودخل عليه عمه أبو الحجاج فاغتاله، ثم تولى عمه أبو الحجاج المذكور يوسف بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى منسلخ جمادى الأولى سنة خمس وتسعين من الثامن[3] فجند الجنود وعقد الألوية والبنود، فلم تسامحه / الأيام فى ملكه بامتداد (ص131)

---

(1) الموافق 1393- 1394م.

(2) الموافق 1470-1471م.

(3) الموافق 13إبريل 1393م

الأوان بل أوغرت عليه صدور بنى مرين ففوقوا له سهم أخيه أبى زيان فخلعه لعشرة أشهر مضت من أيامه، وتركته مخاصما مع أحلامه، وذهب لبنى عامر واستقر فى أمان فوجه له من جرعه كأس الحمام وكما تدين تدان.

ثم تولى أبو زيان المار غرة ربيع الثانى سنة ست وتسعين من الثامن [1] وتولع بالعلم فلم تخل حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلا بالمذاكرة ومحاضرة، فلاحت للعلم فى أيامه شموس، واستراحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس، وصنف كتابًا نحا فيه منحا التصوف سماه: كتاب الإشارة فى حكم العقل بين النفسين المطمئنة والأمارة، ونسخ بيده نسخًا من القرآن ونسخًا من الشفا لأبى الفضل القاضى عياض ونسخة من صحيح البخارى وحبسها كلها بخزانته التى بمقدم الجامع الأعظم بتلمسان وأتته هدية من ملك مصر أبى سعيد برقوق فوجه له هدية جليلة ومعها قصيدة لامية من نظمه عدد أبياتها خمس وستين بيتا مطلعها:

لمـــن الركـــاب ســـيرهن ذميـــل فالصـــبر إلى بعـــدهن جميـــل

وانظر تمامها فى نظم الدر والعقيان للتنسى، ولم يزل فى دار ملكه مطاعًا مديد الاطناب، مهابًا مرهوب الجناب، إلى سنة واحد من التاسع[2] تحرك عليه لتلافته، أخوه أبو محمد عبد الله مستجيشًا ببنى مرين وكثيرًا من أهل الوطن ففر منه وانخلع من خلافته، وتوجه للمشرق يلتمس معينًا أو منجدًا ويطلب ناصرًا ومؤيدًا، والدهر يمنيه بالآمال المكذوبة ويعده مواعد عرقوب، وهو فى العرب والبرابر يتقلب من فئة لفئة، ودام إلى سنة خمس وثمانمائة[3] سنة، فاغتاله محمد ابن مسعود الوعزانى بعد أن أظهر له الخدمة، وقتله فى بيته منتهكًا منه أعظم الحرمة فعاجله الله بانتهاكها بأعظم النقمة والشدة، وكانت مدته خمس سنين بالعدة.

ثم أخوه أبو محمد عبد الله بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى فخافه أرباب دولته، وشرفت به بنو مرين بعد أن كانوا من شيعته، فدبر/ الجميع فى (ص 132) خلعه أمرًا أبرموه بالليل فلم ص132

(1) الموافق 3فيفرى 1394م.

(2) الموافق 1398- 1399م.

(3) الموافق 1402- 1409م.

يشعر إلى أن داهمته فى مملكته من مرين الرجال والخيل فأسلمته أحبابه الذين ركن إليهم، وكان يعول فى المهمات عليهم فاعتقل وأخرج فى هيئة توجب التحسيس والغولة (كذا) وعوض مكانه محمد بن خولة، وحمل من حينه للمغرب وحيدًا، مستوحشًا فقيدًا. ثم أبو عبد الله وعوض مكانه محمد بن خولة، وحمل من حينه للمغرب وحيدًا، مستوحشًا فقيدًا. ثم أبو عبد الله محمد بن خولة ابن أبي حمّ بن يوسف البارع سنة أربع من التاسع[1] فكانت أيامه خيرًا أيام، ودولته خير دولة وعز وإحكام فهو عقدهم الثمين ومغناهم التام المكين. ولما توفى فى ثالث عشر من التاسع[2] بإثبات كتب على قبره هذه الثلاثة الأبيات (كذا):

يـــا زائــــرين لقــــبرى فيقـــوا ... يســـكن فى القـــبر زائــرًا ومـــزورا

تركنـــا مـــا قـــد كســـبنا تراثًـــا ... وســـكنا بعـــد القصـــور قبـــورا

يـــا إلـــه الخلـــق فـــالطف بعبـــد ... عـــاد بعـــد الغنـــا إليـــك فقـــيرا

ثم ابنه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حم موسى وهو ممن لم تمد له الأزمان. ولا كان له عليها معوان، ولا ساعده على ما تقلده إخوان، فانقض عليه عمه السعيد ليث العرين المفلت من أشراك بنى مرين، وهجم عليه فى قصر إمارته وخلعه لشهرين وأيام من ولايته، فصح فيه قول الشاعر من البسيط، المقتضى لكل معنى مركب وبسيط:

لا تطمــــئن إلى خـــط حظيـــت بـــه ... ولا تقـــل بـــاغترار صـــح لى وثبـــت

فـــما الليـــالى وإن أعطـــت مقادتهـــا ... إلا عـــدا المـــرء مهـــما استمكنت وثبـت

ثم عمه السعيد بن أبي حم موسى بن يوسف الزيانى فوجد حضرة الملك مملوءة معممة من بدارات نقود متممة وسلع مرزمة، وعتاق خيل مسومة، وجالت فيها يد الجود إلى أن صيرته للعدم بعد الوجود، وبقى فى أثوابه رافلًا وعن عواقب آموره غافلًا إذا بأهل فاس من كل معاند وجهوا له غفلة أخاه عبد الواحد، بعد ما مكث خمسة أشهر ونصفًا فأسرع به أخوه تلفًا وخرج السعيد للقائه. وكان ذلك سببًا لشقائه ولما استقر فى بسيط/ واحد، أ دلج ليلًا عبد الواحد بعد (ص[illegible])

(1) الموافق 1401-1402م.

(2) الموافق 1410-1411م.

إبرامه الأمر مع الرؤساء والرعية فأدخلته البلد ليلًا جماعة الرحوية، وأقام لهم النذيرة على الأسوار مشاعيل النيران علامة لمن هو بالمحلة على الإقامة، ولما سمعوا أصحاب السعيد انصرفوا عنه وبقى كالوحيد ولم يتأمل فى السابق قول الشاعر القائل بتحذيره لكل عارف ماهر:

إن الليـــــالى لم تحســـــن إلى أحـــــد إلا أســـــاءت إليـــه بعـــد إحســـــان

ثم أخوه الهمام الماجد أبو مالك عبد الواحد بن أبى حم، موسى الشائع، سادس عشر رجب سنة أربع عشر من القرن التاسع[1] فنفق فى أيامه سوق الأدب، وجاء بنوه إليه ينسلون من كل حدب، فينقلبون بخير الحقائب ظافرين بجزيل الرغائب. ولما قصده من الأندلس محمد بن أبى طريق بن أبى عنان المرينى قال له وقت التسليم والاقتباس: وأنا فى حسب يغمراسن بن زيان حتى تعيننى على فاس، فقال له: وصلت. وجهز له الجيوش وأعطاه الأموال وآلة الملك وأرسل معه العمال حتى استولى على فاس وملكه فى قصته المشهورة، ودوخ مملكة المغرب الأقصى، فكانت من مناقبه المأثورة، واستمر عبد الواحد فى الملك إلى سنة سبع وعشرين وثمانمائة[2] فخلعه ابن أخيه محمد بن أبى تاشفين المعروف بابن الحمراء على يد أبى فارس الحفصى صاحب تونس فخرج من تلمسان متوجهًا للغرب. ثم ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أبى تاشفين بن أبى حم موسى بن يوسف فقابل الدهر أيامه بالإسعاد، حتى صار كالمواسم والأعياد. ثم فسد ما بينه وبين أبى فارس فأبدل سعيده بالناحس. وسببه: أن عبد الواحد توجه للمغرب حاول الحركة لتلمسان، فلم يتم له الأمر ولم يكن المعان، ووجه ابنه لتونس عند أبى فارس فأكرمه وكتب معه لأبيه بالقدوم فأرصده أبو عبد الله وأوتى به إليه فقتله ونظر مكاتب التونسى.

فهذا سبب الأمر مع ما تقدم بينهما من الكلام. ثم توجه عبد الواحد لتونس وواعده الحفصى بالانتصار وهو ذاهب للجريد فاستعمل ابن أبى حامد/ (ص134) وزير عبد الواحد مكاتب على ألسنة رؤساء الوطن يسألونه القدوم نحوهم وذهب بها لأبى فارس وقال له: إن أهل بلدنا يحبوننا وإذا كانت رائحتك معنا ولو فارسًا نلنا المراد وهذه مكاتبهم فأراها له فقال له: نحن

(1)الموافق 1411-1412م.

(2)الموافق 1423-1424م.

متحركون وإذا وصلنا لقسنطينة بعثنا معكم قائدها (جاء الخبر) فرجع الوزير لعبد الواحد وأخبره فقال له: هلكتنا فقال له: إن الحفصى قد أفسد فى المرة الأولى أموالًا ولم يدرك شيئًا منها وإذا ذهب معنا صاحبه فإن ربح فذاك وإن خسر فيأتى لثأر ما ضاع له، فبعث معهم العلج وأخذ أخذًا شنيعًا فتحرك أبو فارس مع عبد الواحد وحصر تلمسان شديدًا فخرج أبو عبد الله لجهة الغرب ودخلها عبد الواحد، ورجع التونسى لبلده وبقى أبو عبد الله فى الجهة الغربية ثم توجه للشرقية فدخل بركش وتنس ثم توجه لتلمسان فى جيش عظيم فدخلها وفر عبد الواحد صبيحة تلك الليلة فطلع عليه النهار ونزل على جواده ودخل شيشة بقرب باب كشوط بالمطمر فنظرته عجوز من أكابر عبد الوادى فدخلت عليه وجردته من ثيابه وصاحت بعبد الوادى فدخلوا عليه وذبحوه وجروه إلى حمام الطبول ورموه هنالك.

ولما استقر أبو عبد الله بحضرة ملكه وجه عماله للنواحى فطار الخبر لأبى فارس فحرك له من فوره ولما قرب تلمسان خرج أبو عبد الله وذهب لبنى يزناسن فأقام أبو فارس بعض قواده الأعلاج بتلمسان ولحقه لبنى يزناسن وحاصره فزين له بعض أصحابه الرجوع لأبى فارس فرجع وأظهر له أبو فارس السرور والبشرى والترحيب (كذا) ثم قبض عليه وعلى أصحابه فكان آخر العهد بهم ثم رجع أبو فارس لتلمسان وأخذ مشرقًا فقيل له: من يقوم بها؟ فقال: ما لها إلا أحمد العاقل. فأخرج منها عامله وانصرف للشرق.

ثم الماجد الفاضل الحليم الكامل النحرير الباسل، أبو العباس أحمد العاقل بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى فأظهر العدل فى الرعية، وسار فيما تملكه بالسيرة المحمودة المرضية، وبانت شهامته ونجدته، وقوته وشدته، ثم عجز عن النهوض وكل، وتلاشى (كذا) ماله واضمحل واستولى المتغلبون على الأوطان، وعثوا الثرى زناتة والعربان، ودامت/ (ص135) دولته على هذه الحالة اثنتين وثلاثين سنة حتى استوفت أيامه المكتوبة بأتم سنة. فقام عليه أخوه أبو يحيى زكرياء ابن أبى حم موسى بن يوسف سنة ثمان وثلاثين من التاسع[1] فبايعه موسى بن حمزة وسليمان بن موسى وعبد الله بن عثمان وتوجه لتلمسان فلم يتم له المراد، وانعطف بوهران، فاستولى عليها

(1) الموافق 1434-1435م.

وكانت بينه وبين أخيه أحمد العاقل حروب استمرت بيده إلى سنة اثنتين وخمسين من التاسع[1] فاقتحمها عمال أخيه أحمد ودخلوها فهرب أبو يحيى فى البحر بها خف ونزل ببجاية ثم زاد لتونس إلى أن مات بها.

وقام عليه أيضًا حفيد أخيه وهو أبو زيان محمد المستعين بن أبى ثابت بن أبى تاشفين بن أبى حم فى أواخر إحدى وأربعين من التاسع[2]من تونس وتوجه للمغرب وبايعه بوطن حمزة أولاد بالليل ثم مليكش ثم ابن عمر موسى أهل أيليلى، ثم الثعالبة وبعض حصين، ثم زاد للجزائر فحاصرها إلى أن أقر بعضها وأذعن البعض فدخلها أولًا ابنه المتوكل سنة اثنتين وأربعين منه[3].

ثم دخلها أبوه المستعين عشية ذلك اليوم وذهب ابنه المتوكل فمهد متيجة وفتح المدية ومليانة وتنس وخطب له بجميعها استقلالًا، وقصدته الناس حتى من تلمسان وعظم أمره على أحمد العاقل حتى نسى أمر أخيه أبى يحيى ثم ثقلت وطأته على أهل الجزائر والعرب فقاموا عليه فى ثلاث وأربعين منه[4]وحاربوه فاستشهد مع جماعة من أصحابه ونجا ابنه المتوكل لكونه بتنس لأمر أراده الله.

وقام عليه أيضًا ابن أخيه أحمد بن الناصر بن أبى حم موسى سنة خمسين من التاسع[5] مع جماعة فلم ينجح له الأمر وأوتى به لأحمد العاقل فقتله وكان ذلك سبب بناء السور العظيم المدير على القصر الزائد لتلمسان حسنًا.

وحرك عليه أبو فارس الحفصى من تونس بالبحر الزاخر من الجيوش ومات قبل أن يصله بوانسريس كما مر.

---

(1)الموافق 1448-1449م.

(2)الموافق 1438م.

(3)الموافق 1438-1439م.

(4)الموافق 1439-1440م.

(5)الموافق 1446-1447م.

ثم نهض أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بن محمد المستعين بن أبي ثابت تاشفين بن أبي حم موسى بن يوسف الزياني سنة ست وستين من التاسع[1] من مليانة ثائرًا عليه وتوجه للمغرب والنصر يلوح أمامه فاستولى/ على بنى راشد ثم هوارة ثم مستغانيم ومزغران ثم فتح (ص136) وهران ثم زاد لتلمسان فأقام عليها يومين ودخلها فى الثالث وهرب أحمد العاقل لسيدى أبي مدين فأوى له به فمنّ عليه وصرفه للأندلس واستقل بالمُلك. ثم حرك عليه أحمد العاقل لما رجع لهذه العدوة فى جمع من الناس وحاصره بتلمسان فانتصر عليه المتوكل وعاجله بأمنيته سنة سبع وستين من التاسع[2] ودفنه بالعبّاد ونجا صاحبه محمد بن غالية بن عبد الرحمن بن أبي عثمان بن أبي تاشفين فبقى فى الغوغاء عليه محاصرًا للبلد إلى أن قام عليه أهل البلد فقتلوا البعض من جمعه، وفر الباقي وذهب محمد بن غالية لوجدة، واستقر بها لقصد الضرر، وصار يأتى مرة بعد أخرى للضواحى إلى أن جاء به حتفه مرة مع الأوباش بجبل بنى ورنيد فسمع به المتوكل وبعث له جندًا وحصل مصاف القتال بالجبل المذكور، ووقع القتال الذريع فتفرق الجمع، وأوقع الجند فيهم فكان ابن غالية من جملة الصرعى فقتل سنة ثمان وستين من التاسع[3] وجيء برأسه للمتوكل فوضعه فى طست أصفر ودعا بمن يعرفه فميزوه وعرفوا عينه ثم جيء من الغد بجسده فدفن مع العاقل بالعبّاد، ونظم الحافظ التنسى فى هذه القضية ومدح المتوكل وأولاده فى قصيدة طائية مشتملة على مائة بيت وأربعة أبيات، عدد الكتب المنزلة انتخبها من بحر الطويل مطلعها:

أرقـــت لـــدمع مـــن جفـــونى يـــنحطّ كنثـــر نفـــيس الـــدر أن خانـــه الســـمط

وانظر تمامها فى الدر والعقيان للتنسي. وتوفى يوم الأحد ثالث عشر ربيع الثانى سنة إحدى عشرة من العاشر[4] بعد ما ملك خمسًا وأربعين سنة واثنتين وعشرين يومًا.

(1 الموافق 1461-1462م.

(2)الموافق 1462-1463م.

(3)الموافق 1463-1464م.

(4)الموافق 11 سبتمبر 1505م.

ثم أخوه أبو حم ويقال له: أبوقلموس[1] عبد الله بن محمد فقام عليه الإسبانيون وأخذوا من يده وهران ثم الأتراك وأخذوا من يده الجزائر/ (ص137) وغيرها فهو ممن لم يهنَ له فى الملك قرار، ولا استقرت فى المملكة عمارة ولا دار، آخر ملوك بنى زيان الذين يشار إليهم بالمُلك جسمًا، ولمن تغلب عليهم رسمًا، وعجز عجزًا كليًّا عن الدفاع، وصار غير نافذ الكلمة ولا مطاع.

* * *

(1) الحقيقة أنه يلقب بأبى قلمون بالنون فى الأخير، وليس بالسين، وذلك فى مختلف المصادر. ولعله سبق قلم من المؤلف.

الدولة السابعة: الإسبان

ثم ملك وهران الدولة السابعة، وهم الإسبانيون ويقال لهم: السبنيول سموا بذلك نسبة لمدينة إسبانيا بقطع الهمزة المكسورة وسكون السين المهملة وفتح الباء الموحدة من أسفل بعدها ألف ساكنة ثم نون موحدة من أعلى مكسورة ثم ياء مثناة من تحت بعدها ألف مقصورة. وخالف أبو الفداء فى ضبط غير الهمزة والسين المهملة فقال: وإسبينيا بقطع الهمزة المكسورة من تحت وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة من أسفل وبعدها ياء مثناة من تحت ساكنة وكسر النون الموحدة من فوق وفتح الياء المثناة من تحت وفى آخرها ألف مقصورة وهى قاعدتهم القديمة ودار ملكهم القويمة، وقد تلاشت وبقى الاسم لها كما فى «عجائب الأسفار» لأبى راس الحافظ، وبهجة الناظر للشيخ المشرفى شيخ الحافظ أبى راس. وأما الآن فقاعدة ملكهم مدينة ما لريد باللام وهى مدينة الطاغية ويقال لها: ما دريد بالدال. وكان يقال لها: سابقًا ما تريج بالتاء والجيم وهى حذاء طليطلة. ومسكنهم كما فى كتب الحافظ أبى راس وكتاب شيخه الشيخ المشرفى، بأرض الأندلس من قطلان وبرشلونة من جهة الشرق إلى إسبونة فى جهة الغرب، ويجاورونهم (كذا) الدبرقيز وهم البرتغير ببعض الغرب، والفرانسيس من جهة الشرق، وجبل الطار داخل فى تخومهم إلا أنه بيد الإنكليز. وقال صاحب الجغرافيا: جاءت إسبانيا بين إفرانسا والبحر الأوسط والبرتقال والأقيانوسيا[1] فتحدها إفرانسا فى شمالها الشرقى ويحدها البحر الأوسط فى شرقها وجنوبها ويحدها البرتقال فى غربها ويحدها الأقيانوسيا فى غربى شمالها وجنوبها، فهى جزيرة/ غير كاملة لكونها لا تتصل بالبر إلا بجبل البرينى الفاصل بينها وبين (ص138) إفرانسا فهى فى أقصى جنوب أوربا الغربى وليس بينها وبين عدوة الغرب إلا بوغاز جبل طارق القليل العرض. ومساحتها خمسمائة ألف كيلو متر وهى خمسمائة ألف ميل يزيد أو ينقص شيئًا لأن الكيلو متر عند النصارى يشابه الميل عندنا تقريبًا. وملكهم منذ مدة مديدة وهو يلقب بالملك

(1) يقصد بالأقيانوسيا هنا المحيط الأطلسى.

الكاثوليكى ومعناه: المتبع للبطرك وهو الباب[1] وابتداء ملكهم فى القرن الخامس من الميلاد المسيحى على صاحبه وعلى نبينا وكافة الأنبياء الصلاة والسلام وكانوا على عدة ملوك.

واختلف فى أول من ملك أرض الإسبانيين وهى الأندلس للآن على أربعة أقوال:

فقال بعض مؤرخى النصارى: إن أول من ملك أرض الإسبانيين هم الإبريون نسبة إلى جدهم لإبر مجهول الأصل، ثم الفنيسيان، قيل: إنهم الفرس وملكوها مدة ثم اليونانيون نسبة لجدهم يونان بن يافث، ثم القرطاجيون، وبنوا بها مدينة يقال لها: قرطاجنة، ثم الرومان ومنهم الروم، ثم الفندال وهم أمة من الجهة الجوفية من بر الإفرنج خرجوا من بلدهم الكائنة بقرب بحر البلطيك ومروا ببلد الجرمانية وهى بلد النامسة[2] وبلد الغول وهى إفرانسا وتوجهوا فى أوائل القرن الخامس المسيحى إلى إسبانيا وهى بلد الأندلس فاستقروا بها وتدينوا بدين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. غير أنهم كانوا يعدون من الروافض المتبعين لشيخ يقال له: أريوس، ثم الإفرنج، ثم القبريقوا[3]، ثم العرب فى آخر القرن الأول من الهجرة، ثم الإسبانيون استقلالًا للآن بعد أن حاربوا المسلمين عليها نحو الثمانمائة سنة.

وقال آخر منهم: إن المملكة الإسبانية كانت تحت حكم الرومان، فيما مضى من قديم الزمان، وفى آخر القرن الأول من الهجرة فتحها الإسلام وبقيت ملوك النصارى مع الإسلام فى حروب متتابعة مدة ثمانمائة سنة إلى أن غلبت النصارى المسلمين عليها سنة سبع وتسعين وسبعمائة من الهجرة[4] فبقيت فى ملك/ الإسبانيين للآن. (ض139)

وكانت إسبانيا فى السابق من دول أوروبا الكبار لكونها كانت لها أملاك كبيرة فى أمريكا الجنوبية وقد تملكوا عليها سنة سبع وتسعين وسبعمائة من الهجرة[5] بسبب ظهور ذى معرفة منهم

---

(1)يقصد الباب فى روما.

(2)يقصد بلاد النمسا.

(3)يقصد القريقواريون نسبة إلى قريقوار.

(4)هذا التاريخ خطأ لأن تاريخ المسلمين النهائى من الأندلس هو 897هـ الموافق 1492م. ولعله سهو أن تصحيف من المؤلف. لأن الفرق هو قرن بأكامله وكذلك الأمر بالنسبة لاكتشاف أمريكا.

(5)الموافق 1397 – م وهو خطأ كذلك والصحيح 1492 وما بعده.

من العلماء البحريين المنجمين يقال له: كريستوف قلومب (كولومب) فكشف عن أمريكا التى لا معرفة لهم ما قبله فتملكوا على أعظم جزء منها، وعلى عدة أجزاء بجوانبها واستمرت بأيديهم إلى أن نزعت منهم سنة سبع عشرة ومائتين وألف[1] من الهجرة لاجتماع أهلها على الحكومة الجمهورية التى هم عليها للآن وخرجوا عن حكمهم فلم يبق لهم بأمريكا إلا جزيرة كوبا ولذا لا تعد مملكة إسبانيا من كبار دول أوربا الآن لانحطاطها عن مقامها الأول. ا هـ.

وقال ابن خلدون أول من سكن الأندلس بعد الطوفان الأوربيون نسبة لجدهم أوروب من ولد طوبال بن يافث ودخلوا فى طاعة الروم. ثم ملكها القوط نسبة لجدهم قوط من ولد ماغوغ بن يافث ثم لحق بهم القلنش من الروم الإغريقيين وباسم القلنش سميت الأندلس لما عربت.

وقال ابن سعيد المغربى والحافظ أبو راس فى الشماريخ: أول من عمَر الأندلس أندس بن يافث بن نوح وأخوه سبت بن يافث بن نوح بالعدوة المقابلة لها وإليه تنسب مدينة سبتة فبقى أولاد أندس به ملوكًا دهرًا. ثم ملكها إشبيلان بن طيطش الرومى وبه سميت إشبيلية لما عربت. وطيطش هذا هو الذى فتك ببنى إسرائيل وجلاهم الجلوة العظيمة التى سلط الله عليهم بها الذل حتى انقطع ملكهم انقطاعًا كليًّا للآن.

ونقل من آثار الهيكل المبارك بالقدس إلى طيطلة حتى وجد ذلك موسى بن نصير بها فبعثه إلى الوليد بن عبد الملك الأموى بدمشق. ثم إن الأندلس تغلب عليهم الاغريق وهم الإغرقيون من الروم فبقوا دهرًا ثم أخذها منهم القوط ملك منهم بطليطلة أحد قواعد الأندلس ستة وعشرون ملكًا. وآخرهم لذريق[2] الذى قتله طارق بن زياد غلام موسى بن نصير فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة[3] وتزوج امرأته، ومن بقايا ذرية ملوكهم سارة بنت المنذر والدة اللغوى النحوى العلامة أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن

---

(1)فقدت إسبانيا كوبا عام 1898 وانتزعتها منها الولايات المتحدة الأمريكية.

(2)اسمه الحقيقى بالاتينية رودريك: REDRIC.

(3)الموافق 710-711م.

(ص140) القوطية/ بضم الواو المتوفى سنة سبع وستين وثلاثمائة[1] بقرطبة وأصله من مرسية مدينة بالأندلس. قال الشبراملسى: وقوط هذا هو أبو السودان والسند والهند.

وقال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران ثم إن إسبانيا لما تملكها الرومان انقسمت مملكتها على خمسة أقسام.

فقسم يقال له الأقاسط لتملكهم عليه وقسم يقال له الألى، وقسم يقال الأيراق، والقسم القبلى يقال له النفار، وقسم يقال له القطلان، وجملة الأقسام الخمسة يقال لها إيبرى. ثم قال لها ها إسبانيا ثم قيل لها إسبانيا بترك الهاء، وكانت تسميتها بإسبانيا وقت اجتماعهم على ملك واحد وذلك سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة[2] وقيل غير ذلك.

وسكانها وقتئذٍ ستة عشر مليونًا ونصفًا، والمليون ألف ألف. وأرضهم جيدة للغراسة لا للفلاحة، وما يستنبت. ولذلك عظمت فاكهتها. ويوجد بها من الخيل المسومة والبغال المقومة، والحمر الفارهة ما يرتضى. كما يوجد بها معادن الحديد والنحاس والرصاص والزواق إلا أن الغالب على أهلها الفقر لقلة الصناعة عندهم كما غلب عليهم القساوة والفظاظة، وشدة البغض، والحقد والضل، والعداوة، وكثرة سفك الدماء والجهل.

وتنقسم مملكتهم إلى ثلاث عشرة ولاية، منها ثمانية ساحلية بشاطئ البحر وهى: غليسيا وإستوريا وقسطيلية القديمة والأقاليم البسكية وكتسالونيا، وبلنسية ومرسية وأندلسية مع غرناطة القديمة ومنها خمسة داخلية وهى: أرغون ونافرا وليونى واسترمارودة وقسطيلية الجديدة.

وأشهر مدنها ما دريد التى هى الآن قاعدة ملكهم، وقد استولى عليها الفرانسيس سنة ست وعشرين من القرن الثالث عشر[3] ثم برشلونة وهى ذات مرسى كبيرة على البحر الأوسط من أكبر مراسى إسبانيا وأخص مراسى البحر الأوسط. ثم بلنسية ثم إشبيلية ثم مالقة ثم سرقسطة

---

(1) الموافق 977-978م.

(2) الموافق 1483-1484م.

(3) الموافق 1811-1812م.

ثم قادس ويقال لها قالس (باللام بدل الدال) وهى على البحر المحيط المغربى ولها مرسى عظيمة حصينة. وقد استولى عليها الفرانسيس سنة أربعين[1] من القرن الثانى عشر/ ثم غرناطة، وكانت (ص١٤١) قاعدة أحد ملوك الإسلام، ثم السهلة، وشاطبة، وشريش، وطليطلة، ورونده، وطرطوشة، وقرطبة، وطريف، وميورقة، ومنورقة، ويابسة[2]، وبطليوس، وقطلان، وصقلية، وهى سلسلة وغيرهم.

وبها جبال كثيرة أكبرها جبل برينى ثم سيارنقادا، ثم سياربونيل، ثم سياركوادلوب، ثم جبال الأستورية، ثم جبال طليطلة.

وبها أودية كثيرة: أكبرها نصر إبرة، ثم دوروا، ثم ناغوا، ثم مينوا، ثم الواد الكبر، ثم كراديانا.

أنهار الشمال الإفريقي والعالم

وأما هذه العدوة وغيرها[3] فقال الحافظ أبو راس فى الشماريخ: ونهر المغرب الأقصى وادى الربيع ويمتنع عبوره أيام الأمطار فتنظره داخلًا فى البحر المغربى نحو السبعين ميلًا عند أزمور ومنبعه من جبال درن. وينبع منها نصر آخر ببلاد درعة إلى أن يغوص فى الرمال قبلة سوس الأقصى. ونهر ملوية منبعه من جبال قبلة تازة ويصب فى البحر الرومى عند غساسة. ونهر المغرب الأوسط شلف وهو لبنى واتيل ويقال لهم: بنو واطيل منبعه من جبال راشد وهو جبل العمور ويدخل إلى التل من بلاد حصين ثم يمر إلى أن يصب فى البحر الرومى ما بين كلميتوا وجبل عياشة أحد بطون مغراوة. ونهر المغرب الأدنى مجردة يصب فى البحر الرومى عند بنزرت على مرحلة من تونس.

ثم قال صاحب بهجة الناظرين وآية المستدلين: إن عدد أنهار الدنيا الكبار مائتان وسبعون نهرًا. وعدد العيون الكبار مائتان وثلاثون عينًا وهى فى الأرض كالعرق فى البدن.

---

(1)الموافق 1727-1728م.

(2)اعتبر كلا من صقلية، وميوقة، ويابسة، مدنا وهى جزر.

(3)من هنا إلى نهاية صفحة 143 استطراد خارج عن موضوع إسبانيا وفيه كثير من المبالغات البعيدة عن الحقيقة.

وقال صاحب الخريدة: إن بهذا الربع المسكون مائتى نهر كل نهر منها طوله خمسون فرسخًا إلى ألف فرسخ، فمنها ما يجرى من المشرق إلى المغرب وعكسه، ومنها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب وعكسه، وكلها تنبع من الجبال وتصب فى البحر.

فمن الأنهار العظيمة بالمشرق: النيل، والفرات، والدجلة، وسيحون، وجيحون، وأن النيل المبارك ليس فى الدنيا أطول منه لأنه مسيرة شهرين فى الإسلام، وشهرين فى الكفر، وشهرين فى البرية، وأربعة أشهر فى الخراب/ ومخرجه من جبل القمر خط الاستواء. وسمى بذلك لأن القمر (ص142) لا يطلع على ذلك الجبل أصلًا لخروجه عن الخط، وميله عن نوره وضوئه، فيخرج من بحر الظلمات من تحت جبل القمر وأنه ينبع من اثنتى عشرة عينًا، وقيل: مبدؤه من خلف خط الاستواء بإحدى عشر درجة.

وذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف. وأنه يخترق البحر الأخضر بقدرة الله تعالى، ويمر على معادن الذهب والياقوت فيسير ما شاء الله إلى أن يأتى لبحيرة الزنج. قال حاكيه: ولولا دخوله فى البحر المالح واختلاطه به لما كان يستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته، وأن الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الأرض فى المشرق والمغرب وذلله له.

فإذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فإذا انتهى جريه إلى ما قدره الله تعالى أمر كل نهر أن يجرى إلى عنصره. ومصداق هذا أنك ترى النيل مخالفًا لكل نهر على وجه الأرض لأنه يزيد إذا نقصت وينقص إذا زادت لأنها تمده بما بها والله أعلم.

قال صاحب الخريدة: وقد حملت الشياطين مقرس الأول وهو عبقام إلى هذا الجبل فرأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ومن تحت جبل القصر فبنى (كذا) فى سفح (كذا) ذلك الجبل قصرًا فيه خمس وثمانون تمثالًا من نحاس جعلها جامعة لما يخرج من هذا الماء هذا الجبل بقدر مصاب فى أحكام مديدة يجرى الماء منه إلى تلك التماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع قدرها ثمان عشرة ذرعًا فى كل ذراع اثنان وثلاثون أصبعًا والزائد يغيض إلى الرمال ثم يصيب إلى أنهار فيصل لبطحتين ويخرج منهما للبطحة المجمعة فيشق جبالها المعترضة، ويخرج نحو الشمال مغربًا فيخرج منه نهر واحد، ويفترق فى أرض النوبة فتصب منه فرقة إلى أقصى

المغرب والأخرى إلى مصر منحدرًا منها إلى أسوان، ثم ينقسم فى صحارى البلاد على أربع فرق كل فرقة إلى ناحية ثم يصب فى بحر الإسكندرية. وإن رجلًا من والعيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام يسمى حايد لما دخل مصر ورأى عجائبها آلى (كذا) على نفسه أن لا يفارق النيل إلى منتهاه أو يموت فسار ثلاثين/ سنة فى العمران ومثلها فى الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر (ص143) فرأى النيل يشقه فركب به دابة سخرها الله له وعدت زمانًا فوقع فى أرض حديد جبالها وأشجارها حديدًا.

ثم أخرى نحاسًا جبالها وأشجارها كذلك، ثم على ثالثة فضة جبالها وأشجارها فضة، ثم رابعة ذهبًا جبالها وأشجارها كذلك، ثم انتهى إلى سور متسع من ذهب وفيه قبة عالية من ذهب لها أربعة أبواب: ثلاثة تغيض فى الأرض وهى سيحون، وجيحون، والفرات، والرابع يجرى على الأرض وهو النيل وأنه أتاه ملك حسن الهيئة فسلم عليه وقال له: هذه الجنة سيأتيك رزقك منها فلا تؤثر عليه شيئًا من الدنيا، فبينما هو فى ذلك إذ أتاه عنقود عنب له ثلاثة ألوان أحدها كاللؤلؤ، والثانى كالزبرجد الأخضر، والثالث كالياقوت الأحمر، فقال له الملك: يا حايد هذا من حصرم الجنة، فأخذه ورجع فوجد شيخًا تحت شجرة تفاح فحدثه وآنسه، وقال له: ياحايد خذ هذا التفاح وكُلْه .

فقال: إن معى طعامًا أغنانى عن تفاحك، فقال: صدقت،إنى أعلم به وبمن أتاك به وهو أخى وهذا من الجنة أيضًا ولم يزل به الشيخ إلى أن أكل منه، وحين عض على التفاحة رأى الملك يعض على أصبعه ويقول له: أتعرف هذا؟ هو الذى أخرج أباك من الجنة ولو قنعت بالعنقود لأكل منه أهل الدنيا ولم ينفد وهو الآن مجهودك إلى مكانك فبكى حايد وندم وسار حتى دخل مصر وصار يحدث بما رأى فى سفره من العجائب. اهـ.

* * *

جبال العالم

وجملة جبال الأرض: سبعمائة وتسعون جبلًا، وكلها طويلة عظيمة وارتفع عليها جبل بالشام باثنى عشر ميلًا.

وإلى عدد هذه الجبال وارتفاعها وارتفاع جبل الشام عليها أشار الشيخ أبو زكرياء يحيى بن سعيد السوسى، ثم السملالى، فى رجزه: (خبر الزمان) بقوله:

وعـــن مقاتـــل فلـــما دورت الأرض بالجبـــال حيـــث ثبتـــت

كانـــت عـــلى المـــاء تميـــد دائـــرة إلى اليمـــين والشـــمال ســـائرة

فســلط الــريح عــلى المــاء يضربــه حتـــى أعـــاد زبـــده ولعبـــه

فـــأمر عـــز وجـــل رجعـــت جميـــع موجـــه جبـــالًا جمـــدت

/ عـــدتها خـــاء كـــذا يقـــال قـــاف وظـــاء بعـــدها مشـــال

(ص144) إلى أن قال:

جبـــال الأرض كلهـــا طـــول عظـــام وجبـــل بالشـــام مـــن فوقهـــا قـــام

زاد عليهـــا يـــا أخـــى للأعـــلا وطولـــه عنهـــا ببيـــا مـــيلا

موقع إسبانيا والأقاليم الأرضية

ومحل إسبانيا من مماليك أوربا هو الجزء الثامن عشر وذلك أن الأقدمين من أهل الجغرافية كالإدريسى قسموا معمور الأرض إلى سبعة أقسام وسموها: أقاليم (جمع إقليم)، كل إقليم (بكسر الهمزة كقنديل) فيه سبعمائة فرسخ فى سبعمائة فرسخ من غير أن يدخل ذلك جبل ولا واد. والبحر الأعظم محيط بذلك كله ويحيط به جبل قاف. نص عليه ابن الجوزى، ونقله عنه الشيخ إبراهيم الشبرخيتى فى شرحه المختصر الشيخ خليل المالكى فى باب الجهاد منه لدى قوله: كتأمين غيره إقليمًا فجعلوا السند والهند إقليمًا. واحدًا، والحجاز إقليمًا، ومصر بشامه وغربه إقليمًا واحدًا، لاتحاد دينه وميقاته، وبابل إقليمًا، والروم إقليمًا، وأضاف له بعضهم الشام والترك

ويأجوج ومأجوج إقليمًا واحدًا، والصين إقليم، وأضاف له بعضهم ما والاها من يأجوج ومأجوج.

وأن المتأخرين منهم، ومنهم النصارى، قسموه إلى خمسة أقسام أصلية وهى: أوربا، وآسيا، وإفريقية، وأمريكا؛ وجزائر أوقيانوسيا.

فأما أوربا فجزؤوها على ثمانى عشرة مملكة. فمنها ثلاثة فى شمالها وهى جزائر الإنكليز، ومملكة سويد، مع نرفيج، ومملكة دينرمك.

ومنها واحدة فى شرقها وهى الموسك.

ومنها ستة فى وسطها وهى:

إفرانسا، والبلجيك، وهلاند، والممالك المعاهدة ويقال لهم: الألمان، ولتريش وهم النامسة، وسويس[1].

ومنها ثمانية فى جنوبها وهى: إسبانيا، وبرتقال، وطليان، ومملكة القريق، وهم اليونان، ونصف مملكة الترك، والرملى، والصرب، والجبل الأسود. وهذا القسم هو الصغير بالنسبة للأربعة الباقية. وأما إيسيا[2] فجزؤوها على تسع ممالك وهى: بلاد سبرى، ونسف مملكة الترك أيضًا، وبلاد/ التتار، ومملكة العجم، وأرض الصين، وأرض يافون، وبلاد الهند، وبلاد السند، (ص145) وجزيرة العرب.

وأما إفريقيا فجزؤوها على ست ممالك وهى: مملكة مراكش، وبر الجزائر، ومملكة تونس، ومملكة طرابلس، ومملكة مصر، وبلاد الصحراء.

وأما أمريكا فإنها شمالية وجنوبية: فالشمالية جزؤوها إلى أربع ممالك وهى: أمريكا المسكوبية وبيرثانيا الجديدة،وبلاد الليتانوزى، وبلاد المكسيك.

(1) يقصد بلاد سويسرا، والنمسا.

(2) يقصد قارة آسيا.

والجنوبية جزؤوها إلى ثلاث ممالك وهى: بلاد قلوسبيا، وبلاد بير، ومملكة بريزيل. وأما جزائر أوقيانوسيا فإنها لاتضبط كغير لكثرة جزائرها، وفى كل من هذه الأقسام عدة حصص، وقرى، ومدن، وشعاب وأودية ممتدين بين أوربا وإفريقيا وأمريكا.

والبحر المحيط الأكبر وهو ممتد بين آسيا وأمريكا، والبحر المحيط الهندى وهو ممتد بين إفريقية وآسيا وأوقيانوسيا.

محيط الدائرة الأرضية

وحاصله أن دور الأرض فى كتب الأوائل أربعة وعشرون ألف ميل ولما بلغ المأمون العباسى ذلك أراد تحقيقه أمر بنى موسى الذين ينسب إليهم جبل بنى موسى المشهورين وهم محمد بن موسى بن شاكر وأخواه أحمد والحسين وكان لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القديمة وكان الغالب عليهم الهندسة، والحيل، والموسيقا بتحرير ذلك فسألوا عن الأراضى المتساوية فأخبروا بصحراء سنجار ووطأة الكوفة، فأرسل معهم المأمون جماعة يثق إلى أقوالهم فساروا إلى صحراء سنجار، وحققوا ارتفاع القطب الشمالى، وضربوا هناك وتدًا وربطوا فيه حبلًا طويلًا، ومشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف حسب الإمكان، وبقى كلما فرغ حبل نصبوا فى الأرض وتدًا آخر وربطوا فيه حبلًا آخر كفعلهم الأول حتى انتهوا كذلك إلى موضع قد زاد فيه ارتفاع القطب الشمالى المذكور درجة محققة، ومسحوا ذلك القدر فكان ستة وستين ميلًا وثلثى ميل ثم وقفوا عند موقفهم الأول وربطوا فى الوتد حبلًا، ومشوا إلى جبهة الجنوب من غير انحراف وفعلوا ما شرحناه/ (ص146) حتى انتهوا إلى موضع قد انحط فيه ارتفاع القطب الشمالى درجة، ومسحوا ذلك القدر فكان ستة وستين ميلًا وثلثى ميل ثم عادوا إلى المأمون وأخبروه بذلك فأراد المأمون تحقيق ذلك، فى موضع آخر فسيرهم إلى أرض الكوفة فساروا إليها وفعلوا كما فعلوا فى أرض سنجار فوافق الحسابات، وعادوا إلى المأمون فتحقق صحة ذلك وصحة ما نقل من كتب الأوائل لمطابقة ما اعتبروه ثم ضربوا الأميال المذكورة فى ثلاثمائة وستين وهى درج الفلك فكان الحاصل أربعة وعشرين ألف وهو دور الأرض.

قال أبو الفدا: أقول: كذا نقله ابن خلكان، ونقل غيره من المؤرخين أن الذى وجد فى أيام المأمون لحصة الدرجة الستة وستون ميلًا وثلثا ميل وهو غير صحيح، فإن ذلك هو حصة الدرجة على رأى المتقدمين، وأما فى أيام المأمون فإنه وجد حصة الدرجة ستة، وخمسين ميلًا، وقد تحقق ذلك فى علم الهيئة. اهـ.

ثم اقتدى النصارى بذلك فى جعلهم لمعرفة مساحة الأرض علامتين أحدهما: (كذا) للتحقيق وهى سلسلة الحديد، والأخرى للتقريب وهى البوصلة والجبر.

أصل الإسبان

واعلم أنه لا خلاف فى أن الإسبانيين من ولد يافث بن نوح عليه السلام. وإنما الخلاف فى كونهم من ولد يافث لصلبه أو من ولد حفيده وهل هم إخوة الفرنج أو من الروم: فقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار: والإسبانيون هؤلاء من الليطنيين[1] وهم الكتيم وكانوا من أعظم ملوك العالم. وقال أيضًا فى المشاريخ والليطنيون من ولد ليطن بن يونان.

وقال فى موضع آخر منه: إن الليطنين وهم الكتيم المعروفون بالروم من بنى يونان. وقال فى موضع آخر أيضًا منه: والمحققون ينسبون الروم جميعًا إلى يونان الإغريقيين، والليطنيين. ويونان معدود فى التوراة من ولد يافث لصلبه واسمه فيها ياقهان.

وعن البيهقى أن يونان ابن علجان بن يافث ولذا يقال لهم العلوج وأن الشعوب الثلاثة وهم الإغريقيون والليطنيون والعلوج من يونان، والليطنيون من ولد ليطن بن يونان كما مر وأن الإسكندرى الرومى منهم .اهـ.

وفى الإصحاح العاشر من التوراة/ أن الليطنيين وهم الكتيم من ولد كتيم بن يونان بن (ص147) يافث بن نوح.

قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران: فأنت ترى أنهم من ولد يافث بلا خلاف وإنما الخلاف فى وجه اتصالهم به على ثلاثة أقوال ومرجعها إلى قولين وهما كون يونان ولد يافث لصلبه أو

---

(1) يقصد اللاتينيين.

حفيده. والصحيح: إنه حفيده؛ لأن يافث له اثنا عشر ولدًا على الصحيح وهم: كومر، وياوان، وماغوغ، وطوبال، وماسخ وطيراش، وماذاى، وشئويل، وعلجان، وأندس، وست، وسوس، وأن الإسبانيين إخوة الفرنج وهم الفرنسيس، واللطليان، والبرتقال، لاشتراكهم فى اللتانة والكثوليكية وهى اتباعهم للبطرك وهو الباب وضربهم للناقوس واعتكافهم على الأصنام فى البيع.

وقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار، لا شك أنهم فرقة من الروم لا من الفرنج بدليل ما ذكره شهاب الدين الخفاجى على الشفا من أن كتاب النبى ﷺ الذى كتبه إلى هرقل عظيم الروم يقال له بالرومية: أراقليوش يدعوه للإسلام هو الآن عند ملك طليطلة. وقد أراه لابن الصائغ النحوى لما أوفده عليه سلطان مصر قلاوون، ثم قال أيضًا: وقد سمعت أنه عند النامس[1] والجاورين للموسك .اهـ. ومعلوم أن الإسبانيين هم الذين أخذوا منا طليطلة.

وفى الأنيس المطرب أن الناصر بن المنصور لما غزا (كذا) الأندلس بجيش يضيق عنه الفضاء وسمع الفنش (الفونسو) وملوك النصارى بذلك واهتزمت منه ملوك الروم جاءه منهم بيونة لإشبيلية متسلمًا خاضعًا بهدية عظيمة مقدمًا بين يديه كتاب النبى ﷺ الذى كتبه لهرقل عظيم الروم يستشفع به، ويعلمه أن الملك عندهم موروث لأكابر عن أكابر وأن هذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظًا مطيبًا فى حلة خضراء فى وسط صنوق من ذهب مملوء مسكًا وطيبًا؛ تعظيمًا وإجلالًا لحقه، فقضى له أمير المؤمنين مآربه وذلك سنة سبع وستمائة اهـ[2]. والروم هم بنو الأصفر وسموا بذلك إما لكون جدهم اسمه الأصفر أو لأنه كان أصفر اللون أو لأنه كان بخديه خاصة صفرة، أقوال ثلاثة. وكان اجتماع الإسبانيين على ملك واحد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة[3].

---

(1) يقصد النمسا.

(2) الموافق 1210-1211م.

(3) الموافق 1483-1484م.

قائمة ملوك الإسبان

وأول ملوكهم المجتمعة عليه تلك السنة: فردنند وزوجته إيزابيلة مشتركين فى المملكة/ (ص148) وبقى فى الملك خمسًا وثلاثين سنة وخلع. ولما استقر فى الملك غزا (كذا) غرناطة فى رجب سنة خمس وتسعين من التاسع[1] وبها سلطانها أبو عبد الله محمد حسن فنزل بمرجها وأفسد زرعها ورجع ثم جهز لها جيشًا عظيمًا فى ثانى عشر جمادى الثانية ست وتسعين منه[2] فنزل بمرجها أيضًا وحاصرها وضيق عليها إلى أن أخذها صلحًا على سبعة وستين شرطًا وقّعت بينه وبين أهلها منها: أن يكون التأمين بجملة الناس، وأن يكون بقاؤهم فى أماكنهم، وأن يقيموا (كذا) شريعتهم كما كانت، وأن لا يتعرضوا لها بتغيير ولا استثناء أمور، وأن تبقى المساجد على حالها، وأن تبقى الأوقاف على حالها، وأن تكون الحرية لجميع المسلمين مؤبدة، وأن لا يدخل نصرانى دار مسلم، وأن لا يغصبوا أحدًا، وأن لا يتولى على المسلمين يهودى ولا نصرانى، وأن يطلقوا جميع أسارى غرناطة، وأن من هرب من أسارى غيرها لها لا يرد لمالكه بل يأخذ ثمنه من عند السلطان، وأن من أراد الانتقال لا يمنع، وأن الذهاب يكون فى مدة معينة فى مراكب السلطان بلا كراء، ومن زوال الأجل فيلزمه الكراء مع تعشير ماله، وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره، وأن من أسلم من النصارى لا يلزم بالرجوع لذلك الدين، وأن من تنصر من المسلمين يوقف حتى يظهر حاله، وأنه لا عقاب على من قتل نصرانيًا أيام الحرب، وأن لا يؤخذ منه ما سلبه منهم أيام العداوة، وأن لا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى، وأنهم لا يزيدون فى المقام على العتاد، وأن ترفع عن المسلمين جميع المظالم، وأن ترفع عنهم جميع المغارم، وأن لا يطلع النصرانى للسور، وأن لا يتطلع على دور المسلمين، وأن لا يستطلع على عوراتهم، وأن لا يدخل لمساجدهم، وأن يسير المسلم فى بلاد النصارى آمنًا من كل شيء، وأن لا يجعل المسلم علامة كما يجعلها اليهودى، وأن لا يمنع المؤذن من الأذان، وأن لا يمنع المصلى من الصلاة، وأن لا يمنع الصائم من الصيام، وأن لا يمنع الحاج من الحج، وأن لا يمنعوا المسلمين من إقامة المواسم، وأن لا يتعرضوا لهم فى النكاح

---

(1) الموافق 1489-1490م.

(2) الموافق ماى جوان 1490م.

وغيره، وأن من ضحك من النصارى على المسلمين يعاقب، وأن لا يحجروا عليهم فى مقابرهم، وأن يوافق على كل شرط من الشروط صاحب رومة، وأن تكون موافقته بخط يده، وخاتمه معًا، إلى غير ذلك من بقية الشروط. ودخل أهل البشرات فى ذلك.

(ص149) وكان/ دخوله لها فى ربيع الأول سنة سبع وتسعين منه[1] وذهب سلطان غرناطة لفاس بأن خرج على مليلية فاستقر به إلى أن مات، وذهب عمه أبو عبد الله محمد الزغلى صاحب إش (كذا) للمغرب الأوسط فخرج على وهران ونزل بتلمسان واستقر بها إلى أن مات وكان خروجها فى آخر شوال تلك السنة وصَفَتْ الأندلس بأجمعها للنصارى ولا حول ولا قوة إلا بالله. فكان أول ما أخذوا لنا مدينة طليطلة سنة ثمان وتسعين من الخامس أخذها أذفونش بن فراند بن هراند صلحًا من يد الأمير الظاهر من ولد إسماعيل بن عبد الرحمن ناصر الدولة الهوارى. وآخر ما أخذوا لنا مدينة غرناطة سنة سبع وتسعين من التاسع وإنا لله وإنا إليه راجعون. وإلى ذلك أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

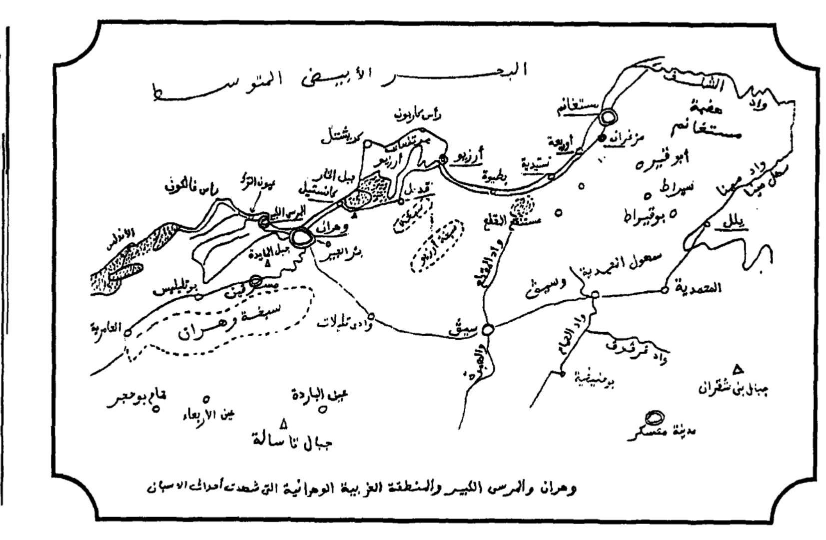
طليلـــة هـــى بـــاكورة فـــتحهم   مـــن الهـــوارى رجعـــت لأذفـــنس

ءاخـــر ذلـــك غرناطـــة حـــل بهـــا   مـــا لقـــت شـــقرة مـــن الويـــل والـــركس

مـــن بعـــد عـــز بنـــى نصرومواقهـــا   طاغيـــة ينظـــرهم نظـــر الشـــوش

* * *

(1) الموافق جانفى 1492م.



وهران والمرسى الكبير والمنطقة الغربية الوهرانية التي شهدت أحداث الاسبان

غزو المرسى الكبير ووهران

ثم جهز جيشًا لوهران وغزاها فملك برج مرساها في أول ربيع الثاني سنة إحدى عشرة من العاشر[1] قاله الحافظ أبو محمد عبد الله قاضي نهر بنى راشد. ولما ملكوها استقروا بها إلى أن تقدموا لوهران فدخلوها في آخر المحرم سنة أربع عشرة من العاشر[2] وهو العام الذي مات فيه صاحب المعيار، قاله التغريري. والشيخ أحمد بابا، والمديوني، واليفريني.

وقال الحافظان: الصباغ، وأبو راس، وغيرهما: كان ذلك في صفر سنة خمس عشرة من العاشر، بمداخلة يهودي غدار للمسلمين وذلك أن اليهود الذين بوهران تحت ذمة المسلمين أتى واحد منهم يقال له زاوي بن كبيسة المعروف بابن زهو بجيش النصارى للمدينة غفلة وأدخلهم لها سرًّا بالحيلة فقالم الجيش لباب المدينة الموالي للمرسى ففتحه ليلًا وأخذ العساسين وهما عيسى بن غريب العريبي والغناس بن طاهر العبد لآوى وصار الجيش يدخل ويخرج ونكبوا المسلمين قتلًا وسبيًا وكان ذلك وقت أبي قلموس الزياني/ وقد عجز عن دفاعهم عجزًا كليًّا وإلى ذلك (ص150) أشار الحافظ أبو راس في سينيته بقوله:

خـامس عشر مـن عـاشر أنـاخ بهـا ... الإسـبانيون أهـل الشرك والـرجس

جحافـل الكفـر قـد حمـوا جوانبهـا ... وعـن دفـاعهم عجـز أبـو قلمـس

ولما مكنوهم من المدينة شرطوا عليهم برج المرسى فأنزلوهم به وفاء بالعهد وإليهم ينسب برج اليهودي الذي بهيدور وجعلوا لهم الصولة العظيمة التي لا توصف على المسلمين فكانوا يخرجون لبني عامر لقبض الضريبة كالملوك ثم تخيل منهم النصارى بعد ثمانين سنة ما يكرهونه فأخبروا سلطانهم بذلك فأمرهم بطردهم مخافة أن يفعلوا بهم ما فعلوا بالمسلمين من الخديعة.

---

(1) الموافق 2 أوت 1505م.

(2) الموافق 31 ماى 1508 وهو خطأ؛ لأن الإسبان احتلوا وهران في ماى 1509م.

غارات الإسبان على أحواز وهران

وكان طاغية النصارى بوهران اسمه دك، ولما استقل قدمه بها صار يشن الغارات على المسلمين إلى أن دخل فى طاعته كرشتل، وبنو زيان، والونازرة، وقيزة، وغمرة، وحميان، وشافع ، وأولاد عبد الله، وأولاد علي، وغيرهم من بنى عامر ولم يخرج عن طاعتهم من المجاورين لهم بوهران إلا نخيس والرفاقة المستقرين بين البحر وجبل هيدور مع جبل قيزة. وصار الداخلون فى طاعته شيعته الذين ينصرونه ويعتمد عليهم فى جلب الأخبار والمسير بهم فى الطرق فى الليل والنهار. واتخذ منهم الجواسيس الذين يقال هم: المغناطيس، فقويت شوكته ، واشتدت قوته وتعددت غزواته على الأقربين والأبعدين والأنزلين والأصعدين وخلا له الجو إلى أن صارت ملاتة وسيرات من جملة بلاده التى تحت يده وشداده، يتردد بها فى ليله ونهاره. ولا منازع له فيها باضطراره واختياره وتكررت غزواته على هبرة والحرب بينه وبينهم سجال، إلى أن تلاشوا وحل بهم الاضمحلال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وإلى هذا أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

(ص151)

وعـــــاث دك ببطحتيهـــــا مجتلبًـــــا ... عــــلى الإيـــمان فلـــم يبـــل بمفـــترس

ورجّ أرجاءهـــــا لـمـــــا أحـــــاط بهـــــا ... فأبـــدلت شـــم أعلامهـــا بـــالفطس

/ وشـــحنت بخنزيـــرهم وصـــلبانهم ... مواضــــع الإيـــمان بهـــا ذو تـــوس

كـــم توليـــت بهـــا مـــن آيـــة مكمـــة ... فبعـــد طهرهـــا قـــد ملئـــت بـــالنجس

كأنهـــا مـــا حـــوت شمسًـــا ولا قمـــرًا ... لم يـــدر فى النـــاس والعـــالى مـــن النـــدس

خـــلا لـــه الجـــو فامتـــدت يـــداه إلى ... إدراك مـــا لم تنـــل رجـــلاه مخـــتلس

عمرهـــا بعـــدنا بخبـــث مالقـــة ... شناضـــيض كاليعـــافرة والتـــيس

وســـار ســـيرته فينـــا مـــن أعقبـــه ... وكلهـــم مقتـــف آرغـــون وإفـــرانس

فغزوا هبرة بموضع يقال له: يعلوا من جبال سيرات وذلك أن هبرة كانوا نازلين بيعلوا فغزاهم دك بها وتقاتلوا شديدًا قتل من الطلابة (كذا) ثلاثون ومقبرتهم بها تسمى للآن بمقبرة

الطلبة بالطريق؛ لأنها اندرست ومن هبرة تسعون شجاعًا وانجرح أربعون ، من إسبنيول ثلاثمائة وانجرح ثلاثون وتركوا ثقالهم وفروا هاربين وارتكب هبرة ظهورهم إلى حجار الروم بالجانب البحرى من وادى سيق فرجعوا عنهم. ثم غزوهم بسيدى الأخضر من بلاد حميان فكان القتال بين الفريقين شديدًا وصبر لهم صبر الكرام انجلى الأمر فيه على موت مائتى شجاع من هبرة وانجراح ثلاثين وموت ما يزيد على الستين من الإسبنيول وانجراح ما يزيد على السبعين. ثم غزوهم بيعلوا ثانيًا وكان المصاف أسفل العقبة ونشبت نار الحرب بينهما وقت الضحى فلا ترى إلا رجال هبرة كأنها أسود هائجة فى القتال يكرون عليهم الكرة الهلالية مرة بعد أخرى وحصلت الدائرة على الإسبنيول وأعان هبرة رجال شداد من بنى شقر ومع السبنيول خيول أولاد على، وحصلت الهزيمة فى الإسبانيين بسبب أولاد على بعد ما مات من الإسبانيين عدد كثير ومن أولاد على ما يزيد على الخمسين وركبت هبرة وبنو شقران أكتافهم إلى وادى سيق وغنم هبرة وبنو شقران جميع الأثقال وذاع الخبر فى ذلك اليوم بفعل هبرة بالسبنيول. ثم غزوهم بعوينة الزيتون من بلد العبيد، الشراقة خرج لهم من مزغران غفلة/ (ص152) فأثخن فيهم كثيرًا ومات منهم ما بين الرجال والنساء والذارى ما يزيد على السبعمائة فضلًا عمن انجرح، وأخذ لهم النصارى جميع ما وجدوه عندهم من الدواب وغيرها وكان ذلك بإعانة أولاد حمدان من مجاهر فصار عدد هبرة يقل.

ثم غزوهم بسيدى مبارك وذلك أن هبرة كانت مفترقة فى النزول ما بين سيرات الشرقية والغربية والساحل والجبال ولم يكن منهم إلا البعض من أولاد هداج بن هبرة بسيدى مبارك بن بخباخ فصكهم السبنيول ومعه جيشه من قيزة، والونازة، وغمرة، وشافع، وحميان، وكرشتل، وبنى زيان، وأولاد عبد الله، وأولاد على، وأحاط بهم إلى أن أسرهم عن آخرهم فبلغ الخبر لإخوتهم فأتوهم مسرعين وحصل القتال بينهم وبين العدو ففكوا جميع الأسارى من يده بعد أن مات من رجالهم فى ذلك اليوم ما لا يعد وضعف بذلك حالهم ودخلهم التلاشى فذهب السبنيول بغنيمة الأموال ورجع هبرة بأسارى إخوتهم من الصبيان والنساء والرجال.

ثم غزوهم بسيدى عبد المؤمن من مزغران وكان خندقًا عظيمًا بالطرفاء وغيره فكانت الدائرة لهبرة عليهم ومنحهم الله النصر فقتلوهم مقتلًا شنيعًا وظفروا بهم وبأموالهم بحيث ناب للواحد من هبرة من الناض[1] ما يزيد على الثلاثين ريالًا كبيرًا وفضلًا عن غيره.

ثم غزوهم به ثانيًا من وهران بأن أتوهم مع الساحل وخرجوا لسيدى عبد الرحمن الصماش وهبرة فى غفلة إلى أن كادوا يصلونهم وهم: مفترقون فى النزول ولما بلغهم الخبر بغتة فزعوا لسيدى عبد المؤمن بن عبد الرحمن وأعلموه بذلك فقال لهم: لا خوف عليكم هم غنيمة لكم. وكان هبرة بشرق وادى هبرة والعدو بغربه وهو حاجز بينهم ولم يخرج السيد من خلوته فبينما هم فى الرجاء والخوف وإذا بوادى الحمام أتى حاملًا حملة منكرة وكذلك وادى سيق وصار العدو بين الواديين فى الغرق فركبت هبرة ظهورهم أخذًا وقتلًا ولم ينج منهم إلى القليل وقد غرق أكثر الإسبانيين بالماء وأخذت هبرة دوابهم وأثقالهم؛ ومن ثم سمى سيدى عبد المؤمن بحمال الويدان للآن. ووقائع هبرة مع الإسبانيين كثيرة ومن أراد استيفاءها فليراجع الكتاب/ (ص153) الذى اسمه: (القول اليقين فى وقائع هبرة مع الإسبانيين) للحافظ أبى العباس أحمد بن محمد الشقرانى.

وكانت هبرة فى القتال مع الإسبانيين وسويد غير عامرة ولذلك ضعف حالهم وتلاشى (كذا) أمرهم. وسبب مقاتلتهم مع سويد أن هبرة كانوا يتعرضون للمسلمين الفارين من الأندلس لهذه العدوة لما تغلب عليهم الإسبانيون بها وحيث ينزلون بمرسى رزيو يذهبون لهم هبرة فيأخذون ما بأيديهم حتى أنهم يشقونه بطون المهاجرين ظنًا منهم إنهم يبتلعون الناض أو غيره، فسمع بذلك ولى الله الأكبر سيدى محمد أقدار التجينى الذى ضريحه بسداء مينا المتوفى سنة خمسة وستين وألف[2] فامتلأ غيظًا وحرض أحميد العبد كبير سويد وقيل: حرض ابنه أحمد بن أحمد العبد على غزو هبرة المنتهكين لحرمة المهاجرين فأتاه من السرسو بجنود سويد ووافق ذلك ختم صحيح البخارى فى يوم الجمعة فزحف إلى هبرة وكافة بطونهم بتلك الجنود الكثيرة العدد

(1) يبدو أن الناض عبارة عن قطع ذهبية، وفضية ذات قيمة مهمة.

(2) الموافق 1454-1655م.

ووقع المصاف بسدار العامرى المسمى الآن بالغمرى ووقعت بين الفريقين حروب عظام فانهزمت جموع هبرة وركبت سويد أكتافهم فقتلوا منهم كيف شاءوا وكان جملة منَ قُتل من هبرة مائتان وعشرون من الأبطال فمن ثم انكسرت شوكتهم وقل عدهم واضمحل جمعهم وافترقوا فى الأعراش فلم يبق بمحلهم إلا دوار واحد يسمى بهبرة للآن مع تسلط الإسبانيين عليهم أيضًا.

ولما تراكمت عليهم المحن من الإسبانيين وسويد صارت نساؤهم تجتمعن ليلًا فى وسط الحلل وتقلن برفع الصوت تداولًا كلام فصيحهم (كذا) ويسمون ذلك بالتبواش ومن جملة كلام فصيحهم (كذا).

فينـــا بـــين النـــار يـــا رب والنـــار	بـــين انصـــار دك وانصـــار قـــدار
أنـــت المعـــين بـــالعزيز القهـــار	يـــــا رب علينـــــا دبـــــر
ميتـــين وعشريـــن قعـــدت فى مشـــوار	دوار مـــن المـــلاح مـــا عـــزه دوار
المـــوت مـــن الإلـــه والســـب قـــدار	لا بـــــد الحـــــى يفتكـــــر

وهبرة هؤلاء هم على الصحيح أولاد المقداد بن مهاجر بن سويد بن عمارة ابن مالك بن زغبة بن أبى ربيعة بن هلال بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن زيد بن حفصة بن قيس بن/ عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عرب (ص154) هلاليون مضريون من بطون زغبة كما فى الجزء السادس من ابن خلدون فى ترجمة مالك بن زغبة فى شجرته.

فهم سويد خلافًا لابن الخطيب الحكيم التلمسانى القرشى القائل بإنهم ملتقطون.

وبطونهم تسعة وهم الدعامشة أولاد دعماش بن هبرة، والهدادجة أولاد هداج بن هبرة، والملايلة أولاد ملال بن هبرة، والمكاثرية أولاد مكثر بن هبرة، والفطانسة ويقال لهم: فطناسة أولاد فطناس بن هبرة، والدعاعنة أولاد دعنان بن هبرة، والصواوقة أولاد داود صواق بن هبرة، والعزايزة أولاد العزيز ويقال له: عبد العزيز بن هبرة، والداودية أولًابن هبرة ومنهم

السيد محمد بن داود آغة الدواير وأخوه السيد عبد القادر بن داود آغة سعيدة وأبناؤهما فهم من أعيان المخزن وقتئذ بوهران.

ثم غزا الإسبانيون بنى شقران برمال عين أبوس الشرقية على يد جبور بن حسنة من أولاد سيدى محمد بن حسنة بحيث صعد لهم مع وادى فرقوق والحمام ووادى تخورات إلى أن وصلهم فأثخن فيهم بالقتل والسبى إثخانًا عظيمًا إلى أن أذعنوا له بالطاعة.

ثم فردينه فيليب الأول تولى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة[1] بعد خلع الذى قبله وبقى فى الحكم عشر سنين وخلع، ولما تولى أقر دك بوهران على حاله وأمره بالغزو على المسلمين الذين بهذه العدوة فاشتدت شوكته عليهم وأبلاهم بلاء عظيمًا واقتدى به من أتى بعده من عمال النصارى بوهران مثل إفراسيسك[2] وابن يالبة وأجوان وغيرهم من الإسبانيين الذين لم يحضروا حفظى وقتئذ. فغزا سنة خمس وعشرين من العاشر[3] قلعة بنى راشد لما سأل منه الإعانة عليها أبو قلموس وقصدها فى جيش عرمرم (كذا) ما بين جيشه وجيش أبى قلموس فنزل ببراقها وهو الجبل المطل عليها من ناحية البحر ونصب به مدافعه ورمى الكور على القلعة فخرج أهلها ومعهم أميرها إسحاق الإسكندر شقيق خير الدين باشة الجزئر فسألوا الأمان فأمنوا ولما تمكن النصارى منهم قتلوهم عن آخرهم والأمر لله وحده.

قال الحافظ أبو راس فى «الحاوى» وكان الشيخ/ سيدى محمد الشريف الزهار دفين الجزائر (ص155) أحد تلامذة القطب سيدى أحمد بن يوسف الراشدى بالقلعة قبل مجيء الإسكندر والأتراك إليها يدخل المسجد حافيًا ويقول أنا أنجسه قبل أن ينجسه الكفار فلم يكن إلا قليل حتى قدم عروج والإسكندر والأتراك فذهبوا لتلمسان فبقى فيها عروج ورجع الإسكندر للقلعة فحصر بها ودخل النصارى للجامع الأعظم ونجسوه كما قال. ثم كارلوص وهو شارل الأول تولى سنة ثلاث وثلاثين من العاشر[4] وبقى فى الملك أربعين سنة واستمرت وهران فى حكمه. فجهز

(1) الموافق 1517م.

(2) يقصد فرانسيسكو.

(3) الموافق 1519م.

(4) الموافق 1523-1524م.

جيشًا عظيًا لغزو مزغران ففتحها عنوة فى أواسط الستين من القرن العاشر[1] تحت رئاسة الطاغية الفرطاس[2] ولما سمع بذلك خير الدين باشة الجزائر[3] تألم كثيرًا وجمع جيوشًا من كل جهة وقصد مزغران فنزل عليها وقاتلها شديدًا وأمنحه الله النصر فأثخن فيهم قتلًا وأسرًا وسبيًا إلى أن فتحها عنوة زوال يوم الجمعة خامس عشر ذى القعدة الحرام سنة خمس وستين من العاشر[4] ولما فرغ من القتال أمر بجمع الرءوس فجعلت تلا إلى أن رءاها (كذا) نصارى مرجاجو بوهران. وفى هذا الفتح قال بعضهم من بحر الرجز:

فـــتح خـــير الـــدين مزغـــران	مرتجيًـــا لفتحـــه وهـــران
فى يــــه قعـــدة زوال الجمعـــة	ســـنة هـــر قصـــخ فاســـتمعه
وهـــذه القصـــة عنـــد النـــاس	مشـــهورة بقصـــة الفرطـــاس

* * *

(1) الموافق 1558م.

(2) يقصد الكونت الكوديت وكان أقرع الرأس.

(3) الحقيقة أن باشا الجزائر فى هذه الفترة هو حسن بن خير الدين وليس أبوه خير الدين وهو الذى واجه الإسبان بمزغران.

(4) الموافق 29 أوت 1558م.

غارات الإسبان على تلمسان ومعسكر

وغزوا سابقًا تلمسان سنة تسع وأربعين من العاشر[1] فدخلوها عنوة وربطوا دوابهم بجامعها الأعظم حتى خرجوا مختارين بعد إقامة نحو الثلاثة عشر يومًا ويقال إن قراب الخالفى جد القراريب الذين منهم الحاج بالضيف آغة مستغانيم ومحمد ولد على الشريف بن يوسف التحلايتى وكيل محكمة سيف هو الذى أتى بهم فى الفترة الكائنة بين بنى عبد الوادى والأتراك وقصته متواترة على ألسنة الناس. وغزوها أيضًا سنة خمسين وإحدى وخمسين من العاشر[2] مع أميرها أبى عبد الله محمد بن المسعودى حفيد رضوان العلج فى أربعة عشر ألفًا فدخوها عنوة ومكثوا بها نحو الشهرين وخرجوا مختارين. قال الحافظ أبو راس فى الحاوى أن/ السيد محمد (ص156) الشريف الزهار المار الذكر قال للرابط عبد الله الملقب إخلال، النصارى يأخذون تلمسان فقال له كيف وأبو مدين فيها فقال يطوق على بطنه ونحو هذا الكلام فكان كما قال أخذوها الكفار وأسروا حرمها وأفسدوها وخربوها وقت قدوم أبى عبد الله بهم من وهران سنة خمسين وتسعمائة هـ. وقد حرك لها أبو عبد الله بالنصارى على أحمد أبى زيان مرارًا. ففى الأولى أتاها سنة سبع وأربعين من العاشر[3] ولم يحصل على طايل، وفى الثانية أتاها سنة ثمان وأربعين من العاشر[4] ولما سمع به أخوه أحمد جهز لقتاله جيشًا لنظر المزوار بن غانم كبير بنى راشد فنزل أبو عبد الله بمحلته بمشرع الزواش ثم بواد سنان ثم بحمام سيدى العبدلى فلقيه المزوار بجيشه وحصر محلتهم فى خربة هناك ودارت بهم العرب فانهزم النصارى بعد ما مات منهم خلق كثير ورجعوا لوهران. ثم سألهم فى الثالثة الحركة فأبوا فذهب لمالكهم كارلوس بإسبانيا وسأله الإعانة فأمرهم بالخروج معه فخرج بالجيوش النصرانية فى سنة خمسين من العاشر[5] وذهب لتلمسان فدخلها كما مر وتزوج ببنات أكابرها وخرج أحمد منها ثم رجع له حاركًا، ولما خرج أبو عبد الله لقتاله

(1) الموافق 1542-1543م.
(2) الموافق 1543-1545م.
(3) الموافق 1540-1541م.
(4) الموافق 1541-1542م.
(5) الموافق 1543-1544م.

ورام الرجوع منعه أهل البلد من الدخول وقالوا له يا خذيم الروم اذهب عندهم فدخلها أحمد وفر هو إلى أن قتله العرب غدرًا وبقى أحمد فى الملك إلى أن مات فتولى أخوه حسن وكان بينه وبين صالح باشة بالجزائر محبة عظيمة ثم بعد أربعة أعوام فسد ما بينهما وسأل الإعانة من النصارى وهرب لوهران فمات بها فى دار الملك بالوباء وتنَّصر ولده بعده والأمر لله وحده.

وتكرر غزو النصارى لتلمسان بسبب اختلاف كلمة أمرائها حتى صار كل منهم يستعين على الآخر بالنصارى. فمن ذلك أن المزوار منصور بن غانم الحشمى. كبير بنى راشد سأل من النصارى فى سنة ثلاث وخمسين من العاشر[1] الإعانة وغزا بهم تلمسان بعد أن أعطاهم ولده عليًّا رهنًا وشرط معهم شروطًا فخرجت محلتهم بجيش وهران وكرشتلة ونزلوا بغبال فأتتهم العرب بالخيول المسومة والهدايا المقومة ورأى رجل أعرابى منهم اسمه برقون جيش الترك ذاهبًا لتلمسان فطلب منهم الإغارة عليهم فأبوا فذهب وحده ثم اتبعوه ونشأ القتال فكانت الدائرة/ (ص157) على الأتراك ولم ينج إلا القليل وذهب محلة النصارى بمن معها على رابطة الزواش وخيمت به ستة عشر يومًا وزادت لواد سنان ولما عبرته جاءها الخبر بأن الترك خرجوا من الجزائر فى الجيش العظيم لطلب الثأر فرجع النصارى وأخذوا على عرب دمليون وهم أولاد عبد الله سموا بذلك لأنهم كانوا يطلبون منهم العدد الكثير فيقول أحدهم للنصارى دمليون بمعنى أيها الروم أعطونا عشرة ملايين (كذا) أى عددًا كثيرًا فيه عشرة ألف ألف ثم لإغبال ووادى تليلات وبه جاء الرسول للمزوال منصور بن غانم من عند كبير ترك تلمسان يسئله (كذا) أن يدع جيش الترك يذهب من تلمسان للجزائر ولا يتعرض له أحد وله ما شاء من المال فوافقه على ذلك ورجع لأهله بجيشه وذهبت المحلة النصرانية لمستغانم فمرت بالشيخ الزناقى ووادى هبرة وفرنكة وحلت بمزغران فى ثالث عشرين جمادى الثانية تلك السنة[2] وخاب رأى كبيرها وفسد أمره ورجع لوهران ثم غزوا الرابطة والكرط على يد كبير الجيوش العربية وهو رابح بن صولة أحد أولاد على بطن من بنى عامر وأولاده يقال لهم الصوالة وهم الآن دوار فخرجوا من وهران

---

(1) الموافق 1546-1547م.

(2) الموافق 21 أوت 1546م.

ومروا بالكرمة وبتنازات فنزلوا بأبيارها ثم صعد بهم مع وادى التضراوى إلى جبل غدالة ببلد ماخوخ ومشى على القطارة إلى أن وصلوا لأزبوجة الكبيرة المطلة على واد للحمام المنفردة وحدها فاستراحوا بها ثم صعد بهم مع شعاب تيفرورة إلى الرابطة بأعلاها فترك بها بعض الجيش ذهب بالبعض للكرط ففعل بهاتين القريتين ما أراد الله فعله. وتكرر غزوهم على الكرط إلى أن استاصلوا (كذا) أهله فهرب من بقى به وهم سبب خرابه إلى أن عمر بظهور الإسلام للآن ولما كبر رابح بن صولة وعمى تقعد عن الغزو فأغار الحشم على أولاد على فألفوه بالمراح فقتلوه. ثم غزوا فروحة بغريس أرض الشيخ سيدى محمد بن يحيى مقرى الجن فلقوا خيولًا من أولاد عباد أحد بطون الحشم هنالك فاقتتلوا معهم إلى أن استشهد من أعيانهم العروسى أحد الأجواد بغريس قبلة كدية عظيمة فأخذوا رأسه وفرسه وانقلبوا لوهران. وغزوا غريسا أيضًا وتخطوا فيه إلى أسفل/ نسمط أرض لواتة بأراضى بنى راشد. ثم فى وسط الستين من العاشرة[1] غزوا زاوية (ص158) الشيخ أبى مهدى سيدى عيسى بن موسى التجينى ثم الزنداوى وهو نازل شرقى واد التاغية فأتته قنجرة وهى القويع وحلست أمامه وصارت تذرى التراب على رأسها وتصوت شديدًا وكان الشيخ عارفًا بزجر الطير فأمر زاويته وأهله بالرحيل فورًا فاترحلوا وعبروا النهر ودخلوا فى غيظة كبيرة يقال لها دار الهناء فلم يكن إلا يسير وإذا بجند النصارى واقف فى حافة الواد الشرقية ومعهم بنى عامر ولما لم يروا أحدًا رجعوا من غير عبور للنهر ثم أولاد سيدى العبدلى المرة بعد الأخرى ولم ينتج لهم شىء من ذلك. قال الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى وحدثنى المرابط أبو الحسن على بن حسون العبد لى إنهم كانوا لا يهنأ لهم نوم إلا إذا جعلوا حارسًا ومهمى (كذا) ينم أحدهم نجده يهذوا (كذا) بإغارة النصارى ويصرخ فى نومه من شدة خوفهم.

* * *

---

(1) الموافق حوالى جوان جويلية 1553م.

غارات الإسبان على مدينة الجزائر

وقد غزوا الجزائر مرات. ففى الأولى غزوها قبل دخول الترك لها وتملكهم بها فملكوا برج مرساها الذى بوسط البحر فى الجزيرة حيث برج الفنار الآن وصار لهم جباية حجيجة، وضرائب على أهل متيجة، وبقوا على تلك الحالة إلى أن دخلها الأتراك فنشأ معهم السيد حسن خير الدين بن المدلية أول باشة بالجزائر الحرب وأدامه معهم إلى أن فتح البرج عنوة سنة ست وأربعين من العاشرة[1] وجعل فى البحر طريقًا تصل للبرج. وفى الثانية غزوها سنة ثمان وأربعين من العاشرة[2].

حملة شاركان الكبرى على الجزائر عام 1541م

وسبب قدوم البلادور لها أنه كان عمر مركبًا من مراكبه وأوسقه بالمال والسعة وبعثه لوهران فأخذه رايس من رؤساء الجزائر يقال له كجك على ودخل به للجزائر بعد ما وقع الحرب بينهما فوجد فيه رايسًا (كذا) عظيمًا مع جملة الرؤساء ودخل فى شهرة عظيمة ثم أن كجك أحضر هذا الرايس إلى حسن آغة خليفة خير الدين باشا وقبل يده وكشف عن رأسه وبقى داهشًا من الهيبة فسأله حسن آغة عن أخبار بلاد النصارى فقال له الرايس إن سفينة وتركتها تريد القدوم إلى بجاية لكونها كانت عامرة/ بالسبنيول فعند ذلك أمر حسن آغة أن تجهز له أغربة فتجهزوا فى (ص159) أسرع وقت وساروا إلى طلبها بنواحى بجاية وكمنوا بموضع يقال له العش والمنقار وكان من جملة رؤساء الجزئر كجك على المتقدم الذكر فطلعت لهم تلك السفينة ذاهبة لبجاية فقربوا منها وشرعوا فى قتالها وكانت مستعدة للقتال فى غاية الاستعداد فلم تزل مع أجفان المسلمين فى أخذ ورد إلى أن وقعت فيها النار فالتهبت فى أطراف السفينة وعجز الكفار عن إطفائها فألقوا أنفسهم فى الماء فالتقطهم المسلمون من البحر وأطفوا النار ورجع الرؤساء للجزائر وهم فارحون (كذا) بالسفينة ودخل الجزائر فى شهرة كبيرة وفرح به حسن آغة غاية الفرح وأمر بإنزال ما فيها من

(1) الموافق 1539-1540 وهذا التاريخ خطأ؛ لأن برج البينيون هذا أنشأه الإسبان فى حدود عام 1511-1512 واستعادة خير الدين فى شهر ماى 1529م، الموافق لرمضان عام 935هـ.

(2) الموافق 1541م.

الغنيمة فأنزلوا الكفار وأحضروا بين يديه ومعهم رئيسهم وكانوا فى حال طلوعهم إلى دار الإمارة تصفق لهم النساء والصبيان وأهل البلد ليتفرجوا فلما وصلوا بهم إلى حسن آغة أمر بهم إلى السجن المعد لذلك فلما سمع بهم صاحب إسبانيا تأسف عليهم وكان أهل طاعته قد ضجوا إليه بالشكاية مما يفعله بهم أهل الجزائر خصوصًا أهل السواحل منهم بأن قالوا للطاغية إما أن تكفينا أمر الجزائر وإلا نعطوا (كذا) الطاعة لصاحبها فشرع فى الحركة للجزائر وأطلق النداء فى سائر أقطاره بذلك فانحاشت إليه جيوشه أفواجًا أفواجًا وزخرت إليه جيوشه وعساكره أمواجًا أمواجًا، فوصل خبر عمارته إلى حسن آغة خليفة خير الدين فصدق بذلك ولم يكذب ثم أخذ فى حركة عرس ولده وعمل مفرجات عظيمات يقال إنه خرج من يده مال عظيم بسبب هذا العرس فى كل ناحية يقال إن من جملة ما جعل فيه من المفرجات نصب صاريًا فى باب الوادى وطلاه بالشحم بحيث صار لا يقدر أحد يصعد إليه وجعل فى جاموره شقة نفيسة من الملف ومعها صارة من الذهب وأباحها لمن صعد إليهما فجاء فتى من الأتراك صغير السن وبدأ فى الطلوع معه ولم يزل يتلاصق الصارى شيئًا فشيئًا حتى وصل إليهما ونزل بهما فتعجب الناس مما شهدوا منه فلما تم هذا العرس وصار مثلًا سائرًا ونزاهة من نزاهة الدنيا أدار وجهه إلى تحصين المدينة/ (ص160) والاستعداد لمقابلة العدو فبنى (كذا) أسوار المدينة وأصلح ما انهدم منها ونصب عليها المدافع وعلى سائر الأبراج وعين أربعمائة أسير من الكفار لهذا البناء ثم إنه بعث إلى شيخ المدينة وأمره أن يرفع إليه حساب الرجال فى كل حكومة من الجزائر ففعل ذلك شيخ المدينة ومع ذلك فأخبار العمارة تتوارد عليه فى كل وقت وكذا على أهل الجزائر فأمر حسن آغا بقطع أشجار البساتين كلها خوفًا من النصارى أن يستتروا بها حال القتال وأول ما بدأ بقطع بستانه فلم يترك فيه شجرة واحدة فبينما هو فى بعض الأيام جالس فى دار الإمارة إذ دخل عليه حارس البحر.

الذى يقال له صاحب الناظور وأخبره بأن عمارة النصارى قد أتت وهى عمارة كبيرة أخذت وجه الماء كله وسترته وشرعت فى عددها فلم أقدر وتشوش نظرى من ذلك لكثرتها فعند هذا عين حسن آغا حملة من الخيل فصعدوا إلى جبل أبى زريعة ليأتوه بتحقيق العمارة فرجعوا إليه وكل واحد يقول لم أقدر على إحصار ما رأيت؛ لأن العدد كثير لا يصل إليه الإدراك

فعند ذلك أمر حسن آغا سيدى سعيد الشريف وكان هو شيخ المدينة، أن يوجه رجالًا من أهل البلد إلى الأبراج والأسوار برسم حراستها فى مقاتلة العدو منها فنهض شيخ المدينة المذكور وعين الرجال للأبراج والأسوار ونصبوا رايات الإسلام عليها ووزع حسن آغا رجاله على أبواب المدينة بطوائف من العسكر فعين لباب عزون رجلًا من أعيان العسكر يقال له الحاج مامى وكان مشهورًا بالشجاعة فقام بها عين له، وأما حسن آغا فإنه أقام بحصن من حصون الجزائر تصل مدافعه إلى العدو برًّا وبحرًا ومعه جماعة من العسكر وطبوله تصعد أصواتها إلى الجو وألويته المتصورة تخفق على رأسه وتجعل على باب الوادى أى حصنها مدفعًا عظيمًا يدهش الإنسان عند صيحته وتزهق النفس من دفعته، وجعل من هذا الحصن إلى القصبة قائدًا اسمه حسنًا ومعه طائفة من العسكر وعين لحراسة باب الوادى أى رجلًا يقال له القائد يوسف ومعه جماعة من العسكر وعين معه ثلاثة من القياد أحدهم يقال له سافر وجعله فى برج من الأبراج/ (ص161) وثانيهم يقال له أصلان عينه لقاع السور وثالثهم يقال له رضهان فإنه أقامه قريبًا منه فى بعض النواحى ثم أقام كجك على وحيدر ومعهما قبطان السفن أخضر وجملة من رؤساء البحر بباب الجزيرة وجعل أهل الجزائر من العسكر والأندلس والبلدية دائرين بأسوار المدينة متسلحين بالمكاحل والسيوف والرماح والنشاب كما جعل العرب ركابًا ومشاتا بخارج البلد فى غاية من الحزم والضبط فبينما الناس فى غاية الاستعداد للقتال سائلين من المولى جل جلاله أن يعينهم على النزال، إذ بعمارة النصارى ظهرت لهم فى يوم الأربعاء آخر جمادى الثانية بأن بقت له ثلاثة أيام سنة ثمان وأربعين وتسعمائة[1]، ورست وقت العصر من يوم الخميس فى جون تمانتفوس[2]، الموالى للجزائر ولما رسوا سقط لهم بعض الرايات فى البحر فتفاول (كذا) المسلمون لما رأوا ذلك وعلموا أنهم منصورون (كذا) عليهم بإذن الله تعالى، وكان نزولهم للبر فى يوم الأحد قبل الزوال بشىء قليل ولما نزل سلطان إسبانيا دارت به عساكره.

---

(1) الموافق 18 أكتوبر 1541م.

(2) يقصد خليج تمانتفوس، وهو برج الكيفان حاليًا.

فيقال إن عدتهم تسعين ألفًا وكان المسلمون أرادوا أن يمنعوهم من النزول إلى البر فرمت عليهم السفن بالمدافع من البحر فأوسعوا لهم فى المجال حتى تمكنوا من النزول وبات العدو ليلة الاثنين قرب البلد بموضع يقال له الحامة وكان زعيم من زعماء الترك يقال له الحاج باشا عزم أن يضرب العدو ليلًا ففتحت له أبواب المدينة وأخذ الراية فى يده وخرج فى جماعة وافرة من المسلمين وكان خروجه لما بقى الربع الآخر من الليل (كذا) فلم يشعر العدو لشدة الشتاء لكونهم وصلوا فى شهر أكتوبر فى أيام قاسم كون إلا والمسلمون قد خالطوهم ورموا عليهم بالمكاحل دفعة واحدة ورشقوهم بالسهام فحصلت بهم ضجة عظيمة فانتبه مالكهم مرعوبًا من نومه وصاح برجاله وخواص وزرائه وقال هؤلاء الذين أخبرتمونى عنهم أنهم لا يقومون بحربنا انظروا ما عملوا فينا هذه الليلة. ثم إن المسلمين رجعوا سالمين إلى البلد بعدما قتلوا منهم خلقًا كثيرًا فلما كان يوم الاثنين تحركت النصارى إلى المدينة ومعهم الطاغية حتى قربوا الأسوار وهم يزعقون فى انفرتهم وألويتهم منصوبة عليهم فخيل لأهل الجزائر/ أنهم نمل أسود قد ملأ (ص162) الفضاء وكان فيهم من الفرسان أربعة آلاف فارس فشرع فى قتالهم من الأسوار، بالمدافع وبنادق الرصاص والسهام وتقدم فى ذلك اليوم إلى القتال رجال من الأتراك فظهرت شجاعتهم العظيمة منهم الحاج باشا والحاج مامى والحاج بكير وأخضر وغيرهم فقاتلوا قتالًا شديدًا إلى الليل (كذا) ثم رجع النصارى إلى رأس تفورة ونزلوا بأمحالهم وأخذت تلك الوعور كلها وشرعوا فى قتال المدينة وصبت عليهم مدافع المسلمين من كل جهة وخاب رجاؤهم من المدينة فصعدوا بألوية منشورة إلى الكدية المعروفة بكدية الصابون وصاروا يقاتلون المدينة منها فصار أهل الجزائر يرمون عليهم بالمدافع من كل ناحية بأصوات الصواعق وربما وصلوا الرمى على أجفانهم التى فى البحر ولما كان يوم الثلاثاء أرسل الله تبارك وتعالى فى آخر الليل (كذا) ريحًا عاصفًا فقطعت حبال أجفانهم ونشروا صواريهم خوفًا من الهلاك وتزايد هذا الريح فتشوش جنرالهم أندرية[1] من ذلك وكذلك معه فى الأجفان وساقت هذه الريح التى أرسلها الله عليهم جملة من أجفانهم إلى البر فعطبت على المطاحن وخرج منهم أسارى المسلمين ومالت عرب

(1) يقصد به أندرى دوريا الجنوى، كبير قراصنة أوروبا فى هذه الفترة.

الجزائر على أهل تلك الأجفان واستاصولهم قتلًا إلى آخرهم وحين رأى الطاغية ما حصل بأجفانه من الغرق والعطب انكسرت شوكته وضعفت قوته وأخمدت ناره، وبرد شراره وظهرت عليه مخايل الذل فخرج أهل المدينة صبيحة يوم الثلاثاء لقتالهم باجتهاد وقوة وعزم شديد وعلموا أن الله تعالى نصرهم على الأعداء فخالطوهم وقاتلوهم فى تلك الأوعار فأتى وجوه العساكر إلى الطاغية وقالوا له أيها الملك قم بنفسك إلى الحرب فإن المحلة أشرفت على الأخذ فعند ذلك خرج الطاغية والتفت عليه عساكره وأخذوا فى القتال فتقهقر المسلمون عنهم نازلين رأس تفورة وجد الكفار فى قتالهم وتكالبوا عليهم فتقهقروا أيضًا إلى ملعب الكورة (كذا) ثم إلى قنطرة الأفران فلما رأى النصارى ذلك منهم تراكمت جيوشهم عليهم كالبحر الزاخر وصاحوا عليهم من كل ناحية وطالبوهم من كل دانية فتقهقر المسلمون إلى ناحية سيدى أبى التقى ثم صرخ المسلمون فى وجوه الكفار صرخة واحدة وحملوا عليهم وضربوهم حتى بالحجارة والنشاب وكان ذلك اليوم يسيل فيه المطر كأفواه القرب/ (ص163) فتراجع المسلمون لحماية بعضهم بعضًا وحملوا على الكفار من كل ناحية فردوهم على أعقابهم إلى المحلة ورجع المسلمون للمدينة ولما كان صباح يوم الأربعاء ظهر للكفار أنهم لا مطمع لهم بالجزائر وأن الغنيمة أن ينجوا بأنفسهم فقربت أجفانه إلى البر ونزل الجنرال أندريه منها حزين فوصل إلى الطاغية فى محلته وأعطاه حق المبايعة وقال له أيها الملك ألم أحذرك عن السفر إلى الجزائر فانظر عاقبة الأمر الذى حذرتك عنه الآن قم اطلب النجاة لنفسك فإن جل أجفاننا عطب على السواحل فكيف يكون رجوع هذا المعسكر إلى بلادنا فها أنا أيها الملك أذهب إلى تمانتفوس وأنتظرك فيها فبادر أنت ومن معك من العسكر بالرحيل لتركب فى الأجفان الباقية وتخلص إلى بلادك فعند ذلك رحل الطاغية عن الجزائر ونزل على واد الحراش وكان قد أجهدهم الجوع فأكلوا أربعمائة من الخيل وباتوا تلك الليلة والمطر يتراكم عليهم والأعراب والقبائل يضربوهم بالمكاحل والأحجار وغيرها ويلتقطون فى السعى. ولما كان يوم الخميس نظر الطاغية إلى الوادى فرآه فهالته رؤيته فاستشار رجاله كيف يتحيلون على القطع إلى الناحية، فعقدوا صوارى سفنهم المنعطبة على الساحل وقطعوا عليهم فلما قطعوا إلى الناحية الأخرى هجمت عليهم فرسان العرب أيضًا وصاحوا

عليهم وحملوا نحوهم بعنان واحد وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ولم يزل الطاغية ذاهبًا وفرسان العرب تطاعنوهم (كذا) إلى أن وصوا إلى تمانتفوس وأقام بها أيامًا والحرب لا ينقطع عليه من المسلمين إلى أن خمد هيجان البحر فركب فيها بقى من الأجفان وسافر إلى بلاده وهو لا يصدق النجاة بنفسه وخلف كثيرًا من الأغربة والأجفان الرقاق وكثيرًا من الأكفان العظام العشريات والفرقطات ومدافع عظام وخلف كثيرًا من الرجال والنساء والصبيان التى أتى بها؛ لأنه لم يذهب واحد منهم وعددهم ألفان وثلاثمائة وأما خيله لم يذهب منها واحد سوى الذى مات منها فى الحرب أو أكلوه وحاصل ما خلفه لأهل الجزائر مال لا يحصى.

وفى الثالثة غزوها سنة سبع وستين من العاشر[1] ولم تحصل لهم فائدة ورجعوا خائبين.

* * *

(1) الموافق 1560م وهذا فى إطار الحملة على جربة بتونس.

حملة الإسبان على تونس

(ص164) / ثم غزوا تونس سنة سبع وستين من العاشر[1] فأخذوها عنوة من يد سلطانها أبي العباس أحمد بن حسن الحفصي ونبشوا ضريح سيدي محرز بن خلف البكري الصديقي فألفوه مملوءًا رملًا وبقيت بأيديهم إلى أن استخلصها منهم سليمان باشا التركي سنة إحدى وثمانين من العاشر[2]. واستولوا بطاعة المغرب الأقصا (كذا) على حجر باديس بالريف سنة أربع وستين من العاشر[3] وهي بأيديهم للآن أعطاها لهم سلطان المغرب عبد الله الغالب السعدي لما تملك المغرب تلك السنة ورأى مراكب الأتراك تتكرر بمرساها تخوف منهم على ملكه واتفق مع الطاغية على قطع المدد ولما حلوا بها نبشوا قبور أمواتها وأحرقوا عظامها بالنار وأهانوا من بها من المسلمين شديدًا. وفي ولايته سنة سبعين من العاشرة[4] غزا الباشا حسين خلفه الأعلا (كذا) من برج المرسى وهربوا للأسفل فدخله المسلمون ليلة السبت خامس عشر رمضان تلك السنة ثم أقلع عنها. ونظم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن موسى التلمساني في ذلك قصائد انظرها في «البستان». وأهدى الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى العارف بزجر الطير التجيني للباشا حسين حينئذٍ ثوبًا جيدًا. وإلى هذا أشار الحافظ أبو راس في سينيته بقوله:

وقيض الله الأتراك بمزغنه لحرب وهران دار الشرك والألس

غزاها الباشا بن خير الدين أولهم وبرج مرساها قد رماه بالنفس

وحسين هذا كما في الحافظ أبي راس في الخبر المعرب هو الذي غزا المغرب وبعث له وليس الله الشيخ أبو زيد عبد الرحمن عبد الله اليعقوبي من أولاد يعقوب بن طلحة النقادي الذي تنسب له الزاوية التي بإزاء ندرومة ابنه عبد الله ليرجع عن الغزو وهو بملوية فأبى وتمادى على غزوه فرجع خائبًا، وهذا اليعقوبي هو هذا الذي كلم الشيخ أبا مدين في قبره على عز الترك فقال له

(1) الموافق 1559-1560م وهو وخطأ لأن تونس غزاها الإسبان واحتلوها عام 1535م إلى عام 1574م وهو ما يوافق 941هـ.

(2) الموافق 1574م.

(3) الموافق 1556-1657م.

(4) الموافق 1563م.

أبو مدين: ما كان باش نبدلهم إذا أرادت أن تكون فى موضعهم فذلك فقال لا. قال أبو العباس أحمد نزيل العباد ولما سمعت الكلام من الطاق[1] الفوقى الذى عن يمين الداخل دنوت فجذبنى/ من خلفى شىء فالتفت فلم أر شيئًا ثم أردت الدنوا ثانيًا وثالثًا فمنعت من ذلك. انظر (ص165) «البستان». ثم فيليب الثانى تولى سنة ثلاثًا وسبعين وتسعمائة[2] وبقى فى الملك اثنتين وأربعين سنة ووهران تحت حكمه. ثم فيليب الثالث تولى سنة خمس عشرة وألف وبقى فى الملك ثلاثًا وثلاثين سنة ودخلت مدينة العرايش بالمغرب الأقصى فى حكمه سنة تسع عشرة وألف[3] بإعطاء سلطان المغرب محمد الشيخ السعدى إياهم فبقيت تحت حكمهم إلى أن نزعها منهم مولاى إسماعيل بن على العلاوى سلطان المغرب سنة إحدى ومائة وألف[4] بعد محاصرته لها ثلاثة أشهر بالحرب المتصل ولم يفتحها حتى جعل لها لغمًا هد به سورها واقتحمها حينئذٍ وقتل منهم ألفين وأسر نحو الإثنا عشر مائة وذلك مبلغ عمارتها فلم يفلت منهم أحد وألفى بها خزائن البارود ونحو المائة وثمانين نفضًا منها اثنان وعشرون نحاسًا واحد يسمى الغصاب فى طوله خمسة وثلاثون قدمًا وزنة كورته خمسة وثلاثون رطلًا يحلق عليه بقرب خزنته أربعة رجال وقد بقيت بأيديهم اثنتين وثمانين سنة. ثم فيليب الرابع تولى سنة ثمان وثلاثين وألف[5] وبقى فى الملك أربعًا وأربعين سنة. وفى ولايته غزا إبراهيم باشا الجزائر وهران فى وسط القرن الحادى عشر ونصب عليها المدافع والبونبة (كذا) من المائدة وهى سطح جبل هيدور المطل على وهران فهو أول من فعل ذلك من الأتراك فامتنعت عليه ورجع مؤيسًا (كذا) منها إلى مملكته بالجزائر وإلى ذلك أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

أتاهـــا باشـــا إبـــراهيم وســـط حـــادى ... مـــن القـــرون مـــن بعـــد الألـــف للـــوطس

قـــــام بالمايـــــدة حينًـــــا يزاولهـــــا ... ثـــم قفـــى درجـــة مـــن فتحهـــا ءايـــس

(1) يقصد النافذة.

(2) الموافق 1556-1566م.

(3) الموافق 1610-1611م.

(4) الموافق 1689-1690م.

(5) الموافق 1628-1629م.

يوجد فى بعض النسخ بدل هذا البيت:

قـــام بهيـــدور أيامًـــا يزاولهـــا ثـم قفـى درجـة مـن عسرة الـرطس

(ص166) / ومن حينئذٍ وقع للإسبانيين الاعتناء بقلعة مرجاجو ودبروا الحيلة فى إقامته فصعب عليهم الماء فأتاهم شيخ حميان بقرب الماء لإقامته من عند قبيلة. ولما أقلع إبراهيم باشا عن وهران مأيسًا منها امتدت يد النصارى أيضًا إلى الإسلام وصاروا معهم ما بين نفرة واستقامة ورأى الطاغية شوكة نفسه بأتباعه قويت كتب للممدود وهو عدة ولد الصحراوى رايس (كذا) الحشم بقوله إن كانت أمك عربية حرة حقيقة وتزعم أنك لا تخشى سطوتى، ولا تلفت لشوكتى فانزل بعربك سيرات أو ملاة ذات الوطى ترى ما يفعله بك ابن النصرانية وكان الدال عليه بذلك ونزار العبدلاوى جد الونازرة لكونه كان جنرالًا على العرب عند الإسبانيين فأنف الممدود من ذلك وارتحل بجميع الحشم الشراقة والغرابة وأهل الوادى ومن انخرط فى سلكهم ونزل بوطاء سيرات من سيق إلى الغمرى وتفرغ بسيرات الشرقية والغربية وجعل عيونًا وحراسًا بينه وبين وهران من زبوج مولاى إسماعيل إلى المقطع واستعد للحرب استعدادًا قويًا ووافقه على ذلك هبرة والبرجية وبنو شقران ولما سمع الطاغية بنزوله بسيرات جمع جيشه من النصارى والعرب المتنصرة وهم كرشتل وحميان وغمرة وبنو زيان والونازرة وقيزة وشافع وأولاد عبد الله وأولاد سليمان وأولاد على والحجز وغيرهم من بنى عامر.

وخرج من وهران ليلًا ومشى على طريق مسرقين إلى أولاد عبد الله ثم مشوا به إلى تاسالة ثم إلى ماخوخ ومشوا به لمكرة ورجعوا به لأولاد سليمان إلى أن وصل لخشاب النصارى فكمنوا به وسمى من ذلك الوقت بخشاب النصارى ومنه طار الخبر للممدود ثم هبطوا بالطاغية مع الوادى المبطوح ولما وصل ليسق تركه الممدود إلى أن اشتغل بأخذ الأموال وقد ذهبت الناس بأنفسها (كذا) قصدًا لاشتغاله بذلك وقد سد عليه طرق المجاز من كل جهة فقصده بجيوشه وصار يقتل ويسبى واستخلص منه جميع ما أخذه وأثخن فيه بالقتل الذريع إثخانًا عظيمًا فلم ينجُ منه إلا القليل وحصلت الهزيمة فيهم وركب الممدود بجيشه أكتافهم إلى وهران فدخلها الطاغية فى فله فى أرذل حاله وكتب له الممدود وهو بضواحى وهران وأرباضها كتابًا يقول له فيه أخبرنى

أيها الطاغية لمن علو الكلمة الآن هل للعرب/ أو للنصارى كلا لئن لم تنته عن فعلك الذميم (ص167
ومحاربتك للمسلمين والغارات عليهم لأرجمنك شديدًا.

ثم كارلوص الثانى وهو شارل الثانى تولى سنة اثنتين وثمانين وألف[1] وبقى فى الملك خمسًا وثلاثين سنة فبقيت وهران صلى الله حكمه وفى أيامه تولى الغطريف الهمام، والأسد الهصور الضرغام، معز الدين وأهل الإيمان الزناقى السيد الباى شعبان، أحد الأتراك الأنجاد، وأعيانهم الأمجاد، أيالة مازونة وغيرها من شرقى المغرب الوسط، فى حدود التسعين وألف[2] بلا شطط.

* * *

(1) الموافق 1671-1672م.

(2) الموافق 1679م.

معركة كدية الأخيار واستشهاد الداي شعبان

فغزا رحمه الله وهران وطالت به معهم الحروب واتصلت عليهم بدولته أعظم الكروب، ومنعهم من الخروج، وضيق عليهم إلى أن صاروا فى أحوج المحوج، ولازموا بيوتهم والحصون، وصاروا لا يفارقون الجواسيس والعيون، إلى اليوم الذى استشهد فيه حصل لهم فرج وتنوية وتنزيه. ومن خبره أنه زحف لهم فى نحو أربعة آلاف فيهم نحو الثلاثة آلاف فارس وزحف النصارى مع مردة العرب وشياطينهم من بنى عامر وقيزة وغمرة وكريشتل وغيرهم فى أزيد من ثلاثة آلاف فيهم ألف خيل والباقى راجلة. وفى «غريب الأخبار» للحافظ أبى راس أن النصارى زحفوا إليه فى زهاء أربعة آلاف أكثرهم راحلة وهو فى أكثر من ألف كلهم خيل. قال الحافظ فى «عجائب الأسفار» فكان المصاف فى كدية الخيار وصبر الفريقان ثم انقضت جموع النصارى واختل مصافهم وقد ربط بعضهم نفسه بالأحبال وربط الآخر نفسه بالأكبال فكانوا غنيمة للمسلمين. وفيئًا للموحدين، فقتل فى تلك الهزيمة أكثر من إحدى عشرة مائة ودامت عليهم الهزيمة إلى أن حل المسلمون بقبة برج العين فاقتتلوا به قتالًا شديدًا وهزمهم المسلمون ثانيًا وهو أمام جيشه المنصور كالأسد الهصور إلى باب وهران فجىء عنده الوطيس وتسابقت للتقدم الفرسان. وفى تلك المعركة قتل الباى شعبان، رحمه برحمته الرحمن، وأمده برضوانه، وأسكنه بالفردوس ميطانه. وذلك سنة ثمانٍ وتسعين وألف[1] من هجرة من له كل العز والشرف والوصف، فلقد كان من أسد الإسلام، الناصر لأهله على اللئام (كذا) حتى جرى للغاية المحمودة فأدركها وأزعج السواكن للأجر / (ص168) وحركها وكل من عمل فى هذا السبيل مطيته رسميًا ورملًا فله الأجر؛ لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، ولا يخيب لراجيه أملًا. ولما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التراب فجزّوا رأسه وعلّقوه بالباب. وقد أخذ المسلمون الجثة وتركوا الرأس لما لم يقدروا على الرجوع إليه، فرأى بعض النصارى بالليل (كذا) النور يسطع عليه فأخبر بطريقهم وحينئذٍ بعثوه للمسلمين فجعلوه مع جسده فى الحين، ودفنوه خارج وهران، وقبره للآن يعرف بقبر سيدى شعبان. وكان على ضريحه قبة عالية، ولما سكن بجواره بعض النصارى

(1) الموافق 1686م.

الآن وملكوا تلك الأرض هدموها لما صارت بالية. وقال الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعى على الحلفاوى فى قوله النابر: إنه حمل ودفن بالجزائر والله أعلم بالمراد، وإليه الرجعى (كذا) والمعاد.

ويقال: إن الذى قتله هو أحد المغطسين أبو نصابية من النصاصيب الذين منهم كل ظالم وفاجر أحد بطون أولاد عبد الله من بطون بنى عامر. وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة ذلك.

وقال الجامعى أيضًا: وحدثنى بعض من حضر أنه تكسر فى يده يوم الاستشهاد سيفان وأنه لبس أفخر ثيابه وتحلى بأشرف حليته وركب أجود مراكبه ملأ جيوبه دنانير الذهب افتخارًا على العدو أن بقى بأيديهم فوجدوه على تلك الحالة هـ.

وموته سبب لغزو إسماعيل سلطان المغرب لوهران وإلى هذا أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

ءاخره شعبان الزناقى حاصرها ... فامتنعت وشمشت أيما شمس

أوطى الفليق الجرار لأراضيهم ... به هامت دمعهم من زكا وخس

دارت حروب عظام بينهم قد أتى ... ءاخر أمرها باستشهاده النفس

ولما مات الباى شعبان فرح النصارى واشتدت شوكتهم على الإسلام.

ورجعوا يغزونهم فى البيوت والخيام، فغزوا ولى الله الأكبر، وقطبه الأشهر سيدى بلاحة المهاجىء وأسروه هو وبناته الثلاثة، وخمسين رجلًا من زاويته ورجعوا لوهران وبقى بها مع بناته سنة كاملة/ ثم فدى وفدى إحدى بناته أبو عزة بن حميدة شيخ أولاد سليمان وفدى الأخرى (ص١٦٩) الشحط والد دموش شيخ أولاد على فزوجها له أبوها لما رامت تزويجه ولم ينتج منها شيء لدعائه عليها وبقيت الثالثة بلا فداء فكثر بكاء أمها وأقلقته فخرج يومًا لساحة بيته وتوضى (كذا) ودعا الله وإذا بها مقبلة فقال لها اخرجى لابنتك فسئلت فقالت: إنى أمشط رأسى وإذا بطائر أبيض نقرنى وصد أمامى فتبعته إلى وطنى قاله الحافظ أبو راس فى الخبر المعرب.

ويقال إن سيدى بلاحة قال لمعلم ولده الزين قبل الواقعة بيوم إذا كان فى صبيحة غد خذ الزين وأمه واصعد بهما رأس الجبل واجلس هناك للغروب ودعينى وبناتى الثلاثة ليقضى الله أمرًا

كان مفعولًا ففعل المعلم ما أمره به الشيخ فنجاهم الله من العدو وعد ذلك من كراماته كإتيانه بنيه من الأسر. وولده سيدى الزين هو الذى تنسل منه جميع أولاد سيدى بلاحة حيث كانوا.

حملة السلطان إسماعيل على وهران

ولما سمع الشريف سلطان المغرب مولاى إسماعيل بن على العلاوى بقتل العرب المتنصرة للباى شعبان استغاظ غيظًا شديدًا وجمع جيشًا عظيمًا لا يكاد يسمع بمثله من أقاصى سوس إلى بنى يزناسن وجاء حاركًا به على وهران سنة اثنتى عشرة من الثانى عشر[1] وقيل فى أربعة منه وقيل فى أوله فنزل بجبل هيدور ونظر إليها وحط كلكله عليها. ووجد حولها القبيل المديم لقتالها، نجع مخيس أخوة سويد فاستعان بهم أيضًا على نزالها، فقاتلها مدة وأطال ذلك وبان شرره ولم يجد لها محلًا يلحقها منه ضرره. لمنعها ببرج مرجاجو، والنصارى بها هاجوا وماجوا، فعندها صعد على المائدة ونظرها نظر ليث العريسة، إذا دفع على الفريسة وعاين أحكامها ومنعها. وإتقانها وصنعها، فقال هذه أفعى تحت حجر تضر ولا تضر، وارتحل عنها مشرقًا يروم المعط، إلى أن وصل لزبوجه الوسط، فقامت عليه الأعراب مع الأتراك إقامة الغضب، ورجع مفلولًا إلى أن وصل فى فله إلى المغرب وإلى هذا أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

(ص ١٧٠)

وبعـد ألـف ومائـة فى تقـط يـب	جهـز إسماعيل لها أقاصى سـوس
وأهـل تامسنا إلى أهـل ملويـة	ووجـدة ومعقـل وبنـى زنـس
/ فحـط كلكلـه عليهـا معتزمـا	علـى النـزال فلـم يجـد محـل بـوس
قـام بهيـدور أيامًـا يحتـال لهـا	قـد استعان بـها حولهـا مـن مخيس
أعيتـه حيلتهـا حزمًـا ومنعتهـا	عقـاب جـو قـد ارتقـى مـن الحـرس
فقـال هـذه أفعـى تحـت صـخرتها	تضر لا الضر يـأتى لهـا مـن أنـس
قـد حلقـت بحـرس غـير غافلـة	بـل يسـمعون حسـيس الآتى كالحسـن

---

(1) الموافق 1700-1701م.

قائمة الملوك الوطاسيين والسعديين والعلويين

واعلم أن العلويين الذين منهم مولاى إسماعيل هذا أخذوا المغرب من يد الملوك السعدية وهم من يد بنى وطاس وهم من يد الجوطى وهو من يد بنى مرين، وقد ذكرت المرينيين تفصيلًا إلا ما ذهب عن حفظى منهم. وكون الجوطى خلع آخرهم وتولى بموضعه سنة كاملة. وخلعه بنوا وطاس فبقى المغرب بأيديهم ثمانين سنة.

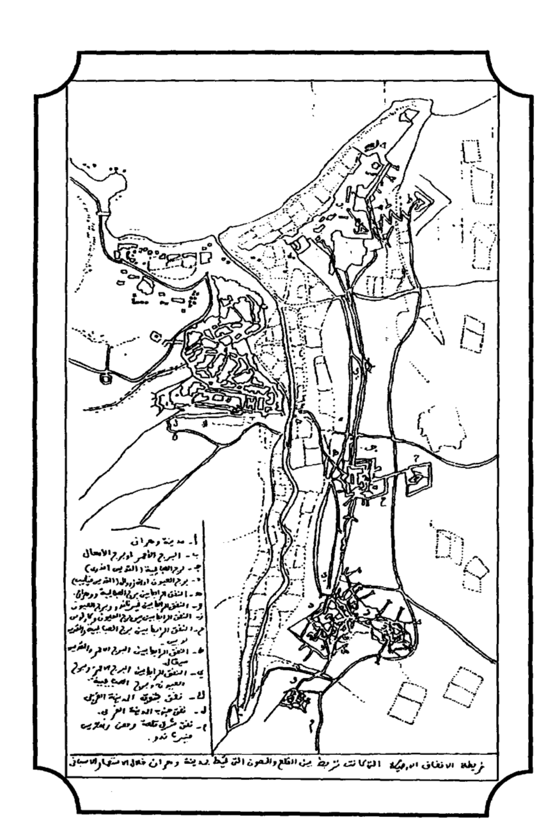
وأولهم أبو عبد الله محمد الشيخ ثم ابنه محمد الغالب، ثم أخوه المنصور، ثم آخرهم أبو حسون. وتولى ملك المغرب السعدية وأولهم الشريف عبد الله القائم، ثم ابنه أحمد الأعرج، ثم محمد الشيخ، ثم عبد الله الغالب، ثم أخوه المنصور أبو العباس أحمد الذهبى، ثم ابنه زيدان وحصل بينه وبين إخوته كالشيخ وغيره الخصام ورام كل واحد منهم الخلافة حسبما ذلك مبين فى «نزهة الحادى»، و«المهرة الوردية»، وقام عليه أبو العباس أحمد بن أبي محلى المساورى. ثم ابنه أحمد بن زيدان، ثم أخوه عبد الملك بن زيدان، ثم أخوه الوليد، ثم أخوه محمد الشيخ الأصغر، ثم ابنه أحمد العباس. ثم انتقل ملك المغرب لأهل الزاوية الدلائية السوسية وهم السيد أبو بكر بن محمد، ثم ابنه السيد محمد. وقام عليهم أبو الحسن على بن محمد السوسى بسوس. وصنوه أبو حسون، ثم قام عبد الكريم بن أبي بكر الشيبانى بمراكش. ثم انتقل ملك المغرب للعلويين. وأولهم الشيخ الشريف، ثم ابنه محمد، ثم أخوه رشيد، ثم أخوه مولاى إسماعيل، ثم ابنه أحمد الذهبى، ثم أخوه عبد المالك، ثم رجع الذهبى، ثم أخوه عبد الله، ثم أخوه على وخلع ورجع عبد الله مرة ثانية، ثم أخوه المستضىء ورجع عبد الله ثالثة ثم/ أخوه زين العابدين وخلع ورجع (ص١٧١) عبد الله رابعة وخامسة، ثم ابنه سيدى محمد بن عبد الله صاحب التاليف (كذا) العديدة، ثم ابنه اليزيد، ثم أخوه مولاى سليمان، ثم مولاى عبد الرحمن، ثم ابنه مولاى محمد، ثم ابنه مولاى الحسن وهو الموجود الآن. وأتيت بهذا لإتمام دول المغرب الأقصى (كذا).

* * *

منشآت الإسبان بوهران

ولما دام الملك للإسبانيين بوهران بنوا بها البناء المحكم الضخم فبثوا سورها وزادوا فى بناء البرج الأحمر وبرج المرسى وبنوا مرجاج وبرجى رأس العين وبرج المرسى الثانى وبرج الحمارات والبرج الجديد وبرج الدهان وبرج الويز وبرج فراند وبرج كارلوص. وذكروا أن البرج الجديد أقامته امرأة نصرانية بتسعين ألف ريال كبيرة من خالص مالها صدقة عليها ليتقبل الله منها عملها وإنما يتقبل الله من المتقين. وأما برج اليهودى فبناه يهودى فنسب إليه والبرج الأحمر وبرج المرسى بناهما أبو الحسن المرينى لكن النصارى زادوا فيهما فاتسعت دائرتهما وبرج الإصبايحية بناه الأتراك والقبة التى بالبرج الأحمر بناهما الباى محمد الكبير بن عصمان، فاتح وهران، وما عدا ذلك مما فيه عظمة البنيان، فإنما بناه ملوك بنى زيان.

ثم غزوا العبيد الشراقة حذو المقطع فى جيش ضخم خرجوا به من وهران ومروا على قديل ثم رزيو ثم الصنهاجى ويقال له الزناقى أيضًا إلى أن وصلوا إلى المقطع وانحدروا للشراقة وكان الخبر تقدم لهم فاجتمع معهم الغرابة وهبرة والبرجية ومجاهر فاختل المصاف على النصارى ودارت الدائرة عليهم فكان أكثرهم غنيمة للمسلمين ورجع فلهم لوهران ومن ثم أتوا بحميان من ملاتة لهذه الأرض التى عم بها الآن ترسًا بينهم وبين هؤلاء الأعراش فكان حميان تارة مذعنين وأخرى ممتنعين.



خريطة الأنفاق الأرضية التي كانت تربط بين القلاع والحصون التي تحيط بمدينة وهران خلال الاستعمار الإسباني

التحرير الأول لوهران عام 1708م.

ثم فيليب الخامس وولده ألوى[1] الرابع عشر وهو ببطن أمه وتولى سنة سبع عشرة ومائة وألف[2] وبقى فى الملك أربع وعشرين سنة وبقيت وهران كسائر مملكة إسبانيا تحت حكمه واشتدت شوكة النصارى على المسلمين إلى أن تولى بوقته شريف النسب، وكثير اللجين والذهب، إمام جامع المجادة الأزهر، وبدر مطالع السعادة الأزهر أبو الفتوحات الربانية القائم فى أيالة/ محروسة الجزائر بتصرفات الدولة العثمانية، أبو عبد الله محمد خوجة بن على داى (ص172) الجزائرى الدار، النكدلى المنشأ القرشى النجار المعروف ببكداش، المنصور بالله على النصارى الأوباش، قدس الله روحه وبرد ضريحه، باشة بالجزائر، التى هى مأوى لكل قاطن وزائر، يوم الجمعة منسلخ ذى القعدة الحرام، سنة ثمانٍ عشر من القرن الثانى عشر[3] بلا انصرام، بعد عزل الباشة الذى قبله الشريف السيد حسين خوجة، الصائر للأمور المحوجة، جهز الجيوش لباى الجهة الغربيةالمجتمعة الخالية الفواق الموافق لها فى سائر الأحوال المواق أبى الشلاغم مصطفى بن يوسف المسراق إعانة له لما هو فيه من الحصار لوهران فى جيشه المخصوص به من الترك والعربان لنظر صهره ورديفه السالم من جميع المحن، وزيره أوزن حسن فجاء بالجيوش برًّا وبحرًا، وخيموا على أرجائها سهلًا ووعرًا، فى جنة المأوى ورهبة من نار السعير، وصارت الجنود البحرية تنزل بمرسى رزيو ثم تذهب لوهران فرارًا من المانع بالبحر من المراكب المشحونة بالعديان (كذا) فحاصروا وهران وضايقوها من كل وجه متفق ومتخالف واشتد القتال وكثر النزال بها مدة والحرب مترادف، وشوهد للمسراق فى حال الحروب أمور عجيبة، وحملات على الأعداء غريبة، بانت فيها شجاعته وكفايته وفراسته وعنايته ولا زالت جيوش الإسلام تحاربها وتنال منها الغنائم والمثوبة والإجراء (كذا) وتراوحها وتصابحها وتعالجها بالقتال الذريع إلى أن

---

(1) يقصد لويس.

(2) الموافق 1705-1706م.

(3) الموافق 5 مارس 1707م.

فتحوها عنوة وقهرًا، وذلك صبيحة يوم الجمعة سادس عشرين شوال سنة تسع عشرة من الثانى عشر[1] بعد إقامة النصارى بها مائتى سنة وخمس سنين فى ما اشتهر، وإلى ذلك أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

لما أراد الله عود الإيمان بها أقام بالجزاير مذهب الدمس
محمدًا بكداش أضحى باشتها قد فاق الأكفاء فى الدهاء والرعس
جهز أجنا بالأتراك مشحنة فى شرقها نزلوا فى برها اليبس
مدافعًا وعرادات أتانا بها أضحى لذلك حزب الكفر منبئس
/ فى كل حين أوزن حسن يزاولها وقائف مصطفى ذو البأس والفرس
ففتحت عنوة فى تسع عاشرة من بعد سكنى به والدين فى وكس
عاقبة الغدر للبوار قد قررت سنة ربنا قد سنها فى جرس
أضحت مراتع أمن للأنام وقد كانت لها طيبات الأنس فى دنس
حكم الالآه (كذا) كما قد ترى قدره لو شاء ما ملكوها عشر النفس

وقال الشيخ الحافظ أبو عبد الله سيدى محمد التغريرى فى رجزه ما نصه:

الحمد لله الذى فتحًا وهران عن أيدى الرجال الصلحا
وقهر القوم اللئام الفجرة ورفع الإسلام فوق الكفرة
فى مدة القوم السلطان فخر الناس أحمد خاقان أبى العباس
من ملك البرين والبحرين ومصر والشام بدون مين
وخادم الحرمين فى طول المدا دام انتصاره على جمع العدا
يا سائلًا عما بوهران ظهر من أخذها وفتحها كما انتشر
أخذها الكفار والثبات فيما رويناه عن الثقات
سنة أربع وعشرة مضت من بعد تسعمائة قد كملت

(1) الموافق 19 جانفى 1708م.

فمائتـــان مــع خمســة ســنين عــدة مكثهــا بأيــدى المشركــين
ثــم بــدا العــز مــن الالآه (كــذا) وجاءنــا الفــتح ونصر الله
ففتحــت ســنة تســعة عشر ومائــة مــن بعــد ألــف تعــبر
فى ســادس العشريــن مــن شــوال صــبيحة الجمعــة خــذ مقــال
عــن يــد مــن قســد صــير الجزايــر ثــم قفــا درجــة مــن عسرة الــرطس
محمــد بكــداش فخــر الدولــة وحســن صــهره عــالى الصــولة
زاد الإلــه لهــما فى الــنصر والظفــر وافتتــاح أرض الكفــر
لا زال مــن عادهمــا فى الانتقــام بــالقهر والنهــب عــلى طــول الــدوام
ثــم الصــلاة عــن محمــد الأمــين وعلــه وصــحبه والتــابعين
/ مــا جاهــد الإســلام فى الكفــار بالقتــل والأسر وأخــذ الثــار

وقال الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلفاوى التلمسانى فى رجزه:

إذا جمــع الــرأى بــأمر حــازم عــلى الجهــاد لم يعقبــه جــازم
مجهــزًا جيشًــا حمــى الــدين فســاد إذ ظهــرت بــه بقــاع مــن فســاد
فنهضــوا لله حزمًــا وأعــد معهــم آلــة حــرب لا تعــد
مــن نحــو بــارود وكــم مــن مــدفع ومنجنيــق مــا لــه مــن مــدفع
مــؤمرًا صــهره أوزن حــسنا قرمــا رضى فســار ســيرًا حسنًا
والحــازم العــارف بــاى مصــطفى وهــو مــن الأقيــال قــايف مصــطفى
ثمــت نــادى بالجهــاد فى الــورى مقــدمًا مــا كــان عنــدهم ورى
فســارع النــاس لــه إذ طلبــه لا ســيما جماعــة مــن طلبــه
فنزلــوا الأول مــن ربيــع النبــوى منســلخ الربيــع
فى عســكر بيوتــه عنــد مقــر وتركــوا الأثقــال فيــه فى مقــر
وقصــدوا حصــونها بكــل شــق بزمــان تاريخــه يهــد شــق

فـــاجتمع الجـــيش بـــذلك الثغـــر جمعًـــا كبنيـــان رســـا أو ثغـــر
ونصـــبت مـــن حولهـــا مـــدافع للرمـــى كـــل أســـد مـــدافع
ومرعـــدات كورهـــا فى الجـــو كـــنجم رمـــى مـــن سـماه يهـــو
تلمـــع مـــن خلالهـــا البـــوارق ووقعهـــا أمضى مـــن الصـــواعق
فـــأججوا نـــار الحـــرب اسرمـــدا وتابعوهـــا باعتنـــاء طـــول المـــدا
فنثـــروا مـــا نظمـــوا مـــن عقـــدها ونقضـــوا مـــا أبرمـــوا مـــن عقـــدها
فكـــان بـــاكورة ذاك الفـــتح بـــرج العيـــون ضـــامنا للـــنجح
عـــاشر يـــوم مـــن جمـــاد الأخـــرا يـــوم الثلاثـــاء مســـاء قسرا
ثمـــت حصـــنها الـــذى تقنعـــا بالســـحب واغتـــال الأســـود ونعـــا
قلعـــة مرجـــاجو التـــى لـــو قلعـــت شـــوامخ الأطـــواد مـــا تقلعـــت
وإذ دعاهـــــا الله للإســـــلام ألقـــت لـــه القيـــاد باستســـلام
/ فأصـــبحت ترمـــى العـــدا بـــالكور ســـابع عشريـــن مـــن المـــذكور
وانحـــدروا الـــبرج بـــن زهـــو وقـــد حـــل بـــه مـــن نـــار حـــرب قـــد وقـــد
ضـــنًّا بـــه وظـــنهم مـــانعهم فكـــان مـــن حيـــاتهم مـــانعهم
ســـقوا بـــه مـــرارة وكـــم حلـــت عيشـــتهم بـــه دهـــرًا قـــد خلـــت
مـــن بعـــده لغـــم هـــد جـــل جرفـــه وحصرهـــم بـــه يـــنقط حرفـــه
ثـــم أتـــى الجـــيش لـــوهران ولم يـــك مقاتـــل بهـــا إلا ألم
وبالجديـــد برجهـــا الحـــام لهـــا لم تغـــن آلـــة بهـــا حاملهـــا
ففتحـــا يـــوم العروبـــة معـــا فتحـــا أرى فى الأنـــدلس مطعـــا
بســـادس العشريـــن مـــن شـــوال أكـــرم بـــذاك العيـــد فى التـــوال
وافتـــتح الأحمـــر فى الغـــد وقـــد رآوا لظـــى مـــوت شـــبيه انقـــد
وذى حصـــون عـــنهم لم تغـــن وعـــد مـــا ســـور بهـــا لم يغـــن

وانقلبــوا مـــن بعـــد ذا للمـــرسى فأصـــبح الجـــيش عليهـــا مـــرسى

واشـــتدت الحـــرب عليهـــا واحتمـــوا بـــالبحر والطـــود الـــذى فيـــه رســـوا

فلـــم يكـــن لهـــم مـــن الله وزر بـــل مكـــن الإســـلام مـــنهم ونصر

ففتحـــت مـــن بعـــد حـــرب وعنـــا ورمـــى مرعـــدات علـــج ذى اعتنـــا

ولغـــم ببرجهـــا قـــد شـــقه وكـــان ذاك عـــام هـــدوا شـــقه

ثالـــث عـــاشر مـــن المحـــرم لا جعـــل الله بهـــا مـــن محـــرم

وانـــكسرت شـــوكة مـــن بـــالكفر يلـــوذ أولـــه اعتنـــا بـــأمر

ومزقـــوا تمزيـــق آلاعســـباء وأصـــبحوا مـــا بـــين قتـــل وســـبا

وأخرجـــوا بالـــذل للأســـار فى عـــدد كفـــر صـــغار ســـار

وانقرضـــت دولـــة ذى الفســـاق والحمـــد لله الكـــريم البـــاق

وانتصـــف الإســـلام مـــنهم وغـــدا بـــين قتيـــل ذى حيـــاة أبـــدا

وذى حيـــاة لا يـــزال للعـــدا ســـهمًا بكـــل مرصـــد مســـددا

/ لله مـــن قـــد صـــار مـــنهم فى الثـــرى ومـــن أبـــاح الـــنفس مـــنهم والشـــرى

وقد تعرض بعض الأدباء البلغاء لوصف المدينة وأبراجها وفتحها ومن فتحها فى قصيدة عروبية ملحونية فى غاية الإتقان ومن أرادها فليطالعها فى شرح «الجامعى» لرجز الحلفاوى.

* * *

الدولة الثامنة: الترك

ثم ملك وهران الدولة الثامنة وهم الترك ويقال لهم الأتراك واختلف فى سبب تسميتهم بذلك على قولين:

فقال بعضهم: إنما سموا بذلك لأنه نسبة لجدهم ترك بن كومر بن يافث بن نوح عليه السلام. قال: وفى قلبى منه شيء، وقال ابن هشام فى «التيجان»: إن أمة من ياجوج وماجوج آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنى (كذا) السد بأرمينية فسموا لذلك بالترك. انظر القسطلانى فى السفر الآخر من شرحه للبخارى. وفى كتاب «بدء الخلق» عنه أيضًا عن قاتدة أن ياجوج وماجوج اثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وترك واحدة منهم (كذا) فسموا بذلك الترك.

واعلم أنه لا خلاف فى أنهم من ذية ترك وإليه ينتهى نسبهم وإنما الخلاف فى كون ترك ولد ليافث من صلبه أو حفيده. فقال صاحب الخميس: لترك من ولد ترك بن يافث لصلبه من نوح عليه السلام فهم إخوة الخزر والصقالبة والتاريس والمنسك وكار والصين. وقال أبو الفوز السويدى فى «سبائك الذهب»، والحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار: الترك من ولد ترك بن كومر بن يافث بن نوح عليه السلام فهم إخوة الفرنج. وقال ابن سعيد المغربى فى تاريخه: هو ترك بن عابر بن شثويل (كذا) بن يافث بن نوح عليه السلام، فإخوتهم فى يافث: ياجوج وماجوج، والفرنج، والخزر، والصقالبة، والتاريس، والصين، والكار، والمنسك، وغيرهم. وإلى ذلك أشار صاحب تحفة الطلاب بقوله:

(ص١٧٧)

أولاد نـــوح عليـــه الســـلام   ســـام ويافـــث كـــذاك حـــام

عـــرب فـــارس وروم ويهـــود   لا غـــيرهم مـــن نسـل ســام المقصـــود

/ ســـودان هنـــد نوبـــة زنـــج حـــبش   قـــبط وبربـــر مـــن حـــام انـــتقش

صـــقالبة تـــرك وأوس خـــزرج   يـــاجوج مـــن يافـــث زد ومـــاجوج

نسل الأتراك وسلاطينهم

قال: وفى القلب من كون الأوس والخزرج من ولد يافث شيء، ويقال للترك: ليوث بنى آدم فى الحروب، وملكهم يلقب بالخاقان من أول دولتهم إلى الآن. وهم أمة قديمة عظيمة تضاهى أمة فارس والروم وغيرهما. وملكهم قديم من عهد الملوك الكينية ولهم بطون كثيرة.فمنهم التركمان؛ أى: ترك الإيمان أسلم منهم فى شهر مائة ألف، والخزر أسلموا على يد حذيفة بن اليمانى صاحب سر رسول الله ﷺ، والزُط بضم الزاى، والتتار، والغور، وهم الغزو والفنجاق وهم الفخشاخ، والقرج على قول والجركس، والعبلات ويضاف إليهم اللات والشركس والأزكش والروس والبلغار والبرجان والهياطلة وهم الصغد والصقالبة والأكراد ورهيل والعثامنة ملوك سلامبول وهو إسطنبول. وذكر السخاوى فى الضوء اللامع: أنهم من آل عثمان بن عفان واستغربه الحافظ أبو راس والسيوطى، الصحيح أنهم من ولد عثمان الغازى من الترك والصول إلى غير ذلك.

ومسكنهم فى أقصى (كذا) المعمور وما وراء النهر إلى الصين والسد الذى بناه ذو القرنين فهم ممتدون من بلخ إلى الصين ومتوغلون فى المشرق وشمال القسطنطينية وبحر نيطش حتى أن منهم أهل جرجان وخزرجان ودستان وقالى قالا وبردعة وغيرهم. ومن تخومهم بخارى وسمرقند. قال القسطلانى على البخارى: وهم أجناس مدن وحصون وقرى وأهل جبال وبرارى. ولما فشا فيهم الإسلام صار إمامهم فى الاعتقاد أبو منصور الماتريدى كالأشعرى عندنا وكلهم على هدى من ربهم. ولم يكن اختلاف بين الأشعرية والماتريدية إلاَّ فى ثلاث عشرة مسألة (كذا) لا تؤدى للتبديع فضلًا عن التكفير، منها مسألة (كذا) ولا يرضى لعباده الكفر هل لعموم الناس أو للخصوص، ومسألة (كذا) التكوين التى أخلَّ بها الشيخ السنوسى فى كتبه الخمسة غاية الإخلال وما ينبغى له ذلك. وسبب انتشارهم فى الأرض/ أنَّ جدَّ سلاطينهم المنتمين له وهو عثمان خاقان بن أرطغول بن سليمان شاه بن قبا ألب بن قزل بوعا بن يندر خان بن أبقوة تلوغ بن باينسنقر خان بن باقى، أو ابن سوغا وجاق بن توقمتمون خان بن باسوف بن كوكب ألب خان بن أرغون خان بن قراخان بن أيقوتلو خان بن توراق خان بن قراخان بن باى سرب

خان بن يلواج خان بن باى بك خان بن طغرل خان بن أى طوغش خان بن كوج بك خان بن أرتوق خان بن قمارى خان بن يكتمور خان بن طورج خان بن قمرى خان بن قزل بوغا بن يماق خان بن باش بوغا خان بن قاى خان بن حمور ميرخان بن يلى سرب خان بن قراجاد خان بن بالجق خان بن قرماش خان بن قرة أو غلان خان بن سليمان شاه خان بن قرة خول خان بن قوزلوغان خان بن يلى تمورخان بن تورمش خان بن قوى خان بن جين بن ماجين بم بوجاس بن ترك بن كومر بن يافث بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوح بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. قاله فى السبايك كان جده ملكًا ببلد ماهان قرب بلخ ولما غزاهم جنكز خان التتارى وخرب بلخ وأخرج منها سلطانها علاى الدين خوارزم شاه خرج سليمان شاه من ماهان بخمسين ألف بيت من الترك إلى أرض الروم ومرَّ بحلب وعبر الفرات فغرق بفرسه فيه وأخرج ودفن أمام قلعة سيدنا جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وتفرق من معه وكانت أولاده (كذا) أربعة عاد منهما (كذا) اثنان للعجم وهما سنقرود ويقدار وتوجه اثنان لبلاد الروم وهما أرطغول وكون دوغذك وقدما على علاى الدين السلجوقى سلطان قرمان وقونية فأكرمهما وأذن لهما فى الإقامة فاجتمع عليهما طائفة من الغزاة وأذن لهما علاى الدين المذكور فى الجهاد سنة ست وسبعين من السابع[1] فاستقرَّا ما بين قرة (كذا) حصار وبلجيك وصار الجهاد شأنهما إلى أن مات أرطغول سنة ثمانين/ وقيل تسع وثمانين (ص179) من السابع[2] وخلَّف أولادًا أمجادًا أنجادًا أشدهم وأقواهم السلطان عثمان فلازم الجهاد كأبيه فلقب بالغازى إلى أن تولى على بلاد الروم وانضاف عليه جند السلجوقى لما ضعف ودخل فى طاعته إلى أن تولى موضعه وبقى على الجهاد إلى أن توفى سنة خمسًا أو ست وعشرين من الثامن[3] فهذا سبب انتشارهم. ولما توفى السلطان عثمان الغازى الذى هو أول العثامنة تولى ابنه أورخان يوم موت أبيه وبقى فى الملك خمسًا وثلاثين سنة، وهو الذى فتح بروسيا وجعلها مقر سلطنته

---

(1) الموافق 1277- 1278م.

(2) الموافق 1281- أو 1290م.

(3) الموافق 1325 أو 1326م.

وفتح قلاعًا وبلادًا كثيرة حتى فاق والده فى الجهاد وعاش ثلاثًا وثمانين سنة. ثم ابنه مراد بك خان تولى يوم موت أبيه وهو سنة إحدى وستين وسبعمائة[1] وبقى فى الملك إحدى وثلاثين سنة وافتتح بلادًا كثيرة منها أدرنة وعاش خمسًا وستين سنة وهو أول من اتخذ المماليك وسمّاهم ينكجرى[2] ومعناه العسكر الجديد وألبسهم اللباد المثنى إلى خلف وسماه بُرْكًا بضم الباء وسكون الراء آخره كاف وكانت له صولة عظيمة على الكفار.

ثم ابنه يلدرم بايزيد خان ومعنى يلدرم الصاعقة تولى يوم موت أبيه وهو سنة اثنين وتسعين وسبعمائة[3] وبقى فى الملك ست عشرة سنة وقد استولى على قلاع كثيرة للنصارى وبلادهم وأراضيهم. ثم ابنه محمد خان جلى تولى سنة ست عشر وثمانمائة[4] وبقى فى الملك تسعة أعوام وبذل نفسه فى الغزو إلى أن فتح بلادًا وقلاعًا كثيرة وبنى (كذا) مدارس وعماير.

ثم مراد خان الثانى تولى سنة خمس وعشرين وثمانمائة[5] وبقى فى الملك إحدى وثلاثين سنة وقد فتح فتوحات ومهد الممالك وأقام الشرع والدين. ثم أبو الفتوحات محمد خان بن مراد تولى سنة ست وخمسين وثمانمائة[6] وبقى فى الملك إحدى وثلاثين سنة وهو أعظم سلاطين آل عثمان وهو الذى فتح القسطنطينية العظمى وجعلها دار ملكه. ثم بايزيد خان الثانى تولى سنة ست وثمانين وثمانمائة[7] وعاش اثنين وستين سنة وافتتح قلاعًا كثيرة وحصونًا شهيرة. وأصابه مرض النقرس فاستولى عليه وهو أكثر مرض آل عثمان إلى أن مات سنة ثمانى عشر وتسعمائة[8] بعد ما ملك ثلاثًا وثلاثين سنة. ثم/ (ص180) ياوز سليم خان الأول تولى سنة ثمانى عشرة وتسعمائة وبقى فى الملك تسعة أعوام ولم تطل سلطنته لكثرة سفكه للدماء وهذه عادة الله فى السلاطين والأمراء

---

(1) الموافق 1395م.

(2) يقصد الجيش الانكشارى.

(3) الموافق 1389م.

(4) الموافق 1413م.

(5) الموافق 1421م.

(6) الموافق 1451م.

(7) الموافق 1481م.

(8) الموافق 1512م.

والحكام إذا أكثروا سفك الدماء لا يطيل لهم مدة وهو الذى فتح مصر وأزال الدولة الجركسية وفتح حلب والشام وغيرها من البلاد وجهّز الجيوش لخير الدين بن المدلية ففتح الجزائر ثم جهّز الجيوش لدرغوث ففتح طرابلس الغرب. ثم سليمان شاه خان تولى سنة ست وعشرين وتسعمائة[1] وذلك يوم موت والده المذكور وبقى فى الملك تسعًا وأربعين سنة وعاش أربعًا وسبعين سنة وكان سعيدًا ذا خيرات حسان وهو الذى فتح بغداد دار السلام وعراق العرب وجهز الجيوش لإخراج النصارى من إفريقية وبجاية فأخرجوا وألطف تاريخ وضع فيه تاريخ العراق. ثم سليم خان الثانى تولى سنة أربع وسبعين وتسعمائة[2] وبقى فى الملك تسعة أعوام وكان كريمًا رءوفًا بالرعية حليمًا عفوًا عن الجرائم محبًا للعلماء والصلحاء محسنًا للعلماء والمشايخ والفقراء وفتح بلادًا كثيرة منها جزيرة قبرس وغيرها من البلاد الكبار المشهورة.

ثم مراد خان الثالث تولى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة[3] وبقى فى الملك عشرين سنة وكان مهابًا همامًا، وأسدًا ضرغامًا، وهزبرًا مقدامًا. ثم محمد خان الثالث تولى يوم موت والده وهو سنة ثلاث وألف[4] وهو ابن خمس عشرة سنة وبقى فى الملك تسعة أعوام وكانت سلطنته خالية من الأكدار وهو الذى فتح أكرى[5] التى تجيشت عليه النصارى فيها لقتاله بما يزيد على أربعمائة ألف مقاتل ومنحه الله النصر عليهم فهزمهم إلى أن صار يقتل بعضهم بعضًا من الزخام. ثم ابنه أحمد خان الأول تولى يوم موت والده وهو سنة اثنا عشر وألف[6] وبقى فى الملك أربع عشرة سنة قهر جميع الأعداء وله مآثر (كذا) حسان فى مكة والمدينة لم يسبقه أحد إلى مثلها من آل عثمان وهو الذى أرسل إلى الروضة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الكوكب الدرى الذى لا قيمة له واستولى على بلاد متعددة قيل: إلى حد بروسيا. / ثم مصطفى خان بن محمد (ص١٨١)

---

(1) الموافق 1520م.

(2) الموافق1566م.

(3) الموافق 1574م.

(4) الموافق 1595م.

(5) لم نتعرف على موقعها.

(6) الموافق 1603م.

خان تولى يوم موت أخيه وهو سنة ست وعشرين وألف[1]. وبقى فى الملك ثلاثة أشهر وخلع نفسه فى ربيع الأول سنة سبع وعشرين وألف[2] وكان أهل الفضل والعبادة، والصلاح والإجادة، لا يلتفت إلى الدنيا وزهرتها، ولا يميل إلى زينتها ونضرتها، متجنبًا لها وعنها، وهاربًا ومستوحشًا منها وأجدره بقول الشاعر الأديب الخرير الحاذق البارع الماهر:

لاحــت لــه الــدنيا تريــد خداعــه لاكنّــه (كــذا) بغرورهــا لم يخــدع

وتزينـــت لتروقـــه بجمالهـــا فـــأبى وطلّقهـــا طـــلاق مـــودع

ثم عثمان خان تولى يوم خلع عمه مصطفى نفسه وهو سنة سبع وعشرين وألف وبقى فى الملك خمسة أعوام واستولى على بغداد وما وراءه وغزا الفرنج وانتصر عليهم ثم أراد السفر للحج فقام عليه العسكر وقتله بخامس رمضان سنة اثنين وثلاثين من الحادى عشر[3] وقال فيه بعض الشعراء:

قضى عـــثمان ســـلطان البَرايـــا بأســـياف العســـاكر والجنـــود

ووافتـــه المنايـــا فى السّرايـــا مؤرخـــة كعثمان الشـــهيد

ثم رجع للمملكة عمه مصطفى خان بن محمد خان المخلوع مرة ثانية يوم موت ابن أخيه عثمان وبقى على عادته من رفضه للدنيا كالمرة الأولى وعدم مبالاته بها إلى أن خلع نفسه ثانيًا لشهرين من توليته.

ثم مراد خان الرابع تولى بموضع عمّه مصطفى يوم خلع نفسه وهو عام اثنين وثلاثين من القرن الحادى عشر[4] وبقى فى الملك سبع عشر سنة وعاش ثمانًا وعشرين سنة وكانت له مناقب كثيرة. ثم إبراهيم خان تولّى سنة تسع وأربعين وألف[5] وبقى فى الملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر

---

(1) الموافق 1617م.

(2) الموافق فيفرى مارس 1618م.

(3) الموافق 1623م. والحقيقة أن هذا هو مراد الرابع، وليس عثمان هذا الذى أورده.

(4) الموافق 1623م.

(5) الموافق 1640م.

وعاش ثلاثًا وأربعين سنة وهو الذى فتح جزيرة كريد[1] سوى قلعة منها لم يفتحها لحصانتها. ثم محمد خان الرابع تولى سنة ثمانٍ وخمسين وألف[2] وبقى فى الملك إحدى وأربعين سنة وخلعه الجند سنة تسع وتسعين وألف وتوفى سنة أربع ومائة وألف عن ثلاث وخمسين سنة وله فتوحات كثيرة. ثم سليمان خان الثانى تولى يوم خلع أخيه/ محمد وهو سنة تسع وتسعين وألف[3] وبقى فى (ص182) الملك ثلاثة أعوام ونصف وتوفى سنة اثنين ومائة وألف وهو ابن خمسين سنة وبمجرد جلوسه على كرسى المملكة التفت لقتال النصارى فسألوا منه المهادنة أربعة أعوام فوافقهم على ذلك لاقتضاء نظره الواسع فى مصالح المسلمين ذلك. ثم أحمد خان تولى سنة اثنين ومائة وألف[4] وبقى فى الملك أربعة أعوام ونصفًا. ثم مصطفى خان الثانى تولى سنة ست ومائة وألف[5] وبقى فى الملك تسعة أعوام.ثم أحمد خان الثالث تولى سنة خمس وعشرين ومائة ألف[6] وبقى فى الملك ثمانٍ وعشرين سنة وتوفى سنة ثلاث وأربعين من الثانى عشر وهو ابن ستين سنة. وفى وقته فتحت وهران من الإسبانيين الفتح الأول وذلك سنة تسع عشرة من الثانى عشر على يد باشة الجزائر الشريف السيد محمد بكداش ووزيره أوزن حسن وباى الإيالة الغربية الجامع بين مازونة وتلمسان مصطفى أبى الشلاغم بن يوسف المسراتى كما مّر وإلى ذلك أشار الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى بقوله:

وكان ذا فى دولة الإمام فخرا الملوك ضابط الإسلام
ملك مصر والعراق واليمن والشام والبرّين خير مؤتمن
أبى الفتوحات التى لم تحصر كادت تقضى ملك آل قيصر
أحمد خاقان الهمام المرتضى سيف الإله فى الأعادى منتضى

---

(1) يقصد كريت.
(2) الموافق 1648م.
(3) الموافق 1687م.
(4) الموافق 1691م.
(5) الموافق 1695م.
(6) الموافق 1713م وهو خطأ لأنه تولّى عام 1115 هـ الموافق 1703م.

لا زال تحـــت رايـــة الإقبـــال والـــنصر والفـــتح قريـــر البـــال

وراجع ما مرّ للتغريرى فى رجزه فى فتح وهران فهو أول من ملك وهران من سلاطين آل عثمان. ثم محمود خان الأول تولى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف[1] وبقى فى الملك أربع أو خمس وعشرين سنة توفى سنة سبع وستين. ومائة ألف وهو ابن ستين سنة. ثم عثمان خان الثالث تولى سنة سبع وستين ومائة وألف[2] وبقى فى الملك أربعة أعوام. ثم مصطفى خان بن أحمد خان تولى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف[3]، وبقى فى الملك سبع سنين. ثم عبد الحميد الأول خان تولى سنة ثمانى/ وسبعين ومائة وألف[4] وبقى فى الملك ست عشر سنة كاملة. ثم سليم خان (ص183) الثالث بن مصطفى خان تولى سنة ثلاث ومائتين وألف[5] وبقى فى الملك سنة واحدة وعاش ثلاثين سنة. ثم محمود خان الثانى تولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف[6] وبقى فى الملك اثنين وثلاثين سنة وعاش خمسًا وخمسين سنة ونصفًا، وفى وقته انعقدت البيعة للحسنى السيد الحاج عبد القادر بن محيى الدين المختارى المخلص على المغرب الأوسط فى يوم الاثنين أو الأحد ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين من الثالث عشر[8] بموضع يقال له: الدردارة من أراضى الحشم بغريس التى هى محل موسم رجال غريس المعبر عنها بالوعدة وخرجت الجزاير عن الأتراك يوم الاثنين أو السبت ثالث أو رابع عشر من المحرم فاتح سنة ستّ وأربعين من الثالث عشر[9] ودخلت بيد الفرانسيس. ثم عبد الحميد خان بن محمود خان بن عبد الحميد خان تولى

---

(1) الموافق 1730م.
(2) الموافق 1754م.
(3) الموافق 1757م.
(4) الموافق 1774م.
(5) الموافق1789م.
(6) الموافق 1807م.
(7) الموافق 1808م.
(8) الموافق 2 فيفرى 1833م.
(9) الموافق 5 جويلية 1830م.

سنة خمس وخمسين ومائتين وألف[1] وبقى فى الملك اثنين وعشرين سنة ونصف وعاش تسعًا وثلاثين سنة وكانت بينه وبين الموسكوا حروب كثيرة سجال فى سنة إحدى وسبعين من الثالث عشر[2] وأعانه فيها الفرانسيس وذلك شأن الملوك الضخام وآل الأمر فيها إلى الصلح بين الفريقين انعقد بباريز ثم عبد العزيز خان تولى سنة سبع وسبعين ومائتين وألف[3] وبقى فى الملك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعاش ثمانًا وأربعين سنة، وفى وقته كان الإمام أبو الفوز السويدى مؤلف كتاب سبايك الذهب. ثم مراد خان الخامس تولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف[4] ثم خولع (كذا) لما خولط فى عقله سنة توليته، وسببه أنه رأى عمه السلطان عبد العزيز قد فصد وقهره الدم وغلبه فمات فجأة (كذا) فاختلط بذلك فى عقله وسلَّم فى الملك للسلطان عبد الحميد بعد ما ملك ثلاثة أو ثمانية أشهر وكان لعمِّه عبد العزيز وقائع كثيرة وحروب جليلة لكنه خدعته الوزراء فى ذلك ولولا أن الله أيقظه لتلاشى الملك العثمانى واضمحل بالكلية فبادر/ للصلح بغاية (س184) الإعزام وانتقم من الوزراء غاية انتقام. ثم عبد الحميد خان الثانى وهو الموجود الآن تولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف[5] قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران ومدحه العلامة الأفندى أبو الهدى الصيادى فى كتابه: قلادة الجواهر فى ذكر الغوث الرفاعى وأتباعه الأكابر بقصيدة رائية من بحر البسيط مشحونة بجوهر كل معنى وسيط، فقال:

طاب الزمان وطاب الوقت والعمر ... بظلِّ ركن لديه الزهر تنحدر

ركن الخليفة سلطان البرية من ... بباب علياه لاذ البدو والحضر

عبد الحميد إمام الدين سيدنا ... ومن به أمة الإسلام تفتخر

رئيس جحفل حزب المسلمين أمير ... المؤمنين حماهم إن دامت غِيَر

---

(1) الموافق 1839م.
(2) الموافق 1854 - 1855م.
(3) الموافق 1861م.
(4) الموافق 1876م.
(5) الموافق 1876م.

مـــؤدّى حقّــه المـــولى بواقيـــة مــن العنايــة يــمضى وفقهــا القــدر
كالليــث لكـــن لــه عقـــل مزيتــه عظمتـــه دونهـــا الأســـد تحتقـــر
أحيــا مراســـم حـــين جـــاء لـــه كالميـــت كـــان تـــولّى نهبـــه الضرر
فكــفّ عنـــا يـــد الأعـــداء وشـيّده كأنـــه لا انقضـــت أيامـــه الخضر
مـــن آل عـــثمان قـــادات مـــآثرهم عـــلى وجـــوه اليـــالى كلّهـــا غـــرر
رشـــيد رأى أمـــين الطبـــع معتصـــم بـــالله مـــأمون خلـــق واثـــق بصر
كنـز السياسـة ممـدوح الرياسـة مصباح الفراســـة بحـــر ولم ينهمـــر
خليفـة المصـطفى المختـار مـن شرفـت بمجـــد طينتـــه بـــين المـــلا ومصر
إذا ســـال ســـحاب الفضـــل ملتفتًـــا لجـــبر كسر عـــديم يخجـــل المطـــر
وإن أمـــال عنانًـــا يـــوم معركـــة تخالـــه قـــدرًا فى الخصـــم ينـــتشر
رايتـــه بحـــروف الـــنصر بردتهـــا منســـوجة وعليهـــا للـــرضى طـــرر
وطلبـــه ســـالم مـــن كـــل ناقصـــة مـــا شـــأنه عـــن معـــالى أهلـــه قصر
أخلاقـــه ذكرتنـــا الراشـــدين كـــما دلّـــت عـــلى بعضـــها الآثـــار والسّـــير
رشـــيق عـــزم رقيـــق الفكـــر قطعتـــه لحســـن حكمتهـــا يستســـلى الخطـــر
كأنهـــا ســـبغت بالفضـــل طينتـــه ورأيـــه صـــاغه فى فكـــره عمـــر
لا زال مرتفـــع الأقـــدار مبتهجًـــا بعـــزّة وبـــه الإســـلام ينـــتصر

/ وسمى النصارى الآن ملكهم بالميت لخروج جل الرعية عن حكمه حتى لم يبق له إلا طرابلس الغرب وما قارب الآستانة كما سموا ملك المغرب بالمريض المشرف على الهلاك والأمر لله وحده. فهذا ما كان من الكلام على ملوكهم وعليهم بالمشرق.

* * *

أسباب قدوم الأتراك إلى الجزائر

وأما الكلام عليهم ببر الجزائر الذى نحن بصدده فاعلم أنه اختلف فى سبب مجىء الترك للتملك ببر الجزائر على قولين: فقال العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن عسكر الشريف فى دوحة الناشر، والحافظ الشيخ أحمد بابا فى الذيل، والحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار أنّ سبب ذلك هو تغلب النصارى على السواحل ولما رأى العلامة أبو العباس أحمد بن القاضى الزواوى ذلك كتب لسليم سلطان الترك بذلك وسأله النجدة والإقدام فبعث للجزائر الباشا خير الدين ابن المدلية وشقيقيه عروجًا والإسكندر إسحاق بالجيوش ولما قتل إسحاق بالقلعة وعروج ببنى يزناسن تخوّف خير الدين من الشيخ أحمد بن القاضى وقتله فمات شهيدًا وذلك أول سفكهم للدماء ظلمًا ببر الجزائر والقصة شهيرة فلا نأتى بها. وقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار: إن خير الدين وشقيقيه لما شبّوا فى أكمل حالة الرجولية وغاية الشجاعة والعجولية اشتغلوا بالتجارة، وتدربوا بالذكاءة والسياسة والجسارة، ثم عملوا أجفنًا للجهاد فى البحر فأذاقوا النصارى شرًّا، وقهروهم قهرًا، حتى أن عروجًا قطعت يده فى بعض الحروب بقرب بجاية، لكونها كانت عامرة بالنصارى ولهم بها للمسلمين نكاية فكان هؤلاء الثلاثة يأتون بالغنائم ويرسون على مدن الإسلام الساحلية لبيع ما عندهم ويقضوا حوائجهم الخافية والجالية، فرسى خير الدين مرّة أسطوله بمرسى الجزائر وقضى مأربه (كذا) على عادته بالمزايز، فسأله أهل الجزائر فى المبايعة والتملك إليهم، فأجابهم لذلك ومال إليهم، ثم حصل بينهم وبينه كلام فغضب عليهم بالفعل والقول، وذهب عنهم ولم يرجع لهم إلا بعد الحول، فرغبوه ثانيًا فى المكث والمبايعة لإصلاح الدين، فقبل بشرط قتل المفسدين، فعينوا له جماعة منهم وسألهم التحقيق لإتمام كل خير، ولم يزالوا فى التعيين بالنقص إلى انحصار الأمر فى ثلاثة لا غير، فصلبهم على السور، فهم أول من حكم فيه القتل المصطور، واختلف فى وقت مجيئهم على ستة أقوال: فقال: بعض المؤرخين أنهم جاءوا سنة تسع وتسعين من القرن التاسع[1] واستولوا على تلمسان استلاء تامًّا

(1) الموافق 1493– 1494م.

(ص186) سنة إحدى/ وأربعين من العاشر[1] ولا يخفاك ضعفه. وقال الحافظ أبو راس فى زهر الشماريخ، وابن عسكر فى الدوحة، إنهم ملكوا الجزائر فى أول العاشر يعنى فى العام الأول منه[2]. وقال الحافظ عبد الرزاق الجزائرى أن ذاك فى خمسة عشر من العاشر[3] وبه قال العلامة السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمن الشقرانى فى تاريخه: القول الأوسط فى وقايع المغرب الأوسط.

وقال بعضهم فى اثنين وعشرين من العاشر[4] وقال اليفرينى فى «نزهة الحادى» إنهم ملكوا الجزائر فى ثلاث وعشرين من العاشر[5] وبه قال الحافظ أبو راس أيضًا فى «عجائب الأخبار»، وأما الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى فإنه قال فى بضع وعشرين من العاشر فقد أجمل، لأن البضع من الثلاثة إلى التسعة.

وقال الحافظ أبو راس أيضًا فى موضع آخر من الشماريخ إنهم ملكوها فى الخامس والعشرين من العاشر[6] وبه قال الخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الحميرى فى رجزه حيث قال:

فى عــام كــه مــن القــرن العــاشر ... كــان ابتــداء الــترك بــالجزائر

وامتــدّ ملكهــم بهــا كافــا وســين ... حتــى إذا كمــل الوعــد كــان البــين

* * *

(1) الموافق 1534- 1535م.
(2) الموافق 1495- 1596م.
(3) الموافق 1509- 1510م.
(4) الموافق 1516- 1517م.
(5) الموافق 1517- 1518م.
(6) الموافق 1519م.

قائمة الحكام الأتراك بالجزائر

فأول بشواتهم بالجزائر حسن خير الدين بن المدلية ويسمى بذلك لكون أمه من مدينة يقال لها المدلية[1] ووجه ذلك أن السلطان محمد فاتح القسطنطينية ابن السلطان مراد أحد ملوك بنى عثمان افتتح مدينة فى بعض جزر البحر يقال لها المدلية وأنزل فيها حامية من الترك فبعثوا له أن يأذن لهم فى تزويج بنات أهل الذمة من نصارى جزيرة المدلية فأذن له فتزوج والد السيد حسن خير الدين بامرأة منهم فولدت له عروجًا وهو الأكبر وخير الدين وإسحاق. فخير الدين هو سبب سعادة الترك وانتشار صيتهم بالمغرب فكان وجهه للصباحة ولسانه للفصاحة، ويده للسماحة، وعقله للرجاحة. وكان بالغاية القصوى فى الزهد والورع والإنابة والتقوى، ولم يقبل الملك حتى قيل له: إنه واجب عليك. وكان يرى النبى ﷺ فى المنام كثيرًا وكانت له مكاشفة كثيرة حتى إن البعض من الناس أراد اغتياله بمداخلة غلام له فكوشف له عن ذلك وانتقم منه فى الحين. وحاصل الأمر أن المؤرخين لهم اضطرب كثير فى بشاوات الجزائر ما بين مقلل ومكثر ومقدّم ومؤخر. فقال الحافظ عبد الرزاق بن محمد بن أحمادوش الجزائرى فى تاريخه: أولهم إسحاق تولى سنة خمس عشرة من العاشر،/ ثم أخوه عروج سنة ست عشرة وتسعمائة. ثم (ص187) أخوهما خير الدين سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة. ولا يخفاك ضعفه لكون الصحيح أولهم خير الدين كما مر المتولى على الصحيح سنة خمس وعشرين وتسعمائة[2] المتوفى سنة ست وستين من العاشر بعد ما ملك إحدى وأربعين سنة ثم حسن سنة إحدى وأربعين وتسعمائة. ثم حسن أيضًا سنة اثنتين وخمسين من العاشر. ثم صالح سنة تسع وخمسين منه. ثم محمد سنة ثلاث وستين منه. ثم حسن بن خير الدين سنة أربع وستين منه. ثم أحمد بسطانجى سنة تسع وستين منه ثم رمضان سنة أربع وثمانين منه. ثم حسن بن قبطان سنة خمس وثمانين منه. ثم جعفر أيضًا سنة تسع وثمانين

---

(1) الحقيقة أن المدلية نسبة إلى جزيرة مدلى التى تسمى ميتيلان بأرخبيل اليونان. كما تسمى أيضًا ليسبوس.

(2) الحقيقة أن الأخوة الأتراك الثلاثة تمركزوا بمدينة الجزائر عام 1516م، وألحقوا البلاد الجزائرية كلها بالخلافة العثمانية عام 1519م. ونظرًا لطول قائمة الأتراك تعذر إيراد التواريخ المسيحية التى تولوا بها السلطة، المقابلة للتاريخ الهجرى الذى اعتمده المؤلف لأن الهوامش لا تفى بذلك. وسنورد ذلك فى ملاحق الكتاب.

منه. ثم رمضان أيضًا سنة تسعين منه. ثم حسن أيضًا سنة تسعين منه. ثم مامى سنة ثلاث وتسعين منه. ثم محمد أيضًا سنة ثلاث وتسعين منه، ثم أحمد سنة خمس وتسعين منه. ثم أخضر سنة سبع وتسعين منه. ثم شعبان سنة تسع وتسعين منه. ثم مصطفى سنة ثلاث وألف. ثم أخضر أيضًا سنة ثلاث منه. ثم مصطفى أيضًا سنة سبع منه، ثم حسن أيضًا سنة سبع منه، ثم سليمان سنة تسع منه. ثم أخضر أيضًا سنة ثلاث عشرة منه. ثم مصطفى أيضًا سنة خمس عشرة منه. ثم رضوان سنة ست عشرة منه. ثم مصطفى أيضًا سنة تسع عشرة منه. ثم حسن سنة اثنتين وعشرين منه. ثم مصطفى سنة خمس وعشرين منه. ثم حسين سنة سبع وعشرين منه. ثم حسن سنة ثمان وعشرين منه. ثم حسن سنة ثلاثين منه، ثم حسين سنة اثنتين وثلاثين منه. ثم مراد سنة اثنتين وثلاثين منه، ثم أسراف سنة أربع وثلاثين منه. ثم حسن سنة ثلاث وخمسين منه. ثم حسن أيضًا سنة ست وثلاثين منه. ثم أسراف سنة سبع وثلاثين منه. ثم يونس سنة تسع وثلاثين منه. ثم حسن سنة إحدى وأربعين منه. ثم يوسف سنة أربع وأربعين منه ثم على سنة خمسين منه. ثم محمد سنة اثنتين وخمسين منه. ثم أحمد سنة أربع وخمسين منه. ثم محمد سنة إحدى وستين منه. ثم محمد سنة ثلاث/ وستين من القرن الحادى عشر. ثم عبد الله بلكباش سنة خمس وستين منه. ثم (ص 188) إبراهيم سنة ست وستين منه. ثم أحمد سنة سبع وستين منه. ثم إبراهيم سنة تسع وستين منه. ثم خليل بلكباش سنة سبعين منه. ثم رمضان بلكباش سنة إحدى وسبعين منه. ثم إسماعيل سنة اثنتين وسبعين منه. ثم شعبان آغا سنة اثنتين وسبعين منه. ثم على آغا سنة ثلاث وسبعين منه. ثم موسى آغا سنة أربع وسبعين منه. ثم الحاج حسين موزمورط سنة أربع وتسعين منه. وفى نسخة ست وتسعين منه. ثم مصطفى باشا سنة مائة وألف. ثم شعبان خوجة سنة واحد من القرن الثانى عشر. ثم عمر سنة اثنين منه. ثم مصطفى سنة ثلاث منه. ثم موسى سنة خمس منه. ثم أحمد أهجى سنة سبع منه. ثم حسين شاوش قارة باغلى سنة عشرة منه. ثم على سنة اثنا عشر منه. ثم مصطفى أهجى سنة ست عشرة منه. ثم حسين خوجة شريف سنة سبع عشرة منه. ثم محمد خوجة بكداش سنة ثمانية عشرة منه. ثم كوسة سنة عشرين منه. ثم دالى إبراهيم سنة اثنتين وعشرين منه. ثم أوزن على شاوش سنة اثنين وعشرين منه وفى نسخة سنة أربع وعشرين منه. ثم

محمد خزناجى أوزن على سنة ثلاثين منه. ثم عبدى آغا الصبايحية سنة ست وثلاثين منه. ثم إبراهيم خزناجى عبدى سنة خمس وأربعين منه ثم إبراهيم خزناجى سنة ثمان وخمسين منه وهنا انتهى كلام عبد الرزاق. وقال صاحب «الزهرة النيرة» أولهم: عروج تولى فى خمس وعشرين من العاشر. ثم أخوه خير الدين سنة سبع وعشرين منه ولا يخفاك بطلانه مما مرَّ. ثم حسن آغا سنة إحدى وأربعين منه. ثم حسن بن خير الدين سنة اثنتين وخمسين منه ثم حسن آغا أيضًا سنة ثمان وخمسين منه. ثم حسن بن خير الدين أيضًا سنة تسع وخمسين منه. ثم صالح سنة تسع وخمسين منه وهو غير صحيح، والصحيح أنه تولى سنة ست وستين منه وفتح بجاية من الإسبانيين عنوة يوم الأربعاء سابع عشرين شوال سنة ثمان وستين وتسعمائة[1] كما أن الصحيح أن حسين بن خير الدين تولى سنة سبعين من العاشر وغزى وهران فى سنته[2] وغزى المغرب ورجع من ملوية خائبًا كما مرّ. ثم محمد قرطالجى سنة ثلاث وستين منه. ثم حسين بن خير الدين أيضًا سنة ثمان وستين منه. ثم أحمد/ بسطانجى سنة تسع وستين من العاشر. ثم حسن بن خير الدين أيضًا سنة (ص 198) أربع وسبعين منه وتقدم الصحيح ثم محمد بن صالح سنة أربع وسبعين منه وهو غير صحيح والصحيح أنه تولى سنة إحدى وسبعين من العاشر وغزى المغرب تلك السنة فدخل فاسًا عنوة يوم الأحد ثانى صفر من سنته. ثم على العلج الملقب الفطاس سنة سبع وسبعين منه. ثم أحمد أعراب سنة تسع وسبعين منه. ثم رمضان سنة اثنتين وثمانين منه. ثم حسين قبطان على سنة خمس وثمانين منه. ثم جعفر سنة ثمان وثمانين منه. ثم حسين قبطان على أيضًا سنة تسع وثمانين منه. ثم يونس سنة تسعين منه. ثم رمضان سنة تسعين منه. ثم حسين بن خير الدين سنة إحدى وتسعين منه ثم مامى سنة ثلاث وتسعين منه. ثم محرم سنة ثلاث وتسعين منه. ثم مامى سنة أربع وتسعين منه. ثم دالى أحمد سنة خمس وتسعين منه. ثم أخضر سنة سبع وتسعين منه. ثم الحاج شعبان سنة تسع وتسعين منه. ثم مصطفى سنة اثنتين وألف. ثم أخضر سنة ثلاث من القرن الحادى عشر، ثم مصطفى سنة ثلاث منه. ثم دالى حسن سنة سبع منه. ثم سليمان سنة تسع منه.

---

(1) الصحيح أن صالح رايس تولى السلطة عام 959هـ (1552م) وحرر بجاية عام 962هـ (1555م).

(2) الموافق لعام 1563م.

ثم أخضر سنة ثلاث عشرة منه. ثم مصطفى سنة خمس عشرة منه. ثم رضوان سنة ست عشرة منه. ثم مصطفى كوسة سنة تسع عشرة منه. ثم حسين سنة ثلاث وعشرين منه. ثم مصطفى خزناجي حسين سنة خمس وعشرين منه. ثم سليمان سنة ست وعشرين منه. ثم حسين الشيخ سنة سبع وعشرين منه. ثم سليمان سنة ثمان وعشرين منه ثم مصطفى حفيد كوسة سنة ثلاثين منه. ثم حسين سنة إحدى وثلاثين منه. ثم إبراهيم سنة اثنين وثلاثين منه. ثم حسين بن إلياس باى سنة اثنين وثلاثين منه. ثم مراد سنة أربع وثلاثين منه. ثم إبراهيم سنة أربع وثلاثين منه. ثم حسين سنة أربع وثلاثين منه. ثم أسراف سنة خمس وثلاثين منه. ثم حسن خوجة سنة ثمان وثلاثين منه. ثم يونس سنة تسع وثلاثين منه. ثم حسين الشيخ/ سنة إحدى وأربعين من القرن (ص 190) الحادى عشر. ثم يوسف سنة أربع وأربعين منه. ثم على سنة سبع وأربعين منه. ثم حسين الشيخ سنة خمسين منه. ثم يوسف قرطالجى سنة خمسين منه. ثم مراد سنة اثنتين وخمسين منه. ثم محمد برسالى سنة اثنتين وخمسين منه. ثم أحمد سنة أربع وخمسين منه. ثم عمر سنة أربع وخمسين منه. ثم مراد سنة ست وخمسين منه. ثم يوسف سنة سبع وخمسين منه. ثم على أبو صبع سنة إحدى وستين منه وكانت توليته يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس بنحو الساعتين سادس عشرين صفر ثم عزل وتوفى سنة ثمان وستين منه بعد مدة من عزله. ثم محمد سنة ثلاث وستين منه. ثم محمد أبو شناق سنة خمس وستين منه. ثم أحمد سنة خمس وستين منه ثم إبراهيم سنة ست وستين منه. ثم الحاج أحمد سنة ست وقيل سبع وستين منه ثم إبراهيم سنة سبع وقيل ثمان وستين منه. ثم على سنة تسع وستين منه. ثم مصطفى سنة إحدى وسبعين منه. ثم إسماعيل سنة اثنتين وقيل ثلاث وسبعين منه. ثم خليل سنة ثلاث وسبعين منه. ثم رمضان سنة أربع وسبعين منه. ثم إسماعيل سنة خمس وسبعين منه ثم الحاج على آغا سنة ست وقيل سبع وسبعين منه. ثم محمد سنة تسع وسبعين منه. ثم التريكى سنة ثلاث وثمانين منه. ثم بابا حساين سنة ثلاث وثمانين منه. ثم حسين موزمورط سنة أربع وتسعين منه. ثم إبراهيم خوجة موزمورط سنة سبع وتسعين منه. ثم الحاج شعبان خوجة سنة مائة وألف ثم عمر سنة واحد من القرن الثانى عشر. ثم موسى سنة ثلاث منه. ثم شعبان خوجة سنة خمس منه ثم الحاج أحمد سنة خمس وقيل ست منه ثم قارة على

سنة تسع منه. ثم حسن شاوش سنة عشرة منه. ثم على سنة إحدى عشرة منه. ثم بابا الحاج مصطفى أهجى سنة اثنتا عشرة وقيل ثلاث عشرة منه. ثم حسين خوجة شريف سنة سبع عشرة منه. ثم محمد بكداش خوجة سنة ثمانى وقيل تسع عشرة منه. ثم دالى إبراهيم باى سنة اثنتين وعشرين منه. وهنا انتهى/ كلام الزهرة النيّرة. ثم بابا على سنة اثنتين وعشرين من القرن الثانى (ص١٩١) عشر. ثم بابا محمد سنة ثلاثين منه. ثم بابا عبدى سنة ست وثلاثين منه. ثم إبراهيم أفندى سنة أربع وأربعين منه ثم إبراهيم خوجة سنة ثمان وخمسين منه ثم محمد سنة إحدى وستين منه. ثم على سنة ثمان وستين منه. ثم محمد سنة تسع وسبعين منه. ثم حسين سنة ثلاث وقيل خمس من القرن الثالث عشر. ثم مصطفى سنة اثنتا عشرة منه ثم أحمد سنة عشرين منه. ثم على سنة ثلاث وعشرين منه. ثم الحاج على شريف سنة أربع وعشرين منه. ثم محمد سنة ثلاثين منه. ثم عمر آغا سنة ثلاثين منه. ثم الحاج محمد سنة اثنتين وثلاثين منه. ثم على سنة اثنتين وثلاثين منه. ثم حسين سنة ثلاث وثلاثين منه. وهو آخرهم وعليه قامت الدولة التاسعة كما يأتى.

وكان الباشالار يأتى على يد الخليفة الأعظم من استطنبول من أولهم خير الدين بن المدلية إلى عبد الله بلكباش سنة خمس وستين من القرن الحادى عشر كما مر فترك ذلك وصار الباشالار تتفق عليه الأتراك ويقيمونه من الجزائر لا غير.

وأول من أقيم من الجزائر عبد الله بلكباش[1]. ولما فتح مصطفى أبو شلاغم بن يوسف المسراتى وهران كما مرّ. انتقل لسكناها من المعسكر فسكنها بأهله وصيّرها دار ملكه فهو أول باياتها الثمانية الآتى ذكرهم إن شاء الله تعالى واستقر بها إلى أن جاءها العدو السبنيول مرّة ثانية.

* * *

(1) الحقيقة أن الباشا كان يعين من قبل السلطان العثمانى فى اسطنبول ويرسل إلى الجزائر ابتداء من خير الدين. وبقى الأمر هكذا إلى عهد الداى على شاوش عام 1715م، حيث أصبح يختار من طرف ديوان الأوجاق من بين أتراك الجزائر.

عودة وهران لحكم الدولة السابعة الإسبانية

ثم رجع ملك وهران للدولة السابعة الإسبانيين (كذا) فملكها سلطانهم ألوى دابوربوا[1] وذلك أنه تولى سنة إحدى وأربعين ومائة وألف[2] وسلم فى الملك تلك السنة لابن عمّه فيليب الخامس المار فبقى فى الملك المرة الثانية اثنتين وعشرين سنة. وفى السنة الثالثة من توليته وهى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف[3] جهَّز يعنى فيليب لغزو وهران جيشًا عظيمًا فدخلوها/ عنوة (ص 192) وذلك بعد موت الباشا بكداش رحمه الله وفى حياة الباى مصطفى أبى الشلاغم. ولما جاءها العدوّ خرج لقتاله الباى مصطفى أبو الشلاغم المسراتى فى جيش جليل ونشب الحرب معه بمناوشة قليلة قتل فيه النزر من جيشه واستشهد فيه على بن مسعود المحمودى الحشمى وحصلت الهزيمة فى جيشه فلجأ الباى إلى بنى عامر فخذلوه ولما رأى (كذا) ذلك أخذ أهله وأصحابه وأسلمها للعدوّ وذهب لمستغانيهم فصيرها دار ملكه ومكث بها بعد إقامة المسلمين بوهران أربع وعشرين سنة فأخذها النصارى فى المرة الأولى بمالها وأهلها وأخذوها فى المرة الثانية بأكثر ما فيها من الأموال ونجت الأنفس. وإلى وقت خروج المسلمين منها وكم بقوا بها ودخول النصارى لها أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

مـــن بعـــد عشر وعشر ثـــم أربعـــة عـــادوا إليهـــا قـــرة أعـــين الـــنعس

فملكوهـــا بـــلا كبـــير ملحمـــة لكـــن فى الأولى بخدعـــة متحـــيس

فمـــرّتين ابتاعوهـــا غـــير غاليـــة كيـــف يبـــاع ثغـــر وهـــران بـــالبخس

أتوهـــا طـــورين انتقـــدوها عـــامرة وعـــد عليهـــا إلـــيهم غـــير منحـــبس

خلالهـــا الجـــوّ صرفًـــا واطمـــأنوا بهـــا وقـــد تخلّـــت للكفـــر جلـــوة العـــرس

يـــا لـــه مـــن ثغـــر أضـــحى لهـــا جـــزرا للنائبـــات والجـــدّ منـــه فى الـــتعس

مدينـــة العلـــم والإيـــمان حـــلّ بهـــا مـــا حـــلّ بالحصـــن مـــن الخبس والخبس

---

(1) يقصد لويس البوربونى من أسرة البوربون الفرنسية.

(2) الموافق 1728 – 1729م.

(3) الموافق 1730 – 1731م. والحقيقة أن غزو وهران تم عام1732م.

مــن كــل شــارقة الإلمــام بارقــة مأتمهــا عــاد للأعــداء كــالعرس

تقاســم الــروم لا نالــت مقاســمهم غــرّ عقائلهــا المحجوبــة الــنفس

كانــت حــدائق للأحــداق مونقــة فصرخ الــنصر فى الأدواح بالــدحس

محــى محاســنها طــاغٍ أتــيح لهــا اكتحــل السـهر لهــا مكثــر الجــوس

مــا سـهى عـن هضـها حينًا مـذ حاربها ولا مكثّــر للتــواني والــنّعس

صــارت تــدور لنــاطورا واعــدائينا وكلّــها وعــدتنا فهــو فى ركــس

ولا زال أبو الشلاغم رحمه الله بمستغانم منذ دخلها إلى أن مات بها فدفن/ بالمطمر منها (ص 193) وعلى ضريحه قبّة.

عودة إلى تاريخ ملوك إسبانيا

ثم فردينة السادس تولى سنة ثلاث وستين ومائة وألف[1] وبقى فى الملك ثلاث عشرة سنة. ثم كارلوص الثالث تولى سنة ست وسبعين ومائة وألف[2] وبقى فى الملك تسعًا وعشرين سنة إلّا أن نصارى وهران من حين الفتح الأول انكسرت شوكتهم عن الغزو العظيم للمسلمين وعرفوا قدرهم لكن (كذا) رعبهم لم يذهب من قلوب المسلمين بعد ذلك الفتح فأحرى بعد رجوعهم لها. قال الشيخ الحافظ المحقق أبو زيد عبد الرحمن الجامعى التلمساني فى شرحه لرجز الحلفاوى: كنت وفدت عقب الفتح بقليل على العالم العلامة الداركة الفهامة، الدراية النقاد، سراج التحقيق الوقاد، منهل العلوم الأصفى أبى عبد الله سيدى محمد المصطفى القلعى الرماصى، تجاوز الله عنا وعنه يوم الأخذ بالنّواصى فوجدته يسكن بأهله ببيوت الشعر قرب غابة فى رأس الجبل يأوى إليهم ليلًا ويظل نهاره فى دار يطالع كتبه ويقرى (كذا) طلبته فسألته عن ذلك فقال لى كنّا على هذه الحالة على عهد النصارى خوفًا منه؛ لأننا كنا لا نأمن فى الدور من أن يصكّونا ليلًا فخرجنا لبيوت الشعر ليسهل علينا الفرار إلى غابة الجبل فنمتنع منهم. فانظر إلى أين بلغ بالمسلمين خوف

(1) الموافق 1750م.
(2) الموافق 1762- 1763م.

أولئك الطواغيت ولا يعرف حلاوة الإيمان إلّا من ذاق مرارة الخوف. ثم أن كارلوص المذكور جهّز جيشًا عظيمًا فى خمسمائة مركب لغزو الجزائر فغزوها سنة تسع ومائة وألف[1] فى ولاية الباشا محمد فخرجوا ونزلوا بإزاء الحراش فى البر وجعلوا ترسًا من حطب ولوح وغير ذلك وبنوا برجًا فى ليلة واحدة يقال له الآن برج مولاى حسن ووافق ذلك قدوم الباى صالح من قسنطينة للجزائر لدفع لزمة الصوف وهى محمولة على الإبل فقدم تلك الإبل أمامه وجعلها سورًا بين المسلمين والإسبانيين واجتمعت إليه القبائل والأعراب مع جيش الجزائر فأوقدوا نار الحرب واشتد القتال وحمى الوطيس وبات النصارى ليلتهم فى موضعهم فلما كان قبيل صبيحة يوم الأحد رجعت الدائرة عليهم وهزمهم الله وكسرت لهم/ السفن وفشا فيهم القتل والجراحات (ص 194) وأثخن فيهم المسلمون إثخانًا عظيمًا إلى أن علا دمهم على البحر ومات منهم ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ورجعوا مغلولين خائبين لم ينالوا خيرًا واستشهد من المسلمين نحو أربعمائة جعلت لهم مقبرة بإزاء عين الربط[2] وبقيت عظام النصارى ماثلة فى رمال الحراش أعصرًا وقد حضر لهذه الواقعة المنصور بالله أبو الفتوحات سيدى محمد بن عثمان باى اللإيالة الغربية وتلمسان ثانى بايات وهران، بعسكره فظهر من إقدامه واعتنائه مقامات تعدّ من مفاخر دولته وذكر أنه آخر الأيام. ثم غزوها أيضًا سنة سبع وتسعين ومائة وألف[3] فهدموا بالبونبة أزيد من مائتى دار وطلبوا الصلح فلم يجابوا ورجعوا خائبين. ثم غزوها أيضًا السنة التى بعدها فزحف لهم المسلمون فى البحر وردوهم على أعقابهم فرجعوا بلا طائل. ثم جاءواها أيضًا سنة تسع وتسعين من القرن المذكور طالبين الصلح فى الحال، باذلين القناطير من الأموال، راضيين بدخولها للتجر لما أيّسوا من الظفر وقدموا فى ذلك علجة على عادتهم فانبرم الصلح بينهم وبين المسلمين كل ذلك أيام الباشا محمد دولاتلى[4] مات رحمه الله سنة خمس من القرن الثالث عشر أيام السلطان

---

(1) الموافق 1775 وهى الغزوة التى قادها الضابط أوريلّى.

(2) مكانها اليوم ساحة أول ماى بالتقريب.

(3) الموافق عام 1783 وهى الحملة التى قادها الضابط أنطونيو دوبار سولو كما قاد الحملةالثانية فى العالم الموالى 1784م.

(4) تم إبرام الصلح بين الجزائر وإسبانيا يوم 14 جوان 1786م.

سليمان بن السلطان مصطفى العثمانى. والحاصل أن الجزائر كانت قبل بنا بلكّين الصنهاجى لها اخصاصًا وكان بنوا مزغنة وأكثر متيجة يؤدون الخراج للإسبانيين ولما بناها بلكّين الصنهاجى وحصنها بالأسوار وأنزل بها الجيوش قصرت النصارى عن عادتهم ورضوا بدل الخراج بالبيع والشراء معهم وهم ببرج المرسى الذى بالبحر. ولم يزل خير الدين لما تولى يحاصره ويقاتله ويصالحه إلى أن فتحه عنوة سنة ثمان وأربعين وتسعمائة كما مرّ[1] وأول غزو النصارى لها بعد استيلاء الأتراك عليها سنة خمس وعشرين وتسعمائة[2] فى ثلاثمائة وعشرين جفنا فهزمهم الله بعد ما قتل منهم خلق كثير يزيد على عشرة آلاف وغزوها مرة أخرى أيام خير الدين أيضًا فهزمهم/ (ص 195) الله وأسر المسلمون نحو الثلاثة آلاف. ثم غزاها الطاغية بنفسه وهو كرلوص شارل الأول لما استولى المسلمون على بر المرسى بها وذلك سنة ثمان وأربعين من العاشر[3] فى زهاء سبعمائة سفينة فبعث الله عليهم ريحًا كسّرت لهم أكثر مراكبهم ومن خرج منهم للبرّ قتل حتى أن الطاغية رجع فى اثنا عشر مركبًا وكل هذا أيام خير الدين رحمه الله ومرّ الكلام على هذا مستوفيًا غاية. ونظير هذه الغزوة غزوة قسطنطين بن هرقل ملك الروم لما أخذت الإسكندرية واستولى عليها المسلمون وعلى كنيستها العظمى وقد كان المسلمون أخذوها قبل ذلك فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم رجع لها النصارى بعد أول خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخرجوا منها وحلف عمر بن العاصى (كذا) ليتركنها كبيت الزانية تؤتى من كل جهة فلما سمع قسطنطين بهدم حصونها غزاها فى ألف مركب فى الشتاء فغرّقتهم الريح كلهم إلّا مركبه نجا لصقلية فأدخلوه الحمام وثبوا عليه فقتلوه جزاء له على فعله وغزوه فى ذلك الفصل. ثم غزوها سنة سبع وستين وتسعمائة ولم تحصل لهم فايدة ورجعوا خائبين. ثم غزوها الغزوات الثلاثة المارة

---

(1) بنى بلكين مدينة الجزائر فى القرن الرابع الهجرى، وبنو الإسبان قلعة البنيون أمامها داخل البحر عام 1511-1512م ودفع مزغنة الجزية للإسبان فى الفترة من 1512- 1516م. وفى كلام المؤلف ما يخالف هذا، واستعاد الأتراك الحصن عام 1529م.

(2) الموافق 1519 بقيادة دون هوقو دومونكادو.

(3) الموافق 1541م. وتم ذلك فى عهد البايلرباى حسن آغا وليس خير الدين.

وهى سنة تسع وثمانين من القرن الثانى عشر ثم السنة التى بعدها ثم سنة تسع وتسعين منه وهى ذات الصلح وتقدم هذا كله مستوفيًا[1].

التحرير الثاني والنهائي لوهران والمرسى الكبير

ثم فردينة السابع تولى سنة خمس ومائتين وألف[2] وبقيت وهران تحت حكمه وفى وقته جهّز لها من قيّضة الله لفتحها وأرشده لسعادتها ونجحها الممتطى منصة الرضوان والمشيد رايات الإيمان والباسط مهد العدل والأمان، الباى السيد محمد بن عثمان، باى الإيالة الغربية وتلمسان أتحفه الله برضاه، وجدد له اللطف وأمضاه سنة خمس ومائتين وألف من هجرة من حاز للكمال والشرف والوصف، جيشًا حصل له به النصر والسرور والاطمئنان(كذا) فخرج به من المعسكر قاصدًا بحول الله وقوته فتح وهران وقدم أمامه/ البارود فى عدّة صناديق وجعله ذخرًا ببرج (ص 196) شلابى التركى بوادى سيق.ثم نزل بجيشه بوادى الحمام ورحل منه مرتجيًا النصر له من المالك العلام. فنزل بسيق وهو كالليث الضرغام وارتحل بقصد قتال النصارى بغير الملام. فنزل بوادى تليلات واشتاقت نفسه لدخول روضات الجنات ثم ارتحل من الغد وهو بفعله كالغانج فنزل بوطاء وادى الهايج، واجتمعت عنده الأعراش بالتمكين وجاءه المخزن والنصر بلوح عليه من رب العالمين. وكان الوقت وقت الحصاد، والذى فيه تجمع قوت سنتها سائر العباد، فتفاوضوا معه فى الأمر تشاوروا، وتجاوبوا معه فى القول وتحاوروا، وقالوا له يا نعم الأمير الرأى الذى لنا ولك فيه العزّ المنيف، أن تدع هذا القتال وتؤخره إلى وقت الخريف، لتذهب الناس لجمع عيشها، وتتفرغ لقتال العدو بجيشها، فأجابهم بقوله رأيكم فيه الحكمة والصواب ولاكن (كذا) أنتم ونحن فى رأى الأولياء والعلماء أولى الألباب فهم أدرى بالأمور، وبإشارتهم يكون الفوز والسرور فبعثوا فورًا للولى الشهير، بسيدى محمد أبى دية الضرير، وهو بزاويته بجبل تاسّالة، فأتوه به فى أكمل حالة لحالة كمّاله، فاجتمع هو وأعيانه به فشاوروه، وتردّد القول بينه وبينهم وحاوروه، فقال الولى لهم قولته الكاملة أنك لا تفتحها فى سنتك هذه وإنما تفتحها فى محرم السنة

---

(1) الموافق أعوام: 1560و 1775و 1783و 1784م.

(2) الموافق 1790- 1791م. وهو فيرناندو السابع.

القابلة. فسرّ الباى وفرح واطمأن قلبه وانشرح. وكان الباى معتمدًا على كلام الولى الصوفى سيدى الأكحل بن عبد الله الخلوفى وكان أبو دية مأذونًا له فى الكلام،ومشهورًا بذلك عند الخاص والعام، حتى صار يقول من أبى دية الخبّار، لم يبق من يعط الأخبار. وعند موته باع الولاية لأبى عمامة، فقام مقامه فى التكلم بأحسن استقامة، ولما سمع الباى كلام أبى دية ارتحل من حينه ولأمّ عسكر رجع. وصار يراصد الوقت الذى له أنفع، ولما دخلت سنة ست من الثالث عشر[1] بالإثبات قدم لفتحها فى مائة فسطاط إلى أن نزل بوادى تليلات. وبها جاءه ولىّ بهلول من (ص 197) غير خلف من أولياء الله المفتوح لهم حجاب الكشف وصار يدور فى المحلة ويقول: يا أمير المؤمنين/ إذا أردت أن تفتح وهران فجىء لها (كذا) على طرق جنين مسكين، وكان الجنين ببلاد أولاد على قريبًا إليه، فلما سمع الباى ذلك أحضره لديه، وقال له: أيها السيد ماذا نقوله فى مقالك فقال له القول هو ذلك وإلّا فأيّس من فتحها بتحقيق الخبر، فساعده الباى ورجع للمعسكر ثم خرج بحملته المنصورة ونزل بحمام أبى الحنيفة ثم بالزفيزف وبعده بالقعدة، فنزل بجنين مسكين، وقلبه مطمئن بالفتح آمين، ثم تقدم لتليلات، فجاءه الولى بها بالبشارات قائلًا له: إنك تفتحها بإذن الله. ويكون لك فيها العزّ والجاه، ثم ارتحل ونزل بالضاية، قبلتها فى صحيح الرواية، ثم ارتحل ونزل عليها وحاصرها، وضايقها شديدًا وقاهرها.وكان القتال له عليها مترادفًا، والحصار لها من كل جهة متخالفًا، وحضر لقتاله بها عدد من الطلبة يزيد على الخمسمائة، رائسهم (كذا) الشيخ محمد بن المولود المخيسى المعدد لهم عدد الحيسى، وفيهم العلامة الأجل، المازونى صاحب الحاشية على الخرشى المسمّة «بدرة الحواشى فى حل ألفاظ الخراشى»، وقد باشر هذا الأمير حربها بنفسه، مدخرًا ثواب ذلك لرمسه، ولم يكن رحمه الله وأدام وجوده، وخلّد ذكره ووفى معهوده، إلا فى محلته المعهود له فى سائر الأيام وهى مائة فسطاط، ولم يمده محمد باشا بمدد يظهر منه فى هذا الأمر النشاط وقد توفى هذا الباشا أثناء الحصار وتولى بعده حسن باشا فى صحيح الأخبار، فاقرّ الأمور على ما كان عليه ولم يزده حامية إلا ما كان لديه، حتى فتح الله هذا الفتح المبين، الذى أضاء به للإسلام الجبين، وتبّسم به فى الثغر وجه الدين بعد عبوسه واستبدل النعيم بعد ضنكه

(1) الموافق 1791- 1792م.

وبؤسه لا كما وقع للسيد مصطفى أبى الشلاغم بن يوسف المسراتى فى فتحها الأول المزيل به لكربها، فإن الباشا محمد بكداش رحمه الله وجّه له من الجزائر الجيوش لحربها، وأمر عليها من عرفت نجدته، وظهرت فى المضايق شجاعته وشدته، رديفه ووزيره وصهره وخبيره السيد أوزن حسن رحم الله الجميع برحمته التى ليس فيها ثبط والأمير مصطفى فهو/ على محلته فقط. وتحرك (ص 198) لها الأمير محمد فى العام الثالث عشر من ولايته رايها النجح (كذا) والتوفيق من الله فى عمله وسعايته. ورأيت فى بعض التقاييد أنه من حين قصدها فى العام الخامس. لم يرجع عنها إلى أن أكمل له الأمر بالفتح واندحض كل جالس. وقد أفرد ابنه الأمير عثمان فى هذا القتال، بمحلة فكثر منها على الأعداء النّزال وصار الحرب بين الأمير والنصارى سجال. وقد أثخن الطلبة فى النصارى إثخانًا عظيمًا حل به على النصارى التبديد والنكال. يقال فى صحيح الحكاية الموذنة للنصارى بالنكاية. أنّ من شدة قتال الطلبة للنصارى، تقدموا لهم من غير توان ولا قصارى إلى أن سبق طالب لنصرانى وارتمى على ظهره، ولم يخش من بأسه ومكره، بل صيّره لنفسه مطيّة، وقال هذا إلىّ من الله عطية. وكان الطالب لطيفًا، وفى جسمه نحيفًا، فذهب به ذلك النصرانى وهو على ظهره فارًّا للمدينة، وترك القتال وحلّت به الغبينة لم ينزل الطالب وهو على ظهره، ولا حاجة له فى نهبه وأمره، وإنما استخرج من جيبه سكينًا صغيرًا وصار يجرحه به تجريحًا مترادفًا كثيرًا، والنصرانى لا يبالى بذلك وقصد به البلد، ولما رأى بعض الطلبة ذلك جرى فى أثره بالقوة والجد، إلى أن لحقه فضربه للعراقيب بالسكين فخر النصرانى صريعًا وقرب أجله فى الحين، فقتله الثانى واجتزّ رأسه وأتيا به معًا لمحلتهما فى غاية الاقتباس، وكل ما فعلاه فهو لمرءات الناس.

ويحكى أن الطبجية الذين بمرجاجوا حققوا النيشان بغير اشتباه، وضربوا بكورهم فسطاط الأمير وهو بوسطه فكسروا ركيزته، ونجاه الله، فجاء أحد الطبجية الذين بمحلة الأمير إلى محل اختاره وهو فى غيظ كبير، وجعل نيشانًا صحيحًا نحو المدفع الذى جاءت منه الكورة، وكوى مدفعه فذهبت منه بسرعة الكورة، إلى أن دخلت جوف المدفع الأول فعطّله ونال حالة مشكورة، قيل ولم يخدم ذلك المدفع المعطل للآن، ورحل الباى من منزله ونزل بالمبرك غربى وهران، ولا زال رحمه الله يحرض النّاس على قتالها، ويتقدم لفتحها وزوالها فعدل نصره الله عن طرق عواقبها،

فلم يعتبرها ولم يعبأ بثواقبها، ولم يلتفت لقول المرجفين من أنها ذات بأس شديد، وجند كثير/ (ص 199) عتيد، وأنّ اعتناءه بها فهو من قبل اللعب واللهو، لكونها أمنع بعقاب الجو، وأن عاقبة أمره معها عدم الظفر بها وقتل جنده بلا طائل،لا حصول قوة ونايل، بل نبذ ذلك كله وراء ظهره، ولم يعمل إلا برأيه وأمره ولم يستشر فى ذلك أحدًا خوفًا من تثبيطه وعدم شدته

وتنشيطه، لما فيه من رشده ونجحه سوى سيفه ورمحه، ودام حصاره لها بالقتل، الصادر منه ومن جنوده، وشدة صواعقه ومدافعه وكوره وباروده، إلى أن فتحها فى أوائل المحرم سنة ست من القرن الثالث عشر[1] بقتاله الذريع، ودخلها فى اليوم الخامس من رجب الفرد ضحى يوم الاثنين من سنته[2] فى فصل الربيع. وقد أقام النصارى بها فى هذه المرة الثانية التى صارت بعد الفتح كالسنة ثلاثًا وستين سنة، وفى الأولى خمسًا ومائتى سنة، ولما دخلها فى ذلك اليوم المبارك، أناخ بها راحلته ولا له فيها معاند ولا مشارك.

واختلف فى كيفية فتحها على ثلاثة أقوال: قال بعضهم إن الأمير فتحها عنوة ودخلها بعد الزوال. وقال آخر أنها فتحت بشدّة الزلازل الحالة بها فى كل حين[3] ففرّ منها النصارى دون علم من المسلمين ولما ذهب لها الطلبة ليلًا للاختلاس والتجسيس. لم يجدوا أحدًا عند أبوابها ولا بها حس ولا حسيس. فتسوروا عليها من جهة رأس العين ودخلوها، فوجدوها خاوية على عروشها ثم جالوها مفرقى أحدهم المنارة ورجع صوته بالأذان. وكان جهير الصوت ذا تطريب وألحان، فسمع المسلمون ذلك وتحققوا من الطلبة أنقامهم. فأتوها والأمير المؤيد بالنصر أمامهم، فألفوا الطلبة مقبلين على تلاوة القرآن، فدخلها الأمير رحمه الله فى أمن وآمان.

وقال الحافظ أبو راس إن أمير المؤمنين السيد محمد بن عثمان باى الإيالة الغربية وتلمسان، لما ضايق وهران أشد التضييق، سأل منه النصارى السلم والتوثيق، وراودوه عليه فأعطاهم

---

(1) الموافق سبتمبر 1791م.

(2) الموافق فيفرى 1792م.

(3) حدث زلزال مروع بها يومى 9 و 10 أكتوبر 1790م.

(ص 200) الأمان، على أمتعتهم وأنفسهم من غير امتهان، فذهبوا منها وتركوا كل ما فيها للأمير فأخذه منهم بالقيمة بلا تجميح،/ وقيل تركوها خاوية والأول منهما هو الصحيح.

قال الحافظ أبو راس فى السينية:

حتى تداركها الله برأفته — من بعد ما مضى لها مدة العنس
بتقليد المغرب الوسط لعمدتنا — أضاء شمسه بعد حالك القلس
ملك تقلدت الأملاك سيرته — دنيا وأخرى تراه محسن السيس
مؤيد لو رمى نجمًا لأثبته — ولود عاد بلا لبّ وما احتبس
شهم شجاع بحزم الملك متزر — ومرتد النصر وفى الحلم ذو طخس
فملك آل منديل تحت سلطانه — قد كان مدّ من واجر إلى تنس
كذاك ملك تجيين فى إيالته — كذا الجدار القديم المتقن الأسس
ملك لآل يغمور فيه نصرتهم — كذاك ملك ابن يعلا اليفرينى الرئيس
لشعنب ومصاب مدّت طاعته — على مسافات شتّى من ابى الضّرس
فمهّد الكل برخص وعافية — قد آمنوا كلهم عواقب الفلس
محمد بن عثمان نجم سعدهم — رصد من كلّف يصع ومن سجس
مدة ست وسبع من إمارته — حلّ بأهل وهران الويل فى التعس
عمّر كل مرصد كان مسلكهم — بالخيل والراجل مع حلق العسس
طلبة أثخنوا فيهم وعاثوا فلا — تقسهم بقيس عبس ولا بيهس
أحيوا مراسم عفت من شيوخهم — أحمدًا ومحمدًا وابن يونس
سنة خمس أتى لها بكلكه — جند عظيم ما بين الشهم والحوس
مدافعًا وعرادات أحاط بها — كأنها بينهم كحلقة الجلس
يكاد يصدع الشامخات بارودة — رعد سحاب مديم الصعق والجرس
يفنى الفناء ولا تفنى له حروب — كأنه من صروف الدهر لم تيس

يشيب من حربه رأس الغراب ولا — يشيب رأس النهار دايم الغلس
يسودّ مبيض وجه لرجاه- ولا — يبيضّ مسوده من شدة الدمس
بنقع خليه ودخان بارودة — يوم حليمة أو كرج لأرمنس
فحار بطريقهم من بأسه فرقًا — وقلبه مماوء بالرعب والوجس
/ أخبارها قد طارت فى الأرض قاطبة — لقتنا فى أمدوجات من ورا قابس
أوبة حجّنا فقلنا هنيئًا لنا — وصلنا حجّ جمع بالجهاد النفس
وجدنا سوسة والمنستير قد سمعا — مدينة اللخمى وجربة مع تونس
عدة أشهر الحربيس اجلها — طالع سعد له عليهم بالنحس
فطلبوا السلم من بعد مراودة — فأعطوا الأمان على الأمتع والنفس
فكانت مدتهم فى هذه كمج — جرى بذا القلم قدما فى الطّرس
هم يخربون بيوتهم بأيديهم — فاعتبروا يا أولى الأبصار والنفس
بنوا النضير فى المشر سبقوهم بذا — فكيف بالروم بفعل اليهود تس
نصارى وهران تركوها عامرة — فالحمد لله آمنا من الهجس
بأبى عثمان وعثمان قد رجعا — إلينا ما يسلّى عن أرض أندلس
رماهم الله بالملك أميرنا — رمية سهم أتتهم على غير قس
أقام أحوالًا للأعدا منوّعة — بالمكر والكيد والأنفاض والدس

إلى أن قال:

فى خامس الفرد ضحى يوم اثنينه — كان الدخول بعون الملك القدّس
سنة ستّ ثم الحمد لخالقنا — وصل أيضًا المنقى من الرجس

وقال فى بقائهم بها فى الأولى كما مرّ:

ففتحت عنوة فى تسع عاشرة — من بعد سكنى ره والدين فى وكس

(ص202) ولما اصطلح الأمير محمد بن عثمان مع نصارى وهران، على رفع القتال/ عنهم يخرجون منها فى أمان، صاروا يخربون بنيانها بالألغام. نكاية منهم للمسلمين بالاحتكام، كفعل بنى النضير أحد فرق اليهود الذين بإزاء المدينة المنورة، لما عزموا على الجلاء بالمشتهرة لما حاصرهم رسول الله ﷺ تسليمًا، وشرفه وكرمه تشريفًا وتكريمًا.

ثم إن وهران لما منّ الله تعالى بمنه وفضله على المسلمين بفتحها من الإسبانيين بالبيان، على يد الأمير المؤيد بنصر الله السيد محمد بن عثمان، باى الأيالة الغربية وتلمسان، طار خبرها للمشارق والمغارب وحصل السرور للمسلمين الأباعد والأقارب، واستبشروا بالفوز والربح والنجح والحبور، «وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور».

* * *

من اخترع البارود؟

قال شيخنا الزيانى فى «دليل الحيران»: واختلف فى أول من عمل البارود على ثلاثة أقوال. فقيل: اخترع ببر الصين فى الزمان القديم ونقله المسلمون عنهم لهذه الأماكن وقيل اخترعه الروم لما نزلوا بقرب تونس لأخذها فى سنة تسع وستين وستمائة[1] وقيل أحدث فى نيف وستين وسبعمائة[2] أحدثه حكماء المسلمين وهو المشهور وذلك أن حكيمًا كان يعالج صنعة الكيمياء فعالج ذلك ففرقع له فأعجبه فاتخذه لآلة الحرب وهو قول الحافظ البنانى فى حاشيته على الزرقانى فى باب الذكات والحافظ أبى راس فى كتبه والحافظ الرباصى على العمل الفاسى. وأما المدافع والبنادق فاحدثهم النصارى بإسبانيا وفرانسا سنة أربعين وسبعمائة.

تتميم لملوك/ الإسبانيين

(ص 203)

ثم ززاف الفرانسوى صنو سلطان الفرانسيس (كذا) نابليون بونبارت (كذا) تولى سنة خمس وعشرين ومائتين وألف[3] وبقى فى الملك خمس سنين. ثم فردينة السابع تولى مرة ثانية سنة ثلاثين ومائتين وألف[4] وبقى عشرين سنة. ثم إيزابلة الثانية تولت سنة خمسين ومائتين وألف[5] وبقيت فى الملك خمسًا وثلاثين سنة. وفى سنة ست وسبعين ومائتين وألف[6] جهزت جيشًا لغزو تيطاون بهذه العدوة من المغرب الأقصى (كذا) فحصل بينهم وبين المسلمين قتال ذريع ثم استولوا عليها وبقوا بها نحو ثلاثة أشهر ثم خرجوا منها مختارين على أخذ مال معيّن من سلطان المغرب. ثم صار حكمهم للجماعة الجمهورية الشورية بينهم سنة خمس وثمانين ومائتين وألف

---

(1) الموافق 1270 - 1271م خلال حملة لويس التاسع عليها.

(2) الموافق 1359 - 1369م.

(3) يقصد جوزيف وهو يوسف وتولى عام 1810م.

(4) يقصد فرناندو السابع وتولى عام 1813 إلى عام 1833م.

(5) الموافق 1833م.

(6) الموافق 1859 - 1860 ودام حكمها إلى عام 1868م.

وبقوا على ذلك سنتين. ثم أمادى تولى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف[1] وبقى فى الملك ثلاثة أعوام. ثم رجع حكمهم جمهوريًا أيضًا مرة ثانية سنة تسعين ومائتين وألف[2] وبقوا عليه سنتين أيضًا. ثم الفونص الثانى عشر وتسمّيه (كذا) المسلمون الفنش تولى سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف[3] وبقى فى الملك عشرة أعوام ومات ملكًا. ثم ابنه الفونص الثالث عشر تولى يوم موت ابيه وهو عام اثنين وثلاثمائة وألف[4] وهو طفل صغير فى كفالة أمه فهى المديرة لحكمه وهو الموجود الآن فى الملك والله يؤتى ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قائمة أباطرة الرومان

(ص 204) / وجملة ملوك الروم المشتهرين قبل الإسلام إلى أن ظهر الإسلام، ستة خمسون ملكًا. وأول من اشتهر منهم غانيوس ثم يوليوس ثم أغسطس وأصله بشينين معجمتين ثمّ عرب بسينين مهملتين ولقبه قيصر ومعناه بلغتهم المبقور عنه؛ لأن أمه ماتت بالطلق فأبقر عليه وأخرج فلقّب بقيصر وصار لقبًا لملوك الروم وكان يفتخر به فيقول إنى لم أخرج من الفرنج كغيرى ثم طيباربوس ثم غانيوس ثم قلوذونس ثم نارون ثم ساسيانوس ثم طيطوس وملك سبعة أعوام وغزى اليهود وأسرهم وباعهم ثم ذو مطينوس ثم نارواس ثم طرايانوس وقيل غراطيانوس ثم إذريانوس ومات مجذومًا ثم انطونينوس الأول ثم مرقوس وقيل قوموذوس وشركاؤه فى المملكة ثم قوموذوس وخنق نفسه فمات بغتة ثم فرطنجوس ثم سيوارس ثم أنطونينوس الثانى ثم الإسكندروس ثم مكسيمينوس ثم غورذ بانوس ثم دقيوس ويقال له دقيانوس ثم غاليوس ثم علينوس ولريانوس وقيل اسمه ولوسينوس ثم انفرد ولريانوس بالملك ثم قلوذيوس ثم أردفاس وقيل أورليانوس ومات بصاعقة ثم قلرونوس ثم قاروس ثم دقيطيانوس وهو آخر عبّادة الأصنام من ملوك الروم ثم قسطنطين المظفر ومات تابعًا لدين المسيح عليه السلام بعد ما

---

(1) الموافق 1870 - 1871 م والمقصود به أما ديودوسابويا.

(2) الموافق 1873م.

(3) الموافق 1875م. والمقصود به الفونسو.

(4) الموافق 1885م.

ملك إحدى وثلاثين سنة فى منتصف سنة ست وعشرين وستمائة/ للإسكندر ولما مات انقسم ملكه بين أولاده الثلاثة، وكان الحاكم عليهم منهم قسطس ثم لليانوس وارتدّ إلى عبادة الأصنام وقاتل سابور ذا الأكتاف وانتصر عليه ثم قتل فى أرض الفرس بسهم ثم يونيانوس واصطلح مع سابور ذى الأكتاف ثم والنطيانوس ثم أنونبانوس ثم خرطيانوس ثم ثاودسيوس الكبير ثم ارقاذبوس ملك بقسنطينة وشريكه أوثوربوس برومية ثم ثاوذسيوس الصغير وفى أيامه غرت فارس الروم وانتبه أصحاب الكهف من كهفهم ثم مرقيانوس ثم والطيس ثم لاون الكبير ثم لاون الصغير ثم زينون ثم اسطيثيانوس ثم يسطينينوس الأول ثم يسطينينوس الثانى ثم يسطينينوس الثالث ثم طبريوس الأول ثم طبريوس الثانى ثم ماريقوس الأول ثم ماريقوس الثانى ثم قوقاس ثم هرقل عظيم الروم واسمه بالرومية أراقليوس وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشر من ملكه وهو الذى بعث له النبى ﷺ مع صاحبه دحية الكلبى رضى الله عنه كتابه يدعوه إلى الإسلام وأتيت بهذا استطرادًا تتميمًا للفائدة فى ملك الروم[1].

* * *

(1) لقد أورد المؤلف قائمة أباطرة الرومان بأسماء محرفة ويتطلب تصحيحها إعادة كتابتها كلها من جديد. وبما أنها معروفة فى كتب التاريخ فلا فائدة هنا من إيرادها، وسنوردها كملحق فى نهاية الكتاب، مرتبة، ومنظمة بتواريخها المعروفة فى كتب التاريخ المتخصصة.

عودة وهران لحكم الدولة الثامنة التركية

والألقاب والرتب التركية

(ص 206) ثم رجع ملك وهران للدولة الثامنة وهى دولة الترك فملك وهران منهم الأمير المنصور/ الأسد الهصور، وثانى بايات وهران الثمان، المجاهد فى سبيل الله السيد محمد بن عثمان، باى الإيالة الغربية وتلمسان، بعد فتحها من أهل التثليث والأوثان.اعلم أن الباى عند أتراك الجزائر لقب لمن ولّى أحد الإيالات الثلاث وهو: تلمسان، وتيطرى، وقسنطينة فقط. والباشا لقب للذى يولّى البايات الثلاث ولذا يقال له باشا باى وباى البايات ودولاتلى قال الحافظ أبو عبد الله محمد الصغير اليفرينى فى كتابه «نزهة الحادى»: ومعنى الباى بلغة الأتراك قايدة القياد ويختص به قايد الصبايحية. ولما يعظمونه يقولون له الباى لار. وقال الحافظ أبو راس فى «الخبر المعرب»: والباى هو الذى يوليه الباشا ناحية كبيرة فى عرفنا. والحاصل أنّ أمراء الإسلام أعلاهم رتبة الخليفة وقد انقطع هذا الاسم أوائل القرن العاشر. ثم السلطان وهو الموجود الآن فى إسطنبول والمغرب الأقصى . ثم الوزير وهو المتولى الحروب بإسطنبول. ثم الباشا وهو الذى يوليه السلطان قاعدة كبيرة كالجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام وبغداد فى عرفنا الآن. ثم الباى وهو عندنا من يولّيه باشا الجزائر جهة مخصوصة مثل قسنطينة، والمغرب الأوسط وغير ذلك. ولار بمعنى جميع ومن ذلك يولضاش لار فيولضاش بمعنى الجندى ولار بمعنى الجميع. ودأب العجم إضافة المضاف إليه للمضاف عكس العرب؛ لأن معنى هذه الكلمة بالعربية جميع يولضاش. (ص 207) والانقشرية/ . العسكر الجديد وذلك أن السلطان مراد بن أورخان بن عثمان خان الخاقانى اتخذ مماليك سنة إحدى وستين وسبعمائة[1] فسمّاهم بهذا الاسم فهو أول من سمى به والرأى بمعنى الراءيس (كذا) والأودباشية لار الواحد أودباش ومعناه رايس الدار على عادتهم فى الإضافة فلفظ أود هى الدار وباش هى الرايس. وأعلا منه البلكباشية. فالبلك اسم الجماعة والباش الرايس كما مرّ ومعناه رايس الجمعة. وأعلا منه آغا. ومواطن الباى ثلاثة:

---

(1) الموافق 1360م.

بايليكات الجزائر وأقسامها

أولهم باى تيطرى وهو أكبر البايات اسمًا؛ لأنه أول من ولته الدولة التركية بذلك المحل. وقاعدته المدية. وثانيهم باى الشرق يعنى الجهة الشرقية وقاعدته قسنطينة. وثالثهم باى الغرب يعنى الجهة الغربية.

بايليك الغرب الوهراني وعواصمه وباياته

وفى الحقيقة أنه هو الثانى فى المرتبة لكون الترك تولوا على الجهة الغربية وجعلوا فيها باى قبل الجهة الشرقية. وقاعدته وهران. وهذا الثالث كان منوّعًا عل نوعين أحدهما: مازونة وأول باياتها حسن بن خير الدين باشا وسلم فى وظيفه. ثم أبو خديجة، ثم صواق ومات مسمومًا من سم سقته له زوجته. ثم السايح وبقى فى الملك إحدى عشر سنة ومات. ثم ساعد. ومنه إلى محمد ابن عيسى تولى بمازونة عشرة بايات وذهب عن حفظى ما تعلّق به منهم. ثم محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باياتها. ثم شعبان الزناقى الذى توفى بالجهاد فى وهران. وثانيها تلمسان ولم يبق بحفظى من باياتها إلاعصمان، ويوسف/ المسرانى. ثم جمعا فى الثامن وتسعين وألف[1] (ص 208) لواحد وصارت القاعدةقلعة بنى راشد، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران فى الفتح الأول، ثم صارت مستغانيم، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران فى الفتح الثانى واستمر الحال على ذلك إلى انقطاعهم.

طبيعة حكم البايات وموظفوهم ونوابهم

ولبايات هؤلاء القواعد الثلاث التصرف المطلق فى الرعية العربية بكل وجه من القتل والقطع والضرب والسجن والعقوبة بالمال المسمّة (كذا) بالخطيّة إلى غير ذلك دون متعرّض لهم فى شيء، ولا يقدر الباى على قتل أحد من الأتراك إلا بمشاورة الباشا بالجزائر ولما يؤذن له فى قتله ويقتله يقال فيه أنّ الباى قد اشتراه من الباشا. وللباى خليفتان من الترك أحدهما ينوب عنه فى الخروج للرعية بالجهة الشرقية خاصة لأخذ مال الدولة منها ويتصرف فيها بما شاء على إرادة

(1) الموافق 1686م.

الباى وفى القدوم إلى الجزائر عند الافتقار ويقال له خليفة الشرق. والآخر ينوب عنه فى قاعدته بالجلوس على الكرسى إذا غاب الباى فى الرعية أو حالة الدنش ويقال له خليفة الكرسى. وله كاتبان عربيان يكتبان له جميع الأوامر والنوهى أحدهما كاتب السر وهو الكبير ويقال له باش تافتار، والآخر يكتب الرسايل ويسجلها إلى غير ذلك وهو الصغير. وله وزيران من العرب أحدهما كبير وهو من أعيان الدواير ويقال له قايد آغا وعلى يده ما سوى المدن والزمالة والغرابة ومجاهر وفليتة ورعية خليفة الشرق واليعقوبية فله دايرة كبيرة. والآخر صغير وهو/ (ص 209) من أعيان الزمالة ويقال له قايد كبير وعلى يده الزمالة والغرابة واليعقوبية ومجاهر وحميان فله داير صغيرة لكون آغا على يده الدواير وبنى عامر وجميع الجهة الغربية إلى وجدة ما عدا تلمسان وحوزها كما على يده بنى وعزان وأولاده الميمون وأولاد بالغ وبنى مطهر والجعافرة الغرابة وساير الحشم ورزيو وبنى شقران والبرجية جبلًا ووطاء وزدامة والحارث وخلافه وفرندة والكسانة والأحرار فى بعض الأحيان وأولاد الشريف وأولاد الأكرد وأولاد خليف وساير سويد وأولاد عايد وأولاد عياد وبنى أمديان وساير من بالجبال. وحاصله أنه يمتد حكمه إلى ثنية الحد فله دايرة كبيرة بخلاف قايد الزمالة فله الخمسة الأعراش المذكورة. ولا آغا الدواير مشهورة فى رعية خليفة الشرق وهذا المنصب لا يتولاه من الناس إلّا من كان من أبناء البيوت الكبار المتأهلين له غاية التأهل. ومن جملة الأعيان المعتمد عليهم فى ساير الأمور، ويشترى من الباى بمبلغ وافر من المال وكان قبل أن يتولاه المزارى يبلغ عشر آلاف فرنك بل ريال أو عشرة مايه شك من الراوى ولما تولاه المزارى أبلغه إلى عشرين ألفًا أو عشرين مائة شك منه ايضًا. وهاذان (كذا) الوزيران هما الذان (كذا) يقبال (كذا) دعاوى العرب وشكاياتها كل فيما يليه ثم يعرضانها على الباى للتنفيذ ولهما مدخل عظيم فى ذلك ولا بد للباى من مشاورتهما كل فيما يليه وتارة يجمعهما للمشورة. وله ثمانية شواش أعوان أربعة من الترك ولباسهم مخالف للباس شواش الباشا فهم عند الباى كسائر العسكر لكون خدمتهم ليست موظّفة من عند الباشا وإنما هى موظفة من عند الباى خاصة فله أن يأخذ من شاء لقطع الرأس ونحوه. ويسمون شواشًا ما داموا/ (ص 210) فى الخدمة لا غير. وأربعة من العرب للتقديم والتأخير وضبط أحوال الباى وأموره ويقال لهم شواش بنى

عرب وله سبعة طبول وغوايط وناغرات وعدة سناجيق يحملهم معه حال ركوبه وله فسطاط كبير جدًا يقال له الوتاق يحمله اثنا عشر جملًا فضلًا عن البغال. والمتولى أمور داره يقال له قايد الدار وأمور سلاقة يقال له قايد السلاق، وأمور سبسيه يقال له قايد السبسى، وأمور ظليلته يقال له قايد الظليلة وأمور كرسيه يقال له قايد الكرسى، وأمور طابعه يقال له قايد الطابع، وأمور جنانه ومنزهه يقال له قايد الجنان، وأمور مكاحليته يقال له قايد المكاحلية، وأمور خزنته يقال له خزندار وخزناجى، والقاطع للرأس بأمره يقال له طزبير إلى غير ذلك.

كيفية حمل الدنوش إلى الجزائر

وللباى شرط فى الدخول للجزائر فى كل ثلاث سنين إن لم يكن به عذر من مرض ونحوه وإلّا بعث خليفته الأول وهو خليفة الشرق عوضًا عنه ويسمى هذا الدخول بالدنوش وسببه فى كل ثلاث سنين الإعطاء لمال الدولة بيد الخزناجى والإعطاء للعوايد الجارية وفى يوم دخوله يقع المهرجان العظيم بالجزائر تخرج فيه أكثر الناس من البلاد لملاقاته والتفرج فى ذلك المهرجان وصفته: أن الباى إذا قدم للجزائر لما يبقى بينه وبينها مسافة سير الأربع سوايع (كذا) ينزل فى محل معزولة (كذا) يقال له حوش الباى ومنه يقدم للجزائر فيصل قبل الفجر لمحل يقال له عين الربط فينزل به إلى ارتفاع النهار وانفتاح الأبواب فيركب أرباب الدولة من الخزناجات والأغوات وخوجة الخيل والديوان وغيرهم ويخرجون للقائه ومعهم نوبة الباشا تضرب عليهم فإذا وصلوا لقربة ركب/ الباى ومن معه تحت الألوية والرايات وتضرب نوبته ويتوجه نحوهم (ص211) ولما يقرب منهم تسكت نوبته وتبقى نوبة الباشا تضرب ثم ينزل الباى ومن معه على خيولهم ويمشى خطوات ثم ينزل الخزناجى ومن معه ويسلم كل فريق على صاحبه ويجلسون فى محل مرتفع هناك فتتسابق الخيل فى جريها أمامهم عليها فرسانها ويضرب البارود ويسمى هذا بالملعب واللعب ثم يركبون جميعًا ويقصدون الباشا ومن حين الركوب يشتغل الباى بتفرقة الدراهم ورميها على رءوس الناس الواقفين يمينًا وشمالًا إلى أن يصل لمقر الباشا فينزل ويدخل على الباشا فيحييه بأحسن التحية ويؤدى له الطاعة بالمبايعة ويجلس هنيئة معه ثم ينصرف للمحل المعد من

طرف الدولة لنزول الباى فينزل به ثم يباشر خدمته وكيله المقيم بالجزائر المسمى بوكيل الباى وتلك الرتبةلا تعطى إلا لمن كان هو أهل لها فتأتيه فى يومه الأول الأطعمة بها يتبعها ثم يشتغل فى اليوم الثانى بتوزيع العوايد الجارية فأول ما يبدأ به الباشا فإذا كان باى الشرق فإنه يدفع بعد مبلغ وافر من المال البرانس، والحياك، والمصوغ، وإذا كان باى الغرب فإنه يعطى بعد وافر المال، العبيد والإيماء، والحياك، وريش النعام، وبيضه،والزرابى، القلعية، ثم يعطى لأرباب الدولة وأصحاب المناصب حتى الشواش وغيرهم عوايدهم. وبعد دفع العوايد اللازمة وغيرها تضيفه أرباب الدولة وأكابرها ويعطى فيها مالًا ءاخر (كذا) لخدام المحل على سبيل الإكرام زيادة على ما يدفعه للخزنة ويمكث فى البلد ثمانية أيام لا غير ويرجع لمحل عمله وإذا خرج للرجوع لأهله فإنه لا يخرج/ (ص 212) معه من أرباب الدولة إلّا آغا لا غير فيشيعه على مسافة نحو الساعتين والثلاث ويرجع عنه بعد أن يدفع له فى تشييعه قدرًا جليلًا من المال إكرامًا له. ثم إن الباشا إذا أراد قتله يبعث له من يقتله بمحل القتل وكذلك إذا أراد قتله قبل لقائه فإنه يبعث له من يقتله فى الطريق قبل الوصول بحسب ما اقتضاه أمر الباشا من خنق وغيره. ولا يتولى باى، أو خليفته، أو قيادة المدينة، أو المرسى، أو فليتة، إلّا من كان تركيًا أو قرغليًا.

أقسام بايليك وهران الستة

ولباى وهران فى دائرته تقسيم: فالقسم الأول المرس يكونون على يد قايد المرسى وهو أعلا (كذا) رتبة من سائر القواد لكون وسق البحر على يده مدخولًا ومخروجًا وعلمه بمن يأتى من الأفاقيين وغيرهم واطلاعه على إتيان العدو للاختلاس. والقسم الثانى دائرة آغا الدواير غربًا وبحرًا وشرقًا وقبلة. والقسم الثالث دائرة قايد الزمالة وهى الأعراش الخمسة المارة. والقسم الرابع دايرة خليفة الشرق ذلك من مينا إلى انتهاء رعيته وهران شرقًا وبحرًا وطاء (كذا) وجبالًا ومخزنه المكاحلية وأولاد سيدى عريبى ومن انخرط فى سلكها من أهل الفضاء وغيرهم نائبة له كما أن ما عدا الدواير والزمالة والغرابة والبرجية نايبة للأكابر وهم رؤساء الدواير والزمالة وغيرهم من أعيان الدولة المخزنية بوهران.

والقسم الخامس المدن كوهران وتلمسان والمعسكر والقلعة ومستغانيم ومازونة وأحوازهم وهؤلاء على يد قايد البلد، وتحته شيخ عرفى يقال له شيخ البلد. والقسم السادس فليتة وهم على يد قايد فليتة، ومن يتولى قيادة فليتة وتلمسان فإنه يسوغ له أن يتولى بايا إذا كانت له إعانة بالجزائر.

الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي

وأول بايات وهران مصطفى أبو الشلاغم/ بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتى الذى (ص 213) جمع له فى توليته بين الإيالة الشرقية والغربية تولى بايا على مازونة وتلمسان فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية بتمامها سنة ثمانى وتسعين وألف[1] ونقل كرسى المملكة من مازونة وتلمسان معًا للقلعة، ثم للمعسكر، وجعلها قاعدته لكونها وسطًا بين مازونة وتلمسان. ولما غزى وهران وأمدّه الباشا السيد محمد بكداش بالجيوش العديدة لنظر وزيره أوزن حسن وفتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال سنة تسع عشرة ومائة ألف[2] نقل كرسى المملكة من المعسكر لوهران فسكنها بأهله وجعلها قاعدة ملكه وبنا (كذا) بها وقيل بمستغانم قبّة جليلة وروضة جميلة، فى آخر (كذا) شعبان سنة ست وعشرين ومائة وألف وحبّسها للدفن على عقبه وعقب عقبه وكتب فيها اسمه وتاريخ بنائها وتحبيسها بما نصّه: حبّس هذه القبّة المباركة والروضة المرونقة أمير المؤمنين، العاشق المحب فى سيد المرسلين، الباى مصطفى بن يوسف محى الدين رزقة الله كمال اليقين، وأفاض عليه من كرامة الصالحين، آمين يا رب العالمين على عقبه وعقب عقبه بأن لا يدفن فيها غيرهم ومن بدّل أو غيّر فالله حسبه ويتولى الانتقام منه وأتممت وكملت هذه القبّة على يد المعلم أسطى أحمد أعراب الجزائرى بتاريخ أواخر شهر الله شعبان عام ستة وعشرين/ ومائة وألف ثم هاتين البيتين من الرجز: (ص 214)

يـــا داخـــــل القبّـــــة الله يرعـــــاك   أبشر بـــما ترجـــه مـــن خـــير مـــولاك

---

(1) الموافق 1686م.

(2) الموافق 20 جانفى 1708م.

وكتـــــب لهــــــذه الأســـــطار   أســـطى أحمـــد صـــفه بالنجّـــار

وعلى القول بأنه بناها بمستغانم فهى التى بمدينة المطمر من مستغانيم وهى التى دفن بها لما مات. ثم بنا (كذا) الأقواس التى بالبلانصة من وهران وكتب عليها اسمه وتاريخ البناء بها نصّه: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيء بعده، أمر ببناء هذه الأقواس المجاهد فى سبيل الله السيد مصطفى بن يوسف عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف[1] ولما دخل وهران بقى بها إلى أن أخرجه الإسبانيون منها ودخلوها مرة ثانية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف[2] فخرج منها وسكن مستغانيم وصيّرها قاعدة ملكه وبقى بها إلى أن توفى سنة ست وأربعين ومائة وألف[3] بعد ما ملك ستًا وأربعين سنة فدفن بها وعلى ضريحه قبّة مرونقة يجاوره بها قبر آغته الفارس الباسل الشجاع الكامل، البطل الصنديد، الهمام العتيد، الذى لا يطرق ساحة جاره الهم الملزومى، السيد البشير بن أحمد نجد المخزومى جد البحايثية، أصحاب الأقوال الصادقة والعطاء الحايثية. ولما حل أبو الشلاغم بمستغانم ومعه آغته البشير المذكور بنا (كذا) كل واحد منهما بها برجًا جليلًا فما بناه الباى يقال له برج الترك الأبطال، وما بناه آغته يقال له برج المحال. (ص215) وتوفى آغته المذكور، صاحب الاسم المشهور، ضحى يوم/ الاثنين رابع عشر من أول الربيعين سنة خمسين ومائة وألف[4] من هجرة حائز كمال الوصف. ولما مات رثاه العلامة الربّانى السيد يوسف بن بغداد الزيانى، بهذه الأبيات:

هنيئًــــا لـــك الجنـــان لا السّـــعير   يـــا كافـــل الأرمـــل يـــا بشـــير
لقـــد عشـــت ســـعيدًا فى رغـــد عـــيش   وفـــزت بالشـــهادة يـــا أمـــير
ببلـــدة مســـتغانيم كـــان المثـــوى   فـــنعم السكنى سكناك يـــا نحريـــر
وجـــاورت بـــالضريح خـــير إمـــام   وبـــالمطمر ضريحـــك مســـتنير

---

(1) الموافق 1725- 1726م.

(2) الموافق 1730- 1731. والحقيقة أن هذا الاحتلال تم عام 1732م.

(3) الموافق 1734م.

(4) الموافق 12 جويلية 1737م.

فمـــــن للأرامـــــل واليتـــــامى ومـــــن إلى العلـــــماء نصـــــير

لقـد بكـى (كـذا) هـذا القطـر عليـك وصـــار رونـــق القـــدر دثـــير

وفى ضـــحى الإثنـــين فى نقـــط يـــدّ مـــــن اول الـــــربيعين مســـــير

ســـنة نشـــق كـــان الارتحـــال وحـــلّ بنـــا مـــن الفـــراق تـــدمير

اهـ ولم يمت حتى أخّر نفسه عن الخدمة وصير أكبر أولاده بن عودة بمحله بموافقة باى الوقت على ذلك. ومحمد بن إسحاق المسراتى جدّ أبي الشلاغم هو الذى بنى (كذا) قصبة القلعة التى يقال لها قصبة المسراتية ويقال لها أيضًا قصبة بنى يوسف[1]. وكان للمسراتية رياسة وعزة كاملة بمسراته والقلعة وانقطعت بموت محمد بن إسحاق جد أبي الشلاغم ولما مات محمد خلّف زوجة حاملاً فأتت بولد ذكرو سمته يوسف ثم ماتت عنه وخلّفته فى كفالة أمها.

وكان بمسراته ولى كبير من أولياء الله المشاهير يقال له سيدى عابد/ بن الزرقاء يتعبد بمغاراتها التى بواديها وأصله من أولياء غريس، فاشتهى يومًا دشيشًا باللحم فسمعت به جدة يوسف المسراتى فصنعت ذلك، وأتته به لمحل تعبده ومعها مكفولها حفيدهَا يوسف، ولما أكل ورأت منه الإقبال عليها قالت له: يا سيدى ادع الله لخديمك هذا اليتيم من الأبوين فقال لها: هو خليفة على خليفة إلى ما شاء الله، وإن تعدّ الحدود زالت عنه ضمانتى، وخرج من دعاوق. ولما كبر يوسف قدم إلى الجزائر وانكتب جنديًا وكان بنواحى قسنطينة رجل يقال له: يونس قاطع للطريق لا ينجو (كذا) منه أحد، مشهور بالحرابة وقد نهب أموالًا عظيمة ولما بلغ خبره للباشا بالجزائر وتكررت عليه الشكاية به، جمع جنده وأرباب دولته وقال لهم: يا قوم إن يونس القاطع للطريق كثر ضرره للمسلمين وتعطلت السبل بسببه، ألم يأتكم عيب تدعونى أغزوه بجيشى وهو رجل واحد فقال له يوسف المسراتى: أنا أكفك أمره يا سيدى فذهب له وقتله واجتز رأسه وأتى به للباشا ففرح به كثيرًا وأعزه شديدًا، وقال له: اختر أى عمالة من هؤلاء (كذا) الثلاث أجعلك بها بايًا فأبى واختار أن يكون خليفة ببلد قسنطينة فذهل لها، وبقى بها مدة طويلة ثم جاء للناحية

---

(1) يقصد قلعة بنى راشد.

الغربية فسكن بمسغانيم ثم انتقل للقلعة بلد أسلافه وبقى بها خليفة إلى أن مات وترك ثمانية أولاد ذكور وبنتًا وهم: مصطفى أبو الشلاغم، ويوسف، ومصطفى الأحمر، ومصطفى قايد، ومحمد زرق العين، ومحمد أبو طالب المجاجي، ومحمد بن الزرقا، وعابد، وخروفة. فأول/ من تولى منهم بايًا بالإيالة الغربية: مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي كما مرّ. (ص 217)

الباي يوسف المسراتي

ثم أخوه يوسف بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي تولى يوم موت أخيه مصطفى أبي الشلاغم وبقى في الملك سنة واحدة، ومات بتلمسان بالوباء سنة سبع وأربعين وألف[1] ودفن بها وكان آغته الصنديد الكامل، الحائز للفضائل والفواضل، من في العطاء لا يعدّ وإنما يحث السيد ابن عودة بن البشير بن بحث.

الباي مصطفى الأحمر المسراتي

ثم أخوه مصطفى الأحمر المسراتي تولى سنة سبع وأربعين ومائة وألف(2) وسقى السمّ فمات بمستغانم، دفن مع أخيه أبي الشلاغم، وكان آغته الجواد الذى في العطاء لا يعرف العدد بل فيه يحث، الشجاع الوجيه منتشر الصيت ومسموع الكلمة بالجزائر دار الملك السيد بن عودة بن البشير بن بحث، ومات بمستغانم ودفن مع أبيه بقبّة المسراتية. ولما تولى السيد بن عودة المذكور مدحه العلامة السيد عدة بن داود العفيفي بهذه الأبيات التى مِسْكُها دفور، فقال:

ترونقت بحسنها البهيج	مستغانيم صارت في التّبريج
لما حل السهم بها بن عودة	آغة من اقواله محمودة
كالأفعال فإنها مرضيّة	وأنه نسبه بحثيّة
وابتهجت عن جميع المدون	وجميع القرى مع الحصون

---

(1) يقصد قلعة بنى راشد.

(2) الموافق 1734 - 1735م

أكـــرم بـــه مـــن وزيـــر جليـــل وءاغـــــة معظـــــم جميــــــل

فـــاق بفضـــله جميـــع الـــوزرا ونـــال عـــزًّا كـــاملاً لـــيس يـــرا

أنخبـــــه عـــــن غـــــير المسراق مصـــطفى الأحمـــر لـــه المـــواق

الباي محمد أبو طالب المجاجي المسراتي

ثم أخوه محمد أبو طالب المجاجى تولى بموضع أخيه مصطفى، وبقى فى الملك تسعة أعوام ومات قتيلًا من الدولة، وهو الذى ترك زيارة أولاد سيدى عابد بن الزرقا واشتغل بزيارة ولى الله أخى حمّ العياشى المغراوى بعياشة أحد بطون مغراوة بشلف فذهب وزاره بتسعة دنانير ذهبًا وسأل منه المملكة فقال له: هى لك وتبقى فيها بعدد ما أعطيت ولو زدت فى العدد لزيد لك فيه أيضًا: ولما سمع ولد سيدى عابد بذلك قال: إن أبى صرّهم فى صرّة وإنى قطعتهم فى مرة، لم يملك بعد هذا إلا قايد صاحب المقبرة، ولينفعهم العياشى لما تركوا خدمة صاحب الدشاشى، وهذا سيدى عابد هو مدفون بمقبرة البراق وهو الجبل المطل عل القلعة. وكان آغته الطود الأعظم والكنز المطلسم، ذو الأقوال والأفعال المحمودة، البحثاوى السيد ابن عودة، وقتله المجاجى المذكور بسبب أنه رأى (كذا) كلمته قد علت عند العرب والأتراك، وخاف منه التولية بموضعه أو توقيعه فى بعض الأشراك، فقتله غدرًا، ولما لم يطلع أحد على ذلك ذهب دمه هدرًا، وفرّ أخوه إسماعيل بإخوته وأمه إلى الغرابة فاستقر عند أبى علام بن الحبوشى رايس الغرابة فى أمن وأمان، وعزّ واطمئنان (كذا) ثم قال له أبو علام فى بعض الأيام: يا إسماعيل قد اشتد الطلب عليكم وقد خشيت على نفسى وعليكم من الوشاة أن يتملقوا/ بكلامهم عند الباى (ص 219) فيمكر بالجميع، والآن إنى أبعثكم عند دموش ولد لشحط العلياوى رايس أولاد على فتمكثون عنده فى الأمان على نظرى حتى ننظر فى عواقبكم بما قدره الله تعالى ولا يكون إلّا خيرًا، فساعده إسماعيل على ذلك وارتحل بأمه وإخوته لأولاد على وقد زوده أبو علام بكل ما يريد، فنزل عند دموش وبقى هناك إلى أن تزوج دمّوش بأم إسماعيل فصاروا فى أمان مع نظر أبى علام، ثم إن إسماعيل لما كبر واشتهر بالشجاعة ركب فرسه وذهب لأم عسكر لسوقها خفية فقضى

مثاريه(كذا) ولما رجع ألفى بالطريق أسدًا فقتله ثم تعرّض به بعض المغاطيس بطريقه وهم ثلاثة فقتلهم وحين وصل لبيته تحدّث فى الدوار بما وقع له فمن الناس من صدق ومنهم من ضحك ومنهم من كذب فقال لهم مربيه وكان رجلًا عارفًا بالأمور من جملة أعيان أولاد على: لا تكذبوا ولدى فى قوله ولا تضحكوا عليه؛ فإنه صادق فى ذلك وتعرفون بسالته وشهامته وإن تماديتم على ذلك فإنى أعلم والده دموشًا بذلك ويحل بكم الانتقام ثم أنه قال لإسماعيل اركب فرسك وامش به لذلك فركب كل منهما فرسه ومعهما أصحابهما وذهبوا للمحل فألفوا الأسد والمغاطيس قتلى فسلخ مربيه الأسد وأخذ جلده به رأسه واجتزّ رءوس المغاطيس وحملهم على أعمدة وذهب بهم للمعسكر فأعطاهم للباى وهم عصمان صهر المسراتية فقال له من فعل هذا؟ فقال له: إسماعيل ولد آغا البشير بن بحث وأخو آغا بن عودة ولد البشير بن بحث فال عصمان نحبك تأتينى به لما الأثر لم ينقطع فالحمد لله على ذلك فأتاه به فجعله/ (ص 220) خليفة على آغا المخزن وهو الشريف الكرطى التّلاوى.

الباي بمصطفى قائد الذهب المسراتي

ثم أخوه مصطفى قائد الذهب لقّب بذلك لكثرة جوده وإعطائه الذهب للناس ويقال له: باى المحال تولى يوم موت أخيه المجاجى، وهو سنة خمس وخمسين ومائة وألف[1] وبقى فى الملك ستة أعوام ثم قام عليه صهره زوج أخته خروفة وهو الحاج عصمان بن إبراهيم ففرّ منه لوهران عند الإسبانيين. وسببه أن أخاه محمد زرق العين كان متزوجًا بابنة دلّة الحشمى أحد أجواد الحشم وكان أكبر من قايد وخليفة عليه فقال قايد لأخ زوجة أخيه زرق العين: اقتله غدارًا ولك ما تحب من المال ونوليك شيخًا على عرشك: فذهب له صهره وقتله غدرًا وأخبر قايدًا بذلك ثم خشى من قايد وفرّ لعرشه فندم قايد على قتل أخيه ولما اعتدت زوجة أخيه تزوجها فبقيت عنده مدة ولم ير منها إحسانًا فقال لها ذات يوم أيتها الزوجة كيف لا تحسنى بى وأنا قائد المسراتى؟! فقالت له: إن كنت قائدًا كما يحكى عنك وتقوله أنت، فطلقنى لأنك لا توافقنى وأنا لا أوافقك

(1) الموافق 1742- 1743م.

بعد قتلك لأخيك ولا شك أن الله ينتقم منك كما قتلته غدرًا!! فطلقها ثم إنه نظر من المسارتية والرعية ما يكرهه وانتشرت الأقاويل بأنه قتل أخاه لأجل زوجته مع قيام عصمان عليه فقرّ لوهران وبقى بها إلى أن لحقه المحال بنجوعهم فارين من عصمان لما صال عليهم، فنزلوا بقرب وهران وأمّروه عليهم، ولما حصل الصلح بينهم وبين عصمان رجعوا لأماكنهم بين مينا وشلف/ (ص 221) وأتوا بقائد الذهب معهم فولوه عليهم، وخرجوا عن حكم عصمان بموافقة باشا الجزائر على ذلك ،ثم فر لتونس، وسببه أنه سمع من الباشا ما يكرهه، ورأى (كذا) المحال قد اتفقوا على تمكينه بيد عصمان ليقتله ويبقوا تحت حكم عصمان كون قايدًا صار إذا ميّزوا عليه فرحًا يعطيهم الصلة الكثيرة ظنًّا منه أنهم يحبون ذلك كسائر عرب زغبة وغيرهم وهم ينكرون منه ذلك ظنًّا منهم أنه أراد أن يتحدثوا به مع أهلهم إلى أن قالوا له يومًا: أيها الباى قد كثر غلطك معنا وسامحناك على ذلك فلا تعد لفعلك ولا تظن فى نفسك أننا نتحدث بك وبعطائك عند المحليات ونشكر بينهنّ، فإذا أردت ذلك فافعله مع بنى معين لا معنا، فانظر كيف اختلف الظن من الجانبين، ولما سمع ذلك فرّ لتونس ومكث بها إلى أن مات وبها ضريحه، ولم أقف على تاريخ وفاته.

يحكى أنه لما حل بتونس استقر عند امرأة كبيرة فصارت تطبخ له وتغسل ثيابه وهو يكرمها بما أحبّ إلى أن مرض ببيتها فشمرت على ساق الجد فى دوائه والإحسان إليه إلى أن برئ (كذا) فلم يجد ما يكافئها به إلا خاتم المُلك فنزعه من أصبعه وأعطاها لها وقال لها بيعيه لنفسك وعيشى فى ثمنه فأعطته للدلال فكل من أخذه لا يطيق على شرائه لكونه خاتمًا ملوكيًّا وتحدث الناس بذلك إلى أن بلغ الخبر لملك تونس فأمرهم بإحضار الخاتم فأحضروه ولما نظره تيقن بأنه خاتم ملوكى فسألهم لمن هو، فقال الدلّال: أعطته لى العجوز الفلانية فى المحل الفلانى لأبيعه لها؛ فأُحضرتْ لديه وسألها عنه فقالت: أعطاه لى رجل مغربى هو فى بيتى منذ كذا؛ فأحضر قايد لدى الأمير وكان يسمع بخبره وكان كاتب سرّه جاء مرة لمرسى وهران ورءاه (كذا) بها لما كان بوهران فلما ورءاه (كذا) الكاتب تيقن به معرفةٍ فقام له إجلالًا وعانقه غاية رغبة ورهبة فقال له باى تونس: من هذا؟ فقال: له فلانًا فعند ذلك أجلسه الباى عنده وقال له: هذا مقامك إلى أن تموت

أو يرد الله لك ملكك. فحصلت بينهما مودة الارتباط وتزوج قايد هنالك بامرأة وأتى معها ببنت يقال: إن من ذرية تلك البنت الوجيه السيد على ولد مصطفى ولد محيى الدين الذى هو الآن المترجم بالمحكمة الشرعية الفرانسوية بالمطلب الأول من وهران، وهو من أعيان المخزن الآن، وله كلمة نافذة فى جميع الأمور وذو عقل راجح وفهم ثاقب ولبابة وفطانة وذكاءة (كذا) وأدب وسياسة ومعرفة وكياسة ونصرة للمظلوم والقوى والضعيف، وإعانة ونصيحة للوضيع والشريف./ (ص222) وفى حال مكث قايد بتونس اجتمع به رجل يرجى من الأدباء فى إيابه من الحج فى وقت الصباح وهو بمحفل عظيم فقال: له السلام عليك أيها الأمير الخرير، أنعم الله صباحك يا باى ابن ثلاثة عشر بابًا ببلادنا فسرّه ذلك غاية وقال له: مثلك يليق للصحبة لكن هذه المقالة الأدبية ليتنى كنت معها فى بلدى ووصله بشىء فأبى الرجل مِن أَخْذه رأسًا. وقايد هو الذى غزا المعسكر حناشًا شيخ المهاية فأخذه وسلب له فرسه المعروف عند الناس بعود حناش وكان فرسًا طويلاً مع الأرض يقال: إنه كان يسابق ثلاث مشال ويعلف برشالة من الشعير. وقيل: إن الذى أتى به هو الباى إبراهيم المليانى الآتى ذكره قريبًا إن شاء الله تعالى.

فصل البايات المسراتية

واعلم أن المسراتية هم فضلاء البايات بالمغرب ولهم نسل قليل: فأما أبو الشلاغم وقايد فلم يخلفا إلا البنات.

وأما محمد زرق العين ويوسف ومحمد أبو طالب المجاجى ومصطفى الأحمر فلم يعقبوا شيئًا.

وأما عابد فخلّف ابنين وهما يوسف ومحيى الدين فأما يوسف خلّف ابنه القايد محمدًا وهو خلف محمدًا وأبا زيان، فمحمد خلّف محمدًا ومحمدًا الموجودين الآن ومنها محيى الدين خلف ابنه الخوجة وهو خلّف يوسف وهو خلّف أبا زيان وهو خلّف عدة أولاد موجودين الآن.

وأما محمد بن الزرقا فخلّف ابنين وهما ابن على وعلى فابن على خلّف محمدًا وهو خلّف عدة وقارة ومحمدًا موجودين الآن وعلى خلف مصطفى وهو خلّف ابنين عابدًا وبن يوسف وذريته بالقلعة الآن. وكان آغته الشريف الكرطى وهو عبد الله بن عبد الرزاق التلاوى.

الباي الحاج عثمان

ثم الحاج عثمان ويقال له: عصمان بن الحاج إبراهيم تولى أولا بتلمسان لما كانت القاعدة بها، وقام عليه مع أهل تلمسان يوسف المسراتى المتقدم الذكر فخلعه وتولّى مكانه. تولى ثانيًا على جميع الإيالة الغربية فى أواسط محرم الحرام فاتح سنة ستين ومائة وألف[1] فمكر بأهل تلمسان والمحال مكرًا كبارًا (كذا) أفنى فيه كثيرهم.

وسببه: أنه لما كان بايا فى المرة الأولى بتلمسان تعصّب عليه أهلها ونقموا حكمه وصاروا يرسون ساحته فى الليل (كذا) بكل نجاسة وميتة ودم وغيرها/ فاغتاظ لذلك شديدًا وترك حلق (ص 223) رأسه ولحيته إلى أن كبرا وهو فى تزايد الغضب ثم ذهب للجزائر وقد اشتد به العطش فى الطريق ولما مرّ بالمحال استسقاهم فأسقوه لبنًا وفى حال شربه أهرقوا عليه الإناء وقهقهوا بذلك فأسرها فى نفسه وأسرع فى سيره للجزائر، ولما دخلها اجتمع بالباشا بواسطة الأعيان فتعجب منه شديدًا وسأله عن حاله فأخبره بكل ما صار له مع أهل تلمسان ثم المحال فى طريقه فصبّره الباشا على ذلك ثم إنه سأل من الباشا التولية ويعطيه قدرًا من المال، فولّاه وأرسل معه الجيش فجاء به مغربًا وأوقع بأهل تلمسان إيقاعًا شديدًا. ومكر بهم مكرًا عتيدًا. ثم توجه إلى المحال وصال عليهم إلى أن أفناهم وأجلاهم لتلمسان ثم لوهران ثم رجعهم لمحلهم على أن لا يرفعوا رءوسهم وحلّ بهم ما هو مشهور على الألسنة ومذكور فى كلام الفصحاء كابن سويكت وعدة ابن البشير[2] وغيرهما ويحكى أنه قتل من أعيانهم فى يوم واحد أربعين بطلًا فضلًا عن غيرهم. ويحكى أيضًا أنه لما نزل بأرض المحال أتوه لينظروه وبأيديهم حجلة فقال لهم: ما عملت هذه

---

(1) موافق جانفى 1747م.

(2) كل من ابن السويكت، وعدة بن البشير، من شعراء الملحون فى هذه الفترة.

الحجلة المسكينة حتى أتيتونى بها بأيديكم؟! ثم أطلقها فقالوا: هذا الباى يقال له: مسكينة ولقبوه بذلك بينهم ولما رجعوا لأهلهم واجتمعوا بمديرهم وصاحب الرأى منهم قالوا له: الواقع وأخبروه بأنهم لقبوه مسكينة فقال لهم كفوا عن قولكم هذا وأطيعوه؛ فإن هذا الباى هو مفنيكم وأن الحجلة تجعل لكم فجلة، فكان الأمر كذلك. وجاءه المسراتية يومًا لقتله فألفوه بالمحكمة فضربه أحدهم بكابوس بيده فنجاه الله من ذلك ثم إنه ظفر بهم فقتلهم ولم ينج منهم إلا اثنان وهما ابن الزرقا وعابد لصغرهما ولكون الله أراد بقاء النسل فيهما ففرّ ا لضريح سيدى محمد بن عودة بفليتة واستجارا به فعفا عنهما وأمنهما. ولا زال بايًا إلى أن توفى بالمعسكر ودفن بها بعد ما ملك تسعة أعوام.

وهو الذى بنى (كذا) الجامع الأعظم بداخل المعسكر سنة توليته ونقش على حجارة اسمه وتاريخ البناء ونصه: الحمد لله حمدًا لا نهاية/ لطوله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا عبده (ص 224) ورسوله، أما بعد فقد أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحمود المعظم القامع للعداء مَن جمَع بين الشجاعة والنداء وطلع على الناس بدر هداء صاحب لواء الحمد الأسماء ومالك أزمة المجد الإحماء حاج الحرمين الشريفين أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، صاحب الرتبة العالية، ونخبة الملوك العثمانية مولانا الحاج عثمان باى بن السيد إبراهيم خلد الله ملكه ملكًا عاليًا، وهو على الأمة واليًا ساميًا، وكان فى شهر شعبان عام ستين ومائة وألف[1]. ثم بنى (كذا) الدار والقبّة الملاحقة للجامع الأعظم بالمعسكر المعروفة عند الناس بقبة الباى إبراهيم لكونه مدفونًا بها، وإلاّ فهى قبّة الشيخ عبد القادر الجيلانى نفعنا الله به، التى هى الآن محكمة قاضى المعسكر، وأمر بكتب اسمه وتاريخ بنائها فكتب بالحجارة بها نصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، أما بعد فقد أمر ببناء هذه الدار المباركة الأمير الأجلّ العدل الشهير الأكمل الرفيع الحظ المجاهد المرابط المقسط عدله فى الجواتز مدن النواحى الغربية عبد الله أمير المؤمنين مولانا الحاج عثمان بن إبراهيم خلّد الله ملكه ونصره حسبما أمر أيّده الله بتشييد

(1) الموافق أوت- سبتمبر 1747م.

هذه القبة العظيمة حرمة للشيخ الجليل سلطان الصالحين سيدى عبد القادر الجيلانى أدركنا الله رضاه قصد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم بتاريخ فاتح المحرم الحرام عام سبعة وستين ومائة وألف[1] وأمر بتحرير العلامة السيد محمد بن حوّاء وإخوانه، وبنى عمه التجاجنة من جميع التكاليف المخزنية وكتب لهم بذلك رسمًا نص ختامه: بأمر المعظم الجليل المجاهد الكفيل أبى سعيد السيد الحاج عثمان باى الإيالة الغربية وتلمسان فى أوسط جمادى الأولى عام سبعة / (ص 225) وستين ومائة وألف[2]. وكم له رحمه الله من غزوات لوهران ورباط عليها بقصد فتحها

ولم يمن الله تعالى بفتحها على يديه بل دخر فضل ذلك لمن هو محبوب لديه، وكانت وفاته سنة سبعين ومائة وألف[3] وكان آغته الشجاع الجواد، الكنز المراد عقد سمط الجواهر الشريف الكرطى التلاوى، وخليفته كافل الأرامل الشهم البارع إسماعيل بن البشير البحثاوى.

الباي حسن

ثم حسن باى تولى سنة سبعين ومائة وألف[4] ثم هرب من ملكه لإسطنبول لما أهانه الباشا بالجزائر وخليفته البحثاوى المسطور.

الباي إبراهيم الملياني

ثم أبو إسحاق إبراهيم باى الملیانى تولى عام السبعين ومائة وألف[5] وكان محبًا للعلماء بمحبته للعلم وراغبًا فى الصالحين لنيل الفضل والكرم، وهو الذى بنا (كذا) برج العسكر بالمعسكر، وأمر بكتب باسمه وتاريخه عليه فكتب بها نصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، أما بعد: أمر بتشييد هذا الفندق المبارك الظريف الجامع لعسكر الجزائر المنتصر سيدنا أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين، ناصر الدنيا والدين

---

(1) الموافق 29 أوت 1753م.

(2) الموافق مارس 1754م.

(3) الموافق 1756- 1757م.

(4) الموافق 1756- 1757م.

(5) الموافق 1756- 1757م.

لرب العالمين، مولانا إبراهيم باى الإيالة الغربية وتلمسان خلد الله ملكه وأعزه ونصره آمين، وكان الفراغ منه أول شهر الله العظيم رمضان عام ستة وسبعين ومائة وألف[1] عرفنا الله خيره وكفانا ضيره وشره آمين يا رب العالمين وصانع هذا التاريخ محمد بن الحسين بن صرماشق. وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة وألف[2] بعد ما ملك أربع عشرة سنة ودفن بالمعسكر بالقبة التى بناها الباى الحاج عثمان للشيخ عبد القادر الجيلانى الملاصقة للجامع الأعظم كما مر.

وكان آغته الفارس الأعظم والطود الشامخ الأفخم، والجواد الأكرم والشجاع الأعزم، البحر الطامى الألطم، الذى لا يدانيه شجاع ولا جواد له يساوى السيد إسماعيل بن البشير البحثاوى، الذى تسمت به مدينة العرقوب بالمعسكر، لكونه أول من بنا (كذا) بها فى المشتهر/ (ص 226). وهذا آغة مدحه العالم العلامة الدراكة الفهامة كثير المعانى ومشارك الفنون، قاضى المعسكر السيد محمد ولد مولاى على الشريف بن سحنون بأبيات من الرجز فقال:

تكاثر بالسيل السلسبيل ... لك وكل الخير يا إسماعيل
لقد نلت الحسنى مع الزيادة ... لما فيك للناس من إفادة
يا من وقاك الله من مساوى ... وأرقاك للعلا يا بحثاوى
يا من ترصعت بكل خير ... يا من تجنبت لكل ضير
يا ءاغ يا بن آغ يا بن شيخ ... يا رايس الوقت بكل فيخ
تغافلت عنا فى هذا الوقت ... فاجبر لكسير نجوت من مقت
قد قيل لى إن أمير المؤمنين ... إبراهيم باى يريد يا أمين
توليت غيرى وأنت المفتاح ... والاتكال عليك يا مصباح
وكيف قد أخشى وأنت عندى ... يا ملاذى وعدتى ورشدى
فلا تدع تمنيت الأمير ... تكمل يا عمدتنا الشهير

(1) الموافق 16 مارس 1763م.

(2) الموافق 1771-1772م.

ثم إن إسماعيل المذكور لما تولى آغة جعل أخاه الطود العظيم، الكنز المطلسم الفخيم، الفارس الأمجد، السيد عدة بن البشير بن نجد، خليفة عليه، وفوض له الأمر فى سائر الأمور التى تلقى عليه وفى عدة المزبور، قال العلامة السيد عبد الحليم المستغانمى هذه الأبيات التى كالدر المنشور:

لـك العـز قـد تـم بـأسر يـا عـده فأنـت بـإذن الله تخلـص مـن شـدة

وأنـت الـذى بـك الحـوائج قـد تـقضى ويحصـل لنـا كـل فـوز بـلا شـدة

ونبلـغ للأمـانى طـرًّا بأسرهـا فلـيس لـك شـبه فى فعلـك مـذ عـدّة

وكيـف يخيـب مـن تكـون لـه حمـا وأنـت المخزومـى مـن جـدك ومـن جـدة

وجعل أخاه الموفق بن البشير قايدًا على الدواير وأخاه يوسف قايدًا على العبيد وهم الزمالة ونظر بعين المودة فى أبى علام بن الحبوشى ودموش ولد الشحط وصير كلًّا منهما رئيسًا (كذا) على قبيلة ولما توفى أخوه الموفق ترك ولده قادى فى حجره فزوجه بابنته هكذا قيل والله أعلم.

الباي الحاج خليل

ثم/ الحاج خليل باى تولى سنة خمس وثمانين ومائة وألف[1] . وكان مبغضًا للعلماء (ص 227) والأولياء وغيرهم من أهل النفع، وتوفى بتلمسان سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف[2] فدفن بقبة سيدى محمد السنوسى جيرة ضريحه، وسبب موته دعاء الشيوخ الثلاثة عليه بالهلاك وهم: سيدى المدانى بن عطاء الله العمرانى الغريسى شاعر الرسول ﷺ وأصحابه والأولياء رضى الله عنهم، وسيدى الحاج الموفق الكبير بن سعيد الشقرانى ثم البوشيخى، وسيدى أبو ترفاس محمد بن محمد الساحلى شيخ الطلبة بالساحل، فالشيخ المدنى ورفيقه واعدهما خليل بالقتل إذا رجع من سفره باشتغل الأول بالاستصراخ بشيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الجيلانى فى عروبيته الملحونية يقول فى بعض أبياتها:

---

(1) الموافق 1771-1772م.

(2) الموافق 1778م.

الباى خليل لا ترده من ذى التغرابا يا الجيلانى بابا حلف فى وقال لى من السور ناليك.

واشتغل الثانى بالعبادة بأن تطهر ليلة طهارة كبرى، وانفرد وحده وشرع فى الصلاة بالقرآن العزيز هو قائم على رجل واحدة إلى أن ختمه فى ركعة واحدة ولما نام كل منهما أتى الهاتف لكل منهما وبشره بهلاك الباى فى سفره وأنه لا يرجع لأهله، ولما استيقظ كل منهما بعث رسولًا لصاحبه يبشره بهلاك الباى فالتقى الرسولان برأس الماء، وأخبر كل صاحبه فرجع الرسولان من هناك بعد التحويط على محل الاجتماع. وأما الشيخ أبو ترفاس فإنه غزاه الباى خليل بمدشرة بالساحل وأخذ قيطنته وفرق طلبته وَهَمَّ بقتله لولا أن الله عصمه منه فقال له أبو ترفاس: نحن مساكين لا معرفة لنا بالملوك ولا دخول لنا فى شئونهم وفضحتنا علانية بلا سبب فضحك الله وعجل بهلاكك لتستريح منك البلاد والعباد، فرجع الباى ولما وصل لحمام أبى غرارة بأرض دوى يحيى ابتلاه الله بعلة يقال لها الشهدة وهى حية عظيمة أصابته بين كتفيه وتعاظمت جدًّا وتخرفت كالشهدة وركبها الدود فحملوه لتلمسان فى أرذل حالة ولما وصلها مات بالبيت الذى بها دون علم أحد، ولما دخلوا عليه من الغد ألفوه ميتًا. وتوفى أبو ترفاس بعده بقليل فى فصل الشتاء ليلة الجمعة الحادى والعشرين من ذى الحجة الحرام سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف[1] / (ص 228)

وفيها ضحوة يوم الخميس عاشر رمضان[2] توفى القطب العلامة الحافظ الشيخ عبد القادر المشرفى ورثاه تلميذه الحافظ أبو راس بهذه الأبيات الرائية (كذا) من الطويل:

لقد كان للإسلام كهفًا وملجأ ... تراه فى أقل الشئون يبادر

له الباع فى كل العلوم بأسرها ... سريع الجواب عنها ليس بضاير

فيا لو رأيته بدرسه جالسًا ... وحوله حلقة الأسود الهواصر

كأن قمر الأفق فى غيهب الدجى ... من بين كواكب النجوم الزواهر

فيتلو فرايد عليهم نفيسة ... بحسن بيان واختتام عواطر

(1) الموافق 10 جانفى 1779م.

(2) الموافق 2 أكتوبر 1778م.

فتلقاهـــا أنـــوار القلـــوب بديهـــة كـــنقش فصـــوص للخـــواتم بـــواهر

يـــذلل صـــعاب العلـــوم لهـــم كـــما يقـــرب قاصـــيات عـــنهم نـــوافر

لـــه خلـــق كمثـــل أحنـــف الـــذى غرائبـــه مســـطورة فى الـــدفاتر

تعـــود بســـط الكـــف فى بحـــور النـــدا لقـــد فـــاق هرمًـــا ومعنـــى وعـــامر

أى ثـــرى الكـــرط كيـــف واريـــت ســـيدًا مـــآثره مثـــل البحـــار الزواخـــر

لقـــد حـــل فيـــك العلـــم والحلـــم والتقـــى فحســـبك رهنًـــا مـــن كـــريم العشـــائر

همـــام ثـــوى ضـــحى الخمـــيس لعـــاشر مـــن شـــهر رمضـــان الهـــدى والمغـــافر

مـــن ســـنة اثنتـــين وتســـعين قيـــدوا مـــن بعـــد المائـــة والألـــف أهـــل البصـــائر

وهى طويلة، وفى تسعين ومائة وألف[1] فى وقت الباى خليل حل بالناس قحط عظيم ودام إلى نصف إحدى وتسعين فزال بإذن الله تعالى، وإلى هذا القحط أشار ولى الله سيدى الأكحل الخلوفى المعروف عند الناس بسيدى الأخضر بن خلوف فى عروبيته الملحونية التى صيرها تاريخًا بطريق الكشف بقوله:

ونصف عام من بعد تذهب الكشرا

وكان آغته الهمام الفاضل الجواد الباسل، المتجنب لسائر رذائل الدعاوى، السيد إسماعيل بن البشير البحثاوى، وهؤلاء البايات التسع كلهم كانت لهم دار ملكهم المعسكر، وكلهم كان لهم اعتناء شديد بالجهاد ولم يفز منهم بالفتح الأول إلا أبو الشلاغم المسراتى.

* * *

(1) الموافق 1776-1777م.

الباي محمد بن عثمان الكبير

ثم أبو عثمان الفقيه المجاهد السيد محمد بن عثمان، باى الإيالة الغربية وتلمسان، الذى (ص 229) قيضه الله/ لفتح وهران، وأرشده إلى ميهع السعادة والغفران، والممتطى منصة الرضوان، ومشيد راية الإسلام والإيمان والإحسان، وباسط مهد العدل والأمان فى كل زمان، أتحفه الله برضاه، وجدد له اللطف وأمضاه، تولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف[1] على الصحيح، فكان رحمه الله من أهل البلاغة واللسان الفصيح، بعد أن كان خليفة على خليل رقى لمنصب الباى بالعز والتفضيل، فهو ثانى ملوك العثمانية، خلافًا لما فى أنيس الغريب والمسافر من أنه هو أولهم وهى قولة واهية، وبه رفع ذكرهم، وانتهى إليه خيرهم، فلقد دوخ الأتراك والأعراب، وهابته الأباعد والأقارب وذلت له الملوك والجبابرة، وخشيته الفراعنة والأكاسرة، وأطاعته الرعايا، وخصت به المزايا، ووفدت عليه الوفود ودارت به العساكر والجنود فحاصر مدينة وهران، وضيق عليها من كل فج نزهة الزمان، ودام عليها إلى أن فتحها فى أوائل المحرم الحرام [2] بلا وصب، ودخلها صبيحة وقبل ضحى يوم الاثنين الخامس من رجب سنة ست من القرن الثالث عشر[3] دون ثلب، كما مر ذلك مفصلًا ، مختصرًا لا مطولًا وفى وقته حصلت العافية قليلة الوجود، وتواخت (كذا) القبائل فى بعضها واصطلحت على الراحة وترك الفساد والعنود (كذا) حسبما أشار إلى ذلك الشيخ الأكحل فى عروبيته بطريق الكشف بقوله:

تـــأت العافيـــا فى أزمـــان مـــيم وحـــا   هـــجّ وزيـــد حـــرفين قـــول مـــيم وذال
تضـــحا القبائـــل أخـــو جميـــع مصـــطلحا   لـــــــــــــــــخ (كـــــــــــــــــذا)

وكان رجلاً جسيمًا بالتجدير، أسمر اللون لا بالطويل ولا بالقصير، محبًا للعلماء والصلحاء،والنبلاء، والأدباء والشجعان والفضلا، قريب الغضب سريع الرضا،شديد الحزم والأوامر والإمضا، كثير الغزو على أهل الصحراء، دائم الارتحال والإسرا، ففتح بنى الأغواط،

---

(1) الموافق 1778م.

(2) عام 1206هـ الموافق سبتمبر 1791م.

(3) الموافق 28 فيفرى 1792م.

والشلالتين، وعين ماض، ومزابا، وأبا الضروس، ونزل شرّاعة وهمّ بفتح بنى يزناسن وأبى عروس، وبلغ مبلغًا لم يبلغه أحد من ملوك الأتراك، ووصل المواضع التى صعبت على غيره وسهل عليه فيها الإدراك. وأعظم فتوحاته فتح وهران/ التى صيّرها الله على يده للمسلمين دار (ص 230) إيمان وأمان. وإلى ما تحت سلطاته أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

فملــــك آل منـــديل تحـــت ســـلطانه ... قـــد كـــان مـــدّ مـــن واجـــر إلى تـــنس

كـــــذلك ملــــك تُجــــين فى إيالتـــــه ... كـــذا الجـــدار القـــديم المـتقن الأســـس

ملـــك لآل يغمـــــور فيـــــه نضرتهـــــم ... كـذاك ملـك ابـن يعـلى اليفرينـى الـرئيس

لشــــعنب ومصــــاب مـــدت طاعتـــــه ... عـــلى مســـافات شـــتى مـــن أبى الضرس

وقد مر هذا فى الكلام على فتح وهران، وكان رحمه الله، والده عثمان الكردى حاكمًا بمليانة ثم صار بايا بتيطرى، فهو أول ملوك العصمانية، ولد ولدان ذكران أحدهما الباى محمد الكبير هذا وأمه أم ولد اسمها زايدة أهداها له ملك المغرب لمحبة بينهما، والآخر الباى محمد الصغير ويقال له الرقيق كما يأتى وأمه حرة اسمها خديجة بنت السيد محمد بن عيسى اللمدانية من مرابطى (كذا) المدية.

ثم إن الباى الذى نحن بصدد الكلام عليه لما فتح وهران وارتحل إليها بالسكنى (كذا) وصيرها دار ملكه الأسنى قصدته الشعراء من كل باب وتزاحمت فى الدخول عليه ومعهم العلماء ما بين إيجاز وإطناب، فمن ذلك قصيدة العلامة الجامع، الدراكة المانع الناثر الناظم اللافظ، الشيخ أبى راس الحافظ:

خلـــيلى قـــد طـــاب الشراب المـــورد ... لمـــا أن صـــار الأمـــير الثغـــر يقصـــد

وأجفـــت رحـــال الوافـــدين أم عســـكر ... وقـــد كـــان مـــأوى للوفـــود ومقصـــد

تجاذبتـــــه وهـــــران لمـــــا افتتحهـــــا ... وقـــد قالـــت جـــاءنى الملـــك محمـــد

فهـــات أعقـــارًا فى قمـــيص زجاجـــة ... كياقوتـــــــــة فى درة تتوقـــــــــد

يصـــب عليـــه المـــاء مســـبك فضـــة ... لـــه حلـــق بـــيض تحـــل وتعقـــد

جلوسًا على ذرى الحصون فما ترى ... بوهران ناقوسًا ولا الوثن يعبد

فهلا أبصرت طربها بأذاننا ... وقرائتنا أم كان طرفك أرمد

/ ألم ترها تهتز شرقًا إلى الندا ... إذا قال فى الخميس المؤذن أشهد

إذا قطعت بأندلس يد العدا ... يدًا بقيت والحمد لله لى يد

ومازال طمع المسلمين فى رده ... لعلمك أن الدهر يدنى ويبعد

فا هى وهران العداء صفت لنا ... وفى كل عورة لها لنا مرصد

كأن لم تكن بالأمس ترم صواعقها ... علينا بزمجر عتيلة صلد

تقنى من النار الجحيم بنفسها ... فيا عجبًا لى كيف يجتمع الضد

وكيف تدوم الخيزرات بفكرهم ... وتدمر ومنها الفريدة روند

وقرطبة كانت محط رحالنا ... شريس الشريسى وشقة ثم لوكد

بتذكارهم عمت وجمعت هومنا ... إلى أن نفى الأكدار قوم ممجد

بفتحه وهران واسطة عقدهم ... بها طال ملكهم قديمًا ممدد

زهت بها مصر ثم نجد وشامنا ... ويضربهم بها غريض ومعبد

وأهل الحجاز قد تسامعوا فعله ... ولاشك للمصريين يعلو ويصعد

فكان بوسط الغرب دخر مضرة ... وكم درة علياء باليم توجد

وعم العفات نيل فيض عطائه ... وذلك من إحسانه ليس يجحد

بها علا صيته الملوك بأسرهم ... فطاب له أصل وفرع وقعدد

ومنها قوله فيه أيضًا:

فقد سد ثلمًا كان يخشى اتساعه ... ورقع خرقًا ما عليه مزيد

وأصلح ما قد أفسدته صروفه ... وأذاب ما أثنى فخاب حسود

وقوم معوجًا من الثغر فاستوى ... وبلغه ما كان منه يريد

نفى عنه خبث الشرك والرجز والأذى ... وكم من رميم عاد وهو جديد

وجـلا كرويًـا عـم فى الأفـق وقعهـا ... وهـم لـه وسـط الفـؤاد ركـود
وأشرق أنـوار الهـدى بعـد حجبهـا ... أنـار لهـا دان وضـاء بعيـد
واطلـع فى أفـق السـعادة أنجـما ... لهـن تـرق فى العـلا وصـعود
وعـم وفـود العـالمين بنيلـه ... بـذكر لـه بـين الأنـام مشـيد
/ مـواس لأهـل العلـم فى كـل بلـدة ... وإن لم يكـن مـنهم إليـه ورود
جـدير بـأن يـدعى وحيـد زمانـه ... وتفخـر أبنـاء بـه وجـدود
فكـم رسـم مجـد قبلـه كـان باليًـا ... وكـم مـن واه ضـعيف عـاد جديـد
فجمـع خصـال الكـمال منفيـة ... فهـو بهـا عـن الملـوك فريـد

ومنها قوله فيه أيضًا من البسيط:

سـلطان وهـران مـا خيـب قاصـده ... زهـت بـه وعالـت (كـذا) أقـاليم الأمـم
شـد قواعـدها بحزمـه فعـادت ... مكفولـة بـه لم تيـتم ولم تـئم
يرثهـا بعـده أولاده أبـدًا ... كـإرث آل شـيبة مفتـاح الحـرم
فالـدنيا ألبسـت إلبهـا بطلعتـه ... رشـيدها الثـانى جـاءت بـه للعلـم
عـم بإحسـانه بـدوًا وحاضرهـا ... كـل لليـث للهضـبات يـروى والأكـم
فى قبـة مـن نـوى قـد شـيدت عـن حسـب ... وجعفـر بـن يحيـى بهـا مـن الخـدم
وابـن أمامـة وابـن سـعد أتباعـه ... وحـاتم وأبـو دلـف مـع هـرم
تعـودت كفـه بسـط الحسـام فلـو ... أراد قبضـها لم تعطـه بـل تهـم
سارمسـير زحـل فى منازلـه ... وهـب كـالريح فى الأراضى والأطـم
شـمس بـدت فى أعـلى الأفـق سـاطعة ... أضـاءت الخلـق مـن عـرب ومـن عجـم
ملـوك أقطـار الأرض هـم كواكبهـا ... شـعاع أنـواره وأراهـم كـالظلم
بشرى فقـد أنجـز الإقبـال موعـده ... بالكوكـب السـعد لم يفـل ولم يـرم
ذو المفـاخر أعيتـه مـآثره ... مـن دون أدناهـا وقفـوا عـلى العـدم

وبالجملة فإن ما قيل فيه من المدح حال سكناه بالمعسكر وفتحه لوهران وبعد فتحه إياها وسكناها كثير، يقل حصره وتضيق به الدفاتر (كذا)، وقصة فتحه لوهران مشهورة، مقررة مسطورة، ألف فيها العلماء كالحافظ النقاد، النور الوقاد، العلامة الماهر أبي راس محمد بن الناصر والحافظ البارع، العلامة الجامع، السيد مصطفى بن عبد الله الدحاوى وغيرهما عدة تآليف، وصنف فيها ما بين النثر والنظم جملة تصانيف وقد مر لنا بها طرف من ذكرها، حسبما نتجته/ (ص 233) القريحة من بنات فكرها.

منشآت الباي محمد بن عثمان بوهران ومعسكر والبرج

ثم إن هذا الباى المراد، الحاصل نفعه لجمع العباد، أمر بإلهام من الله تعالى فى اليوم الحادى والعشرين من فتحه إياها بهدم الأبراج الموالية للبر وهى برج مرجاج وبرج رأس العين الكبير والصغير وبرج الويز وبرج فراند وبرج كالوص (كذا) واشباههم من الأبراج الموالية للبر ومن عادته رحمه الله أنه مهمى (كذا) أشار برأى إلا كان فيه الخير والسداد وغرضه بذلك رفع الضرر عن المسلمين. وحسمًا لمادة النصارى فإن الباى أبو الشلاغم لما فتحها أولًا ترك الأبراج بلا هدم ولما رجع لها النصارى كان أول ضرر حصل للمسلمين من تلك الأبراج فلذلك أمر رحمه الله بهدمها. ولما استقل قدمه رحمه الله بها جميع لسكناها الناس من كل فج ومكان، وأمرهم بتعميرها ليتم فى الغاية الإيهان، فبعضهم بالإقطاع وبعضهم بالبيع بلا نزاع، إلى غير ذلك من الوجوه الصادرة من أمير المؤمنين وثمن المبيع عمر به بيت مال المسلمين، وفى يوم دخوله لها بأهله ومخزنه بغاية نيله، قدم أمامه العلماء والصلحاء وبيدهم صحيح البخارى تبركًا به وتيمنًا بفضله، فحقق الله ورجاءه، ونشر صيته ودمر أعداءه، وبنا (كذا) بالموضع الذى وقف به فرسه عند الباب للواقف مسجد الصلاة الخمس والجمعة يعرف عند الناس للآن بجامع بالناصف لكونه كان به وكيلًا، وبأموره قائما كفيلًا، ثم بنا (كذا) فى السنة السابع والمائتين والألف[1] قبة البرج

---

(1) الموافق 1792– 1793م، ولا أثر اليوم لمسجد بناصف ولو أن البعض يذكر أنه المسجد الذى بجوار باب الجيارة والذى حوله الفرنسيون إلى كنيسة وأعيد إلى مسجد بعد استعادة الاستقلال الوطنى، وذلك عام 1980م وأطلق عليه اسم مسجد أبى عبيدة عامر بن الجراح.

الأحمر فزادت له رونقة لصعودها للسماء مشرقة، ولما أكمل بناءها كتب على صالة مركز جلوسه بأمامه الأبيات التى أنشدها العالم الجليل، المتضمن الجميل، العدل الماجد، البارع الفارد، الكاتب الفاخر، الناظم الناثر، ذو المعانى والإعراب، والفنون والآداب، والكرم والفضائل، والأخلاق والشمائل الجامع بين الحسب والنسب الأصيل والمعارف والتحصيل، الشريف الجميل، الذى هو أنجب من كل من حثوا فى طلب العلم ولحوا، السيد مصطفى بن عبد الله بن دحو (كذا)، مؤلف فتح وهران وجامع الجواهر الحسان وهى من البسيط:

يـــا غـــافلًا عـــن أمـــور زانهـــا ذهـــب ولونهـــا لجـــين وتمرهـــا رطـــب (ص 234)

ونورهــــا مضيء وجوهــــا دائـــم وصـــوتها منشـــد بالحســـن مرتقـــب

/ أقصـــد إيـــوان أمـــير المـــؤمنين أبى عـــثمان تلفـــى الخـــيرات كلهـــا كوعـــب

بـــه تشـــارك مـــن نـــوى لمقصـــده فهـــو منـــافع للـــورى فـــيما أرهـــب

بــه اشــتباك الزهــر فى صــحفتيه حكــى فكيـــف بالعشـــائر المقـــيم صـــوحب

وحكـــى كيـــف الأهـــالى بـــه يتفنـــون وكيـــف يســـلكون بكلهـــم مـــذهب

فعنـــد ذا خـــاطبونى وابتســـامى بـــدا منـه جـواب عـن سـنو ى يظـل المنحـب

كيـف انسـباب الأمـور اللـوتى ارتبطـت بـــرضى مـــن يسرّ قـــدرًا وينتصـــب

أهكـــذا عقـــال عصرى قـــد التصـــقوا بالـــذى نصر القـــدير عـــلاه رجـــب

أظهـــر بـــه كيـــف الـــذى ترونقـــه محبـــة الصـــديق عنـــد الأهـــالى ركـــب

تجـــدهم بـــاختلاف فى الـــدعاء إلى مـــن واحـــد لواحـــد بالنّـــدا رتـــب

إلى كـــمال العطـــا مـــن غـــير مبتخـــل لأحـــد ولعطائـــه قـــد قـــرب

وبنا (كذا) المدرسة الجليلة العظيمة بخنق النطاح التى بها ضريحه وتعرف الآن بالمدرسة[1] وبنا (كذا) أيضًا الجامع الأعظم المعروف بها بجامع الباشا للآن وهو حسن باشا وكل ما صرف

(1) ما تزال هذه المدرسة قائمة وحولت إلى مسجد باسمه، أما القبر فغير موجود وهناك من قال بأن رفاته نقلت إلى مقبرة مول الدومة بحى رأس العين. وكذلك مسجد الباشا ما يزال قائمًا.

عليه هذا الأمير فمن عند الباشا. يحكى أن الباشا حسن لما بشر بفتح وهران سرّ سرورًا ولما رأته زوجته فاطمة وخالتها حل به الطرب العظيم قالتا له: كان اللائق بك لإتمام سرورك أن تبنى بها جامعًا عظيمًا يبقى ذكرك به مخلدًا فى الألسنة فعند ذلك أمر الباى ببنائه وبعث له بصندوقين، مملوين (كذا) مالًا واحدًا بعد واحد ليصرف ذلك على البناء صحبة أمين البنائين محمد الشرشالى ابن بيرت، ولما شرع فى بنائه حفر أساسه فى بستان تحت البرج الأحمر فألفى بالأساس قلة معمرة ذهبًا فصرفها فى البناء أيضًا وجمع لمنارته حجرًا ضخمًا أتى به السخارة من برج الصبايحية فى أربعة أيام متوالية وكلما صرفه الباى على الجامع مفصلًا ومجملًا فهو مذكور فى دفاتره وضربنا عنه صفحًا خشية السئامة (كذا) وابتدا (كذا) بناءه فى السابع من الثالث عشر بعد فراغه من القلة وأتم بناءه فى الثامن أو التاسع منه وتاريخ ذلك مكتوب بالحجارة التى بها جملة الأشياء المحبسة، وبنا (كذا) رحمه الله الجامع الأعظم قليل الوجود بالعين البيضا (كذا) من بل المعسكر وأحاط به/ المدرسة، وتاريخ بنائه بمدرسته مكتوب بجانب محرابه ونسيته لطول العهد، كما بنا(كذا) (ص 235) جامع الكرط، والجامع الأعظم بمدينة البرج، إلى غير ذلك من شعائر الإسلام والتى عملها وكتب على بعض حوائط البرج الأحمر تاريخ فتحه لوهران ومن فتحها وأى سلطان وباشا كان الفتح فى وقته مع تاريخ دخوله لها ونصه: الحمد لله وحده فتحت وهران وأعادها الله للمسلمين وخرج الكفار منها أذلة صاغرين فى سعادة المعظم السلطان الأفخم والخاقان الأفخم الخائف من مولاه الطائع الأواه، السيد سليم نصره الله، ودولة المعظم الأرفع والهمام الأنفع، حسن باشا أيده الله على يد محيى الدين كثير الغزو والجهاد وقامع أهل البغى والفساد، السيد محمد باى بن عثمان باى وفقه الله، فى أوائل محرم الحرام سنة ست ومائتين وألف، لتمام المرام،ودخلها بتاريخ يوم الاثنين الرابع من رجب الأشرف سنة ست ومائتين وألف . اهـ. لكن فى كثير النقل أنه دخلها فى خامس رجب وربك أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وكان محبًّا للطلبة ولذلك بنا (كذا) لهم المدرستين الأولى بالمعسكر والثانية بوهران.

يحكى أنه لما رفعت له الشكاية من أهل وهران بالطلبة وتكررت عليه أمر بإخراجهم من وهران لينظر فى ذلك فخرج الطلبة منها، وانصرفوا بكلهم عنها، وهو ينظر فيهم من محله وقلبه

متحير فى الأمر بكله، فلم ير من لحقهم ورء (كذا) النساء درجن على الأسطاح وأعينهم شاخصات نحوهم أسفًا عليهم وفى غم من أهل الصلاح، فجاءه آغته الأسد الضرغام، البطل الهمام الشهم الكامل، الجواد العاقل، الكمى الباسل، فارس القتال، وصنديد النزال مبدد الأعداء، وفاصل الدعاوى، آغة السيد قدور الكبير بن إسماعيل البحثاوى وقال له: يا سيدى لا يليق بك ولابنا طرد الطلبة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى، ويتلون كتابه العزيز بالإتلاء الحضى وإنما اللائق أن من فعل ذنبًا يستحق به العقاب، عقب ومن لا فلا بلا ارتياب. والذين اشتكوا لك بهم بأنهم أهل افتيات عليهم بحفظ أنفسهم وأهلهم مما ادعوه عليهم بغير إثبات، فقبل منه هذا الكلام،وفرح به كثيرًا بالانتظام، وأمر بردهم لمحلهم فرجعوا، بعد أن خرجوا منه وفزعوا، ولما استقروا بمواضعهم، واشتغلوا بمصانعهم، ذهب/ لهم على فرسه بشواشه، متبخترًا فى سيره ونواشه، وحين وصلهم لمحلهم، دفع لهم مالًا كثيرًا زيارة بقصد التبرك بهم، وقال لهم: أيها الطلبة اشتغلوا بالقراءة وكفوا أنفسكم عن الإذاية فما فى المدينة من يحبكم إلا ثلاثة فى المحبة سواء، وهم: أنا وآغة قدور بن إسماعيل البحثاوى والنساء. وفى آغة المذكور الفارس المشهور، قال الحافظ العلامة القدوة الفهامة إمام المحققين وحافظ الوقت على الإطلاق بالتبيين الشيخ محمد أبو راس الناصرى هذه الأبيات:

ألا إن أوصـاف الكـمال تجمعـت ... بأسرهـا فى شـهم جليـل تبرعـت

أمـوره وهـو قـدور الـذى قـد فـاق ... غـيره ورتبـه إلى السـما قـد علـت

سـليل إسـماعيل سـليل بشـيرها ... يلقـب ببحـث تلقيـًا لـه دنـت

جميـع قواصـيها وحـاز كمالهـا ... كـما لسـطوته الرقـاب قـد أخضـعت

ونـال علـوًا لا ينالـه غـيره ... فـما للبحثـاوى مـن شـبه يـرى

وكانت رئاسة المخزن بين آغا هذا ومحمد الزحاف ولد الشريف الكرطى التلاوى نوبة ابتدئت (كذا) من هذين توفى الباى رحمه الله ببلاد صبيح حال إقباله من الجزائر على الصحيح سنة ثلاث عشر ومائتين وألف[1] بعد ما ملك عشرين سنة، وما فى «در الأعيان» و«أنيس الغريب» و«المسافر» من أنه بقى ثمانٍ عشرة سنة سهو لما قد علمت أنه تولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وبينهما عشرون سنة صحيحة، وبالجملة أنه كان خليفة على خليل سبعة أعوام وبايًا مستقلًا عشرين سنة فذلك سبعة وعشرون سنة خدمة للدولة العثمانية المنصورة، ولما طار خبر موته لأهل الجزائر بعثوا لابنه عثمان خليفته وهو الأكبر أولاده بالمملكة فركب فورًا، وحث السير إليهم حثيثًا بعد ما بعث أباه لوهران، وأوصى على دفنه بالمدرسة التى بالموضع المسمى بخنق النطاح من وهران وحين وصل الجزائر ولّى بايًا مكان أبيه تلك السنة. وكان للباى محمد ألقابٌ وكنى، فالألقاب: يقال له: الكبير والمجاهد/ والأكحل (س 247) والمنصور. والكنى: يقال له أبو عثمان وأبو على وأبو محمد وأبو أحمد وأبو الفتوحات وأبو النصر وأبو المواهب وأبو الربيع وأبو الفتح إلى غير ذلك. قال الشيخ حسن خوجة فى درّ الأعيان، والشيخ مسلم فى أنيس الغريب والمسافر: وحدث بأول مملكته بالمعسكر مسغبة عظيمة هلك بها أناس كثيرة إلى أن أكلوا فيها الميتة والدم والخنزير ولحم الآدمى والعياذ بالله من ذلك.

قلت: وهو مخالف لما مر من أن ذلك حدث فى أيام خليل وهو الصوابْ، ثم حدث بأيامه الطاعون العظيم الذى لم يحدث فى هذا الإقليم قبله قط إلى أن مات به جل الناس بدوًا وحضرًا وآل فيه الأمر إلى أن انتقل أهل الحضر والباى بأهله ومخزنه إلى البدو فى خيام الشعر ظاعنين ظعن الأعراب البادية زمانًا طويلًا وقد جعل الباى خيمة حمراء من الوبر وسكن بها ببلاد أولاد سليمان أحد بطون بنى عامر وأدار بها الزمالة ثم أدار بهم الدوائر فسمى بذلك الزمالة والدوائر لكونها زمالة الباى ودوائره وسمى العام بعام الخيمة الحمرا.

(1) الموافق 1798 - 1799م.

ثم حدثت الزلزلة العظيمة التى لم تحدث قبل ذلك واشتدت بوهران أكثر من غيرها إلى أن سقط بها الدور والأبراج على أمم من النصارى فأهلكوا بذلك، ودام ذلك إلى أن اتخذ النصارى بيوتًا من اللوح لسكناهم. قيل: وتلك الزلزلة هى سبب فتحها كما مر.

وهذا الباى المنصور هو الذى جعل على المخزن رايسين (كذا) أحدهما كبيرًا، وهو آغا الدوائر والأخرى صغيرًا وهو قائد الزمالة وإلا فكانوا قبله تحت رايس (كذا) واحد وهو القائد آغة وكان من الدوائر لا غير كما مر. وأول من تولى ذلك من الزمالة مصطفى بن قرادة فإذا تولى قدور بن إسماعيل الكبير فإنه يتولى مصطفى بن قرادة وإذا تولى محمد الزحاف ولد الشريف الكرطى التلاوى، فإنه يتولى قدور بن على وهلم جرًا.

الباي عثمان بن محمد

ثم ابنه عثمان بن محمد بن عثمان وهو ثالث بايات وهران، وأبوه ثانيهم،وأبو الشلاغم المسراق أولهم. كما مر. تولى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف[1] بعد موت أبيه بأيام قلائل وبقى فى الملك ثلاثة أعوام غير شىء، ولما تولى نقل الحكومة من البرج الأحمر إلى القصبة التى بأعلى البلانصة من ناحية مرجاجو واشتغل ببناء المعالم المرونقة، والغرف المعددة المزوقة، والقصور المشيدة والأساطين الكثيرة المعددة، وغرس/ الأشجار ذات الفواكه والروائح الطيبة المختلفة، (ص 238) وجرى المياه فى القوارير المؤتلفة وأعرض عن المملكة باللّبّ وأقبل بكله على اللهو والطرب، فانهمك فيه انهماك بعض ملوك العرب، فصار مجلسه لا يخلوا (كذا) من الأدباء الظرفاء، والسادات الأعيان والشرفاء ولم يلتفت لما كلفه الله به من أمور الرعية، بل جعل ذلك نسيًا منسيًا بالكلية، وكان من جملة ندمائه حقًا، وأظرفهم خَلقًا وخُلقًا، الفقيه اللبيب، الكعب الأريب، الآخذ من كل علم وافر بنصيب الحائز للآداب بكمال المرعى، السيد محمد بن الجيلانى الخروبى، القلعى، الذى قال فيه الفقيه الحاذق، البارع السابق، النحرير الماهر السيد مسلم بن عبد القادر، هاتين البيتين بمدحه فيهما بدون مين:

(1) الموافق:1799م.

ونـــــديم لأبي محمـــــد عـــــثمان مصـــــدّر في كـــــل شيء فقيـــــه
عفيـــــف ذو نجابـــــة مهـــــاب ظريـــــف ذو رياســـــة وجيـــــه

وقد تقدمتا. واتخذ مجلسًا للخلوة بأحكام، فصار لا يخرج منه للحكم إلا بعد مرور أيام، وصرف أمر رعيته إلى من شاء من أرباب دولته، فانتفعوا نفعًا كثيرًا، ونالوا من الرعية مالًا غزيرًا، وهو لا يلتفت إليهم في الذكر والسهو؛ لما شغف به من أمر اللعب واللهو، حتى إنه جاءه يومًا بعض قواده للمحاسبة على ما بيديه، فطرده وقال له: إن المحاسب هو الله ولا يكون الحساب إلا بين يديه، وارجع إلى سبيلك وأمرك، فإني لست بملتفت لما بيدك أو بيد غيرك. ودام على ذلك إلى أن أداه حاله للعزل، ورجع أمره من السمن إلى الهزل، وذلك أنه بعث مع بعض التجار لتونس مالًا ليشترى له بعض الجوارى المغنيات، ذات الجمال والغناء الفائقات فأتاه بجاريتين مغنيتين بارعتى الجمال والغناء متصدرتين فيه لإنالة المنا، تذهبان عن القلب ما به من النصب والعنا، فتسلى بهما ليالى وأيامًا ولغيرهما تحاشا،إلى أن بلغ خبره للجزائر إلى الباشا، فغضب منه غضبًا شديدًا، ونهب ماله، وسمر داره وكبّله قيدًا حديدًا، ونقله إلى البليدة، على غير الحالة المرضية فنزلها بأهله وولده وحشمه نزلته الكلية.

ثورة أحمد بن الأحرش الدرقاوي

(ص 239) وبقى بها إلى أن تولى بايًا بقسنطينة/ وحاله لم يتشوش إلى أن قام عليه ثائرًا رجل من درقاوة يقال له: السيد أحمد بن الأحرش، فتى مغربي مالكى مذهبًا، ودرقاوى طريقة، درعى نسبًا، جاء لتلك القبائل وادعى أنه الإمام المهدى المنتظر، وكان صاحب شعوذة وخنقطرة وحيل وخبر، يبدل بها الأشياء للشيء الذى يريد فورًا، كاستحالة البعر زبيبًا وتقطير السيف دمًا والحجارة درهمًا والروث تمرًا، فرأت الناس منه العجائب، وأظهر لهم الأمور الغرائب، التى هى قلب العين، لا حقيقة لها دون مين، فنصروه وعقدوا له البيعة حزبًا حزبًا، وجندوا معه وأمره كله كذبًا واتبعوه في المصادر، وامتثلوا له في النواهى والأوامر، فحرك بهم على قسنطينة وحاصروها يومًا كاملًا، وكان الباى عثمان خارجًا عنها لبعض شئونه (كذا) فلما سمع أتاه عاجلًا، فألفاه هزم

وأصيب بالرصاص فى فخذه فتكسرت، لكن حاله لا زال مجتمعًا غير متشتت، فبات بداره ومن الغد خرج لطلبه وهو بوادٍ يقال له: وادى الزهور بلحقه هناك وأثخن فيهم بالقتل والسبى والأسر والحرق أمنه من شوكتهم الغرور، إلى أن توغل فى بلادهم وقد ترك وراءه معقلًا صعبًا ومضيقًا وعرًا. وكان أمره منشورًا، ففر القبائل للمعقل وأجروا فيه الماء وداروا بعسكره من كل جانب دحورًا، واشتد القتال وحمى الوطيس وكبر النهار، فهزم الباى هزيمة شنيعة وولى الأدبار، فوجد المعقل على غير ما تركه فحل به المكر بالقتل والأسر والكسر والسبى إلى أن كب به فرسه فى الطين ثم فر عنه وتركه؛ فأخذ الباى وقتل هنالك و فرح ابن الأحرش بذلك، ولم ينج من جيش الباى إلا القليل، وقد أدارت (كذا) بهم القبائل إدارة عظيمة صار العزيز بها كأنه الذليل قال صاحب در الأعيان، وكذا صاحب أنيس الغريب والمسافر: وحدث فى أيامه الطاعون الذى كان قد وقع وذهب فمات به جل الناس وكثير من العلماء، منهم بالراشدية العلامة الإمام، والفهامة الهمام، ذكى الفهم والأحوال ذكاءة المسك والعنبر والقرنقل وزهر القرفة السيد عبد القادر بن السنونسى بن دح بن زرقة، ومنهم صنوه الفقيه ذو الفهم الراشمى، الخرير السيد الهاشمى، ومنهم ابن عمهما الفقيه الأديب الألمعى الذكى الأنجب الشبيه بالأوزاعى مؤلف فتح وهران السيد مصطفى بن عبد الله وغيرهم من الأعيان، وظهر الجراد الكثير كثيرًا جسيمًا/ (ص240) فأفسد الزرع والثمار فسادًا عظيمًا، وكان آغته بالدوائر الشجاع الطاوى، السيد عثمان بن إسماعيل بن البشير البحثاوى، وبالزمالة قائده قدور بن على الثابت فى الجزئى (كذا) والكلى، ثم صار على الدوائر آغة بن عودة ابن خدة أحد أجواد غريس من ذرية الممدود وتوليته على المخزن من وضع الشيء فى غير محله وتطور الشخص على غير شكله، وسبب توليته أنه كان شاوشًا على آغة قدور بن إسماعيل ثم تزوج آغة بابنته ميرة فصيره خليفة عليه ولما مات قدور وتولى أخوه عثمان أبقاه معه خليفة إلى أن مات عثمان تولى آغة بموضعه وبقى آغة إلى أن مات بغارته انقاد فى وقت مصطفى باى فى توليته الأولى.

الباي مصطفى العجمي وثورة درقاوة

ثم الحاج مصطفى بن عبد الله العجمى وهو رابع بايات وهران التى منها سبعة سرد، وواحد فرد، تولى سنة خمس عشرة ومائتين وألف[1]، وكان رجلًا عاقلًا لكنه جبانًا أدته جبانته للشقاوة حتى هاجت فى أيامه هيجانًا عظيمًا عامة درقاوة، وقد أشار عليه بعض الأولياء بقوله (كذا) سيأتى مصطفى عصى، وهو فوق الكرسى والناس تعصى، وفى السنة الثانية من ولايته وهى سنة ست عشرة ومائتين وألف[2] غزى (كذا) أهل انقاد عزوته الذميمة فهزموه الهزيمة العظيمة، مات فيها جملة من رؤساء مخزنه الأعيان منهم آغته ابن عودة بن خدة وللجنان ذهبوا، واشتدت الهزيمة حتى أسروا وسلبوا، وهى أول واقعة وقعت بهذا الوجه فى المخزن، فدخله بها الرعب والوهن بعد أن كان فى أحواله بالقلب هو المطمئن، وكثر طمع الرعية فى شبه ذلك وقد مس المخزن بعض الجبن والكسل من ذلك، لا سيما إذا كان الأمير جبانًا خوالًا، فلم يزدهم ذلك إلا جبنًا وكسلًا (كذا) لأن الرعية تابعة للراعى فى الصلاح والفساد وأحوال المراعى، والجيش إذا كان رايسه (كذا) أسدًا فهو بذلك جدير، وإن كان بعكس ذلك فهو بحسب الأمير، قال الشاعر:

المــــرء فى ميزانــــه أتباعــــه ... فاقــــدر إذا قــــدر النبــــيّ محمــــد

أسباب ثورة درقاوة

وسبب قيام درقاوة، أهل الحالة الدالة على ذم وشقاوة، أنهم عامة ينتحلون العبادات، ويتلبسون على الناس ببعض الخيالات، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهم فى أحوالهم فى غاية التلطف لإنالة ما لهم به التوصف، يجتمعون فى الأسواق والطرق والفنادق ومراح الدواوير والمقابر والمواسم والزوايا حِلقًا حِلقًا ويذكرون لا إلا الله جهرًا مناوبة/ ثم يذكرون الاسم المفرد (ص 241) بالأصوات المتجاوبة، ثم يقومون للشطح والرقص بعد الأكل الكثير، إلى أن يغمرهم العرق والتشرير، ويركبون على القصب والكلخ وما هو كالعهن المنفوش، ويعلقون القرون وقلائد

---

(1) الموافق: 1800-1801م.

(2) الموافق 1801- 1802م.

البيوش، ويتسابقون على تلك الحالة، ويعتقدون أنهم على أكمل الحالة، ويلبسون الثياب المرقعة، ويرومون المسائل الموقعة، وربما أخذوا جديد الثياب! فيقطعونها ثم يرقعونها بالاستعجاب، ويظهرون الزهد فى الدنيا إظهارًا كليًا، ويجلبون الناس للأخذ عنهم والدخول فى طريقتهم تحليًا، ويذمون الدنيا وتابعها، ويعظمون طريقتهم وجامعها، ويطالعون كتب التصوف فيأخذون منها الألفاظ الدالة على ذم الدنيا ومدح الآخرة. وفى الحقيقة أنهم ليسوا من أبناء الدنيا ولا من أبناء الآخرة، وإن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا، وأقدم حالة وأكذب مقيلًا، ويكرهون الأولياء والعلماء ويقدحون فى أمواتهم سيما شيخ المشايخ الشيخ عبد القادر الجيلانى ذا السر الباهر، وينفون عنه التصوف بالكلية وينسبونه لأنفسهم بالإخفاء والظاهر، وينتسبون إلى رجل مغربى من بنى زروال بوادى أبى ريح من فرقة يقال لها: درقاوة، يقال له: الشيخ مولاى محمد العربى بن أحمد وينسبون له السر والنقاوة، أخذ عنه جملة من أشياخهم وأصولهم وأفراخهم، منهم السيد عبد القادر بن الشريف القائم بالغوغاء والعامة على أهل الملك والتصريف، وهو من أولاد سيدى أبى اليل (كذا) المرابطين بقبيل الكسانة النقد،حى من أحياء العرب البادية المتوطن بوادى العبد، وكان هذا القائم فى أول حاله عالمًا متفننًا فى سائر العلوم، محققًا لها بقيودها والمنطوق والمفهوم/ ورعًا زاهدًا، متعبدًا راكعًا ساجدًا، صائمًا قائمًا، حنينًا راحمًا، أستاذًا يقرئ (كذا) القرآن (ص 242) ويعز أهله ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله، والناس يشيرون إليه بالصلاح، والنّسك والنجاح، فذهب للمغرب وأخذ عن مولاى العربى تلميذ مولاى على الجمل، فقدمه على إعطاء الذكر لمن بهذا المحل، ثم رجع من المغرب وترك ما كان عليه من التعليم، واشتغل فى زعمه بالتربية والتكليم، ولم يدر أنها انقطعت فى القرن التاسع باتفاق من الأئمة وليس فى هذا مدافع، ولبس الخرقة المرقعة وعلق البيوش وركب الكلخ وعلق القرون المرقعة،وابتدع أمورًا يمجها الطبع وينكرها الشرع، واقتدى به فى ذلك الجل من الناس، وأخذ عنه كل من هو فى عقله فى غاية الإخساس، خصوصًا أهل الصحراء فأذعنوا له إلى أن قهرهم قهرًا، وزاغت به نفسه الأمارة بالسوء وباع آخرته بدنياه، ثم أصبح بلا بها معايا ويلاه وصارت عامة درقاوة تجتمع إليه، فيخرج بهم إلى الصحراء فيجتمعون عليه، وتتلقاه الأعراب بالفرح والسرور، حتى أخذت عنه

جميعها الورد وهو في سرور ، وصارت كل شيعة تهدى إليه الهدايا، ويأتون إليه من كل فج بالعطايا، ويشتكون إليه ضرر المخزن وما هم فيه من أداء المغارم ولم يعلموا أنهم سيرجعون إلى انتهاك المحارم، فكان يعدهم بالفرج القريب المشكور، ويجمع تلك الزيارة والهدايا فيذهب بها إلى شيخه المذكور ويدفعها إليه ويقص عليه ما هم فيه خدامه من إهانة المخزن إليهم، فيقول له: انصرهم والله ينصرك عليهم، فحصل له بشيخه الطمع الكثير مع ما نظره من اجتماع الغوغاء عليه بالأمير العسير، وهم الأحرار وغيرهم من أهل العناد، الذين يشبهون بصغار الجراد في الفساد، فدعا أهل الصحراء كالأحرار وغيرهم لمبايعته فأجابوه فورًا لذلك ولكل ما يشتهي (ص 243) وأقام بالأحرار/ يأمر وينهى. وفي هؤلاء- درقاوة- وقع السؤال والجواب من العلماء أولى الألباب ونصه:

أيا أهل تطوان فما الحكم عندكم ... في أصحاب درقا وإلى الجمل ينسب
بنص يزيل المشكلات بأسرها ... أيتبع مطلقًا أم الترك أصوب
ومن أين ذاك الأخذ بالسند الجلب ... كما قرروا للشاذلي الجاه يحسب
إذ المحدثات شاع في الناس حكمها ... يا ذا الأمن بالأوطان بلدنا مغرب
وما أحدثوا من جلد ذيب ونحوه ... في لبسهم والحبل والعود يركب
إذا نصبوا للاقتداء فهل لنا ... ثواب صلاتنا أم الأمر أصعب
وهل غيبة تجرى وينصق عادل ... جوابكم نبغى من الحوض نشرب

جوابه

عليك سلام الله يا سائلي فخذ ... نقولًا من المعيار بالسوط يضرب
وابن هلال شدد جدًّا محررًا ... ومن يتبع ذا الأمر إبليس يصحب
ومن يعتقد الرقص والشطح باليد ... عبادة ربه فزنديق يحسب
وقد خالفوا سبل الرسول محمد ... ومن خالف سن النبي يعذب
إمامتهم مع الشهادة باطلة ... لبدعتهم حقًّا وصدقًا مركب

فـلا غيبـة تجـرى فى سـبعة طبقـوا فى مـثلهم الأخيـار للعلـم ينسـب

فهـذا هـو المشـهور عنـد جمـيعهم فجنـب طريـق اللهـو للحـق تقـرب

وأيقـن بـأن الله أنـزل حكمـه فى تنزيلـه القـرآن شرعًـا مهـذبّ

معركة فرطاسة ونتائجها

قال: فبينما الناس على غفلة إذا بابن الشريف أصبح قائمًا بأقوالهم، معلنًا بجهاد/ الترك (ص 244) والمخزن محللًا لدمائهم وأموالهم فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب ومكان اللحرك، وهبط مع وادى مينا قاصدًا نحو المخزن وأذن لأتباعه فى النهب لأموال أتباع الترك، وكان الباى فى بعض حركاته راجعًا بعد فراغه منها إلى وهران، ولما سمع بالدرقاوى جمع له الجيوش وخرج للقائه فبلغه الخبر المحقق وهو نازل بالموضع المعروف بالبطحاء الآن بأن ابن الشريف بمينا بقرب تاقدمت بجيشه حائطًا، فصار الباى صاعدًا نحوه، وابن الشريف له هابطًا، إلى أن تلاقيا بفرطاسة فى غاية الحزم والشدة، وكان ذلك المحل ما بين مينا ووادى العبد، فاشتد القتال بينهما على الماء. وصارت نار الحرب بينهما دائرة بالحتوف، وتزاحفت لبعضها بعضا الصفوف، وتراكم الأمر وحمى الوطيس المعروف، فانهزم الباى وقام مخزنه على ساق واحدة وركب العدو بظهره فى تزايد، وصار يقتل ويسبى ويأسر على قرب أم العساكر، وبقيت محلة الباى بما فيها بيد الدرقاوى المتجاسر، فأمسى الباى بمخزونه فى نكد، وأصبح الدرقاوى بأتباعه فى رغد، فسبحان المعز المذل الإله بوحدانية المنفرد، ودخل الباى للمعسكر على غير الحالة المعهودة، وعساكره خلفه مطرودة، ومات من خزنه خلق كثير، وعدد حصره عسير، من جملتهم كاتبا الباى وهما: العلامة السيد الحاج أحمد بن هطال التلمسانى الراوى، والعلامة الأديب أبو عبد الله السيد محمد الغزلاوى، إلى غير ذلك من الأعيان الذين انتقلوا إلى جنة الرضوان، وفيها قال السيد حسن خوجة فى در الأعيان هذه الأبيات:

فرطاسـة يومهـا تـرى الجنـود بـه مـا بـين قـتلى وأسرى غـير ناجينـا

فالبـاى جـاء بجـيش لا نفـاد لـه بـه يريـد لقـاء العـدو باغينـا

فلـــم يحقـــق لـــه ســـعى ولا أمـــل بـــل جـــاء جنـــده صـــفر الكـــف باكينـــا
/ فـــاليوم لابـــن الشريـــف عـــز فيـــه عـــلى بـــاى الأعـــاجم لـــولا الـــدين لا دينـــا

(ص 245) وقال السيد مسلم الحميرى:

فيـــــوم فرطاســـــة يـــــوم كبـــــير ذلـــك فيـــه العزيـــز عـــز الحقـــير
لقـــد هيـــا مصـــطفى جيشًـــا كبـــيرًا تركًـــا ومخزنًـــا الملـــك لجـــدير
فلـــم تـــك ســـاعة إلا وانهزمـــوا مـــن جـــيش قليـــل هيـــأه الفقـــير

قال: ثم خرج من المعسكر عشية يومه وقيل: عشية اليوم الثانى، وكان يوم الأحد ثالث أو ثامن من ربيع الأول بالبيانى، سنة تسع عشرة ومائتين وألف[1]، من هجرة من حاز الكمال والشرف والوصف، ورجع لوهران فدخلها فى فله، وهو فى وجل ببعضه وكله فاجتمع عليه أعيان مخزنه وسهلوا عليه الأمر وهونوا عليه المصيبة، وأزالوا عنه ما بنفسه من الوجل والريب وقالوا له: لا تجزع من الدرقاوى وأعرابه، وجيوشه وأصحابه فنحن سيوفك الماضية، ورماحك النافذة القاضية وشجعانك الداهية وفرسانك الضارية الدامية، والأمر كذلك وفوق ذلك، ولا يكون إلا ما تراه من الدفع عنك بأنفسنا وأكثر من ذلك، فإن كان الأمر من الله فلا يليق إلا التسليم، والرضا؟ بما قدره وقضاه الحكيم العليم وإن كان غير ذلك فلا ترى إن شاء الله إلا ما يسرّنا ويسرّك بغير خلف، ألم تعلم أننا فحول هذه الأوطان وأبطالها موروث ذلك عندنا خلفا عن سلف، ومن يناقمنا يحل به الويل، ويصده النكل والخبل،وقد صدق فينا قول الشاعر الماهر، الذى قوله ذائع عن البادى والحاضر:

(ص 246) إذا قالـــت قـــريش فى أمـــر شـــيئًا فـــذاك القـــول مصـــداق المـــرام
/ فصـــدقوها فى المقـــال حقًـــا ولا يكـــن تكـــذيب فى الكـــلام

وقول الآخر:

إذا قالـــت حـــذام فصـــدقوها فـــإن القـــول مـــا قالـــت حـــذام

---

(1) الموافق 12أو 17جوان 1804م.

وقول الآخر:

ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وقد نصبنا أنفسنا للموت والتزمناها، بحيث من لم يمت منا بالسيف مات بغيره فيتمنَّاها، فصدق فينا قول الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والداء واحد

ولا خير فى خلف إذا لم يتبع السلف، ولا فى الرجل إذا لم يتبع أباه ولخصاله يقتف، والورقة من الشجرة والنار من الزناد والحجارة، وقال: فعند ذلك اتفق رأيهم على تحصين البلاد بكل الأدوار وإقامة آلة الحرب وما يئول (كذا) إليه الحصار، وأتقنوا أمرهم غاية، واستعدوا للعدو بداء ونهاية، ولما استولى الدرقاوى على المحلة وعُزَّ جانبه فى كل قرية وحلة، واتصف بالمزية، كتب بالبشائر والتهانى لجميع الرعية، قائلًا لهم بقوله الذى بان لهم فيه النصيحة والمعونة: إننا نزعنا عنكم ما كنتم فيه من الحقر والذلة والمسكنة، وأداء المغارم والجزية الثقيلة، والمؤن الكثيرة الجليلة، الذى جميع ذلك هو حرام على من انتظم بالدخول فى سلك الإسلام، وقد قطعنا دابر الترك الظلام، وأتباعهم الشرار اللئام، فالواجب عليكم مبايعتنا والإذعان لنا وطاعتنا. فوافقه على ذلك جم غفير، وعدد كثير/ فاجتمع عند ضحى يوم الجمعة، ثالث عشر ربيع الأول تلك (ص 247) السنة[1] ذات القصعة، ما لا يحصى عده، ولا يستطاع دفعه ورده، من رعايا الباى، من ذوى العقول الفاسدة الرأى، فمر بغريس الشرقى والأولية على رأسه فى غاية الخفقى، إذا به سمع امرأة تنادى على أخرى تركية، وكان ذلك اسمها فى المحكية، فأنف من ذلك وأبدل اسمها فورا بعربية، وقال: ما عدونا إلا الترك بأتباعهم وحشومهم وأشياعهم. ثم دخل المعسكر فأطاعوه، ما بين طوع وإكراه بايعوه وما داعوه فصيرها دار ملكه وسكناه، وجمع بها أهله وأولاده وجعلها مثواه، وقد ألفى بها وقتئذ الفارس القائد أبا محمد بالحضرى بن إسماعيل البحائوى نسبا، الدايرى (كذا) مرتبًا، قد كان الباى بعثه لها لبعض شئونه، وقضاء مطالبه ومؤنه، فتقبض عليه

(1) 1219هـ الموافق 22 جوان 1804م.

كغيره من القواد وسجنه، وكبله ومهنه، وهزم جيشه خليفة الباى مصطفى ببلاد مجاهر فى ربيع الثانى من تلك السنة [1] هزيمة شنيعة، وقتلوا العسكر ونهبوا المحلة ذريعة، ثم خرج من المعسكر بجيوش كالجرذ أن تملأ الخراب والعمران، قاصدًا بها فتح وهران، ولما حل بسيق بأرض الغرابة، فر منه أهلها بعضهم للجبال وبعضهم للغيب والأماكن المتوعرة الشعابة،ومن دخل منهم لغابة الجيرة التى هى طريقة أوقع بهم عظيمًا ما بين القتل والأسر والسبى وحل بهم بطريقة،حتى عرف الموضع الذى وقع به ذلك للآن بشعبة النواح، لكثرة نوح الناس بالبكاء على أنفسهم وأهلهم وما بهم من الفراح وكان الولى أبو عمامة الغربى تلميذ أبى دية قبل الواقعة يقول وهو فى خلوته: مزينكم يا حواض السماء لو كان فيكم الماء؛ لأن كل من فر لأحواض السماء وهو الجبل المطل (ص 248) على طلقة العلوج وسيق نجا، وكل من / ذهب لغيره حل به ما يرتجا (كذا)، وصارت جنوده المفسدة الذميمة الوافرة العدد الجسيمة، ما تمر بموضع إلا تركته وحشًا، مهانًا ووجهه وخشًا، وكان قدومه لوهران فى الصيف فى أبان الحصاد، فسارت إليه وأطاعته جميع العباد لا عرب ولا مخزنى، ولا شريف القدر ولا دنى؛ خشية منهم على زرعهم ومالهم وضرعهم، لكون الجنود مضنة الفساد والضلال والنكاد، لا سيما عادة الجنود السلطانية المتوجة بالتيجان الشيطانية، فلم ينفع ذلك من دخل فى طاعته، ولا من أتاه للخلاص ببضاعته، بل سلط من شدة ظلمه أتباعه، على من انتسب للمخزن فأكثر إيقاعه، فأخذوا ماله ونهبوه وسبوا أولاده، وتركوا حيارى زوجه وأفراده، فحروقا ونهبوا وقتلوا وأسروا وسبوا، وصار المستغيث بهم كالمستغيث فى الرمضاء بالنار، أو السفيه فى الفقار، فكانوا أهلًا بقول الشاعر، الحاذق الماهر:

فالمستغيث بالسفيه عند كربته ... كالمستغيث فى الرمضاء بالنار

ولم ينج من وقائعهم الرذيلة إلا من نجاه الله منهم أو لجأ إلى بعض المواضيع الممتنعة عنهم/ قال: ثم ارتحل ونزل ضواحى وهران بقربها فى المشتهر، وصبحها بجنوده كأنها الجراد المنتشر، طامعًا فى دخولها وأخذ ذخائرها، وتزوج نساء أكابرها، كطمع جنوده بذلك لضعف أهلها فى

(1) 1219هـ الموافق 22 جوان 1804م.

زعمه عن دفع ذلك، مستحلين ذلك لضعف مذاهب الأعراب ذات الفعل القبيح الخائضة مع كل ريح، وما ذلك إلا لضعف عقولهم وقساوة قلوبهم، وشدة جهلهم وكثيرة لعوبهم وزلة أقدامهم ورءوسهم، وأتباعهم هواهم وما سولته لهم أنفسهم فى قيامهم وجلوسهم، وشدة حسن ظنهم بأميرهم، ولا فرق بين كبيرهم وصغيرهم جازمين أن كلمته لا ترد، وأن دعاءه مستجاب فى كل واحد، فاستعد/ للقائه أهل البلد، وتهيوا (كذا) لقتاله بكل مرصد وخرجوا (ص 249) لمبارزته ومكافحته ومنابزته، ومحاربته وقتاله، ومناطحته ونزاله، فقاتلوا شديدًا مددًا وهم مع ذلك أقل منه عُدَدًا وعَدَدًا، فكان من أمرهم الظهور عليه بحشوده،وحصل النصر لهم فهزموه مع كثرة جنوده ومكر الله بالقوم الظالمين الفاجرين قال تعالى ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة:249][1]، واشتد المخزن فى القتال مع قلته، وانهزم العدو من حينه مع كثرته وجلته، وصار ذلك اليوم هو باكورة سعدهم ونجحهم وعلامة ظفرهم بالعدو وربحهم وظهور قوتهم وبأسهم ، ومسرة وبشارتهم وأنسهم، فما من يوم بعده حاربوه إلا كان لهم فيه النصر والظفر والمهابة والنصرة تجرى على القضاء والقدر، ولا زالت بينهم وبينه الحروب الشديدة، والمكايد المديدة العديدة، وانسدت السبل البرية بين وهران والجزائر أيامًا، فبينما الناس كذلك وإذا بالسفن فى البحر تخفق فيها أعلامًا مشحونة بعساكر الأتراك الشداد، تحت حكم باى آخر وهو محمد بن محمد بن عثمان على حسب المراد، وكان آغته البطل الشجاع الفارس الباسل المطاع، كافل الأراميل (كذا)، البحثاوى عثمان بن إسماعيل، ثم كثير الشدة، ابن عودة بن خدة، ثم الطود الشامخ، والإكليل الباذخ البحثاوى على ولد عدة، المزيل لكل غمرة وشدة، ثم الفارس الجواد الباسل، الخرير الكامل الواصل، الضرغام الجميل، البحثاوى قدور الصغير بن إسماعيل، ومن الزمالة مدير الأمور الوهرانى السيد محمد ولد قدور.

---

(1) الأية رقم 249من سورة البقرة.

الباي محمد بن عثمان المقلش وحروبه مع الدرقاوي

ثم محمد بن محمد بن عثمان، الملقب بالمقلش وهو خامس بايات وهران، الذين نار بهم الوقت وطاب الزمان، كان انتقل مع أخيه عثمان إلى مدينة مصطفى البليدة كما سبق البيان، وأقام بها إلى أن قام ابن الشريف الدرقاوى على مصطفى بن عبد الله المار وحاصره بوهران/ (ص250) ولما رءا (كذا) أهل الجزائر عجزه عن دفاع العدو وخانه، عزلوه وخليفته حسن وولوه فى مكانه لرياسته وشجاعته بالميامنية، وسعادة الوطن بولاية العثمانية، تولى سنة عشرين ومائتين وألف[1] وهو ابن ثمانى عشرة سنة على ما قد قيل، وقيل غير ذلك من الأقاويل وبقى فى الملك ثلاثة أعوام غير كسر بالبيان، ولما أمره الباشا بالإتيان مع البر قال له: إن ما بين الجزائر ووهران لا يسلكه حتى الذبان وكيف تأمرنى بالذهاب معه أيها الباشا، فالسالك معه لاشك أن أمره يتلاشى (كذا) فأرسله فى السفن فى البحر، وهو فى غاية الحزم والعزم والصبر.

قال: وكان من خبره أنه لما قدم لوهران وجد الدرقاوى محاصرًا لها من كل جهة ومكان، والناس فى ضيق شديد من طول الحصار، وانقطاع الأقوات البرية باستيلاء العدو على ضواحيها بالاشتهار، فكان طلوعه على أهل البلد طلوع نجم سعيد، يراصده رجل حكيم مفيد، وقدومه عليهم صعدًا، وملاقاتهم إياه فوزًا ومجدًا يشمله قول الشاعر الحكيم الحاذق الماهر:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد فى أفق السما فتنتصر صعدا

وكان للبلد وقت ذلك خمسة أبواب ألفها كلها مغلوقة، لا من يدخلها من أهل الضواحى ولا من يخرج منها من أهل البلد إلا بإذن وخلوقة، فأمر بفتحها وحاله فى عزم وشد ونادى المنادى من قبله: أيها الناس من أراد الدخول والخروج فليدخل وليخرج ولا حرج فى ذلك على أحد، فتفسح الناس وانفرج المضيق وأمنت من حينه البرارى والطريق، وصار المسافر لا يحتاج إلى الرفيق، وهبت رياح النصر وخفقت أعلامه وضاق متسع العدو وأظلمت عليه لياله (كذا) وأيامه، وسئم مكثه بالمحل الذى هو فيه مقامه، وصار الحرب معه عند أهل البلد عيدًا،/ (ص251)

---

(1) الموافق 1805م.

وعدوهم بين أيديهم صيدًا متعددًا وفريدًا، والدرقاوى يعد جنوده كل يوم بفتح وهران، وهو مستحوذ عليه الشيطان، ويمنيهم بالأمانى الكاذبة ويطمعهم بأقواله الجالبة، ويعدهم المواعيد العرقوبية، ويقاولهم بالأقاويل الكذوبية، إلى أن جاءه شيخه من المغرب وحضر لمقاتلة وشدة الحرب، مع جيش تلميذه فرءا (كذا) بالعيان، ما لا يقدر عليه بكلمة البهتان، وأزعجه قتال المخزن وما فيه من الأعيان، بعد أن أمرهم بحمل الشواقير والفيسان وأنهم فى يومهم يدخلون وهران، ويصيرونها بالهدم والتخريب مغارات للفيران، فباء وشرذمته بغضب من الله ولحقهم الضرر من المخزن ما لم يلحقهم من أحد بإذن الله، إلا أن الجاهل كل الجهل من يريد أن يحدث فى الوقت ما لم يحدثه الله، عالم الغيب والشهادة ومقدر الشقاوة والسعادة، المعطى المانع، المعز المذل، الخافض الرافع، قال: وكان مع الدرقاوى من أعيان المخزن أبو القاسم بن ونان قائد الغرابة مطيعًا له راكبًا، فرآه يومًا ورجله ترتعد فى الركاب ارتعادًا شديدًا قد ارتعد لها جميع جسده والمخزن عليه كالبًا، وكان رجلًا جسيمًا غليظ القوائم طويل القامة بالطول الحايم، متسع الوجه مدوره شديد البياض كثيف اللحية طويلها سريع الانقاض. فقرب منه وقال له: ما هذا الخوف والجزع، الذى اعتراك حتى حل بك الارتعاد والفزع، وأنت فى هم وحيرة وغم وسكرة، فقال له: يا خالى أبا القاسم والله لقد ذهب جميع ما كان عندى من السر الذى جئت وأنا لمن أرذل الناس كالنايم، فقال له: إن شيخك عما قريب يكون عندك، فتنتصر على غيرك وحدك، فأجابه بأن الشيء إذا ذهب ليس له رجوع، ولا يفيد فيه الشيخ ولا غيره/ فى المسموع، فأيقن درقاوة من (ص 252) أنفسهم بالعجز والخذلان، وأيسوا بحمد الله تعالى من فتح وهران قال: فى در الأعيان أولئك الطائفة حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون،وهؤلاء الدافعة هم حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون الناصرون. قال: فاتفق رأيهم على الارتحال عنها برجف وخفق، لحصنها وشدة مخزنها والذهاب عنها لغيرها من مدن الشرق، فأصبحوا ظاعنين وللعود لوهران ليسوا بطاعنين، وكان بالغرابة ولى من أولياء الله الكاملين الواصلين الذين للسر حاملين يقال له: السيد عبد القادر أبى عمامة، تلميذ الضرير سيدى محمد أبى دية كثير الكرامة، وكان مأذونًا له بالكلام فى أمور الكشف كشيخه الجليل، وكان يسكن فى عبادته بغابة مولاى إسماعيل، ولما

تحرك الدرقاوى مشرقًا، وأحواله باطلة وقلبه مخفقًا، صار يقول هذا الولى بكلامه المشجع: يا سيدى داود غير هذه المرة ولا تعاود، يا سيدى مبارك، نوض الجمل المبارك، ولما وصل الدرقاوى لمزارع سيق قرب سيدى داود قامت عليه الغرابة مجتمعة للميدان، ورايسهم (كذا) قايدهم أبو القاسم بن ونان يرومون منه أخذ الثائر بما فعله بهم من قتل الرجال والنساء والصبيان فتعرضوا له بالضرب والنهب، والقتل والسبى والعطب فنالوا منه بعض الإنالة وابتدا (كذا) فى النقص بتلك الحالة، ثم لما وصل لسيدى مبارك قرب وادى هبرة، لقيته فرسان البرجية مع ما انضم إليهم من بنى شقران وصيروه غبرة، وقد تعرضوا له وهو سائر، وتكلم المدفع الربانى فيه من سيدى مبارك فى الدرقاوى الثائر، سمعه الغائب وشاهده الحاضر، فبصر الله البرجية على درقاوة، وهزموهم هزيمة شنيعة وأبدلوا سعادتهم بالشقاوة وأخذوا بظهورهم وأدبارهم/ ووضعوا البارود والسيف فى خيارهم وأشرارهم فكان يومًا عظيمًا على درقاوة، (ص 253) وغنم وقتل فيه من قتل وأسر من أسر وسبى من سبى وجرح، وحلت بهم الشقاوة وغنم منهم الحاضرون لهم من البرجية وبنى شقران، غنائم كثيرة ليس لها حصران، لم يفتقر بعضهم بعدها قط ولا يُرى الخسران فلله در فرسان البرجية ومن انضم إليهم، حيث قاتلوهم وهزموهم، وغنموهم وسلطوا عليهم، لقد أشفوا العليل، وأبردوا الغليل، ولم يقنعوا منهم بأخذ القليل، بل تركوهم حصيدًا لكل لاقط من الكثير والقليل، قال: وفر الدرقاوى مفلولًا فلة جليلة فى شرذمة قليلة،قاصدًا لأهله وخاصته بالمعسكر فمنعه أهلها من الدخول، وتقبضوا بأهله وأولاده وسائر الذين بها من درقاوة، ومكنوهم من القائد السيد الحاج بالحضرى بن إسماعيل البحثاوى فجعلهم فورًا فى الكبول، وذلك أن الدرقاوى كان سجنه كما مر مع سائر القواد، وتركهم فى أرذل حالة على رءوس الأشهاد. ولما حل بالدرقاوى من البرجية ما حل بسيدى مبارك، أخرج المعسكريون الحاج بالحضرى من السجن بمن معه وحكموه عليهم ومكنوه من أهل الدرقاوى وأولاده وسائر طائفته عند ذلك، وأعطوه السلاح فصار حكيمًا أميرًا، بعد أن كان مسجونًا أسيرًا، وفتك بدرقاوة ما بين القتل والجرح والسبى والكبل، فتكًا شديدًا، لا يكون له مثل، والمرء

بما دان يدان والأيام متداولة بأحوالها من الخير والشر على كل إنسان، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:140].

وقال ﷺ: «يوم لك ويوم عليك» . وقالت العرب: يوم سمين ويوم هزيل، وقال الشاعر من بحر الطويل:

(ص 254) / ثمانية تجرى على المرء كلها ... وكل امرئ لابد يلقى الثمانية

سرور وحزن واجتماع وفرقة ... ويسر وعسر ثم سقم وعافية

ثم إن الدرقاوى لما منع من الدخول للمعسكر فات على وجهه مع جموع الأحرار وسلم فى أهله وأولاده وأصحابه وفر. قال: ولما أتى الخبر للباى بتشتيت درقاوة قام من ساعته، وجمع أرباب دولته وأمرهم بالخروج لطلب الدرقاوى.

وفتح ما يتيسر له من البلاد بالفتح الحاوى فقال له من معه من الوزراء والسادات والكبراء: أمهل بالخروج المعلوم، واكتب لأهل الضواحى من المخزن بالقدوم، ولا تعاقب أحدًا بما فعل ولا تكن منك له لائمة لأنهم لم يروا ذلك فارطًا فظنوا عند الرؤية أن لا تقوم لنا قائمة، فأساء الله ظنهم، وخالفهم الدرقاوى بما منهم فقال لهم رأيكم هو عين الصواب، وهو الذى يقع به الكتاب وأمر كتابه بمكاتبة ما أشار به أعيان المخزن، وقلبه مسرور ليس بمتحزن، ثم بعث للمعسكريين رسله ليأتوه بنساء الدرقاوى وأهله وذخائره، فبمجرد الوصول بعثوهم له صحبة القائد الحاج بالحضرى وأعيانهم ببشائره، فقدموا بهم على الباى بوهران بإظهار السرائر، فأركبهم فى الفلك وبعثهم إلى الجزائر وطارت إلى كل مكان صحف البشائر.

ظهور الدرقاوي من جديد

ثم خرج نحو المعسكر فنزل بلد البرجية ومعه أخوه أحمد المغيار، وأقام بها أيامًا ينتظر من كل جهة ورود الأخبار، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخبر الطائر، بأن الدرقاوى جمع جيشًا جليلًا من الصحرا (كذ) بموافقة مجاهر وبنى عامر، وأن مجاهرًا عزموا على الغارة عليك وصمموا بالمجيء عليك، فتحير وضاق به المتسع/ واشتد به القلق والجزع، والاضطراب والفزع، وخشى (ص 255)

أن الخرق على الراقع يتسع، ونادى لنديمه الأديب ورفيقه الحبيب، ومؤنسه وصاحب سره، المطلع فى جميع الأحوال على سعده ونحسه وخيره وشره شبيه الحكيم اليونانى، اللبيب الخروبى القلعى السيد محمد بن الجيلانى فلما أن حضر مجلسه أخبره بما سمعه واقتبسه، فقال له: أيها الأمير المالك اجمع أعيان مخزنك واستشرهم فى ذلك، لأن الرأى هم أهله، والحرب هم صدره وصاله، فأحضرهم وأخبرهم بالخبر وكرر لهم ذلك وحرر ، فاختلف أمرهم فى الرأى بالجواب، فبعضهم قال بالرجوع لوهران وغلق الأبواب وأهل الجزائر يدفعون عن أوطانهم لعدم الطاقة عن دفع العدو وأقرانهم، وبعضهم قال غير ذلك، إلى أن سمع الباى رأى الجميع بما هنالك، وكان الفارس الهمام، والأسد الضرغام والبطل الشجاع، والصنديد المطاع، الذى للغيظ كظّام، النافع لمن انضم إليه من الأنام كافل اليتامى والأرامل، وقامع الشجعان البواسل من أسعده الله وأسعد به البلاد، وأقامه لنفود مصالح العباد القائد الأنجد، الفاضل الأمجد، الجواد الأسعد، المخزومى الأوكد سمط عقدة أبو مدين السيد قدور الصغير بن إسماعيل البحثاوى آغة، مكن الله من الجنة إن شاء الله وصله وبلاغه، حاضرًا ساكتًا، وعارفًا بالرأى وصامتًا، فلما رءا (كذا) الاختلاف وعدم ما يحصل به الإتلاف قال له: يا سيدى الذى أشير به عليك لا بد لنا من لقاء العدو لا محالة ولا تضرنا كثرته فإنهم حثالة الحثالة، بمنزلة الضباب أو النخالة، فلا يهولنك هذا الأمر، ولا (ص 256) تكن منه فى قلق وعسر، فما خرجنا إلا لنقلوا مالًا/ نحبه، وعدونا إن شاء الله على أم رأسه نكبه، والصبر مفتاح الفرج، ومزيل للجزع والهرج ولا يدرك المجد إلا بالصبر ولا يحصل الظفر بالعدو إلا بعد أكل الصبر، لقول الشاعر المفيد بالوعظ الماهر:

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

والحكماء يقولون: فاز باللذات الجسور، وبالصبر يتميز الأمر من المأمور، ومن يريد العسل يصبر لجنى النحل، ومن طلب المعالى سهر الليالى، وأنت أيها الملك إنما بعثك أهل الجزائر لتفتح لهم الوطن، فلا تخيب لهم فيك الظن وتمهد لهم البلاد ، وتدوخ لهم الأبطال الشداد، فلا تخيب لهم رأيًا أصابوه فيك، ولا تكسر لهم قلبًا يسر حين يوافيك فإنهم على غيرك اختاروك، وأنت أولى بذلك لما اختاروك، وإياك أن تكون كمن فى أول غزاته (كذا) انكسرت قناته وانفصمت أوثق

عراته، حتى تكالبت عليه العدا، وطمعت فى أكله الرخام والحدا، وأن هؤلاء الأعراب لا يخفى علينا حالهم وما لديهم كما لا يخفى حالنا عليهم، فلا رجوع لنا عن تدويخهم إلا إذا متنا عن آخرنا، ويكون النصر لنا عليهم بانتصار ءامرنا (كذا) وقد جمع الله شملنا بعد ما فرقه الدرقاوى، فصار المخزن كحاله المضاوى، والرأى المتين الرجيح (كذا) أن تبعث من أعيان المخزن من يشكف لنا عن حال بنى عامر وما هم عليه ويأتوك بالخبر الصحيح، كما تبعث لكبراء الحشم والبرجية الجبلية بغير تراوى، يجتمعون بكلهم ويلقون الدرقاوى، ونحن نكونوا (كذا) فى مقابلة مجاهر بقوةٍ وشدةٍ ووحدةٍ، ونحاربوا (كذا) بحول الله وقوته لكل واحد وحده، ويكون النصر لنا لا علينا بانتقاد، لأننا نريدوا (كذا) الصلاح وهم يريدون/ الفساد، فهم فرقة باغية زاحفة فى هذا (ص 257) الأمر، فوقع الاتفاق على هذا الأمر . قال: فظهر أمر بنى عامر كذبًا واجتمع الحشم والبرجية كما أمرهم فورًا وقربًا، ولقوا الدرقاوى فهزموه بعد الحروب الكثيرة الصحاحى، واطردوه عن سائر تلك النواحى، وقدم مجاهر إلى بلد البرجية فأثخنوا فيها بالنهبية واشتغلوا بحوص الحب ونقله من المطامير، وهم فى حالهم بغير ناهٍ ولا أوامير(كذا) ولما سمع الباى بما لديهم أمر مخزنه بالركوب إليهم، فامتثلوا أمره وشنوا الغارة عليهم، فلم يك (كذا) إلا قليل فى قتلهم، وإذا بالمخزن قطع نحو التسعين رأسًا منهم وفر الباقون لمحلهم.

ثم رحل الباى فى صبيحة الغد، ونزل بطرف البرجية بينهم وبين مجاهر فى الحد، ثم رحل من الغد بقصد بلد مجاهر فلقوه بالضربوية وحاربوه ساعة، فهزمهم بعد ما مات من الفريقين كثير ونجوا سراعة، ونزل بماسرة ، وأقام بها أيامًا، يدبر أمورهم جلوسًا وقيامًا، فبينما هو فى تلك الحالة، إذا بمجاهر اجتمعوا وجاءوه رجالة وخيالة، وغاروا على محلته وقت الصباح غفلة ودارت جنودهم بالمحلة وجالت جولة فخرج المخزن إليهم خروج اليقين، وتزاحفت الصفوف لبعضها بعضًا واشتد الطنين فلم يكن غير ساعة إلا ومجاهر ولّوا الأدبار بحالة المنهزمين، ومات من الفريقين خلق كثير، وعدد حصره عسير، وكان من جملة من مات من المخزن القائد المشهور، الفارس الذى عند الناس مذكور، الصنديد المكين،الزمالى السيد عدة بن محيى الدين، ثم ارتحل الباى صبيحة غدا ونزل ببلاد مجاهر، أهل الضلالة والمناكر، وزاد فى الغد لوادى مينا وبه نزل

(ص 258) وراغ فأتته به جموع مخزن الشرق بالمسيرة ومن الرعايا/ جماعة بنى أوراغ، ثم ارتحل وصعد مع وادى مينا إلى أن نزل بالواد المالح وأقام بها أيامًا وقلبه مطمئن فارح، فبينما وهو هنالك بين اليقظة والنعاس،إذا بالدرقاوى بجمعه قصد المحلة على غفلة من الناس، فنادى المنادى بأفصح الخطاب، عليكم بالركاب إلى كاب، ففزع الناس لذلك وحكى كل لصاحبه بها هنالك وركبوا خيولهم وخرجوا من المحلة ينظرون غيولهم وخرجت عساكر الأتراك كأنها الليوث العوابس، فهم أسود بنى آدم بزماننا، وجالت الفوارس، وحصل الحرب خارج المحلة وكثر العياط بين الناس بغير القلة وتزاحفت لبعضها بضعًا الصفوف، والعدوّ فى العدد ألوف الألوف. قال: فلم يكن غير ساعة وإذا بالدرقاوى بجيوشه قائم شارد، وللنجات (كذا) سائل ونائد وأظلم الجو الغبار، وتكادر الأمر وكبر النهار، وغضب فرسان المخزن وصارت حائمة كأنها الطيور، تخوض بين أسراب الزرزور، فلا ترى فى جيش الدرقاوى إلا القتيل والمأسور، والمسلوب من الباس، والمقطوع الأعضاء والراس، وزادوا فى الحملة إلى قرب قرية الولى الكبير الغوث القطب الشهير، ذى المناقب المعدودة، سيدى محمد بن عودة، فرجع المخزن بعد ذلك عنهم، وقلوبهم شائقة إلى الظفر بهم والغنيمة منهم. ثم رحل الباى فى صبيحة غد متوجهًا للقرية المذكورة ذات المسالك فى طلب الدرقاوى ونزل بموضع هناك، ثم زحف للقرية بجنود لا قبل لهم فى حالة القتال، وكان بالقرية أمَمٌ لا تحصى فلم تغن شيئًا حالة النّزال، ودخلتها العساكر وجالوا فيها وجاسوا ما لها من (ص 259) الحلال، وأخذوا فى السبى والقتل وأخذ الأموال. قال/ «صاحب در الأعيان»: وإنى رأيت امرأة مقطوعًا رأسها كسائر الرجال، ولم ينج إلّا من فرّ ولجأ لضريح سيدى محمد المشار إليه بالإجلال، لكون الباى أوصى باحترامه وعدم التعرض لمن لجأ إليه بحال من الأحوال. ثم ركزت الأتراك سناجقها لدى الضريح، وشرعت فى القتل والنهب والسبى والجريح، وإلى أن فرغت من ذلك فى المأثور، فرجعت لزيارة الولى المذكور، قال: ولقد أخبرنى من أثق به أنهم قدّموا قبل الزيارة صدقة تنيّف على المائتى ريال دراهم، وبعد ذلك على الزيارة حصل التداهم، قال: وأما المخزن فإنهم لقوا جموع درقاوة خارجًا من القرية وهم فى عددهم ألفية، فقاتلوهم قتالاً شديدًا إلى أن جرح الأكثر من الكبراء والرؤساء فى القول الأشهر، وكان النصر لهم على درقاوة كوقوع الدائرة

عليهم، فهزموهم عظيمًا وأطرحهم من تلك الناحية من غير ملتفت إليهم. ولما افترق الحرب أمر الباى بجمع الرءوس فجمعت، وبين يديه وضعت. قال فى «در الأعيان»: ولقد رأيت الجندى يأتى بالثلاثة والأربعة رءوس بالعيانة فيضعها بين يدى الباى كما يضع البصل بالإهانة. ومنهم من يأتى بالواحد والاثنين، كل على حسب ما رزق من القطع بدون مين، ولما جمعت الرءوس بعثها الباى لمدينة المعسكر مع بشائر الظفر والنصر.

ظهور الدرقاوي مرة أخرى

ثم ارتحل فى أثر ذلك وألوية النصر تلوح عليه التزامًا، قاصدًا المعسكر إلى أن دخلها ومكث بها أيامًا. ثم أتاه الخبر المتفانن، بأن خليفة الدرقاوى بجموعه نزل بلد بنى مريانن، فذهب لطلبه وحصل بينه وبينه القتال الذريع، والحرب المترادف الشنيع، فكان/ ذلك اليوم من مشاهير (ص 260) الأيام، سعد فيه الشجاع وخسر اللئام (كذا) قد أتى فيه للباى المنصور، بسلاح ولباس وفرس الخليفة المذكور، وانجرح فيه من أعيان المخزن وكبرائه وأهل مشورة الملك ووزرائه، قطب رحاه، وشمس ضحاه، وأساس مبناه، وإتمام معناه وأكمل جوائزه، وأشد ركائزه، الفارس الباسل، الصنديد الفاضل، الشجاع الرايق الكامل فى الخصال الفايق، آغته وكثير جولته، وقائده، وسيف دولته، العرى من جميع المساوى آغه السيد قدور الصغير بن إسماعيل البحثاوى، فلم يزده جرحه إلّا تقدّمًا، ولعدوّه إلّا تعبّسًا ولصديقه إلّا تبسّمًا، فلقد صال على العدو كالكاسد وفعله كالرايح، ومدحه صاحب «درّ الأعيان»، وصاحب «أنيس الغريب والمسافر» بأبيات. فما قاله صاحب «درّ الأعيان» ذهب عن حفظى. وما فى الأنيس خذه، بإثبات:

جـزى الله جـلّ النـاصر بـالبواتر ... قـدور بـن إسماعيل رايـس الـدواير

لحـزب الأتـراك فى جميـع المعـارك ... فإنّـه ليـث الحـرب لـيس بغـادر

تـراه إذا حـام الـوطيس مقـدّمًا ... لقتـل العـدوّ الـوارد ثـم الصـادر

ولا يـولّى الأبـادر ولـو تراكمـت ... عليـه العـدا ولا يخـاف مـن ضـاير

كمى شجاع شـهم الحـرب يوم الوغـا ... وكـم لـه مـن حـزم عـلى العـداظاهر

وكملـه مـن كـرّ ولـيس لـه فـرّ   وكـم لـه مـن طعـن وقطـع الخنـاجر
وكـم لـه مـن وصـل عـلى العـدا دايـم   وكـم لـه مـن فخـر عـلى كـل فـاخر
وكـم لـه مـن دفـع لكـل مزاجـف   يـردّه أعقابًـا مـولى للأدابـر
/ وفى بنـى مزايـانن زادت شـجاعته   فكـرّ عـلى الأعـدا بغـيظ مـواتر
وزاد انـدفاعًا لمـا رأى رأس العـدا   خليفـة بـن الشريـف بـالقرب حـاير
يحـاول قبضـه وهـو فى شـهامة   فحلـت بـه الجـراح ذا العـزّ البـاهر
فلـم يلتفـت لهـا وزاد فى حملـه   إلى أن نجـا العـدو بـين الحـوافر
وخـلّ فرسـه سـلاحه لبسـه   فـأتى بـه الليـث لبـاى الأكـابر
ودمـه مهطـل وهـو غـير جـازع   فغـمّ لـه البـاى وصـار كالحـاير
فقـال لـه الفهـد عـلى رءوس المـلا   إننـى لفـى خـير مـن كـلّ المضـائر
فسرّ بـه البـاى وعـزّ جنابـه   وأدنـاه منـزلًا فيكـل الأوامـر
فـلا غـرو أنّ الله زاده رفعـة   وخـيرًا وإحسـانًا وكـل البشـائر
فـلا تلـد الليـوث إلّا الضراغـم   ولا تلـد الفهـود سـوى القسـاور
ولا تـأتى الصـقور إلّا بمثلهـا   ولا تلـد البـزات سـوى الأصـاعر
فبيـت هـذا الليـث الـزعيم بقـوة   فإنّهـا أعـلا مـن بيـوت الأكـابر

قال: ثم إنّ الباى رحل من مكانه للعمائر، ونزل بلد أولاد سليمان أحد بطون بنى عامر. ورحل من الغد ونزل بالمبطوح ربضًا، ثم ارتحل ونزل بثنية مأخوخ بلد أولاد على أحد بطون بنى عامر أيضًا. وقد اجتمع بنو عامر بجمعهم الغاوى، وجيشوا ببلد أولاد الزاير مع الدرقاوى، يرمون لقاء الباى، وما ذاك إلّا من تلف الرأى، والباى فى قلبه شىء كبير وغم عسير، مما هم فيه القرغلان، المستقرون بتلمسان، حيث ضاق عليهم الحال، حتى عدموا القوت والمال، وطاش لهم اللّبّ والبال، بمنازلة العدو عليهم ولا يفارقهم بالغدوّ والآصال، ورسلهم تتعاقب على الباى بأنهم فى النكال، ونزل بهم السخط والوبال ولا لهم طاقة لما هم فيه على القتال، وافترق

التلمسانيون على فرقتين: قرغلية، وحضر، بغير مين، وشعلت بينهما نار الحرب فى البلد، وطالت واتصلت على الوالد والولد، وهم فى أشدّ عذاب ونكول، ولسان حالهم ينشد ويقول، وما هو فى الأنيس منقول، أبياتًا من المتقارب دالة على الإضاعة والتعاطب:

(ص 262)

/ إن لم تـــدركونا عزمًـــا عـــاجلًا فـــاقطعوا لا ريـــب منّـــا الإيـــاس

فـــالزاد جميعـــه قـــد انقضـــا ومـــات كثـــير مـــن جملـــة النّـــاس

والحـــرب تـــدور فى كـــل يـــوم والجـــوع قـــد ضرّ بـــأكثر النـــاس

فـــلا صـــديق ومعـــين لنـــا ســـوى الله جـــلّ عـــلا ربّ النـــاس

ولا تحويـــل وفـــرار لنـــا يقينًـــا عـــن جنـــابكم يـــا أنـــاس

ألا فادركونـــا فـــورًا عـــاجلًا مـــن قبـــل دخولنـــا إلى الأرمـــاس

فـــالحرب علينـــا ولـــيس لنـــا ونحـــن بهـــا فى أشـــدّ نقـــاس

والجـــوع جـــرى علينـــا وطغـــا وجـــاز بنـــا حـــدًّا فـــوق القيـــاس

وما هو فى «درّ الأعيان» مذكور، ومحرر ومشهور:

ألاّ فادركونـــــا وإلاّ فلـــــم تجـــدوا منّـــا بحيـــاة فتـــى

فقوتنـــا قـــد نفـــدت ضررًا خزاينـــه مـــذ عـــدوّ أتـــى

وحـــرب عظـــيم يـــرى أبـــدًا إلى أيـــن تبـــدولنا أو متـــى

قال: ولما بلغه خبر بنى عامر والدرقاوى، وأنه يقول لهم أنه هو طبيبهم من علة الترك ولها مداوى، أقام بموضعه أيامًا إلى أن جمع آلات حربه وسادات حزبه، واعتمد على طعنه للعدو وضربه، بباروه ومدافعه الشعالة، فرحل نحوهم ونزل تاسّالة، ثم رحل من الغد وفرسه ثائر، يريد واد الحد ببلد أولاد الزائر، وعيونه ذاهبة وراجعة بأخبار الدرقاوى الزعلوك، كما هو شأن أولى الحزم والعزم من الملوك، إلى أن تحقق بأن بالوادى المذكور الأعراب، يريدون لقاءه، بزياداتهم أمامهم للانتخاب، وهى هوادج توضع على بوازل الجمال، وبداخلها نساء يولولن بين صفوف الحرب حال القتال، تزعم العرب أن ذلك يشجع الجبان، ويزيد فى زعامة الشجعان،

وذلك دأب العرب مع بعضها بعضًا لا مع المخزن فى القتال أيضًا؛ لأن عادة المخزن المعهودة، والقاعدة المحررة الموجودة أنّ الزعامة والشجاعة لا تبطل على الرجال مدة الزمان، وأنه بمجرد درايته للعدوّ ويصدمه كائنًا ما كان، فوقف الباى بعد/ الخبر ساعة يحرض عساكره ومخزنه، (ص 263) ويثنى عليهم ويشكرهم وما همه ذلك ولا أوهنه، ويقول لهم: لم يبق لنا إلّا هذا اليوم الكبير الذى نحن متقدمون له، فعليكم بالصبر والثبات ولا يصيب الإنسان إلا ما كتب له. قال: ثم زحف للعدو أيضًا وانضمت الناس لبعضها بعضًا، وانحاز كل حزب لحزبه، وتزايدت جيوشه لقتل من بعد عنه ومن بقربه، وأشرف المخزن على العدو من ثنية هناك، فألفى مقدمة بنى عامر راجلة معسكرة مشبهة بعساكر الأتراك، بمثابة من شبه البطة بالطير، وساقطة اللبن بذات الضير، ولما تراء الجمعان وانتهت الآمال، وبعدت الحيرة وقربت الموت وحضرت الآجال، أنشد المنشد بلسان الحال، هذه الأبيات، وقالها على التوال:

أيا عسكر الأعراب غركم جمعكم ... فسوف تروا ماذا بكم قد يصير

فالموت ها هى أتت إليكم بالعجل ... من قوم عادت منها الروس تطير

فتبّا لكم أنتم وذل عليكم ... برأى خسيسى خاب رأى عسير

وهذا يوم الفراق حان مجيئه (كذا) ... والبين غرابه نادى أنت كبير

ولكن أمر الله ليس له ردّ ... وحين القضا يأتى فيعمى البصير

هذا قول «صاحب الأنيس»، وقال صاحب «در الأعيان» بالتأسيس:

أيا عسكر الأعراب تب جميعكم ... وسوف تروا ماذا بكم سيصير

فلا تعجلوا للموت هاهى دونكم ... غدات اللقا منها الرءوس تطير

فتبّ أمرؤ أغرّ افتراؤه جمعكم ... وبيس فصوب الرأى منه عسير

فيوم الفراق الآن حان مجيئه ... ونادى غراب البين يوم كبير

ولكن أمر الله لا مردّ له ... فيعمى المرء فيه وهو بصير

قال: ولما تلاقى المخزن والأعراب صال عليهم صولة جامدة، ومال عليهم ميلة واحدة وحمل عليهم حملة قوية، وزاد عليهم فيها بقوته الكلية، وصار شعاره الموت الموت، أدركوهم أدركوهم قبل الفوت، فأول المخزن نال بعض الضرب وآخره لم يجد محلًا للضرب، وترادفت على الأعراب الأمكار، وأظلم/ الجو بالغبار، وحل بهم العمى وكبر النهار، ودخلوا فى شبكة(ص 264) الهلاك، ولم يجدوا سبيلًا إلى السلاك، فما لبثوا غير ساعة من النهار، إلا وعسكرهم فرّ وولّى الأدبار، وأخذ عسكر الباى ظهورهم بالقتل والنهب والأسر والغضب، ولم ينج منهم إلاّ من نجاه الله، وأطال له العمر وعافاه، وغرّتهم المواعد العرقوبية، فتشتتوا (كذا) على ولهاصة وغيرها، وفرّ الدرقاوى فى شرذمة قليلة لليعقوبية، ولم يطق على حمل خيمته منه إلّا الشجاع،ومع ذلك قلبه واجل مفزاع، ونزل الباى فى الوادى المذكور ولاح عليه الفرح والسرور بتشتيت تلك الأمم، وشدة ثبات مخزنه الأفخم، وجمعت لديه الرءوس المقطوعة فى ذلك اليوم من درقاوة وبنى عامر فكانت ستمائة وبعثها كلها للجزائر. قال: ويحكى من حضر لذلك أن الجندى الواحد يتقبّض على الخمسة والستة رجال، ويأمرهم بقتل بعضهم بعضًا إلى الآخر منهم فيقتله ويأتى برءوسهم للباى المفضال وربما قال الجندى لأسيره اصبر للموت أو ما مت قط وأحوالهم كثيرة.

وقصة ذلك اليوم مشهورة كبيرة، نسئل (كذا) الله السلامة والعافية المطاعة،والانقياد بالاتباع إلى ما اتفق عليه أمر الجماعة.

ثم ارتحل الباى فى صبيحة الغد متوجهًا لتلمسان، وهو فى فرح وسرور بمخزنه وبه صار فى أمن وأمان، وجدَّ السير إلى أن نزل بساحتها المتغلية، فأتاه قائدها مع كبراء القرغلية، وقصوا عليه مكابدة الأهوال، وإساءة الحال، وغلب الرجال، وسطوة الأغوال، والكل على باله، ومطرق بمسمعه وحاله، فأجابهم بكلام السياسة وخاطبهم بخطاب الرياسة، قائلًا: لا يضركم الأمر العسير، فإن الله تعالى قال فى كتابه العزيز، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: 29]، وأن الله تعالى هو الفاعل المختار، وكل شيء يجرى على العبد فهو مقدّر عليه فى سابق علم

الله ويبرز بالمقدار، وهذا أمر مقدّر لا محيد عنه من عاص أو مطيع؛ وسيفرج الله تعالى بمنّه على الجميع، وأنشد لسان حاله، أبيات الشعراء التى تغنيهم عن مقاله:

إذا كان عون الله للمرء خادمًا ... تُهيّأ له من كل صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

(ص 265) / وقول الآخر:

إذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق عليه سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مسلك ... ضللت ولو أنّ السماك دليل

وقول الآخر:

إذا أعانتك الأيام فارقد لها ... واشعل إذا شئت فى الماء نارًا
وإذا خانتك الأيام فلا تتعب ... فتعبك فى الدنيا إلّا خسارا

وقول الآخر:

إذا أعطيت السعادة لم تبل ... ولو نظرت شزرًا إليك القبائل
لقتك على أكتاف أبطالها القنا ... وهابتك فى أغمادهن المناصل
وإن شدت الأعداء نحوك أسهُمًا ... نصص على أعقابهن المحافل

ثم إنه أعطى الأمان لكبراء الحضر، وأرسل إليهم ليأتوه ولا يخشوا من الضرر، فأتاه جماعة الحضرية، وأصلح بينهم وبين والقرغلية، وألّف بينهما تأليف الموّة الدائمة، والصحبة والمحبة اللازمة وأوصاهما أن يكونوا إخوانًا، وعلى الطاعة والدين أعوانًا، ودخل البلد وأقام بها أيامًا، والناس فى فرح وبطاعته قيامًا.

ثم ارتحل راجعًا إلى وهران، ومعه صهره قائد تلمسان،وهو أبو الحسن على قارة باغلى متنقلًا بأهله انتقال من لا يولى، وصار يجدّ السير وأعلام النصر تخفق على رأسه وتحيات البشرى توضع على رأسه رائمًا محل أنسه، إلى أن دخل وهران مبرورًا، وسالمًا مأجورًا وفارحًا مسرورًا، ولسان حاله ينشد شعرًا مأثورًا:

فتح الفتوح وءاب أوبة ظافر ... بالله كان رحيله وإيابه
يلقى العداة ولا يملّ لقاءها ... فكأنها أهواؤه أحبّاؤه

قال: فدخل وهران وأقام بها نحو الشهر إلى أن استراح، واطمينت (كذا) نفسه وضحك ولعب وارتاح، ثم صار مهمى (كذا) سمع بالدرقاوى بجموعه، إلّاقصده وفضّ جمعه وصيره فى قموعه، وشتت شمله وأجلاه، ومن المحل أطرده وأخلاه فأذلّ الأعراب ودوخهم ومقتهم ووبّخهم، وأخلا بعض البلدان حتى من المسافر/ وأجلا (كذا) عنها أهلها كبنى عامر فإنهم (ص 266) ذهبوا وتركوا بلادهم خاوية قفرًا، وزهرهم غبرًا، وللطيور وكرًا، لا يلقى فيها سالكها أنسًا ولا أنيسًا ولا يجد بها حسًّا ولا حسيسًا، إلّا البوم والذئاب ، تعوى فيها ليلًا ونهارًا. وهى خراب.وأكثر ما يلبى بها فى كل حين نعق الغراب،وغراب البين ينادى فى كل حين بكثرة الذهاب، وافترقوا على أماكن المغرب، ما بين فاس وغيره من المبعد والمقرّب. ولم يرجعوا إلّا فى تولية أبى كابوس محمد بن عثمان. وبه حصلت لهم الراحة والأمان. ولما استراح الباى وقلبه قد اطمأن، وفاز بالسعادة فلم يكن من أهل الوهن والجبن، جمع جيشًا عظيمًا وجندًا وعرمرمًا جسيمًا، وبادر به لغزو مجاهر؛ لأنهم فى السابق أخذوا محلة الخليفة حسن وقتلوا رؤساءها وأعيانها المشاهر. فضلًا عن غيرهم من الجيش والأتراك، الذين يكون بهم الدفع ويقع الإدراك، وهى واقعة مشهورة، وقصة كبيرة مذكورة، محررة فى كتاب «درء الشقاوة فى حرب الترك مع درقاوة»، لأديب عصره وفريد وقته ودره، الشبيه فى أدبه بالبارع أبى نواس، المؤلف العلامة الحافظ محمد أبى راس، فلا نأتى بها لطولها وشهرتها وتحقيقها فى رسوم جفرتها، ومن أرادها فعليه بالكتاب المذكور، للحافظ القدوة المزبور. فخرج لهم من وهران بالأمم الكثيرة، والجيوش العديدة الغزيرة وقد بلغ لهم الخبر، بأن الباى غازيًا عليهم ليقطع الدابر والأثر، فبعثوا للدرقاوى على المدد بأنواع الشدائد، فبعث لهم خليفته الفارس بن المجاهد، وكان بطلًا شجاعًا شديد الرأى والقساوة، قلّ مثله فى طائفة درقاوة لكونه تربى فى المخزن وأخذ ببعض قوته، وصبره وشجاعته، وشدته،وزاد الباى فى سيره إلى أن دخل بلدهم الذى هم فيه، وقد انحاز مجاهر بأسرهم لواد الرمال واجتمعوا فيه، فطلبهم الباقى فيه وحملت عساكره عليهم حملة واحدة ففرّوا منها ولقيهم البحر وأثخن فيهم المخزن بالقتل إلى أن رجعت دماؤهم سائلة بعد أن كانت جامدة، واشتد بهم القتل من ورائهم وأثخن فيهم إثخانًا شديدًا لا طاقة لأحد على إحصائه،

(ص 267) ودام عليهم إلى أن وصل دم قتلاهم للبحر فعلًا عليه/ واختلط بمائه، وأفناهم إفناء عظيمًا أذعنوا به للطاعة ولا ملجأ لهم من أمامهم، فكان هذا اليوم من أنحس الأيام عليهم ومن شرور أيامهم، فأفناهم ورجع سالمًا ومسرورًا بجنوده سرورًا دائمًا، ولمال عدوّه غانمًا.

ظهور بالحرش مع الدرقاوي في غريس

ثم استقر بوهران أيامًا قلائل، وقد جمع الله له الأحوال والشمائل وجمع جيشًا عظيمًا وخرج به لتدويخ المشرق فأتته الناس طائعة مذعنين له ولأوامره ونواهيه سامعة، ولا زال سائرًا إلى أن نزل بأبي خرشفة أسفل مليانة فأتاه هنالك الطائع والداوى، فبينما هو كذلك إذا بالخبر بلغة بقدوم الدرقاوى، وأنه حلّ من غريس بأرض عين السدرة، ومعه درقاوة بنجوعها ونسائها وأولادها وجميع مالها ظاعنة معه بالقوة والقدرة، وقد جالوا غريسًا وجاسوا خلاله فأفسدوا زرعه واحتطبوا جنّته وبساتنه، وغيروا مرونقه ومواطنه وهم كالجراد المنتشر، ولم يبق لهم إلا القليل لدخول المعسكر، وجاءه أهل غريس بذلك الخبر، وترددوا عليه المرّة بعد المرة بعد الأخرى على ما للراوى، محرضين له على القدوم إليهم ليخلصهم بجيشه المنصور من الظالم الدرقاوى فركب عند ذلك عجلًا وسار حثيثًا، وسأل من مولاه جل جلاله أن يكون له ناصرًا ومغيثًا، إلى أن وصل لذلك الموضع الذى به الدرقاوى على التحقيق. وكان السيد أحمد بن الأحرش قدم فى ذلك اليوم من المشرق على درقاوة فحصل لهم به الفرح والسرور وعلموا أنه هو المعين الرفيق. فقسّم الباى جيشه ثلاثًا بلا مين، وجعله قلبًا وجناحين، فالجناح الأيمن جعل فيه باختراعه أعيان الزمالة وأتباعهم والحشم بأحكام الأوامر، وأمرهم أن يكونوا فى مقابلة جيش بنى عامر، والجناح الأيسر جعل فيه الخليفة بجيشه والبرجية الدارئين (كذا) للمساوى وأمرهم أن يكونوا فى مقابلة الدرقاوى، والقلب استقر فيه هو وأعيان الدوائر وأتباعهم وعساكر الأتراك وأصحاب المدافع، فكانوا فى مقابلة عامة العامة من غير منازع، ولما تراء الجمعان وجاء الوطيس تزاحفت لبعضها بعضًا الصفوف وكان الدرقاوى فى ألوف الألوف، فاشتد القتال (ص 268) وحام الوطيس، وفقد المألوف والأنيس، وكثر الصياح/ والحسّ والحسيس، وأظلم الجو بالغبار،

وعظمت فيه المصيبة وكبر النهار. فبينما الناس في تلك الشدائد، وإذا بالجناح الأيسر قام على ساق واحد، وصبر رجال البرجية صبر الكرام، واشتدّ ضربهم بالبنادق والحسام،وتذكروا صبر أسلافهم وما كانوا عليه من ضرب الحسام، وقالوا: في مثل هذا اليوم تظهر الشجاع من اللئام (كذا)، إلى أن ذاق أربعة من كبرائهم كأس الحمام، أحدهم الصنديد مصطفى بن المخفي، والد الشجاع آغته قدور بالمخفي، والثلاثة أبناء عمه الأماجد، وداموا على ذلك إلى أن قام درقاوة على ساق واحد، فانهزموا هزيمة كبيرة، تقشعوا فيها تقشع الغمام إذا طلعت فيه شمس منيرة، وركب المخزن عند ذلك ظهورهم وغنمهم ونال دخورهم، ولا زال يقتل ويأسّر (كذا) ويسبي إلى وقت الظهر ودرقاوة قلّوا، بعد ما كلت الناس من قتلهم وملوا، فبقيت نجوعهم على حالها بيد المخزن فأخذ أموالهم وسبا (كذا) نساءهم وأولادهم وقتل رجالهم، فاضمحلوا من ذلك اليوم وفشل ريحهم وتلاشوا وبطل ريحهم وخاب سعيهم ونجيحهم. قال: ولولا فرسان البرجية ورجالهم الكرام في تلك الواقعة لكانت الدائر على المخزن بالجمع والتمام، ولمّا رءا (كذا) الدوائر (كذا) صبر البرجية وموت كبرائهم، وقد ذهبت الناس فارّه إلى ورائهم، تقدموا للقتال وقالوا للباي لا يحلّ لنا البقاء من ورائهم، إذ لا طاقة لنا بعد موت الإخوان، ولا صبر لنا على مفارقة الأقران، وقاتلوا شديدًا، وطعنوا العدو طعنًا عتيدًا، فسبحان من يجعل الخذلان في العدد الكثير العرمرام والنصر بالأقل فهو المالك العلّام. فرجع الباي بجيشه منصورًا، وأعلامه تخفق عزًّا وسرورًا، ودخل لوهران وجمعه موقر محترم، وأيامه مقبلة وشمله منتظم، ومكث بها أيامًا يسيرة، في راحة ونعمة كثيرة.

عودة الدرقاوي للظهور

ثم سمع بالدرقاوي قد جيّش جيوشًا قوية، وأنه نازل بجديوية فجمع عساكره المنصورة، وجيوشه المؤيدة المبرورة وخرج له من إنوانه بالبحور الزواخر، وبالرجال السادات الكرام الزواجر، الذين يقدمون الموت ويؤخرون الحياة، وعند الشدة والضيق/ يحصل بهم الفرج (ص 269) والاتساع وتكون النجاة وأسرع لقتاله، طالبًا لمحاربته ونزاله إلى أن وصل للموضع المسمى

بأجديوية، وقاتله وحاصره إلى أن أتى المخزن على عامة درقاوة فى الأقاويل المروية وقد أفنى مخزنه عامة درقاوة، وصيرهم للضلالة والشّقاوة، وخمدت شكوة باقيهم وفاز بالغنيمة لاقيهم قتل فى ذلك اليوم نحو ألف درقاوى، وبقيت المحلة بما فيها فى يد الباى ومخزنه وغنم مال أهل المساوى ورجع لوهران فارحًا بالغنيمة العظيمة، وقتله للعدو والمقتلة الجسيمة فاستقرّ بها واستراح، وحصل له الانطراب والانشراح، وبقى على ذلك أيامًا عديدة، وليالى مديدة فى سرور ونخو، ولعب ولهو، فبينما هو فى إيوانه مع أرباب دولته جالس، ومستيقظ لأموره وليس عنها غافل ولا ناعس، إذ جاءه الخبر بأن الدرقاوى بتافنة فى جيش جديد، كأنه البحر المديد والجراد المنتشر، مغطيًا السهل والوعر، وهو الرجل المنفش المسمى بأحمد بن الأحرش، ومعه أمة من الطلبة، سالكين معه اقتحام العقبة، لما شاهدوا عنده علوم الخنقطرة،والشعوذة المنفطرة، ظنًّا منهم أن ذلك من الأسرار الإلهية، ولم يعلموا أنها من الأمور السحرية الواهية، فخرج له فورًا بعساكره ومخزنه المبرور، الفائزين بالسعى المشكور، وأسرع فى سيره وأردف المراحل، سائلاً من مولاه الإعانة فى المقاصد والسوائل، إلى أن بلغه بوادى تافنة، وأطلق عليه سرعة بجنوده الظاهرة والكامنة وأثخن فيه بالقتل، والنهب والأسر والنكل، إلى أن مات من الطلبة أمة، وذهب الدرقاوى مفلولًا فى أشدّ غمّه، مذمورًا مدحوضًا، مدحورًا مفضوضًا، وقد أتى المخزن على جلّ محلته الجسيمة، فغنمها ورجع الباى لوهران فارحًا مسرورًا بتلك الغنيمة فجلس بها أيامًا للراحة طالبًا من مولاه امتداد المساحة قال فبينما هو جالس بإيوانه فى المنادمة مع أرباب دولته أهل الفخر والاستقامة، والأخذ من العدو الثأر والجلب للسلامة، إذ بادره الخبر بأن الدرقاوى بجيوشه نازلًا بالتّوتة من واد العبد، فخرج/ له عجلًا فى جيشه بالأزواج والفرد، واجتمع به فى تلك (ص 270) الناحية، وقاتله قتالًا شديدًا فى تلك الضاحية إلى أن بدّد شمله ومزّقه، ودمّره تدميرًا شديدًا وفرّقه، وقتل منه أمة كثيرة، وغنم له أموالًا عظيمة فى عدّها عسيرة.

نهاية الباي المقلش المحزنة

ولهذا الباى مع درقاوة أيام أخرى غير مشهورة، وهى مبسوطة فى الكتب وعلى الألسنة مذكورة، أعرضنا عن ذكرها صفحًا، وطوينا لها كشحًا. قال: ولما دوّخ المغرب الأوسط بأسره ومهّده وأمّن سبله وضاحيه وسدّده، ونشر فيه العدل والعافية وأيّده، وقطع منه العدو وبدّده، عزله أهل الجزائر بالقوة والشد، وأمروا بقتله بوهران فقتل شرّ قتله بعد أن ذاق أنواعًا من العذاب خارجة عن الحد، حتى كانوا يحمون سبائك الحديد، ويضعونها على رأسه وهو فى العذاب الشديد. وسببه أنه سرّح المحلة للجزائر كما هى العادة القديمة فيما حكى من الخبر، ولما عدم الدواب أمَر بحمل الأثقال على البقر، فبلغ خبره الباشا فأنف من فعله وأمر فورًا بعزله وقتله، مع ما تقدم له من شكاية المخزن ومرة أحمد التركى بالفعل القبيح، الذى لا ينبغى أن يذكر ولا يكون به التلويح فضلًا عن التصريح. وكانت أيامه كلها حوادث، ولا حادثه أشد من الغلاء المفرط بوقته وفناء الناس وكثرة الفساد والعوابث. والأمر لله الواحد القهار العليم، بالظواهر والأسرار. وكان آغته بالدوائر الفارس النبيل الخارج عن القال والقيل، السيد قدور بن إسماعيل، الصنديد البحثاوى، والحاج قدور بن الشريف الكرطى التلاوى وبالزمالة السيد محمد الوهرانى الحنين وعدة ولد محى الدين.

الباي مصطفى العجمي وحروبه مع الدرقاوي

ثم مصطفى بن عبد الله العجمى تولى مرة ثانية، بعد المرة الأولى الماضية، فى آخر السنة الثانية والعشرين والمائتين والألف[1]، من هجرة من له العز والفخر والشرف وكمال الوصف، وبقى فى الملك تسعة أشهر. وارتقى خزناجيا بالجزائر. وجاء بموضعه الباى الفائز بالزائر. ولما تولى قام وعليه ابن الشريف الدرقاوى، فقال يا عجبًا منه كيف سلّط علىّ بالثوران الداوى، مهمى توليّت لإلّا علىّ يقوم، قد عرف اسمى واعتقد أنى جبان وأنى لعكروم، فوالله لأذوقنّه (كذا) كأس الرّدا ولأجعلن شمله مبدّدًا، وقد قام عليه الدرقاوى فى التولية الثانية/ مرتين، وكر (ص 271)

---

(1) الموافق فيفرى 1808م.

عليه للمقاتلة كرتين. ولما سمع بالدرقاوى أنه قد جيّش الجيوش، وهو بالثعالبة من بلاد فليتة، قال سأخرج له ورأيه الفشوش، فعند ذلك خرج فى جيشه العزيز، الذى هو كاللجين والعسجد الأبريز، وتلاقى معه بالثعالب، فكان الدرقاوى مغلوبًا والباى هو الغالب وقدمه عالية بالمغالب، فهزمه هزيمة شنيعة، وعادت جيوشه للباى من وقتها مطيعة، ورجع لوهران فى عزّ وسرور، بغنيمة وحبور، فاستراح بها وأقام، فبينما هو بها إذ جاءه الخبر فى بعض الأيام أن الدرقاوى بجيوشه فى مدغوسة من بلد خلافة، فخرج له فورًا بجيوشه من غير جزع ولا مخافة، وجدّ السير نحوه وكاده كيدًا وترك المسير نحوه رويدًا رويدًا، إلى أن وصل للمحل المذكور، وحمل عليه حملة منكرة بجيشه المنصور، فلم يك (كذا) غير ساعة إلا والدرقاوى مهزومًا ومخذولًا مفلولًا مذمومًا، وقتل المخزن من أتباعه كثيرًا وأفنا (كذا) منهم جمًّا (كذا) غفيرًا، وغنم الأموال العظيمة فرجع الباى لوهران مسرورًا بتلك الغنيمة، فمكث بها أيامًا كثيرة، وانقطع عنه خبر الدرقاوى مدة شهيرة.

ثم سمع بأن مجاهرًا قد سعوا فى الفساد، وحملوا أنفسهم على اتباع الدرقاوى وراموا العناد، فخرج لهم بجيشه الأفخم حاركًا، وللمقام بوهران من ساعته تاركًا، ونزل بوادى الخير أحد أودية شلف، فبينما هو به إذ جاء الخبر بأن الباشا ولّاه خزناجيا بالجزائر ففرح بعد ما تأسف وبمجرد وصول الخبر له ذهب للجزائر، وترك من حينه وهران بمخزنها المنصور للباى الآخر. وهو الذى بنا (كذا) للعالم العلامة القدوة الدرّاكة الفهامة، شيخ الراشدية وغيرها على الإطلاق ومجدد القرن الثالث عشر بالاتفاق، من هو بعين العناية ملحوظ ومخلص من الضرائر، والحاصر، الحافظ محمد أبو راس بن الناصر، المصريّة ذات العلو الأرفع، وبيت الكتب والمذاهب الأربع، فقال فيه الحافظ المذكور فى رحلته التى اسمها: «فتح الإلاه (كذا) ومنّته، فى التحدّث بفضل ربى ونعمته»، وهذه المصرية بناها لنا الملك الأضفى، والخليل الأوفى، والمحب الأصفى، السيد الباى مصطفى، برّد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وأنى بعثت إلى ضريحه بالمديّة مع بعض تلامذتنا بما نصه: عليك أتم السلام، أيها المولى الهمام، الذى عرف فضله الإسلام/ (ص 272) وخففت بنصر عزّه الأعلام، وتنافت فى إنفاذ أمره السيوف والأقلام، قسّمت زمانك ما بين حكم فصل،

وإمضاء نصل، وإحراز خصل وعبادة قامت من اليقين على أصل، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية، وكاسى الظهور العارية، وقادح زناد العزائم الوارية، ومكتب الكتائب والسّرايا السارية، السلام عليك يا حجّة الصّبر والتسليم، والقلب السليم، وسامع الحديث والذكر الحكيم، كرم الله تربتك وقدّسها وطيّب روحك وأنسها، فلقد كنت للمستجير مجيرًا، وللمظلوم وليًّا ونصيرًا، ولقد كنت فى المواكب بدرًا، وللمواهب بحرًا، وعلى البلاد والعباد ظلًّا ظليلًا وسترًا، بنا (كذا) الله لك بيتًا فى الجنة كما بنيت لنا بيت الكتب بلا أذى ولا منّة، نفّعك الله بصدق اليقين، وأعلا درجتك فى علّيين وحشرك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. هـ. وكان آغته حبيبه بالغاية، وصديقه فى البداية والأثناء والنهاية، واسع العطا ومفصل الدعاوى السيد قدور الصغير بن إسماعيل البحثاوى. ومن الزمالة السيد محمد الوهرانى ولد قدور، الفقيه الباس المشكور. وكان لهذا الباى ولدان بزماننا من أعيان الناس أحدهما كان كاتبًا لدى نوّاب الدولة، وهو السيد محمد، والآخر السيد مصطفى الصادق فى القولة.

الباي محمد بن عثمان الرقيق والمسلوخ أبو كابوس وحروبه مع الدرقاوي

ثم الباى محمد بن عثمان الشديد فى الأمر العابوس الملقّب بالرقيق، والمسلوخ، والمشتمل، والمكنّى بأبى كابوس، أما لقبه بالرقيق فلأنه كان رقيق الجسم، وأما لقبه بالمسلوخ فإنه لقب به بعد موته الحسم، لكون آغته الجزائر عمر سلخ رأسه وهو حى وأحشاه قطنًا كما يأتى فى صحيح الروايات، وأما لقبه بالمشتمل فلأنه متشبهًا بالعرب فى الاشتمال بالكساء كالمخزن ولا يلبس لباس الأتراك فى غالب أحواله كغيره من البايات، وأما كنيته بأبى كابوس فلأنه كان يحمل الكابوس وهو البشطول ولا يفارقه أصلًا سفرًا وحضرًا، واشتهر بذلك لما قتل به السايح بن حضرا. وكان يقال له الباى محمد الصغير فرقًا بينه وبين أخيه الباى محمد المجاهد فاتح وهران، فإنه كان يقال له الباى محمد الكبير، تولى فى آخر السنة الثانية والعشرين والمائتين والألف[1]،

(1) الموافق فيفرى 1808م.

ويبقى فى الملك خمسة أعوام غير شيء بغير الخلق. ولما تولى اشتغل بقطع الدرقاوى وفصم محاله،
(ص 273) وقطع آثاره ومعالمه. وبغاته ومظالمه/ مدّة أيامه، وطلوع نجمه وأعلامه،حتى أنّ من حسد أحدًا ووشى به عنده وادعى عليه محبة الدرقاوى جورًا ينتقم منه فورًا، وإذا ظفر بدرقاوى انتقم منه مبادرة، بأى نوع شاء من أنواع الانتقام ولا يراعى مشاورة، ولا يقبل فيه شفاعة شفيع، واخترع قتلًا لم يصدر من البايات قبله وهو فعل شنيع ونوَّع عذاب من يظفر به إلى أنواع، فمنهم من يأمر بدقّ أعضائه حيًّا بالمعاول فى السوق إلى أن يموت بانفضاع، ومنهم من يقلع عينيه ويتركه أعمى، ومنهم من يأمر بقطع أعضائه إلى أن يموت أو يجهز عليه وهو أظمى، ومنهم من يأمر بذبحه، ومنهم من يقطع رأسه بعد فضحه، ومنهم من يقتله خنقًا، ومنهم من يبقره ومنهم من يقتله شنقًا، إلى غير ذلك من الأنواع المختلفة المعاطب المؤتلفة وقد نجا الدرقاوى بنفسه، وفشل ريحه. وتراكمت عليه الهموم والغموم وضاق به فسيحه، وافترقت عليه أتباعه وتبرأت من عمله، ولم يبق من ينضمّ إليه لما نالهم من العطب لأجله، فإذا جاء عند أحد فرّ منه ولم يصل لمصحبه! وخاصمه وشتمه واستخف بجاهه ما عدا مرة واحدة جاء لليعقوبية واستقرّ فاجتمعوا عليه يرومون وقعه، فقصده الباى فورًا وشتّت شمله وبدّد جمعه، فانتقل للأحرار فأطردوه، ثم ذهب لعين ماضى، وعنهم أبعدوه ثم قصد لبنى الأغواط فأبعدوه لَمّا علموا مقصده عندهم، ثم انتقل لبنى يزناسن وهو فى مذلة ومسكنة فأقروه عندهم، وترك ما سوّلت له نفسه، ودام ذلّه وبخسه، ولم يتحرك لشيء لعدم طاقته، وفقد مساعده وشدة فاقته.وصار لفظ الدرقاوى يقال لكل عاص مخالف، فتبرأت الناس من ذلك ولم يبق بينهم إلا اللفظ متعارف.

يُحكى أن قومًا من درقاوة كانوا بالقلعة يأكلون فى الطعام الممتزج بالزبيب، فظفر بهم قائد القلعة فقتلهم على تلك الحالة فألفيت أمريتهم مملوءة بالطعام والزبيب، وأن رجلًا أوتى به إلى قائد المعسكر على أنه درقاوى، فقال للقائد: وحق سيدى دح بن زرفة منذ عقلت لم أقل لا إله إلا
(ص 274) الله على ما قال الراوى، وغرضه النجاة/ لنفسه خشية حلوله فورًا برمسه، فضحك القائد ومن حضر من قوله وتركه بلا مهلكة وقال له: لا تعد لهذه القولة الكفرية، فقال له: يا سيدى قد جعلها الله لى مسلكة.

ثم غزا هذا الباى فى السنة الثانية من توليته الحشم الغرابة بغريس فقتل أجوادهم وكبراءهم وقوادهم، وفتك بهم كثيرًا جسيمًا، وأوقع بهم موقعًا عظيمًا، وسببه أن الحشم بدت من بعض أعيانهم أمور مخالفة للسياسة وقد هرب الفاعل لذلك عند سيدى محى الدين بقصد الاحترام بالصناعة والكياسة، فبعث له الباى من يأتى به فعصى وساعده الحشم، واتفقوا على المعاندة التى كانت لهم هى عين السم، فاستغاظ الباى بذلك، واعتراه الغضب الشديد من ذلك، وأمر آغته رئيس الدوائر وقائده رايس الزمالة بالغزو على سيدى محى الدين، فقالا له: اصبر فإن الله مع الصابرين الحامدين.

ثم إن آغته السيد قدور الصغير بن إسماعيل انتخب مائة فارس مقاتل من مخزنه الصبار، وبعثهم رفقة الحاج بن داود بن المختار، كما انتخب قائد الزمالة السيد محمد ولد قدور خمسين فارسًا مقاتلًا بالتبيين وبعثهم فى رفقة الحاج المرسلى ولد محى الدّين، ولما وصل الجميع لقيطنة سيدى محى الدين،وراموا أخذ الهاربين بالتمكين امتنعت الحشم من تسليمهم للبعوث، وبدأتهم بإرسال البنادق التى تصب كالفراش المبثوث فحصل الضرب من الجانبين، آل فيه الأمر إلى أن قتل الحاج بن داود وجرح الحاج المرسلى بغيرمين، وذهب الحشم بالمظلومين لغريس، وعولوا على القتال الذى حلّ بهم به كل شيء نحيس، ولما رجعت البعوث لوهران وسمع الباى ما حلّ بقومه ازداد غضبه ومنه استبان، وجمع جيشه من المخزن والأتراك، وغزى أجواد غريس بطيّ وإدراك، وقاتلهم إلى أن أثخن فيهم بالقتل الشديد، ومكر بهم بالمكر العتيد، فقتل من أعيانهم أربعة عشر فارسًا كل منهم بقتل ذريع راكبًا وجالسًا، بحيث قتل عشرة فى دفعة واحدة، واثنين منفردين فى القتل بعناية جاهدة ولم يبق من هؤلاء الأربعة عشر إلا اثنان وهما قدور وعدة ولدا أبا نقاب، فكان منهما من القتال ما لا يحيط به جواب، ولا زالا فى جولان الميدان إلى أن قتلا معًا بإرسال العنان، وقد مات الصحراوى والحاج، فضلًا عن غير الأعيان من الضعيف والوضيع والمحتاج، ولما قتل كبراءهم نزل عوّاجة ورهّب عليهم ورام صغراءهم/ فبعثوا له على عتيد، (ص 275) وجعل عليهم عقوبة بالمال خطيّة عظيمة، وأذعنوا للطاعة، الإذعان الذى ليس قيمة، وقصتهم مشهورة، وعلى الألسنة وكلام الفصحاء مذكورة.

حملة الباي على عريب

ثم إنه لما تمهد له الملك غزا بأمر الباشا عريبًا[1] فصيّر رايسهم (كذا) ثريبًا، وهم قبيل عظيم بادية ولهم شوكة قوية، وهم رعية آغة الجزائر وطنهم ما بين حمزة والدهوص فى الحدّ بين باى قسنطينة وباى المدية. وسبب ذلك أن شيخ عريب خالف برأيه آغة الجزائر لما أراد الله به أن يتلاشا فبلغ خبره، آغة فأعلم بذلك الباشا فلم ير الباشا من ينتقم منهم ويهتكهم هتكًا، ويصيرهم هباء منثورًا ويفتك بهم فتكًا، ويرجّعهم كالأرض إذا دكت دكًا دكًا، إلّا باى الغرب لخبرة جنده بالطعن والضرب فإن مخزنه أشداء على العدو فى الحروب، وشدة بأسهم عند تلاقى الصفوف فلا يعرفون الحيرة وإنما دأبهم الموت وليس من شيمهم الهروب، فالقاضى عندهم قريب والعاصى لهم طائع منيب، والصعب عندهم سهل وكل واحد منهم ظريف لبيب.

أعراش المخزن الوهراني الخمسة

والمخزن مهما قيل له فى دائرة وهران فهو خمسة أعراش جالية: الدوائر، والزمالة، والغرابة، والبرجية، والمكاحلية، فهم نجوع شداد فى الحرب، ولبعضهم بعضًا متوالية وكلمتهم تحت كلمة واحد بلا مخالية غير أن النجوع الأربعة هم مخزن الباى، والخامس وما انضم إليه هم مخزن الخليفة سديد التدبير والرأى. وغير هؤلاء كالحشم وبنى شقران وبنى عامر ومجاهر، فهم أعراب رعية نائبة ليس لهم جرأة فى الحروب وظفر الظافر، وإن كان عددهم كثير، فالمخزن أهل جراءة (كذا)ورأى وتدبير، فأمره الباشا بالغزو على عريب، وكان ذلك لا يتعقل لعدم تصرف باى الغرب فى غير رعيته بكل وجه بعيد أو قريب، وبعد مكانهم عنه بالأحوال السوية، إذا حال بينه وبينهم باى المدية، فنهض الباى من ساعته وهو فى أحوال خرجت عن إرادته وكان ذا حزم وجزم وعزم وكياسة، ووزراءه ذوى تدبير ورأى وشجاعة وبسالة وسياسة، فجمعهم وعرفهم بالخبر، فأشاروا عليه بأنه لا بدّ من فعل هذا الأمر ـ لأنها مزية عظيمة أن بلغوا منها مناهم وفرحة

---

(1) عريب قبيلة ومشهورة مواطنها السفوح الجنوبية لجبال جرجرة حول برج حمزة الذى يدعى اليوم البويرة شرق مدينة الجزائر.

شديدة أن وصلوا لمنتهاهم، فاتفق رأيهم على ذلك وتحققوا بأن الأمر هو ذلك، وتواصوا/ بعدم إفشاء هذا السر بل يجعل ذخرًا، وخرج الباى بجيشه من وهران بجر الأمم فتعمر به أرض وتخلا به أخرى، إلى أن وصل وادى دردر وما به من خشفة، أمر برد أثقال المحلة وضعيفها إلى أبى خرشفة، وركب أول نهاره وسار فى الفيافى طول نهاره، لا يلقى إلا النعام والغزلان وطائر الجو من الحداء والغربان، وبات يسير سيرًا شديدًا، ومخزنه بالظفر طامعًا وفارحًا بالواقعة إلى أن طلع النهار وعيونه ما بين الذاهبة والراجعة، إلى أن بلغ لحيهم ونجعهم، فأرسل عليهم مخزنه بجمعهم، وأوقع فيهم جيشه أسرًا وقتلًا ونهبًا، وزادهم طعنًا وضربًا ولا عرفت عريب من أين أقبلت تلك الجنود الداهية عليهم ولا من هى لاختلاف ملابسها وأشكالها، وشجاعة فرسانها وقوة أحوالها، فأخذوهم أخذة رابية، وصارت أموالهم لهم غنيمة مجابية،ثم تحققوا بأنه باى الغرب، لما رأوا فى فرسانه من زيادة الطعن والضرب، لاتكل لهم السواعد وليس لهم فى الحرب إلّا الطعن والضرب للقائم والقاعد، فكان من جملةما سباه الباى بجيشه نساء شيخ عريب وأولاده، وأقام ببلدهم يومه والسرور زاده. ثم كر راجعًا للمدية فى طرب وابتسام، فنزلها بعد مسيرة ثلاثة أيام، وقد تعرضت له فى طريقه قبائل الطّمع، الذى يفضى بصاحبه إلى النجع، وهو سائر بين جبلين لأناس يقال لهم أولاد إعلان، وإذا بهم ابتدؤا الجيش بالضرب فى السر والإعلان، فلما سمع الباى ضرب البارود. ورأى جيوشه حشودًا بعد الحشود، لا تفعل شيئًا إلّا بأمره ليكون ذلك من فخره، سأل عن ذلك تبليغًا لمرادهم، فأخبروه بأنهم يريدون منه الزطاطة لمروره ببلادهم وكانت تلك عادة الأعراب، إذا لم يكونوا تحت القاهر الغلّاب، فقال: عليكم بهم لاعنهم، وأيتونى بمن ظفرتم به منهم، فلم يك غير ساعة إلّا والمخزن يجرّ فى رءوسهم ويقتل لمسعودهم ومنحوسهم، وأتوه بعدة رجال فأمر بقطع أيديهم وقال لهم: تلك الأجرة التى سألتمونيها، فانصرفوا وهو يزيد بمزيدهم. ولما وصل إلى المدينة أقام بها أيامًا للراحة وبعث السّبى والمال للجزائر صاحب الإحسان، فرفعت مكانته عند الباشا رفعة عظيمة وكرّ راجعًا لوهران. قال: فلما وصلها مكث بها سائلًا من مولاه الإعانة والسلامة والعافية، وهو فى فرح شديد بمخزنه سيما الأعيان السادات الأسود/ الضارية، فصار لا يقدم ناره زناد، وإنما تأجّجها (ص 277)

على الدوام في ازدياد، بجنده العزيز، ومخزنه الأبريز. ثم إنه تحرك لأهل يبدر من أهل الساحل، لقطع ما سمعه من جموع الدرقاوى الذى ببنى يزناسن نازل، فغزا صهره الشيخ أبا ترفاس، لما سمع بالدرقاوى عنده على غفلة من الناس، ولما سمع الدرقاوى بنهوض الباى إليه فرّ هاربًا متذللًا وأخلا الأرض بين يديه وافترقت من حينها جموعه وجاءته عجلة قواطعه وقموعه فزاد الباى للساحل وأخلا منه ما أخلا، وقتل ما قتل وأجلا ما أجلا، وخرّب قرية أبي ترفاس واحتطب أجنتها، وسلط عليها أذاها ومنّتها، ولما فعل بقرية الشيخ أبي ترفاس أفعال الشرور والإفلاس، قال له: أيها الباى لماذا فعلت بنا هذا؟ ونحن من جملة ضعفاء الناس، فقال له: لأن صهرك درقاوى يأوى إليك فأنت مثله وأحوالك ببداية، فقال له إنى شيخ طلبة لا غير وعايرتنى بالتدرقى ولست من أهله وخرّبت مكانى خرب الله ملكك عن قريب وألبس لك التدرقى عباية. وهذا أبو ترفاس ولد الشيخ أبي ترفاس الذى غزاه الباى خليل، فأهلكه الله لرجوعه لتلمسان فى السبيل ثم كر الباى لأهله راجعًا وهو فى هلاك غير أبي ترفاس من درقاوة طامعًا ولما وصل لوادى تافنة، حل به البلاء وانحط، وأصابه الثلج العظيم الذى لم يمطر مثله قط. فمات به كثير الخيل وتعيّب كثير الجند ودخل الباى اضطرارًا تلمسان. وافترقت محلته افتراقًا مختلفًا هامت به فى البلدان، فمنهم من مات جواده والآخر تمزّق خباؤه،ومنهم من تلف سرجه والآخر انكسرت بندقته (كذا) والبعض تورّمت أعضاؤه، وانهدمت بسببه الديار، وانكسرت منه الأشجار، فسبحان الله الواحد الأحد المالك القهار. واشتهرت تلك الواقعة بحركة الثلج، وعرف عند الناس بقصة عام الدّلج. وبقى الباى بتلمسان إلى أن صفا الحال، وأمن على نفسه فضلًا عن جيشه من الضرر والنكال، رجع لوهران واستقامت له الأحوال واقتدت به الناس فى الأفعال والأقوال.

نهاية الباي بوكابوس المحزنة

قال: فبينما هو بإيوانه فى فرح وانبساط، وسرور واغتباط، وإذا بالباشا بعث له بالحركة لتونس التى كانت عليه منحوسة، وأصل هلاكه وصارت أموره منكوسة، فهى سيئته وخطيئته، وبها كان هلاكه وسخيطته، وعذاب/ وزوال الملك عنه،وإهانته والانتقام منه. (ص 278)

وسبب الحركة أن الجزائريين وقعت بينهم وبين التونسيين مقاتلة ومشاجرة ومواقفة ومحاصرة، ودامت زمانًا طويلًا سرًا وجهرًا، فتهيأ الجزائريون لهم بالحركة برًّا وبحرًا وبعث الباشا لباى الغرب أن يتهيأ للحركة بالمحلة الجليلة من أنجاد مخزنه ذوى الجلالة لاتصافهم فى كل موطن بالشجاعة والحزم والبسالة ومآثرهم فى الحروب مشهورة، وعند الناس فى كل مكان مذكورة ليس لها خفاء بالشدة والجلدة، وكان يضرب بمخزنه المثل فى كل بلدة فالواحد منهم بمنزلة العشرة فاعلاً فى الثبات والشدة، والشجاعة والفراسة والمعرفة والكياسة والأدب والظرافة والفطانة واللطافة والتقدم لإزالة الجماجم عند الطيش والوحشة، والثبات للزحف وقمع العدوّ عند الذهول والدهشة. فهم رجال الوفاء والخجل، وهم السادات الذين لا يعتريهم الطمع والوجل، بل شأنهم التقدم للنزال بين الصفوف، والجولان فى الحرب بالبنادق والسيوف، ولهم معرفة بمكايد الحرب، وتخلقوا بأخلاق الطعن والضرب، فلا يخشون من قتل يوم ترجف الراجفة ولا يفرون من موت حين تتبعها الرادفة، فإن ذهل غيرهم فهم ثابتون، وإن انهزم غيرهم فهم نابتون، فهم الذين صدق فى وصفهم قول الشاعر، الواصف لقومه ونفسه بالأمر الصائر:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حسن الثناء سبيل

تعايرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها أن الكرام قليل

وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا ... قدمٌ تسامى للعلا وكهيل

وما ضرّنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

لنا جبل يحتلّه من يجوره ... منيع يؤدى الطرف وهو كليل

وإنـا القـوم لا نـرى القتـل سـبّة … إذا مـا رامتـه عـامر وسـلول

ومـا مـات منّـا سـيد حتـف أنفـه … ولا ضـلّ منـا حيـث كـان قتيـل

تسـيل عـلى حـدّ الظبـات نفوسـنا … ولـيس عـلى غـير الظبـات تسـيل

علونـا عـلى غـير الظهـور وإنّنـا … لوقـت إلى خـبر البطـون نـزول

ونحـن كـماء المـزن مـا فى نصـابنا … كهـام ولا فينـا مـن يعـدّ بخيـل

وننكـر إن شـئنا عـلى النـاس قـولهم … ولا ينكـرون القـول حـين نقـول

إذا مـات منـا سـيد قـام سـيد … يـدل بـما يهـوى الكـمال يقـول

ولا أخمـدت نـار لنـا دون طـارق … ولا ذمّنـا فى النـازلين نزيـل

وأيامنـا مشـهورة فى عـدوّنا … لهـا غـرر معلومـة وحجـول

وأسـيافنا فى كـل شرق ومغـرب … لهـا مـن قـراع الـدارعين فلـول

معـودة إذا تسـلّ نصـالها … فتغمـد حـين يسـتباح قتيـل

سـلى إن جهلـت النّـاس عنـاوعنهم … ولـيس سـواء عـالم وجهـول[1]

خروج الباي من وهران في طريقه إلى تونس وعصيانه

قال: فامتثل الباى لذلك وتزود زادًا كثيرًا،وجمع من مخزنه جيشًا عرمرمًا غزيرًا، وخرج من وهران يروم تونس وفقًا لما أمر به وصاحب الغيب أعلم بها فى غيبه، ولما نزل وادى يلّل، الذى بان به فساده والخبل، حدثته نفسه برفض الترك والخروج عن طاعتهم فى سرّه وعلاه، والدخول فى سلك سلطان المغرب مولاى سليمان بن عبد الله[2] فأصبح معلنًا بقتل الأتراك يا للعجب، جازمًا بالدخول فى طاعة سلطان الغرب، فقتل كلّ من كان بقربه من الأتراك ولو أصهاره، وأمر بنى عامر بقتل محلة الترك التى عندهم فقتلوهم خديعة بالتفرقة على الخيام ولم ينج إلا من نجّاه الله واختاره، وتمادى على ذلك ولا حصل له فى رأيه وهن، ولما سمع الباشا غضب وعلى جيشه

(1) هذه القصيدة للشاعر السموأل، وقد أحدث فيها المؤلف عدة تصحيفات.

(2) حكم السلطان سليمان بن عبد الله من سنة 1792 إلى 1822م.

حزن، ودخل على قارة باغلى صهره خليفة الكرسى بمن معه من الأتراك لمازونة وسكن، وكر الباى راجعًا لوهران، بمشاورة أعيان مخزنه خديعة منهم له حيث فعل ما لا يليق، وغرضهم القبض عليه وصيرورته فى الكبل الوثيق، فبينما هم لوهران داخلون، وإذا بالسفن المشحونة بعسكر الأتراك فى البحر وهم بالمرسى نازلون أتوا ليتطلعوا على حقيقة الأمر وما سبب ذلك، كما جاء عمر آغا فى البر بمحلة عظيمة قاصدًا لوهران على ذلك، فدخل الباى محله وقد سمع بذلك، فجزم بإلقاء النار/ فى خزنة البارود، لتصير المدينة عاليها سافلها ولم ينج منحوس ولا مسعود، (ص 280) وأنه ميت معهم ما فيها المحالة، فصعب ذلك على المخزن وأهل البلد واشتد بهم القلق والوجالة، فصعد له المخزن للدخول عليه ومعهم كبراء البلد للقبض عليه ونهيه على فعله، فلم يدع أحدًا يدخل عليه وزاد فى قوله وفعله، فصرخت الناس بالاستغاثة وهرب من يطيق الهروب وأيقنوا بالهلاك بغتة دون الحروب، فعند ذلك صعد له العلماء وبأيديهم المصاحف وصحيحا البخارى ومسلم، وناجوه من بعيد وأروه ذلك ووعظوه بليغًا فأذن لهم فى الدخول وأمنهم وقال: من شاء تأخر ومن شاء تقدم، فدخلوا عليه وصبروه ووعظوه، وبقضاء الله لزموه وللموت لحظوه، فثبت يقينه وزال ما به من الغضب، وعلم أن ذلك حيلة من مخزنه فعلوها لنجاة أنفسهم من العطب،فاطمأن قلبه ورضى بالموت وزال عنه النصب، وأذن للعلماء فى قبضه فأبوا ذلك، وقالوا له: هذا شأن المخزن لا شأننا فهم أولى بذلك، ثم أذن للمخزن ورءوساء البلد فدخلوا عليه وكبّلوه وشددوا عليه وحّلوه، حتى أن الوجيه آغة على ولد عدة قال له لما اجتمع به بخروف قادمًا لوهران! أيها الباى فعلت الذميم مع مخزنك سابقًا وأهلكت نفسك لاحقًا فلست من آل عثمان، وقاله ثانيًا لما شرعوا فى تكبيله، وتوثيقه وتنكيله وأخبروا العساكر التى فى السفن وأدخلوهم المدينة، وكتبوا لعمر آغا بذلك، ليدخل كمن كان فى السفينة. وقد أتى عمر معه بالقفطان المعد للملوك وبايات لار، فألبسه بمازونة لخليفة الكرسى على قارة باغلى باشتهار، وولّاه من حينه بايًا للإيالة الغربية، بدلًا من صهره أبى كابوس ذى الأحوال الحربية، فظعرت فيه دعوة الشيخ أبى ترفاس المارة فى الرواية عايرتنى بالتدرقى ألبسه الله لك عباية. ثم قدم عمر وعلى

قاصدين بجنودهما وهران، فدخلاها وألفياه مكبولًا فى سجنه نادمًا على فعله الذى حسنته له نفسه وشياطين الإنس والجان، وهو صابر لما ساقته له المقادير، فحق فيه ما قاله الشاعر الماهر:

قالت أراك مع الأرذال تصحبهم ومن يصاحبهم فى دهره يهن
لا يصحب المرء إلا من يشاكله ما رأيت الظبا والأسد فى قرن
/ أجبتها مظهرًا عذرى ومنشدها بيتًا به تضرب الأمثال فى الزمن
يغمى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

(ص281)

عمر آغا يقتل الباي بوكابوس وينصب الباي علي قارة باغلي

ولما رآه عمر آغا تركه على تلك الحالة بالاعتماد،وخرج معه الباى على بجيوشهما يجوسان البلاد، ويتفقدان أحوال الرعية وما عملت وأخّرت وقدّمت، فوصلا لجبل ترارة وكانت بها دار ابن الأحرش الدرقاوى فأمرا بهدمها فتهدمت وصعدا مع الجبل إلى تاجرة ثم رجعا لتلمسان بعد خلوها وفرار أهلها عنها، ثم رحلا لناحية الحشم ونزلا بالمعسكر بالخارج منها، وهناك أمر عمر آغا بقتل العثمانية فقتلوا عن آخرهم ولم ينج إلا من فر بنفس وعصمه الله من مكرهم. قال: ثم رجعا لوهران ودخلاها وبها قتل عمر آغة الباى الرقيق بأشر القتل، ونكل به بأشد النكل، فسلخ رأسه وهو حىّ وفعل به فعلًا شديدًا وملاه بعد السلخ بالقطن وبعثه للجزائر فعلّقوه على عمود طويل وتركوه به زمانًا مديدًا، وقتل أولادهم وهم صغار ولم يتق فيهم رب العالمين، وقتل بعض خدامه وصار بهم ما صار بالبرامكة مع الملوك العباسيين. وقال فيه كل من السيد حسن خوجة والسيد مسلم بن عبد القادر أبياتًا، فأما التى قالها السيد حسن ذهبت عن حفظى، وأما التى قالها السيد مسلم خذها إثباتًا:

ظننت برأيك أنه صلاح كلا والله ذلك الفساد
من يستقل بالرأى ليس عاقل لا خير فى رأى يعقبه الفساد
وفعلك ذا يؤدى إلى النكال وفيه حتف لمن غرّه الرقاد
/ غررت بنفسك والآل كلا ما لهم ذنب لا ولا المراد
حتى بقوا نساؤهم يهمن فى كل وطن وأتلفت الأولاد

أبو راس يرثي الباي بوكابوس

قال: وطلع فى أيامه نجم غير معهود الطلوع قبل ذلك، من الشمال ذا ذنب طويل شعاعى وأدام أيامًا ثم أفل ولم ير بعد ذلك. ولما مات هذا الباى قال فيه الحافظ أبو راس ما ذكره فى رحلته التى اسمها: «فتح الإلاه ومنته، فى التحدث بفضل ربّى ونعمته»، من المدح والثناء الجزيل، والترحم له بالترحم الجميل، ما نصّه: ولّما افتقرت مصريتنا بيت المذاهب الأربع للترفيع وأردت تجديد تبييضها وبعض ترميمها وتقييضها، ذكرت ذلك للباى الأسعد الأقعد الأمجد، الأنجد الأوحد، عزيز النصر، ونخبة العصر، وريحانة الدهر السادل على الرعية الأمن والأمان، الباى السيد محمد بن عثمان، اتحفه الله بالرضى والرضوان وألحفه مطاريف التكريم والحنان، فبعث لى مع ساقه مائة ريال بوجهها، قامت أوفى إقامة بترميمها وتبييضها وذلك قبل أن أحجّ عنه رحمه الله فوفّرنى أحسن وفارة، جعل الله ذلك القتل له كفارة، ولما أوبت من الحج سنة سبع وعشرين ومائتين وألف[1] أعطانى مائة محبوب جعله الله يوم القيامة مقربًا ومحبوبًا، آنس الله غربته، وأزكى ذريته وتربته، وجعل ذلك الحج المبرور فى ميزانه وراجح أوزانه، وتقبل الله دعاءنا فيتلك المشاهد، التى ينتفع بها الغائب والشاهد، وما أنفقنا من نفقة هنا كبيرة أو صغيرة، إلا عوّضه الله عنده، حسنات كثيرة أثيرة. ولما قبرقمت وذهبت إلى ضريحه وترحمت وبكيت/، (ص 283) وقلت السلام عليك أيها الإمام، الثاوى فى دار السلام، كأنك لم تعرض الجنود، ولم تنتشر على رأسك البنود، ولم تبسط العدل الممدود، ولم تعامل بفضلك الركّع السجود، توسدت الثرى وأطلت الكرى، وشربت الكأس الذى يشربها الورى، وأصبحت ضارع الخد، كليل الجد، سالكًا سنن الأب والجد، ولم تجد بعد انصرام الملك إلا صالح عملك، ولا صحبت لقبرك، إلّا رابح تجرك فنسأل الله أن يؤنس اغترابك، ويصلح فى الآخرة ما فى الدنيا أرابك، أعطاك الله الوسيلة وتمم مقاصدك الجميلة، ومنحك الزلفى الجزيلة، ولم أجد مكافآت لك إلّا التقرّب بدعائى الله برحمتك، تعفير الوجنات فى تربتك، والإشادة بعد الممات بمجدك وكرمك، منحك

---

(1) الموافق 1812- 1813م.

الله المغفرة الطيبة، والتحيات الطيبة، مد الدهر وأباديه، وتراويحه وتغاديه، وأسكنك من الجنان بحبوحه، وأعطاك فيها فسوحه، آمين يا رب العالمين، ولا أرضى بواحدة حتى أقول ألف ألف آمين. وكان آغته الفارس المشهور، البطل الذى فى الموارد والمصادر مذكور أبو مدين قدور الصغير بن إسماعيل البحثاوى، أبلغه الله المراد وأنقذه من المساوى ومن الزمالة المرسلى والسيد محمد الوهرانى ولد قدور، السالكين النهج المسرور.

الباي علي قارة باغلي

ثم الباى على، المعروف بقارة باغلى، نسبة إلى بلدةببلاد الأتراك، يقال لها باغل بلا اشتراك. كان أتى إلى هذا الوطن بالمقامنة فى وقت الباى محمد الكبير بن عثمان ثانى ملوك العثامنة. وكان (ص 284) موصوفًا بالعقل والرياسة، والمعرفة والكياسة، فزوّجه الباى محمد الرّقيق ابنته/ وأدناه منه وصيره يتعمل بالأعمال المخزنية، ويتوظف بالرتب السياسية إلى أن ارتقى للمملكة بغير الخلف، فتولى بايا بالإيالة الغربية فى نصف السنة الثامنة والعشرين والمائتين (كذا) والألف[1] فهو سابع بايات وهران واستقر بحول الله تعالى على الكرسى فى ذلك الإيوان.

فألفى بالمخزن تخليطًا كثيرًا بسبب أمر الباى محمد أبى كابوس الذى كان قبله اتّهم فيه الكثير من الناس بتهمة الناكوس، ولشدة عقله ورياسته ودينه وما كان منه، وميثاقه غفر جميع ذلك لمن اتّهم به وعفا عنه، وتلك التهمة والخلاط اختص به الزمالة، دون غيرهم من المخزن فكانوا به حثالة الحثالة. وكان لا يقبل الوشاة ولا يصغى للموهن، فإذا وشى أحد بغيره عنده لا يقبل ولا يسمع منه ما يؤذى به أخاه المؤمن، وهو قليل الخطية للناس، فلا يخطى إلّا القليل من الناس، لا سيما المخزن وأهل البلد وذويه، عكس ما كان من قبله عليه. وانقطع فى أيامه ذكر الدرقاوى حتى صار لا يذكر إلّا على وجه الحكاية كما قال الراوى. قال: وحدث فى وقته الجراد المنتشر غير المعهود الذى أفسد الزروع والثمار، وعمّ بالشرق والغرب سائر النواحى والأقطار، ولم يخل منه مكان، إلّا مدينة وهران، وكان من لطف الله تعالى الواقع بهذا الباى جيد السيرة سديد الرأى،

---

(1) الموافق1813م.

الذى زاد للناس أمنًا متسعًا وهدّن روعة الوطن، وسكّن من الأمر ما تحركَ وأحرى ما سكن، فأسعدت به البلاد.

واطمأنت به قلوب العباد، أنّ عمر آغا لما فعل بأبى كابوس ما مر أخذ فى نهب ما فى بيت المال من الأموال، ولما رءا (كذا) إبراهيم خزندار/ الكبير ذلك علم أن الباى الآتى لا بد أن يكون (ص 285) من عدم المال، مع الجيش وغيره فى ضرر ونكال، بادر إلى الخزنة وأخذ منها غفلة جملة من المال، وصعد به إلى أعلا (كذا) سطح المحكمة وجعله هنالك، ولم يطلع على فعله إلّا الخالق المالك، وحين تولّى الباى على واستقر بالإيوان نظر لبيت المال فوجدها خاوية على العروش، فتحيّر من ذلك وتألم كثيرًا وقال: كيف أفعل مع هؤلاء الجيوش؟ فدخل عليه إبراهيم خزندار فوجده مع نفسه فى هم وحزن، وتأسف صاعد وهابط ومحن، فقال له: يا سيدنا ما طرقك حتى صرت فى هذا التأسف، والضرر الشديد والتقشف؟! وأنت البايلار باى وأنت الذى تزيل عن عبرك بفضل الله الأغيار، فقال له: ياإبراهيم وكيف لا أتأسف وبيت المال خاوية فما أصنع مع هؤلاء، الجيوش الضاوية! فإن عمر ذهب فارحًا أمينًا بأخذه المال لنفسه وتركنى أسيرًا مع الجيش حزينًا، فقال له إبراهيم: يا سيدنا لا تجزع، ولا تتأسف ولا تفزع فأنفسنا لك وقاية، ومالنا لك حماية، ومخزنك كثير الجود والشجاعة، والزعامة والبراعة لا يدعوك تتألم بسبب ذهاب المال، فلا ريب أنهم يجمعون لك فورًا ما يكون به التطريب للبال، وأنى قد دخرت لك شيئًا من الذخائر والأموال، لتستعين بها على ما أنت فيه من الأحوال، فقال له: أحضرها وبادر، فأحضر ما كان تحت يديه من الذخائر، ففرح الباى وظهر عليه السرور واستبشر ولاح على جبينه النور، ولما سمع المخزن أتوه.

بما فيه الكفاية وفوق الكفاية وقالوا له: طب نفسًا فأنفسنا ومالنا لك هى الوقاية، فشكر فعلهم الجميل، وأثنا (كذا) عليهم الثناء الجزيل./ ، قال: وفى ثامن جمادى الثانية سنة توليته[1] (ص 286)

---

(1) 1228 هـ الموافق 8 جوان 1813م.

غزا ترارة ومعه عمر آغا كما مرّ فقتل منهم أربعة وثلاثين رجلًا من الشجعان، وسبا (كذا) تسعين امرأة بالبيان.

ثم غزا بنى مناد لما ظهر منهم الفساد، فأوقع بهم إيقاعًا عظيمًا، وهتكهم هتكًا جسيمًا، أفنا (كذا) منهم عددًا من الأبطال وسبا (كذا) الأموال والنساء والصبيان وأسّر الرجال. ومات بتلك الواقعة من أعيان مخزنه القائد الأنجد، الفاضل الأمجد الشهم الشجاع الجواد المطاع، الصنديد الباسل، الحليم الكامل، من هو لليتامى والأرامل كافل. ذو اليد الواسعة والمآثر الساطعة، رئيس الدوائر، محى الدين بالنواهى والأوامر، صاحب المحاسن والمعارف، وجائز المعالى والعوارف جالب الإحسان، ودافع المساوى مفتخر النسب المخزومى البحثاوى، السيد قدور الصغير بن إسماعيل آغا، واصل الله روحه إلى الجنة وأحكم بلاغه، كما مات الطالب الأديب الحاذق اللبيب، كامل الإحسان والأجور، قائد الزمالة السيد محمد الوهرانى ولد قدور رحمهما الله بمنه وفضله وكرمه آمين وجعل فى الفردوس آخر دعواهما أن الحمد لله رب العالمين. وهما ركائز المخزن فى الأمور النفّاعة، وعمدته رأيًا وشجاعة. وقد قال السيد مسلم خوجة فى آغة السيد قدور الصغير بن إسماعيل مرثية يخر لها القائم على ركبتيه جاثية، وهى:

حلى السياسة وطلى الرياسة قد اجتمعا وفيك غيرهما تتل
كريم عفيف توفى فيما تقوله ومهمى يضيق الأمر أنت له أهل
وما من كريهة ألاّأنت مفتاحها وآلك جملةفحول وأبطل
وثلم من سور مشيّد موضع وأسقطت ثلمة لم يوجد لها مثيل
/ لموتك قد بكا جميع الأحبّة وقد عزّ صبرهم زمانًا ولم يسل
لأن على يديك فتح الحوائج ومن قطر ماء المزن جودك أهطل
يسعد من يلجأ لبابك يلجأ وإن كان راديًا تهذّيه يكمل

وقال أيضًا:

فحزنى على المبلغ للمراد حليم منيب وتبر وقّاد
مزيل الكروب منيل المطلوب ومفجى الهموم ومجلى النّكاد

ومعطـى العطايـا جزيـل النـدا | ومهـدى الهـدايا ومـن هـو الـزّاد
وذى النجـدة العظمـى حـال الحـروب | نـاصر المظلـوم وطويـل النّجـاد
سريـع الغضـب قريـب الرّضـا | مغيـث الملهـوف كثـير الرمـاد
شـجاع الهيجـاء وضرغامهـا | حسـن التـدابير نعـم النقّـاد
قـدور بـن إسـماعيل بـن البشـير | فإنـه صـار ضـجيع اللّحـاد
فـأبكى الأرامـل واليتـامى | وأبكـى الصـلحا وأبكـى الزهـاد
وأبكـى الشرفـاء والعلـماء | وأبكـى القـرّاء وأهـل الرشـاد
وأبكـى العسـاكر نعـم الشّـجاع | وأبكـى الشّـجاع وأهـل المعـاد
وأبكـى الجيـوش وأبكـى الأمـير | وأبكـى الـوزرا وأبكـى القيّـاد
وأبكـى السـادات الكـرام الرضـا | وأبكـى الطّلحـا وكـلّ العبـاد
وأبكـى النسـاء وأبكـى الرجـال | وأبكـى العبيـد والصـبيان زاد
فحـق عليـه البكـا دائـمًا | بشـق الجيـوب ولطـم الخـداد
/ وخـدش الوجـوه وصـوت عويـل | ونـدب طويـل بغـير نفـاد
قـد أبكـى العيـون هـذا الباسـل | برجـف القلـوب وحـرق الكبـاد
فمـن للأرامـل مـن بعـده | ومـن لليتـامى فى جمـع الأعيـاد
ومـن للشـعرا إذاوفـدوا | ومـن للمـدين مرتـاح القصّـاد
فـإنّ النّـدا عليـه باكيًـا | كـذا الحـرب قـد بكـا حـال الطّـراد
فمخـزن وهـران منـه انغـدر | ووهـران باكيـة بـالثّماد
تقـول بصـوتها حـال البكـا | عليـك حـزنى قـد دام يـا جـواد
فبـك احترامـى وبـك التـوفير | ومنـك افتصـاحى ومـن السّـهاد
فويـل وويـل وويـل شـديد | وويـل وويـل لبنـى منّـاد
هـم الـذين غيّبـوك عنّـى | وصرت رهـين تـراب اللحـاد
قـد أبـرد الله لـك الضريحـا | وأسـكنك فى فسـيح الخـلاد
ولا راحـم الله قاتلـك | مأويـه جهـنم بـيس المهـاد

وقال أيضًا:

يحق لنا البكا على أسد الوغا ... وناصر مظلوم وقامع من طغا
وقاهر جبّار عنيد ومارد ... وجامع أشتات ومفن لمن بغا
ودامغ أعداء طالت لهم أيد ... وباذل أموال ومعط لمن صغا
وحائز أوصاف الكمال بأسرها ... مهذّب أخلاق ومضغ لمن لغا
ومعطي العطايا دون منّ ولا أذى ... كافل أرامل أيتام بها ابتغا
/ ولكل عالم وصالح طالب ... محبّ له فى الله حبّه ما التغا
وذلك سيّد الدّوائر قدور ... نجل إسماعيل البحثاوى منصبه آغا
فلا رحم الرحمن آل مناديها ... لّما قتلوا المرحوم نال لما ابتغا
بشرى لك بالجنان يا قدور الرضا ... بشرى لك بالغفران والخير أبلاغا

وراجع ما مرَّ من واقعة بنى مريانن التى هى من أيام المقلش تستفد ما للخوجة فيه من الأبيات الدالة على مدحه بالجمع والثبات حدثنى المسنّ الطّاعن فى السّن أبو العباس الحاج أحمد بن عتّ الغربى وكان أصله من عكرمة قال حدثنى والدى عبد الرحمن بن عتّ عن خصال آغة السيد قدور بن إسماعيل المذكور، إنه قال: إنى كنت من البيوت الكبار بعكرمة الشراقة ولنا قايد يقال له المجاجى ليس من أهل السعى المشكور، وكان منافسًا لى فوشا (كذا) بى كثيرًا عند.

خليفة الشرق بأفعالنا وأقوالنا، فلم يفده ذلك لاطلاع آغا والخليفة على أحوالنا، ثم وشى بى عند الباى على مرارًا عديدة فأثّر وشيه فى وخطنى الباى خطايا عديدة، ثم إن الباى كان بمحلته بالنواحى الشرقية، ومعه خليفته صاحب الأخلاق المرضية ولما رجع للمعسكر قال قائدنا المجاجى وأنا على فرسى وكان من عتاق الخيل: يا سيدنا أنت لست بباى وأنا لست بقائد وإنما الباى والقائد هذا الرجل الذى تراه على الفرس الأدهم كاليل (كذا) فأمر الباى فورًا بقتلى، لاكنه (كذا) لم يتم أجلى، فأحيل بينى وبين فرسى وأخرجونى للقتل فتكلم الخليفة وآغا الشرق على خلاصى فلم يفد ذلك بالرتل، فسمع آغا السيد قدور ابن إسماعيل ذلك، وعاين ما هنالك، فتقدم وقال للباسى: لا يقتل لأنه مظلوم والمجاجى قائده مسلط عليه / فى الأمر المعلوم، وإن (ص 290)

قتله بسبب هذا القائد البوطال بقيت الجهة الشرقية فارغة من الرجال، فترك الباى قتلى وحملنى مسجونًا على بغلة لوهران، وقد أخذ فرسى بالإعلان، ولما وصل لوهران أدخلنى السجن ثلاثة أشهر متتابعة، ومهما يسل المساجين أخبره بأحوالى قولة قاطعة إلى أن قلت له: يا سيدى خلصنى من السجن أو اقتلنى ولا تدعنى فى السجن الدائم، فقال له آغا السيد قدور: المطلوب من سيادة الباى أن تسرح هذا الرجل من حينه لأنك أطلت سجنه بسبب قول قائده الظالم. قال: فسرحنى الباى من وقتى، وجيت (كذا) لأهلى فى الفرح والسرور، ولما وصلت خيمتى جاءنى القائد المذكور وقال لى: إنّ الباى خطَّك بمائة سلطانى لا ريال، وخلاصها على يدى فلا بد من دفعها فورًا فى الحال، فقلت للقائد: إن الباى لم يخطنى بشىء من المال، وإن كان كما قلت فأين بطاقته حورًا فقال لى: لا تزد فى الكلام أدّ ما أمرتك به فورًا، وإلّا يحلّ بك الانتقام، وتعود لسجنك على الدوام فقلت له: يفتح الله وسيحصل بعد العسر اليسر، ثم إنى بعثت لصهرى المختار العكرمى على فرسه بسرجه فبعثه لى وركبت مع رفقائى ليلًا وسرت إلى أن دخلت وهران مع الفجر، ولما نبيت الحكومة تقدمت للشكاية بالقصد فناديت جهرًا: يا سلطان الحق السيد إذا حرر عبده ومكّنه من التحرير هل يتعرض له أحد، فقال لى أعد ما قلت فكررت قولى ثانيًا وثالثًا، فقال لى: ما معنى كلامك فلا تكن ناكتًا؟ فقلت له: يا سيدى إنى خديمك الفلانى الذى عزلت عنى فرسى بالمعسكر بسبب كلام القائد المجاجى، وأمرت بقتلى بلا نتاجى فخلصنى الله منه على يد ءاغة سيدنا قدور ابن إسماعيل، وسجنتنى ثلاثة أشهر متوالية وخلصنى الله منه على يد سيدنا آغا المذكور الجميل، وإنى لما ذهبت / لأهلى جاءنى القائد المذكور، وقال لى: إن الباى خطك بمائة (ص 291) سلطانى وخلاصها على يدى بالمحضور وإنى تركته بخيمتى نازلًا، وجيتك ليلًا نازلًا وقد أخذت فرسى وهذا طلبته على صهرى، أطال الله حياتك وخلّد ملكك فانظر فى أمرى، فاستغاظ الباى كثيرًا، وقال للخوجة: انظر خطيته فى الدفتر جهيرًا، قال الخوجة: إنى لم أكتب شيئًا ولا هو سجلًا، وقال قائد الطابع: إنى لم أمكنه من الطابع على هذا الأمر أصلًا، فتقدم ءاغة السيد قدور ابن إسماعيل، وقال للباى قد اتضح ظلم القائد وجوره على الرعية بالجملة والتفصيل، وهذا القائد لا يليق للتولية وإنما شأنه العزل وبالمائة سلطانى تكون له الخطية، لينتهى هو وغيره عن

ظلم الرعية، فأمر الباى بعزله للقصاص، وخطه بالمائة المذكورة وعيّن له من مكاحليته الخلّاص، ثم قال لى ءاغه المذكور: يا هذا الرجل مثلك لا يليق له السكن بمخزن الباى المنصور، فقال الباى: نعم قولك يا آغا هو المسطور، فرحلت من حينى وجيت (كذا) للحامول فسكنته بأهلى، بالزمالة وصرت وكيلًا على السيد محمد بن الحفاف كثير المجالة، ثم انتقلت وسكنت بأهل الخوجة الغرابة، ثم سكنت بدوار أهل العيد فها أنا فيهم من غير استرابة.

قال ولده الحاج أحمد ولا زال بأهل العيد إلى أن مات فى أيام الأمير السيد الحاج عبد القادر ابن محيى الدين بالبيان، ودفن بمقبرة سيدى عبد القادر ابن زيان، ولا زلنا نحن أولاده بأهل العيد للآن. وأنه كان كثير الدعاء والترحّم على ءاغة المذكور، وكان يوصينا الإيصاء التام بالتعرف بذريته وقرابته لنيل الأمور، ثم قال الحاج المذكور: قال لى والدى المزبور، وهذا الفعل كله فعله معنا آغا المار له لا لغيره، فوالله لم يأخذ منّى شيئًا بل كل ذلك من فضله وخيره، وبعد أمد اجتمعت / به وأردت مكافأته فقال لى: يا هذا العاقل لا تعد لمثل هذا القول فإنه ضير، وأنا (ص 292) ما فعلت ذلك معك إلّا ابتغاء لوجه الله ونصرة للمظلوم لا غير، فقلت له زادك الله الفضل والمنة، وعوضك على فعلك قصورًا فى الجنّة. ولما مات ببنى مناد أعطاهم الله الشرور والكساد، كنت أول من تقدم لحمله، ولم أزل ملازمًا لنعشه فى نقله، إلى أن أوصلناه لوهران، فرحمه الله الرحيم الرحمن وأثابه على فعله ثوابًا عظيمًا وأعطاه أجرًا جسيمًا. وإنما أتيت بهذه الحكاية دليلًا على أن ءاغة المخزن له التصرف فى جميع الرعاية.

ثم إنّ الباى عليًا خرج فى أيامه ابن الشريف الدرقاوى من بنى يزناسن ونزل بالأحرار، وراودهم على القيام على الباى فى الاشتهار، فأنكرهم جلّهم، ولبّاه قلّهم، فسمع به الباى المذكور، فامتلأ بالغيظ وطارت عنه الشرور وخرج حاركًا إليه بأحوال مستقيمة، فألفى محلة الطريق وهى محلّة الغرب بمينا فأخذها وصعد بها مع الوادى ومعه عساكر عظيمة، وأمر جميع نواحى القبلة بالظعون معه والتقدم أمامه. بأهاليهم وأموالهم وهو فى أثرهم مخفّقة عليه أعلامه. فامتثلوا أمره وأجابوا دعوته وحوره، وذهبوا معه إلى أن نزلوا ببلاد الأحرار. فأفسد زرعهم وشتّت لهم الأقوار، ولم ينازعه أحد، ولم يكن له فى ذلك حد، ونحلّ عقد الدرقاوى وانتثر

وافترقت أتباعه، وتركه من حينه منفردًا وحيدًا ذهبت عنه أشياعه وجاءت شيوخ الأحرار بأجمعها لدى الباى تلتمس منه الرضى، فأكرم نزولهم وأعظم مثواهم وزال عنه الغضب وجاءه الرضى وذهب الدرقاوى إلى فقيق وأقام به أيامًا وقد ضاق به فسيحه / ثم رجع لبنى يزناسن (ص 293) وهو محله الأول فخمدت ناره وسكن ريحه.

ثم رجع الباى لوهران مسرورًا فى غاية المفاخر، وذهبت محلة الطريق لموضعها ولما وصلت للجزائر، قاموا على عمر باشا فقتلوه بالحمام، باتفاق الأعيان، وقالوا: إنه لم تسعد عليه وبه الأيام والبلدان، ولم يكن بوقته راحة ولا أمان. وقد مات بأيامه الرايس حميدو[1] المجاهد فى سبيل الرحمن وغلت الأسعار بوقته وظهر الطاعون، وقام النصارى الإنجليز عليهم بالجزائر ومنع الماعون. وذلك أن إنقليز جاءوا للجزائر ودخلوا مرسيها بسفنهم على وجه الخديعة من تعرية رءوسهم مثل المبايعة بغاية الصنيعة، وبأيديهم سجل عظيم يرقانى، زعموا أنهم أتوا به من عند السلطان الأعظم صاحب الباب العالى أمير المؤمنين محمود الخاقان ولما جازوا رماية مدافع المسلمين، ابتدروا بإرسال صواعقهم إلى أن حرقوا سفن المسلمين، وكان ذلك وقت العصر واستمرّوا على ذلك الحال بغاية التمكين، كأنّ مدافعهم فى الإرسال واحد إلى تمام عشر سوايع[2] بعدّ الحاسبين الموقتين، فأبطلوا الضرب وملوا لما لحقهم من المجاهدين. قال: ثم اصطلحوا مع أهل الجزائر بإعلان، على المنّ بأسارى النصارى الذين بالجزائر ووهران، فأسلموهم كلهم باعتبار المقاصد، حتى إنه لم يبق بعمالة الجزائر نصرانى واحد. قال الذى تواترت به الأخبار تواتر المصدع، أنهم أرسلوا على الجزائر أربعين ألف مدفع. ولما قتلوه أقاموا مكانه عليًّا باشا إقامة الأكابر، وأجلسوه على كرسيى مملكة الجزائر ولما استغل له ذلك / واستقر بالملك قدمه، غير (ص 294) الصرف تغييرًا كان به عدمه. فالريال دور (كذا) كان فيه خمس عشرة وقيّة، حطه إلى اثنتا عشرة وقية، فقد أنقص خمسه، وأضاع من حينه فلسه، والريال الجزائرى كان فيه ثمانية أواقٍ، فحطّه إلى

---

(1) قتل الرايس حميدو عام 1815 قرب رأس-كاطا جنوب شرق إسبانيا على أيدى بحّارة أمريكيين هاجموا مركبه.

(2) يقصد ساعات. والحديث عن غارة اللورد ايكسموث عام 1816م.

ستة أواقٍ، فأنقص منه ربعه، وغير من ساعته جمعه، وأحدث أمرًا لم تحدثه قبله ملوك الجزائر فى الأوامر. فولّى خليفة الشرق من الجزائر، كما ولّى قائد تلمسان وكان قبله لا يولى من الجزائر إلّا الباى بالبرهان.

نهاية الباي علي قارة باغلي

ثم عزل الباى عليًّا من منصبه، وأزاله عن مقامه ومرتبه، وسبب العزل له والقتل، كما هو مقرر فى النقل، أن هذا الباشا المذكور فى البيان، لّما تولى الملك نفى بعض الأتراك من أصحاب عمر باشا لوهران وبعث فى أثرهم للباى على بقتلهم قتلة شرّة، ولما أحسّوا بذلك فروا لمحلة الشتاء التى بهبرة، فبلغ خبرهم للباشا فغاب لبّه وطاش واستغاظ شديدًا على الباى، واتهمه بأنه هو الذى صدر منه لهم ذلك الرأى، وبقى فى غيظه وغضبه على الباى بلا ناكث، إلى أن ذهب الباى مدنشًا للجزائر كما هى العادة عندهم فى الدنوش بأنه يكون على رأس العام الثالث. ولما وصل للمشرع وهو موضع بأبى خرشفة بأسفل مليانة، أرسل الباشا إليه من دويه من عزله قبل الدخول ثم قتله عيانة، ودفن فى محل القتل بعد تكفينه فى الحصير نكاية له والملك والبقاء والدوام لله تعالى سبحانه السميع البصير.

وولّى من حينه حسنًا بايًا لكثرة جفائه، وأمر بطبع داره وسجن أولاده وتثقيف نسائه. وتلك عادة الأتراك فى الأصل، فإنهم يقولون يوم للطبل ويوم للحبل، وذهب حسن مدنشًا بجميع ما دنش به الباى علىّ من الأموال الكثيرة، والذخائر النفيسة الغزيرة، والخيول المسوّمة، والأمتعة / المثمنة المقومة، وزاد متماديًا إلى أن دخل الجزائر، فتلقته الناس بالمبايعة والبشائر، (ص 295) فقضى بها أربه، وأكمل مطلبه وخرج منها قاصدًا وهران، وأعلام النصر على رأسه كأنها شقايق النعمان، والجنود به دائرة، والجيوش خلفه سائرة، تقف بوقوفه وتذهب بذهابه، وتمتثل لأمره ونهيه، وتخشى شدة عقابه، ولا زال سائرًا إلى أن دخل مدينة وهران، وقال: الحمد والثناء لله سبحانه الملك الديان الغافر الرحيم الرحمن.

قال: وكانت واقعة الإنقليز بالجزائر وخروج ابن الشريف الدرقاوى وقضية الباى على فى سنة واحدة، ليس بينهما طول ولا تفريق فى حصول الفائدة. وكان آغة من الدوائر علىّ ولد عدة، وقدور بن إسماعيل، والحاج قدور بالشريف، ومن الزمالة السيد محمد ولد قدور الوهرانى، والحاج المرسلى ابن مخلوف، وعدة بن قدور بالتعريف.

الباي حسن بن موسى الباهي

ثم الباى حسن بن موسى المعروف بأهج حسن: وهو ثامن بايات وهران وآخرهم فى القول الأحسن، تولى فى منتصف ذى الحجة الحرام بغير الخلف، سنة اثنين وثلاثين ومائتين والألف[1] وهو اليوم الذى مات فيه الباى علىّ كما مر فى القول الجلى. ومن خبره أنه كان فى أول أمره طبّاخًا لأربعين جنديًا من الأتراك، فى غاية ما يكون من التدريج والاشتراك، ثم صار تبّاغًا يبيع الدخان، ويتعاطى بيعه فى السر والإعلام. قال فى در الأعيان فى أخبار وهران، وكان ذا عقل وافر وسياسة، ورأى ناجح ورئاسة، ولما رآه الباى محمد الرقيق على تلك الحالة شغف بحبّه، إلى أن أخذ بمجامع قلبه، وظهر أنه لا يصلح لمصاهرته إلّا هو، وأنه هو الذى / يوافقه فى الجد (ص 296) والهزل، والذكر والسهو، فقرّبه منه وأدناه وأولاه سرّه ومعناه، وزوّجه من ابنته وصيره من جملته، وشوّر ابنته بدرة بها لا له قيمة مثل الدرة اليتيمة والذهب والحرير، والدراهم والدنانير، وغير ذلك من الشورة والأمتعة فصار من حينه متسعًا فى غاية السعة، وولّاه قائدًا بفليتة، وانضبطت أموره فليس لها تفليتة. قال صاحب در الأعيان، وهو السيد حسن خوجة كثير المعانى والبيان وكنت كاتبًا لأموره الشاملة ولازمته فى الخدمة السنة الكاملة، فلم أسمع قط منه جناحًا ولا كلمة فحش ولا منًّا ولا فخرًا ولا تكبرًا ولا مزاحًا، وإنما يظهر منه من محاسن الأخلاق والتعبّد ما يرضى المالك الخلّاق. قال: وكان قليل الغضب كثير الرضى، يمسح برءوس اليتامى ويعيد المرضى كثير الترحّم والتودّد للفقراء والمساكين، محبًّا للعلماء والشرفاء والأولياء

(1) الموافق 26 أكتوبر 1817م.

والصالحين والمساكين، مواضبًا على الطهارة لا يتركها أصلًا محافظًا على الصلوات فرضًا ونفلًا، مجالسًا لأهل الفضل والعناية، مجانبًا لذوى السفاهة والجناية.

ثم ولاه خليفة الشرق لكنه لم يبلغ فيها مناه، ولا توصّل إلى مرغوبه ومنتهاه، بل وافق أمره فيها مخالفة صهره الباى محمد الرقيق لأهل الجزائر، كما مرّ فعاقه العيوق عن تلك المراتب والمشاعر. ثم كان من أمر الله تعالى أنه بلغه إلى مكانة أرفع منها وأرقاه بايا والأولى أعرضه عنها. وقد قحط الورى قبل ولايته فلم يمطروا، ودام عليهم ذلك إلى أن تضرروا، ولمّا ولّى عليهم أمطرهم/ الله تعالى بمنّه وفضله، (ص 297) وخفّ بعض غلاء الشعر الصادر بعدله. قال السيد حسن خوجة التركى فى الكتاب المذكور، وهو ذكر الأعيان المشهور، ولذلك قلت فيه هذه الأبيات، الدالة على كماله بالثبات، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل، وهى من بحر الطويل:

أيــا مــعشر الإِســلام دام سروركــم بدولتــه مــن فى النــاس دولتــه ترضــا

أمــير أتانــا بعــد مــا قحــط الــورى فأمطرنـــا رب العبـــاد بـــه أرضـــا

تراهــا وقــد أبــدت مــن الغيــث أبحــرًا فمــن هــائم طــولًا ومــن هــايم عرضــا

كــما حســنا كــان اســمه حســنت بــه ليــال وأيــام وطبّــت بــه مرضــا

إذا ذكــر البايـــات كـــان أعفّهـــم وأكثــرهم جــودًا وأوضــبهم فرضــا

وإن ذكــر الفرســـان كـــان أكــرّهم وأفرســـهم خــيلًا وأرمـــاهم غرضـــا

وإن ذكــر الأبـــرار كـــان أبّـــرهم وأوســـعهم صــدرًا وأكظمهــم غيظــا

سياسة الباي حسن وسلوكه

قال شيخنا العلامة الربّانى، والقدوة الصمدانى، الشريف الحسنى ذو البيانى السيد محمد ابن يوسف الزيانى، فى كتابه: دليل الحيران وأنيس السهران فى أخبار مدينة وهران، ولما استوسق له الملك وأذعنت له الرعية، رفض ما كان عليه من الوصف السابق وكثر ظلمه وغضبه وغيظه وغصبه وعبثه بالرعية، وحدث بوقته الوباء العظيم العسير وتكرّر رجوعه بعد ذهابه إلى أن مات به الخلق الكثير.

وفاة أبي راس الناصر بمعسكر

ومات بوقته مجدد القرن الثالث عشر ذو التآليف العديدة، والتصانيف الكثيرة المديدة، الشريف، الأمجد، العلامة / الأفرد، الضابط الجامع الحافظ الدراكة المانع المحقق اللافظ، (ص 298) أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر، بن محمد بن أحمد بن الناصر بن على بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الجليل الراشدى المعسكرى الناصرى الذى ليس له نظير بالراشدة، ولا مثيل، يوم الأربعاء خامس عشر شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف[1]، من هجرة من له كمال العز والشرف، وصلى عليه العلامة الأسد الهائج فريد وقته المعبر عنه بالراشدية بالخرشى الكبير السيد أحمد الدايج، ودفن بعقبة بابا على من المعسكر، فنسبت له تلك العقبة إلى أن بها اشتهر وعلى ضريحه قبّة نفعنا الله به وأوْرثنا منه محبة وقربة. وفى تلك السنة رفع المطر عن العباد بعد ما فرغوا من الحراثة إلى أن بقى للصيف شهر واحد فى القول الذى ليس من أقوال الرثاثة، فأرسل الله مطره النافع للعباد، وأزال ما بهم من التخمين والكساد، ونبت الحبّ وتمت الصابة وحصدوا، وبلغوا مناهم فشكروا الله على ما أولاهم وحمدوا، فسميت تلك السنة بصابة الشهر، وتعاطى اسمها فى البدو والحضر. قال: واجترأ على العلماء والأولياء والشرفاء والرعية فبان منه الجور والظلم والتعدى، وكثر منه الضلال وهتك المحارم والتردى، وطغا وتجبّر وتكبر وكثر منه الفساد والسفك بغير موجب لدماء العباد، ولم يراقب فى ذلك خالقه ولم ينظر ليوم المعاد، فقتل فى سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف[2]، قتلة ذميمة، ولى الله الفقيه السيد محمد بن أحمد الصدمى من أولاد سيدى بن حليمة، لمّا سعى به خاله أبو ذريع عنده بأنه يريد أن يقوم عليه بغتة بالعقبة، فبعث له ما أتاه به وعلى رأسه ساجل من / الحلفاء ظليلة على عمود نكاية له إلى أن وصل بتلك (ص 299) الحالة لوهران فعلّقه بها مع الخشبة. وفيها فى شهر شعبان أمر بقطع رأسى الفقيهين العالمين الجليلين، الوليين الكاملين الجميلين، السيد بن عبد الله بن حواء التجينى الدرقاوى والسيد فرقان الفليتى بغير الكلام وأكثر من الخطية وهى العقوبة بالمال للرعية، ولم يراقب فيها قط

---

(1) الموافق 27 أبريل 1823م.

(2) الموافق 1823 - 1824م.

الأحوال المرعيّة، حتى صار يقول لعماله: من اصطاد لنا حجلة فله جناحها، وربحها ونجاحها، يريد بذلك أن من سعى عنده بأحد للعقوبة بالمال والساعى من الخواص، فإنه يأخذ حظه من الخطية وهو القدر الذى يأخذه من الأجرة لما يذهب للخلاص، ولشدة ظلمه أمر كاتبه أن يكتب لمن يريد أن يخطّيه على الفورية، إنما استوجبت هذه العقوبة لخدمتك الرّدية. وأنه فى بعض الأيام نظر لضعف الرعية وحصول الغنا للقواد والأغات والعمّال، استعمل حيلة ليأخذ بها منهم ما شاءه من الأموال، فقال لهم وهم بمجلسه حجيتكم أيها السادات الكرام الدائرين بى فى هذا المقام، إنى هزلت من اليدين والرجلين وسمنت من الأذنين والعينين، فتحيّر عمّاله فى فهم حجّايته، وأمعنوا النظر فى فكها كل بحسب عنايته إلى أن قال لهم ءاغة المعظم الوجيه النبيه المحترم من خاض البحور فى فهم المعانى إلى أن أظهرها لكل قاص منهم والدانى، المعتصم فى أموره كلها بالبارى، الشجاع الأفضل السيد الحاج محمد المزارى، أيها الأعيان إنّ بابنا يريد بيديه ورجليه الرعية لما رءا (كذا) ضعفهم ببصره ، ويريد بأذنيه وعينيه أغواته وقياده لما كثر ما لهم فى نظره، فعليكم بإعطاء الأموال لئلّا يصير كل واحد منكم فى أرذل الأحوال، وبادر لذلك فأعطاه من العدد ما أرضاه فى الصك، وقال له: هذا الجواب حجايتك فإنى واحد من أذنيك وعينيك فقال له: إنك الخبير بالفك، ثم شرع كل واحد من الأعيان فى دفع ما قدر عليه، فسرّ بذلك الباى وعلا قدر المزارى لديه، وقال لوزرائه وأهل مجلسه: إن المزارى لفهيم، وإنه على التحقيق لآغا جسيم، وعاتب الباى يومًا بعض أصدقائه على كثرة الخطية، التى ضعفت بها الرعية، فقال له/ إن (ص 300) أهل الجزائر قد أكلونى بالكلية، ولذلك ترانى قد أكلت للرعية. ثم صار مهما مات أحد من رعيته وهو ذو مال وفلوس، إلّا صيّر نفسه واحدًا من الورثة ويأخذ حظّه معهم على عدد الرءوس. وفى سنة أربعين من القرن الثالث عشر[1] أمر ببناء الرّحبة لبيع الحبّ بمدينة المعسكر، وكتب على رخامتها ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أفضل رسله محمد الكريم، وعلى آله وأصحابه المرشَدين للصراط المستقيم، أما بعد فقد أمر ببناء هذه الرحبة

(1) الموافق 1824 – 1825م.

الماسوسى، صاحب الخيرات والحسنات السيد حسن باى بن موسى زاد الله تعالى خيراته، وعفا عن سيئاته ولوالديه آمين ثم كتب هذه الأبيات:

بناهـا حسـبة لله حسـن بـاى بوجسصّـة إيلـدى بُنْيَّـا داىْ
صـحفه خطـر أيلـه أجنلـف جهانـك عافيتـه أولسـون
أول تـارىّ غـدا أيكـان جهانـك أيلسـن شـادان
وهـم أيلسـون رحمـت بـوان وأجـداد لـه ربّ غفـران

صوره أحمد بن محمد سنة أربعين ومائتين وألف، ثم أمر بجعل قبرية لضريح سيدى على أبى الوفا، بعد ما بنى عليه القبة، وذلك سنة ثلاثة وأربعين من الثالث عشر[1] بالحسبة وكتب بأحد جانبيها ما نصه: الحمد لله أمر بصنعة هذه القبرية وتزويقها المعظم سيدنا حسن باى العمالة التلمسانية، والثغور الوهرانية، وقد أدّى جميع ما أصرف عليها وأهداها للولى الصالح سيدى على أبى الوفا وبتاريخ أواسط رمضان المبارك من عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف[2] والمتولى لحلية تزويقها الطالب صالح بن سالم وصيف الشيخ سيدنا محمد بن أبى زيان القندوسى سامحه الله آمين. وبالآخر هذه الأبيات:

يـا رجـال الإلـه إنّى مـريض وإن الـدّوا لـديكم والشـفاء
أنـتم البـاى والإلـه كـريم مـن أتـاكم لـه المنـا والهنـاء
فكـم أننـى حمـاكم مـن سـقيم وزال عنـه سـقمه والعـماء
كـم أغنـتم عـلى الـدوام مـريض فى الفـراش وقـد كفـاه النّـداء
فـانظروا بفضـلكم فى علاجـى وامنحـونى جـودكم مـا أشـاء

وأكثر من الربطة حتى إنه دفع له المزارى سبعة آلاف وخمسمائة ريال فى عام توليته، وكتب له رسمًا لتبريته، ونصّه: الحمد لله تذكرتنا بيد القائد المزارى بن إسماعيل، آغا على أنه دفع لنا سبعة

(1) الموافق مارس 1828م.
(2) الموافق مارس 1828م.

(ص 301) / آلاف ريال وخمسمائة رياب بودهيا؟ من قبل الربطة يوم توليته أواسط ربيع الأول الأنور من عام 1241[1] وكتب بأمر المعظم الأرفع السيد حسن باى وفقه الله وبمقلوب الرسم خاتم الباى المنقوش فيه ما نصه: الواثق بالرحمن، عبده حسان باى بن موسى 1232[2].

ثورة أحمد التيجاني

ثم قام عليه فى عام اثنين وأربعين ومائتين وألف[3] السيد محمد الكبير ابن القطب العلامة المعبر عنه بالقطب المكتوم السيد أحمد بن سالم التيجينى بغير الخلف، وجاءه حاركًا فى ستمائة رجل من التيجانية أهل عين ماضى الزاوية المحفوفة بحفظ الله فى الزمان الآتى كالماضى وعدد كثير من العرب الصحاروية التى لا تمثل للمعروف ولا تنتهى عن المنكر، مع قوم الحشم إلى أن وصل للمعسكر ودخل منها حومة بابا على ثم خرج منها ورجع لغريس فمات بعوّاجة مع أصحابه كلهم بلا تحريس، ومن خبره أن الباى حسن كان قد دخله التخمين بأن التجينى سيقوم عليه بالأصفى، كقيام ابن الشريف الدرقاوى على الباى مصطفى، لإقبال الناس عليه فى كل ناحية وانتشار صيته فى كل ضاحية، فرام كسر شوكته قبل تزايدها، وهدم قوته قبل تعاهدها فجمع له جيشًا عظيمًا، وعددًا كثيرًا جسيمًا، وغزا به عليه بعين ماض، وحاصره بها شهرًا كاملًا يماض، إلى أن حصل الصلح بينهما على يد كاتبه السيد الحاج محمد ابن الخروبى القلعى على أن يعطى التجيتى للباى لزمة سنوية فى المرعى، قدرها خمسمائة ريال منجمة، ويعطيه ألفى ريال حالة مقدمة (كذا)، وكان ذلك عام إحدى وأربعين ومائتين وألف[4]، فأخذ الباى تلك الغرامة الحاضرة وارتحل لوهران بالشضف، وقد انكسر فى قتال تلك الواقعة بلا تمارى، عدة ولد عثمان البحثاوى خليفة آغا الحاج محمد المزارى. ثم إن التجينى لما رأى ما حل به بغير سبب ظهر له مقاتلة الترك والغزو على الباى حسن فى محله للعطب ودس ذلك فى سويداء قلبه، وصار يحشد الجنود ويجمع الحشود لشىء لم يكن من كتبه، ويكاتب من يظن به الإذعان للمهالك ومن جملتهم

(1) الموافق أواخر أكتوبر 1825م.

(2) هذا التاريخ يمثل سنة تولى الباى السلطة بالبايليك 1817م.

(3) الموافق 1826 – 1827م.

(4) الموافق 1825م.

الحشم فأخبرهم بمراده ووافقوه على ذلك. ولما دخلت سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف[1] ظهر للباى السفر للجهة الغربية لإزالة الغلف، ويتفقد أحوالها فى السر والإعلان، فذهب بجيوشه/ الكثيرة التى رأسها المخزن سيما أعيانهم قاصدًا تلمسان. ولما نزل بالحناية كأنه الأسد الحاقد (ص 302) جاءته ثلاثة مكاتب فى وقت واحد، أحدها من عند الهوارى الحشمى، صاحب الصدق للباى فى القول الجزمى، وثانيها من عند قدور بن سفير قائد المعسكر وثالثها من عند مرة أحمد التركى الذى نفاه الباشا حسين من الجزائر للمعسكر، وصيره بها بمنزلة ناظر الأحباس، يخبرونه فيها باتفاق الحشم على القيام مع التجينى وإظهار الأرجاس ولما قرأ الباى تلك المكاتب، أعلم أعيان جيشه ومخزنه بما فيها من الأمر العاطب، وقال لقواده: لا بد تأتونى بجيوشكم الباقية والجمع بيننا بوادى ماكرة، وارتحل من الحناية فنزل بيسر وبعده بماكرة، وأقام بها أيامًا والجيوش تجتمع عليه إلى أن صار خميسه فى غاية الخميس، ثم رحل ونزل بالزفيزف ثم بعواجة من أرض غريس، فأتاه الحشم بأجمعهم للضيافة، ولم يعلموا ما سيحل بهم من المكافة، فضيفوه وبعد الأمل قالت له نفسه لا يستقيم لك الأمر وتحصل لك الراحة إلا بقتل قواد الحشم الاثنا عشر، وهم محمد ولد عبد الله وابن أخته الحبيب ومحمد بن ركموط ومحمد ابن نكروف وغيرهم فى صحيح الخبر، وكان الكبير فى هؤلاء القواد سنًا ورأيًا وتدبيرًا وشجاعة محمد ولد عبد الله فالصادر منه هم له طاعة، فأمر الباى بقبضهم فقبضوا، ما عدا القائد الحبيب فإنه لا زال على فرسه وقد سمع ما لفظوا وصار واقفًا من بعيد ينتظر ما يحل بهم من الانتقام، فلما رآهم ذهبوا بهم لبشوضة وهى محل القتل ذهب فارًا بعد طول القيام، ثم إن القواد الإحدى عشر لما عاينوا القتل وتحققوا به وهم فى الجزع والدهش، نطق كبيرهم ملتفتًا وراءه لناحية الباى وقال: يا هذا الوتاق ظلمتنا من غشك سلط الله عليه الغش، فقال له محمد ابن زكموط: يا مختل العقل حلفك لا ينفع، وصاحب الوتاق لا ينظر فيك ولا لكلامك يسمع، فالشاه فيك على القساوة، حيث كنتم فى نجاة ومن السعداء وصرت فى هلاك ومن أهل الشقاوة ولما وصلوا لبشوضة وقد صارت جموعهم مفضوضة، قال ابن زكموط لظربير، وهو المأمور بقطع الرأس، بأمر الأمير، ناشدتك الله أن تبدأ بمحمد ولد عبد الله لتحصل به الراحة، لقلة رأيه الفاسد وعدم إصغائه/ لقولنا حيث كان من (ص 303)

---

(1) الموافق 1826م.

أهل السمع فصار أصمّ كما صار أبكم بعد أن كان فى الفصاحة، ثم اقطع رأس الباقين واحدًا بعد واحد. ففعل ظربير ما قاله ابن زكموط الماجد، قال: ولما قتل الباى فى ساعة واحدة إحدى عشر قائدًا، وبعث برءوسهم للمعسكر بعثًا متواردًا، أنكر عليه ذلك كافة الترك الذين كانوا بالمحلة والغائبين، كما أنكر عليه ذلك أغواته الذين هم من الراكبين، وقالوا له: سترى ما ينتج لك ولنا معك من الضرر العظيم، حيث لم تستشر أحدًا، واستقليت برأيك الصميم، وأظنك استشرت المازرى وابن وارد، فقالا: نحن على براءة من هذا الكلام الوارد، فإنه لم يستشرنا ونحن من جملتكم، وإنما ذل رأيه هو أدرى بأحواله منا ومنكم.

ثم إنه لما قتلهم وحاله استبشر، رحل من عواجه وهو فى نخوة ودخل المعسكر وكان فى قلبه وجل من القائد عبدى وأبى الأقدار لعلو كلمتهما عند العرب والترك فى السر والإجهار وميل أصحاب الجزائر لهما لما فيه الغاية، وربما تتولد له منهما النكاية، وقد ضرب على الحشم الخطية الكبيرة، والعقوبة المالية العسيرة، رأى أنه لا تكمل له الأيام، ولا تتم له الفائدة إلا بقتل هذين التركيين القيام، بعثهما لقبض تلك الخطية، ومراده قتلهما لتكون لهما الرزية ويتهنا من أمرها ويستريح، ويفرد فى مملكته من المليح والقبيح، فذهبا لقبض تلك الخطية، ولما وصلا للحشم قالوا لهما جئتانا لإتمام الرزية، بالأمس قتلتم قوادنا، والآن جئتما لأخذ مالنا وقد جرحتم أكبادنا، وغرضكم إتمام النكاية فستريا ما لكما فيه من النكاية، وبادروا لقبضهما، لأخذ الثأر فى نفلهما وفرضهما، ففر عبدى هاربًا وأتبعه الحشم إلى أن دخل لخيمة سيدى الأعرج من أولاد سيدى محمد بن يحيى وجلس عند النساء للحرم فدخلوا عليه وأخرجوه منها جبرًا على السيد المذكور بالاشتهار، وقطعوا رأسه كما قطعوا رأس أبى الأقدار، وقالوا: هذا ثأر القواد، الذين ذهبوا لجنة الخلود فاذهبا لجهنم وبئس المهاد، وبعثوا بالرأسين للتجينى وقالوا له: على عبدى هذا رأس الباى حسن، وعلى أبى الأقدار هذا رأس خليفته كثير المحن فاستراح الباى بفعله بالتركيين والحشم، ولم يبال بما سيأتيه من الغم والهم.

تآمر الحشم مع التيجاني ضد الباي حسن

ثم إن الحشم حثوا على التيجنى حثيث الاحتباك/ (ص304) فى القدوم معهم لقتال الأتراك، ولما رجع الباى لوهران ومكث بها مدة فى أمن وأمان، قام عليه التيجينى فى جيش عظيم يريد المجاجنة من أهل الصحراء، واليعقوبية وستمائة رجل من التجاجنة، ووصل لغريس فى خريفة اثنين وأربعين ومائتين وألف[1] فنزل بفروحة في يوم الأحد بغير الشك والخلف، فبعث الهوارى للباى بذلك، وأخبره بتحقيق ما هنالك، فلذلك جعله قائدًا على الحشم فى الرواية الفريدة، وقد أطاع الحشم للتجينى لما أحل بلادهم بجيوشه العديدة، ثم كاتب التجينى بنى عامر وبنى شقران والبرجية والغرابة والزمالة والدوائر وسائر النواحى الشرقية والغربية له بالإذعان، فأما البرجية والغرابة والزمالة والدوائر هؤلاء الأعراش الأربعة المتوالية الذين هم مخزن الباى فقد أبوا من الإذعان، وأما بنو عامر وبنو شقران وغيرهم فقد توقفوا، وصاروا ينتظرون الغالب يتبعونه وبذلك اتصفوا.

محمد التيجاني يهاجم مدينة معسكر

ثم رحل التجينى فى يوم الإثنين لمدينة المعسكر وهى على سبعة أقسام، حومة العرقوب بسورها، وحومة سيدى على محمد، وحومة عين البيضا، وحومة الباب الشرقى، وحومة بابا على، وحومة سيدى محمد أبي جلال، وحومة المدينة الداخلة، وهو الواسطى بسورها ذى أدهام، ونزل على الحومة الغربية وسط النهار وهى حومة العرقوب، يريد الدخول إليها ويظفر بالمطلوب، فتلقاه أهلها بأسرهم بالقتال، وصار الحرب بينه وبينهم فى السجال، وأعانهم بنو شقران على ذلك القتال، وقد مات من الفريقين خلق كثير وقد بات فى تلك الليلة (كذا) بأعلى الحومة البحرية وهى باب على فى تحرير، وفى يوم الثلاثاء بعث لهم ليدخلوا فى طاعته، فأبوا وبدءوه (كذا) بالحرب من غير مراعاته، فكان من أمرهم أنه قتل منهم خلقًا كثيرًا ودخل تلك الحومة فجاس خلالها ودمرها تدميرًا، ولما رأوا ذلك قادوا له فرسًا أشهب ودخلوا تحت حكمه بانتخاب وأتوه ليلتهم لمؤنته (كذا) جيشه من المأكول والمشروب وعلف الدواب واندرج فى ذلك

---

(1) أواخر عام 1826م.

أهل الحومة الشرقية بلا محال، وهى حومة الباب الشرقى، كما اندرج فى ذلك أيضًا حومة سيدى محمد أبى جلال.

(ص 305) ثم فى الغد وهو/ يوم الأربعاء ارتحل من موضعه ونزل بخصيبية على الحومة القبلية، وهى سيدى على محمد وعين البيضاء، وسألهم الإذعان أو يحل بهم ما حل بالحومة البحرية فقادوا له فرسًا ودخلوا فى الطاعة، دفعًا عن أنفسهم وعلموا أن ذلك من الخروج عن الجماعة. وفى يوم الخميس تهيأ بجيشه لقتال الحومتين المحيط بهما السور وهما العرقوب والمدينة الداخلة، وكان فى السابق دخل أهل سيدى محمد أبى جلال، وأهل سيدى على محمد، للمدينة الداخلة، ثم ظهر لهما فى الخروج فخرجا وشدت أبواب المدينتين أبواب المدينتين وكل فى مخزنه.

الباي حسن يذهب لمعسكر لمحاربة التيجاني

فبينما هو يحاول القتال مع هاتين الحومتين وإذا بالباى حسن بلغه الخبر فخرج من وهران بجيشه ومخزنه، وحث السير فبات بالكرمة، وتليلات، وسيق، ووادى الحمام، فنزل بمشرع حسين، وهو كالأسد الضرغام، سمى المشرع بذلك سرًّا وجهرًا لكون حسين التركى تعدى على بعض العرب بالمنكر بذلك المشرع فقتل به وذهب دمه هدرًا. وكان من عادة الباى لا يدخل للمعسكر إلا مع عقبة الملاحة، سميت بذلك للنكبة الكثيرة الواقعة بها الدواب الملاحة فنكب عن تلك الطريق وذهب مع تيفرورة، ومعناها ذات الخير الكثير فهى بالبربرية مشهورة وأخذ طريق سيدى على بن أحمد الولى المشهور.

ولما قربه طوى ألويته وترك ضرب الطبول بتوابعها توقيرًا للولى المذكور، وبعث لضريحه زيارة تدفع بين المقدم ليحصل له الفوز على التجينى والحشم وسأل من الله الإعانة على عدوه فى الحفى مقدمًا فى دعائه، التوسل إلى الله تعالى بذلك الولى ولما جاوزه قال له ليث الضراغم، ومن كثر للأعداء منه التقاصم، ءاغته المتقاعد النبيل المحترم السيد مصطفى بن إسماعيل وسائر الأغوات الباقين، أيها الباى لا تخش أحدًا إلا رب العالمين فانشر سناجقك ونقطر طبولك كالعادة، حيث جاوزت الولى، فالنصر لك ولنا معك فى الزيادة، والعدو لا ريب يحل به النكال لأنه ما معك إلا ليوث الرجال.

قال ولما وصل الباى لخروبة الصيادة المطلة على غريس، هبط على قرية الكرط، ومر على سيدى على القطنى كأنه أسد التغليس، ولما بلغ الخبر بأن التجينى لا زال محاصرًا للمعسكر، رجع نحوه/ متوجهًا له وهو بخصيبية من غير المفر، ولما طل عليه ورأى عنده الجراد المنتشر، وسمع به (ص 306) التجينى فتأخر عن المعسكر، وهبط داجًا ناحية أولاد رحو يروم المقاتلة وعنه يلح دخل الباى الخوف والجزع، ولحقه الرعب والفزع وظن أن الدائرة كائنة عليه فثبته أعيان مخزنه وواعده بأن النصر مقبل عليه، وقال ءاغته المتقاعد الشبيه بالجوطى الحاج عبد الله بن الشريف الكرطى أيها الباى رأيك الذى استقليت به حيث تركت المشورة لكل أحد فى ابتداء الأمر، هو الذى وصلك وأوصلنا معك لهذا الأثر فضحك ءاغته المتولى وقت ذلك، وهو السيد الحاج محمد المزارى البحثاوى من ذلك، وقال للباى: يا من أنت فى ستر الحليم الغفار، وحفظ العزيز القهار، لا يدخلك الجزع ولا تصغى للقول المعسار، سترى ما يصدر من مخزنك الأبرار، فإن لهم حق عليك فى المشورة، وأنت تركت ذلك لجميعنا إلى أن صارت الحضاجر هى القسورة، فأحسن ظنك بالله ولا تهن، ولا تجزع ولا تحزن، فعند حلول الكفاح فى الميدان يتبين لك الشجاع من الجبان، ومن كان صغيرًا فى السن يصير كبيرًا فى الضرب والطعن وليس الكلام بالأفواه وقت تقابل الصفوف، وإنما الكلام للبنادق والسيوف، ويظهر الكر من الفر فالشجاع يتقدم والجبان يتأخر، ولا يخفى سيدنا طعن مخزنه للعدو إذا تراءا (كذا) الجمعان وغلت الجماجم وتأججت النيران سيما الأعيان الدارئين (كذا) عن سيدنا ما يلحقه من ألم الدعاوى، سيما ما ولده البشير البحثاوى فهم فداؤك فى الهموم والكروب، ووقايتك فى القتال والحروب، فسر الباى وجميع الجيش بقوله، وعلا شأن عمه مصطفى وطلع رأسه إلى أن قال: أهلًا بقوله. وقد كان ابن يحيى ابن محمد الغلالى ثم الشقرائى فيما الراوى قد رواه، كتب لآغا السيد مصطفى بن إسماعيل بطاقة يخبره فيها بقدوم التجينى لأم العساكر ومقاتلتهم إياه، لكون هذا ابن يحيى كان خليفة قائد المعسكر فى الوارد، وخليفة القائد عند الأتراك يقال له ءاغة القائد، وبعث بطاقته مع ابنه فجاء بها ليلًا لغنيمة الفىء، ولما وصل المحلة قبضه أهلها ومنعوه من الدخول لها وسلبوه من كل شىء، وهو يقول جهرًا يا قوم أوصلونى عند السيد مصطفى بن إسماعيل، فإنى ولد ابن يحيى بن محمود الغلالى قاصدًا للنبيل، وجئته بالمكاتب/ من عند أبى فلم يلتفتوا لقوله وصفًا ولا زال ينادى إلى (ص 307)

أن سمعه ءاغة مصطفا (كذا) فأمرهم بالإتيان به ومطلبه، ولما وصله سأله عن نفسه ونسبه، وعرف بذلك دون شبيه وناوله مكتوب أبيه، فأمرهم فورًا برد ما أخذ له بأمره لما ظهرت العلامة، فردوه فورًا ولم تضع له حتى الغلامة وذهب ءاغة مصطفى بمكتوب خليفة القائد للباى حسن، وعرفه بالواقع وزال ما به من الوهن، وقال له: إن ما تراه من الجراد فضباب على رءوس الجبال، وستطلع عليه الشمس الحارة فينصرف عن آخره وهو فى النكال، وأن العرب ستأكل بعضها بعضًا ويقتل بعضها بعضًا والنصر مآله إليك، فانشر ألويتك ونقر طبولك واضرب غوائطك بناغراتها ولا حرج عليك، فنشرت السناجيق فى الحين ونقرت الطبول والغوائط والناغرات بصوتها الحنين، والتقى الجمعان بعواجة بلاد أولاد رحو فكان ثم أعظم الوقوف، ونشأ الحرب بين الفريقين وتزاحفت لبعضها بعضًا الصفوف وحمى الوطيس وترادفت الردوف، واشتبكت الناس ببعضها بعضًا وهاج الريح العصوف.

المعركة الفاصلة ومقتل التيجاني

قال: فلم يكن غير ساعة إلا والحشم وسائر الأعراب قامت على ساق واحد، وبقى وحده فى تجاجنته واطلع على رأيه الفاسد. ويقال: إن الباى فرق أموالًا كثيرة على أعيان الحشم وكافة العرب فأوقعوا الهزيمة، وفروا وتركوه بجيشه الخاص به منفردًا فى الحالة الذميمة، فصار جيشه يذب عن نفسه ويسارع فى مشيه نحو بستان أولاد رحو (كذا) وهو بستان عظيم من الهندية ليتخلصوا به ويتفسحوا فحال بينهم وبينه جيش الباى وأوقفوهم بموضع يقال له السمار، وأداروا بهم دور مقياس بسواعد الأبكار، واشتد القتال إلى أن قتل التيجينى بجميع جيشه ولم يفلت منهم واحد، ومات خليفة التجينى وهو السيد إبراهيم بن يحيى من أولاد سيدى محمد بن يحيى ذى الفضل الماجد، ومن جيش الباى عدد كثير بالأمكن منهم محمد ولد قدور البحثاوى وقائد غمرة وغيرهما وتكسر ءاغته المزارى من ساقه الأيمن، وكان عدة بن قدور ءاغة الزمالة المتقاعد عن الخدمة فى نوبته وقتًا، حلف أنه / إذا ظفر بالتجينى ليضربنه بسيفه حيًا كان أو ميتًا، (ص 308) ولما ألفاه ميتًا ضربه بسكينه للصدر إزالة للكربة إلى أن هضمه من صدره تهضيمًا كبيرًا بتلك الضربة، فعابته الأعيان على ذلك كثيرًا، وقالوا له: لو ضربته حيًا لنلت المراد، ولكنك فعلت بنا عسيرًا. ولما تم القتال أمر الباى بقطع الرءوس رأس التيجينى ويده ورءوس التجاجنة أهل

الضرر فقطعت الرءوس وبعث بها الباى أمامه للمعسكر، ورحل ودخلها فارحًا مسرورًا، ومؤيدًا مغتبطًا منصورًا، وبمخزنه العظيم نال عزًّا وشكورًا، ثم رجع لوهران فى عزه وإكرامه، وفضله وإنعامه، وألوية النصر تخفق على رأسه وهو فى أنيسه، واشتد أمره وجرصه، وكتب لقائد مليانة يخبره بما نصه: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله المكرم ولدنا على قائد مليانة وفقه الله آمين السلام عليكم غاية ورحمت (كذا) الله والبركة وبعد فالذى نبشركم به خيرًا إن شاء الله تعالى هو أننا طحنا على محلة الظالم ابن التجينى وأحزابه فقتلناه هو بنفسه وقتلنا ما يزيد على ألف رأس وسبينا جميع ما عندهم من خيول وإبل حتى الأخبياء جميعًا والحمد لله على هذه البشارة المباركة لقد هنيت العباد من ظلمه وفساده وها نحن بشرناك والسلام بأمر المعظم السيد حسن باى آمنه الله آمين.

حصول القحط وغلاء الأسعار

وفى فصل الربيع سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف [1] باقتباس وقع غلاء عظيم وقحط فيه الناس إلى أن صار الباشا يفرق الرغيف بالمدن على الناس، فسمى العام بعام خبز الباشا، وتواتر على الألسنة للآن وفاشا. وكانت الأولياء فى المستبن تقول: آخر الترك من يسمى حسن، ومنهم من يقول: سيأتى الباى حسن يأكل الرتعة ويزيد الرسن، ومعنى هذه الإشارة بالكمال أنه يأكل الرتعة وهى الرعية ويزيد الرسن وهو العمال، فكان الأمر كما قالت الأولياء، نعم السادات الأصفياء الكرام.

سجن الشيخ محيي الدين بوهران

وقتل هذا الباى ولى الله سيدى الحاج محمد البوشيخى المقيم بقيزة، بإغراء عدة بن ونزار رايس الونازرة الزمالى له علية فى الوجيزة، بحيث علقه مع خشبة بوهران، وقال: هذا جزاء من يريد الظهور والإعلان. ومنع شيخ الجماعة من الحج وهو السيد الحاج محيى الدين بن سيدى مصطفى بن المختار والد الأمير السيد الحاج عبد القادر، وأسكنه بوهران بمنزلة المثقف ولم يخل سبيله إلا بعد/ أمد طويل متكاثر، ولما سامه بالسجن عفانا الله منه، قال فيه العلامة السيد (ص309)

(1) الموافق 1827م.

السنوسى ابن السيد الحاج عبد القادر بن السنوسى الدحاوى قصيدة نونية لتسليته وإبعاده الهم عنه نصها بتمامها:

عـول علـى الصبر لا تفزعـك أشـجان ... ولا ترعــك بـمـا فاجتـك وهـران
أمـا هـى الـدار لم تـؤمن غوائلهـا ... بـلى هـى الـدار أغيـار وأحـزان
تخفـى الدسـائس لم تظهـر لهـا حيـل ... ولم تعاقـدها والله أيـمان
شـبت عـلى الغـدر لم تعطـف عـلى أحـد ... إلا ومـن غـدرها صـد وهجـران
مـا أنـت أول مـن دهـت ولا آخـر ... ولا بأوسـط مـن خانتـه إخـوان
انظـر إلى يوسـف الصـديق كـم لبثـت ... فى السـجن نفسـه لم تـزره خـلان
وانظـر إلى ابـن رسـول الله ثـم إلى ... هلـم جـراو مـا لاقـاه عـثمان
تلـك العوائـد أجراهـا عـلى قـدر ... مـدبر الأمـر كيـف شـاء ديـان
لم يشـتوك أحـى الـدين عـن زلـة ... رأوا ولكـن أشـقى القـوم شـيطان
صـبرًا فـلا غـرو أن تنحـل عقـدة مـن ... مـن أجلـه قـد عـاد عليـك سـلطان
ويكظـم الغـيظ مـن خصـم ومـن حكـم ... ويكشـف الغـم أن صـدوا وأن خـانوا
بـل لا عليـك وإن سـاءت ظنـونهم ... سـيهزم الجمـع أو يشـتت ديـوان
إن العواقـب فى القـرآن ثابتـة ... للمتقـين وصـدق القـول قـرآن
وأنـت والله لم تـزل عـلى سـنن ... يهـدى إلى الحـق لم يملـك طغيـان
تقـرى الضـيوف وتسـعى فى حـوائجهم ... وتحمـل الكـل لا غـش ولا ران
تبيـت بـين الـدجا تتلـو المفصـل عـن ... قلـب وتصـبح مثـل البـدر تـزدان
تـدرس العلـم مـرة وثانيـة ... تلقـن الـذكر والفـؤاد يقظـان
فـالله أسـأل أن أراك منطلقًا ... ومـا حواليـك حـراس وأعـوان
ومنـه أرغـب أن ألقـاك معتـدلًا ... كالحـال قبـل وقـد أمتـك ركبـان
ثـم الصـلاة بمحمـود الصـلاة عـلى ... محمـد المصـطفى مـا تـم إيـمان

حملته على الشيخ بلقندوز التيجاني وقتله

ثم جمع جيشًا عظيمًا يقينًا، وذهب به لزاوية الشيخ بالقندوز/ القدارى التيجينى يمينًا، وليس عند هذا الشيخ الصريح سوى الطلبة لقراءة القرآن ورام قتله فى الصحيح ولما رآه على تلك الحالة التى بها خبره انصدع، قال: مثل هذا لا يثور علينا ورجع.

ثم غزاه فى عام خمسة وأربعين ومائتين وألف[1] فى جيش عظيم لا يطيق له أحد على (ص 310) الوصف، ولما وصله قال لمن بعثه: يأتى به شهيرًا، إذا امتنع من الإتيان معك وأراد الطلبة الحرب فارجع لى بذلك وكان عددهم كثيرًا، وأوصى جيشه الأتراك أيضًا رصدًا، بأنه إذا ضرب البارود بالكابوس فعليكم بنوايل الطلبة فاقتلوهم ولا تحاشوا أحدًا. وكان من عادته إذا أراد المكر بأحد والناكوس، يعض لحيته فصار يعضها وبيده الكابوس، ولما رءا (كذا) ذلك جهرًا، ءاغته السيد مصطفى بن إسماعيل البحثاوى أتاه فورًا، وقال له: ماذا تريد أن تفعله وحدك ولم تنس بواقعه التجينى ما بقصدك، أردت أن يتكلم فيك البارود من جيشك الذى معك فعند ذلك تندم على رأيك؟ فقال له: وأى سبب، حتى يحل بنا هذا العطب؟ فقال له: إن هؤلاء الطلبة كلهم من الجيش الذى معك بعضهم من البرجية والزمالة، والدوائر بالقول المتراجع، وبعضهم من بنى عامر والحشم وبنى شقران ومجاهر وفليتة إلى غير ذلك من النواجع فمنهم من هنا ولده وقريبه، ومنهم من هنا أخوه وحبيبه، وإذا رأوا ذلك القتل فيهم وأجهدهم لا جرم أنهم يقاتلونك على قرابتهم والحق عندهم والرأى الذى فيه المصلحة اترك ما نويته وابعث من يأتك (كذا) به لأنك جئت له لا لكلهم، حيث لم يهدك الله فى شأنه واترك الطلبة يذهبون لأهلهم. قال: فقال له: رأيك صوابًا، وأحسنت تدبيرًا وجوابًا، فترك ما أمر به بجده وأدخل كابوسه فى غمده، وبعث له السيد قدور بن المخفى فذهب ولم يأت له بعد إعطائه الزيارة ثم بعث له من حلّ به المكر والخسارة، وهو ابن دهما العامرى الخالفى شرير الفعل بكل جوارحه حتى فيه، فدخل عليه بنوالته ولطم خدّه بشدة وأسحبه على الأرض إلى أن أوصله للباى وهو يسحب فيه، فأمر الباى بوضع الكبل عليه لقلّه، وافترقت الطلبة من حينهم فذهب كل واحد لأهله. وكان بالقندوز يقول قبل وقوع الأمر به للطلبة، نعم السادات ما تقولون هل الأفضل الذبح أو الخنق بالغلبة، ثم قال: الذبح

---

(1) الموافق 1829م.

يؤدى لاختلاط الدماء فالخنق أفضل، فمن أراد الذهاب فليذهب ومن أراد البقاء، فليقعد حتى يشاهد القول الأكمل.

(ص 311) / ثم ارتحل من موضعه وذهب مشرقًا، إلى أن نزل برهيو فقتله به خنقًا مع داود المزابى قولًا محققًا. ولما مات الشيخ بالقندوز دون علم أحد من الناس بغير اشتباه، صار ولىّ الله السيد الحاج محمد أبو قراب يقول: أتى أمر الله يا عباد الله، فأرسل الله على المحلة ريحًا عاصفًا بصعصعة، إلى أن تكسرت ركيزة وتاق الباى وأزيل الوتاق من موضعه، وضجت الدواب بالصهيل، وماجت الناس وهم خائفون من التبديل، ثم سكن ذلك بعد ساعة، فعلموا بموت السيد فواروه فى رمسه باستطاعة.

وكان أبو قراب من أولياء الله الكاملين، والرجال السادات الواصلين، وكان قرابة بيده على الأبد ويمشى على رجليه مع المحلة حيث ذهبت، ولا تسبقه للمنهل ولو فى مشيها أسرعت وغصبت، بل هو الذى يسبقها فى سائر الأحوال، ويبقى فى الصدود من ورائها حتى يذهب ضعفاء الرجال، فلذلك اشتهر بهذه الكنية، وامتاز بها فى المرثية. وقد أمات الله ابن دهماء أشر موتة، ومقته أشر مقتة. ولما قتل بالقندوز صار الشيخ الكامل القطب الواصل، السالك المجذوب المقرب المحبوب، صاحب الملجأ والمناصى، السيد مولاى محمد الوهاصى يقول: للعجب كل العجب بالتّوفيه، الترك يقتلون بالقندوز ومولاى محمد يموت فيه، وبموته يحصل الفرج للإسلام، ويحل بالترك الانتقام ثم يراقب البحر، ويقول: بالجهر بالمركيش أرواح اتعيش، فى لحم البقر والدشيش، ويكرر ذلك فى سائر الأوقات، إلى أن تم أجله ومات، وبموته انقطع الأتراك، وانفصم حبل الاعتراك. ومن الأولياء من كان يقول: فى أيام الصمائم، ماذا يقع بأهل العمائم، ولم ينج ولىّ من الباى حسن إلا السيد محمد بن عبد الله المشتهر بابن سحنون ويقال له: مولا عين الحوت، فإنه لم يتصرّف فيه بشىء فى المثبوت وكان ساكنًا بضواحى تلمسان، والوشاة ساعون به لدى الباى بوهران، فبعث له أناسًا يأتوه به، وكل من يصله لا يخبره بشىء من مطلبه، ويرجع للباى فيقول له: قد أبى وبان منه العصيان، ولا يأتيك إلا إذا غزوته بجيشك فيحل به ما كان، ثم إن الباى قال: كيف أغزوا (كذا) رجلًا واحدًا بجيشى، وربما يكون به إزالة ريشى، فبعث له الفارس الأمجد الشجاع الأوكد، الواثق بالبارى، السيد الحاج محمد المزارى/ وقال له: اذهب (ص 312)

للإتيان به مكبلًا واستعن بالبارى، وكان المزارى وقت ذاك لم يكن آغا أصلًا، فامتثل الأمر وقال: لا قوة إلى بالله ولا حولًا، ما هذه المصيبة التى ابتليت بها عن غيرى وما هذه الرزية التى جاءتنى تجرى، ولما وصله نزل عنده ونظره فى أحواله، وتدبّر فى أفعاله وأقواله، فألفاه برئيًا وأنه من أولياء الله المتعبدين بجحرهم، المعزّين للفقراء والمساكين والضعفاء وغيرهم وللوافدين عليهم فى محبّة الله أهلًا ومرحبًا بكم وسهلًا، وأنه ليس من أهل الثوران، ولا خوف منه على باى وهران، فبات عنده ونفسه تدبر فى كيفية الخلاص من الأمر الذى ابتلى به المفضى للأخذ بالنّواص، ولما أصبح الله بخير الصباح وارتفع النهار وضوؤه بان، أراد أن يقول له على القدوم معه لوهران، فسبقه ذلك الولى بالقول مسرعة وقال له: يا المزارى إنك مأمور بأخذى معك لوهران مكبلًا على برذعة فخذ الكبل وافعل ما أمرت به لا خوف عليك، وكل من جاءنى قبلك لم يقل لى شيئًا بها لديك فقال لى: يا سيدى لا أطيق على حملك معى مقيدًا على البرذعة ولكن اركب فرسك مسرجًا واذهب معى ونتيل (كذا) إن شاء الله للمنفعة إلى أن نصلا (كذا) لوهران دون تشديد ويفعل الله سبحانه فى ملك ما يريد. فقال له الولىّ: لا تعص الأمر لأنه أمر أمير المؤمنين. وطاعته واجبة على الذين بقلوبهم مؤمنين، فقال له: لا يليق إلا ما نطقت به إليك، ولا شيء إن شاء علينا ولا عليك، فقال له الولى: خذ القيد من بيتى لنذهبا (كذا) راكبين على السروج، وحيث نقربا (كذا) وهران نركب البغلة المبرذعة مكبلًا ولا فيها حروج، ثم أتاه بالقيد، وأمر صاحبه أن يبرذع البغلة بغير رويد ويسرج فرس المزارى وفرسه، ويذهبون لوهران بلا نفسه ففعل الخديم كل ما قاله الولى وركبوا وأتوا وهران، ولما قربوا منها أقسم على المزارى أن يكبله ويركب على البغلة ليكون الاطمئنان (كذا) ففعل المزارى ما رضى به السيد الحليم ودخلا وهران على تلك الحالة التى مثالها (كذا) الفوز العميم ثم ذهب به المزارى لبيته وبها بات، ومن الغد تركه بالبيت وذهب عند الباى وقت اجتماع الأغوات، وقال: يا سيدنا إن الذى أمرتنى به جئتك به على تلك الحالة، وأنه بيتى وأريد منك الأمن عليه ولا تلتفت لقول القوالة، وأخبره بأمر السيد من أوله إلى آخره وما احتوى عليه من باطنه وظاهره، فظهرت البشرى على وجه الباى وقال: ما تريد يالمزارى؟ فقال / له: إذا أردت ديته أو الخطية نؤديها لك من مالى لما قلت لى واستعن بالبارى، كما لا تنتقم منه (ص 313) بالسجن فإنه فى ضمانتى فى دارى، فقال له عليه الأمان التام أن لا يخشى من شيء والله شاهد علىّ

فى ذلك، غير أنى أحب أن اختبره ببعض الأمور السياسية ليطمئن قلبى بذلك فأحضره المزارى لديه، ولما مثل بين يديه حصلت للباى منه هيبة ورهبة ومحبّة ورغبة، وقال له: يا هذا الرجل ما هذا يسمع عنك من اجتماع الناس فى كل وقت عليك،ووفودهم فى كل آن إليك، فقال له: إذا أخبروك بأنى جاعل خيمة للطلبة وضياف الله، والمخزن إذا جاء فذلك حق ليس به اشتباه وإذا أخبروك بغير هذا فذلك عنّا بعيد، ونحن فى طاعة أمير المؤمنين كما أمرنا الرسول والمولى الكريم المجيد، فقال له الباى: إنى نخايل فيك بعض الأسرار، وأردت اختبارك بأمور تنشأ لك منها الأضرار، فإن كنت من ذوى الأسرار الربانية خلصت منها بسرك، وإن كنت من الأحزاب الشيطانية كانت آخرًا لعمرك فقال له: افعل ما تريد ينفذ، غير أنى أقول لك قولًا: إن هلكتنى تهلك وإن أنقذتنى تنقذ وإن بعثتنى برًّا تبعث برًّا، وإن أرسلتنى بحرًا ترسل بحرًا، فبادر بالاختيار وانظر لما يكون لك له النجاة من الأسار، فألقاه أولًا على مخاطيف الحديد، فصار يلعب عليها والباى ينظر ويزيد، ثم ألقاه ثانيًا ببيت السباع، فبصبصت له وهى ذات إيطاع، وصار يركبها واحدًا بعد واحد وهم به فارحون وله صابرون، والباى بمن معه من أرباب دولته ينظرون، ثم ألقاه ثالثًا فى الكوشة، فطفيت نارها كأن الماء بها فى العروشة، فاتكأ فيها طولًا وعرضًا والناس ينظرون له ثم لبعضهم بعضًا ويتعجبون من أمر الله الواحد البارى، ثم أخرجه وبعثه لبيت المزارى، وقال له: غدًا نبعثك لبنى يزناسن مع البحر فى اطمأنان (كذا) ويلحقك أهلك فقال للمزارى: اعلم أنى ضمنت لك من الآن الرياسة والرفعة السياسة، ولأولادك من بعدك مؤبدة ودائمة مسرمدة لا يقطعها منكم قاطع، ولا يزيلها قانع ولا طامع ولا يتصرف فيكم أحد بسوء فى السر والعلن، وأنتم / على الأبد فى أمن وأمان من ضرر المخزن ثم من الغد (ص 314) بعثه الباى حسن لبنى يزناسن فى السفينة، وأمر أن يلحق به أهله فى أمن وأمان من كل خوف وغبينة، فكانت دعوته بالخير على المزارى هى سبب توليته ءاغة فإنه فى تلك لأيام صار ءاغة وهى توليته الأولى لذلك المنصب، واطمأن قلبه وزال ما به من النصب، هذا ما حدثنى به الفقيه الأديب، الحاذق اللبيب، الشريف العدل السيد محمد بن الحبيب الغربى ثم البوعمرانى أحد أولاد سيدى عمارة أهل السر الربانى. وكذلك خلص من ضرره الشيخ الضرير السيد إبراهيم الخروطى الخرير، فإنه بعث له مكاحله محمد بن المختار الزمالى ليأت (كذا) به لأمر ظهر عليه

غير الموالى، ولما أتاه به نظر فى حاله وأصله فألفاه من الذين لا يثورون عليه فسرحه لأهله ويقال: إنه دعا بالشر على محمد بن المختار، ومقامه كما مر خارج سور وهران، من ناحية الحمرى لاشتهار، وفى أيامه سنة أربعة وأربعين ومائتين وألف [1] قتل العالم العلامة الحجة الفهامة السيد محمد بن قريد الغربى شهيدًا ببيته، بخنق النطاح بوهران فى المعترف، قتله بعض من تسلط على زوجتيه من اللصوص عمدًا لا جهلًا، ولما قام ليدافع قتل ليلًا، ومن الغد أخذت زوجتاه وذهبتا للباى فأمر بتشكيرهما، ورميهما فى البحر من غير تحويرهما، فقيل للباى إن إحداهما حامل، فقال: ليست تأتى بابن قريد فى القابل، فنفذ فيهما الأمر تنفيذًا، واستحوذ بهما تحويذًا وأمر بحرق نوائل تلك الحومة، وصيرها تنوح بها البومة، وحضر لدفن العلامة، وشاهد منه عجائب الكرامة، ونجا الظالمان إلى أن قبض أحدهما فى ولاية الأمير ناصر الدين السيد الحاج عبد القادر بن محيى الدين، ورفع به فبحث عن أمره بحثًا مشددًا ولما ثبت القتل عليه مكنه من قرابة الشيخ ابن قريد فقتلوه قصاصًا لا رحم الله من قتل الشيخ أبدًا.

الهجوم على قبائل الأحرار وعقابهم

ثم غزا أدقافايت قرية من قرى القبائل بالظهرا، من رعية المغرب الأقصى وقصدهم جهرًا، فلم يصلهم لبعدهم عن رعيته ، بل وصل إلى عيون بنى مطهر ورجع بفوريته، وقد عتقهم الله تعالى من ظلمه وغصبه وسبيه ونهبه، وفى عام أربعة وأربعين من القرن الثالث عشر [2] بالاشتهار، غزا من رعيته قبيل الأحرار، وهم بأرض اليعقوبية، ركب لهم بمحلته من بلاد بنى عامر فأخذهم الأخذة الكروبية بحيث شفا فيهم لنفسه/ العليل، وأبرد فيهم الغليل وكتب (ص 315) بذلك لحسين باشة الجزائر يخبره بها نصه بالبشائر : الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم أبقى الله سعادة من أنام الأنام فى مهد الأمان وأفاض عليهم سحائب العدل والإحسان الفاضل الكامل المجاهد الحافل، سيف الدولة ولسانها وعين أولئك الأعيان بل هو إنسانها، مولانا السلطان المعظم، الملك المفخم ذو الأيادى الجسام، والفتوحات العظام ناصر الدنيا والدين قامع أعداء الله الكافرين الجاحدين مولانا الدولاتلى سيدنا حسين باشا، لا

(1) الموافق 1828-1829م.

(2) الموافق 1828 - 1829م.

زالت الأعداء من خوفه بحول الله برًّا وبحرًا تضمحل وتتلاشى، سلام على سيادتكم يملأ البسيطة أرجًا وطيبًا، ويقوم على منابر السنا بنشر محاسنكم خطيبًا، ورحمت (كذا) الله تعالى وبركاته، تغشاكم ما دام الفلك وحركاته، أما بعد أبعد الله عنا وعنكم ما تكرهون وقرب لنا ولكم ما تحبون وتشتهون، فإننا غزونا على قبيل الأحرار الغرابة بعد المراصدة وتخلف العيون، لما هم عليه من عدم الغفلة وكثرة الظنون وقد ركبنا إليهم فى المحلة المنصورة من بلاد بنى عامر وسرنا نحوهم سيرًا عنيفًا، نحث المطايا علنا (كذا) نظفر بتاليدهم والطريفا، فأصبحنا عليهم وهم فى غفلة فأحطنا بهم إحاطة الهالة بالقمر، والخاتم بالخنصر فجمعنا مالهم جمعًا، وحزناه وترًا وشفعًا، فشفا منهم العليل، وبرد الغليل لكوننا طال ما رمنا أخذهم فلم يأمنوا والآن قد ظفرنا الله بهم فأخذناهم أخذة رابية، بغزوة شافية كافية، وذلك ببلاد اليعقوبية ورجعنا نحن والعسكر بالسعية، والمخزن بخير وعلى خير فالحمد لله على الغنيمة والسلامة والكل من فضل الله وبركاتكم أدام الله لنا وجودكم وأفاض علينا بركاتكم وجودكم، وقد وقع ذلك يوم الخميس الرابع من المحرم الحرام فاتح أشهر سنة أربع وأربعين ومائتين وألف [1] ويصلكم صحبة الحامل الطالب الذى أمرتمونا ببعثه ليرقى إنسانًا مريضًا جعل الله دواءه على يده وكشف عن ضره كما كشفه عن أيوب عبده ، وقد اخترناه لمعرفته بتلك الأمور وديانته فإن البركة تلازم لأهل الدين والتقى، فلذلك تقضى بهم الحوائج دعاء ورقى والمولى جل جلاله ييسر الأمور وإنه على ذلك قدير وبالإجابة حقيق وجدير، وثم السلام التام فى البدء والختام، وكتب عن إذن ابنكم المعظم (ص 316) السيد حسين باى الإيالة/ الغربية آمنه الله آمين.

ولا زال حسن بايا بوهران إلى أن دخلها الفرانسيس بالبيان سنة ست وأربعين ومائتين وألف[2]، بالثبات فحملوه للمشرق وبقى به إلى أن مات.

رأي محمد بن يوسف الزياني في الأتراك

قال شيخنا الشريف الحسنى الصمدانى، والقدوة الربانى العلامة السيد محمد بن يوسف الزيانى فى دليل الحيران وأنيس السهران، فى أخبار مدينة وهران: واعلم: أن الأتراك لما تمهد لهم

---

(1) الموافق 17 جولية 1828م.

(2) الموافق 4 جانفى 1831م.

الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم وعتوهم فى الخلق وعنادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم والمناكر، وتواتر ذلك على الألسنة بغاية المتواتر فاشتغل العلماء فى ذكر ذلك فى نثرهم ونظمهم، وسألت الناس الله أن يزيل بهم ما حل من ظلمهم، فمن ذلك قول العلامة الأديب الشاعر الدراكة اللبيب الماهر أبى عثمان سعيد بن عبد الله المنداسى التلمسانى الحاذق النبيل، فى قصيدته النونية التى هى من بحر الطويل:

بنى السد ذو القرنين للناس رحمة فيا ليته من شوكة الترك هننا

إلى آخرها، ومنها قول العلامة الكاتب البارع الشاعر، فى رجزه السيد مسلم بن عبد القادر:

أدبهم ربهم لما طغوا عرفهم بقدرهم لما بغوا
فاشتغلوا بالظلم ليس من عدل فاتخذوا (كذا) أخذًا وبيلًا بالمهل
لما نسوا ما ذكروا به ختم على قلوبهم الله وانتقم

إلى أن قال:

صناديد لولا الفساد فى الورى لقلنا قل مثلهم فوق الثرى
عتوا عتوًا على الخلق وجاروا فكانوا أكثر العباد وباروا
فرفع الكل الأكف ودعوا بها به أجاب الله ورجوا
أملهم لن بلغ الوقت الأجل أبدلهم بغيرهم تم العمل

أغوات الباي حسن

وكان آغته من الدوائر بالنوبة الصناديد الثلاثة الذين لا يرون فى فللهم النكاثة وهم: الحاج عبد الله الشريف الكرطى التلاوى، ومصطفى بن إسماعيل، وابن أخيه الحاج محمد المزارى البحثاوى، ومن الزمالة ثلاثة أيضًا بلا زايد، وهم الحاج المرسلى بن محيى الدين، وعدة بن قدور، وقدور بن وارد، بقوا على ذلك/ إلى انقطاع الأتراك، فزال التداول والاشتراك والدوام للواحد القهار الملاك. (ص 317)

انتهى الجزء الأول من طلوع سعد السعود ويليه الجزء الثانى ومبدؤه: الدولة التاسعة.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والجماعات

* * *

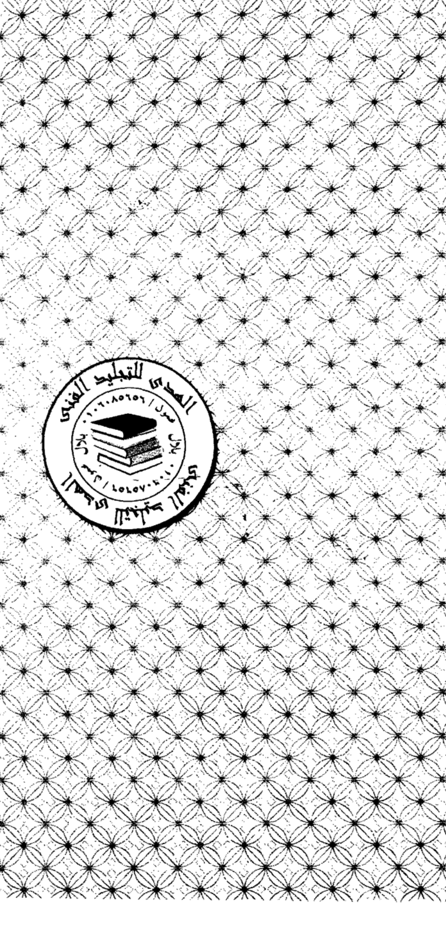
فهرس الأماكن الجغرافية

-ي-

فهرس الكتب

فهرس الخرائط

فهرس الموضوعات


الهدى للتجليد الفنى


الهدى للتجليد الفني



عاصمة الثقافة العربية